جامعة السلطان مولاي سليمان
بني ملال

كلية الآداب والعلوم الإنسانية
بني ملال

مركز الدراسات في الدكتوراه الآداب والعلوم الإنسانية

تكوين الدكتوراه: التاريخ والتراث الجهوي

أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في موضوع:

"الروض اليانع الفائح في مناقب سيدنا ومولانا أبي عبد اللّه محمد المدعو بالصالح"

لمؤلفه الحسن بن محمد الهَدَّاجِي المَعْدَاني (ت1180هـ/1766م)

تحقيق ودراسة

الجزء الأول

إعداد الطالب:
محمد العنزي
رقم التسجيل: 03/15HRR

إشراف الأستاذ:
الدكتور محمد العاملي

السنة الجامعية
2021-2020

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين،
إياك نعبد وإياك نستعين، إهدنا الصراط المستقيم، صراط
الذين أنعمت عليهم، غير المغضوب عليهم ولا الضالين.

صدق الله العظيم

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

بحث لنيل الدكتوراه في الآداب في موضوع

الروض اليانع الفائح

في مناقب سيدنا ومولانا أبي عبد الله

محمد المدعو بالصالح

لمؤلفه الحسن بن محمد الهَدَّاجِي المعْدَاني (ت1180هـ)

تحقيــق ودراسـة

الجزء الأول

إهداء

أهدي ثمرة هذا الجهد المتواضع إلى:

والدي الكريمين:

أبي رحمه الله تعالى وجعل مثواه الجنة،

وأمي أطال الله في عمرها ورزقنا برها.

كما أهديه إلى زوجتي وبناتي عرفانا ومودة.

كلمة شكر

أتقدم بخالص عبارات الشكر وعظيم الامتنان، إلى الأستاذ الفاضل الدكتور محمد العاملي الذي كان نعم الأستاذ المشرف؛ حيث أفادنا خلال مسيرتنا العلمية الموفقة في سلكي الماستر والدكتوراه بتوجيهاته السديدة، وتكوينه المتين، ومنهجيته الصارمة في تتبع هذا العمل وتقويمه وتسديده، إلى أن استوى على ما هو عليه اليوم، بفضل الله تعالى وتوفيقه.

والشكر موصول إلى الأستاذة الكريمة الدكتورة الفاضلة سعاد بلحسين التي أنارت لنا المسالك، وجعلتنا نتغلب على المشاكل والصعوبات التي اعترضتنا في طريق إنجاز هذا البحث. وكان للدورات الخاصة التي نظمتها لفائدة الباحثين المسجلين في الدكتوراه الأثر البالغ في تقويم الاعوجاج وتصحيح ما يمكن تصحيحه، خلال مراحل إعداد هذه الأطروحة.

كما أتقدم بأسمى عبارات الامتنان، وأسنى آيات التقدير، إلى كل أساتذتي الأجلاء، بهذه الكلية الغراء الذين لم يبخلوا علينا بأفكارهم النيرة وتوجيهاتهم العلمية، حرصا منهم –حفظهم الله جميعا- على تخريج طلبة باحثين جادين ليكونوا فخرا لهذه الجامعة ولهذه الكلية ولتكوين الدكتوراه: "التاريخ والتراث الجهوي".

فالله سبحانه وتعالى يجازي الجميع خير الجزاء على صبرهم وتضحياتهم، والله الموفق للصواب.

مقـدمـة:

تتناول هذه الأطروحة تحقيق الكتاب المخطوط الموسوم بـ **"الروض اليانع الفائح في مناقب سيدنا ومولانا أبي عبد الله محمد المدعو بالصالح"، لصاحبه الحسن بن محمد الهَدَّاجي المعْدَاني**، المتوفى عام 1180هـ-1760م. ثم دراسته.

1. التعريف بموضوع البحث:

إن عملية تحقيق النصوص التراثية هي عملية علمية مهمة وأساسية، لأن تقدم البحث المعرفي والفكري رهين بمدى تقدم الباحثين في تحقيق المخطوطات تحقيقا علميا رصينا، وتصبح طريق الاستفادة منها سهلة وميسرة وهو الذي حدا بنا إلى اقتحام البحث في هذا المجال المعرفي بتحقيق ودراسة واحد من أبرز كتب المناقب المغربية التي دونت في القرن الثامن عشر الميلادي. ويتعلق الأمر بالكتاب الذي سماه صاحبه بـ "الروض اليانع الفائح في مناقب سيدنا ومولانا أبي عبد الله محمد المدعو بالصالح"، لصاحبه الحسن بن محمد الهداجي المعداني. هذا هو العنوان الأصلي الذي ذكره مؤلفه بهذه العبارات في المقدمة.

إنه عمل يندرج في مجال معرفي خصب، هو مجال إحياء التراث والتعريف به، ودراسته وتقديمه في صورة أقرب إلى الدقة والكمال، لتكون الفائدة منه أكثر جدوى ونفعا.

لهذا، فإن إحياء التراث بتحقيقه، وضبطه ومناقشته ونقده، وتقديمه في أكمل صورة، له مزية علمية لا تخفى ولا تقدر بثمن، في جميع مجالات العلوم.

ويعد كتاب "الروض اليانع الفائح في مناقب سيدنا ومولانا أبي عبد الله محمد المدعو بالصالح"، مصدرا أساسيا لدراسة حياة الشيخ محمد الصالح، إذ بفضله نحصل على معلومات قيمة ومفيدة تهم الوسط الذي نشأ فيه وأسرته وكذا معرفة ثقافته وعلمه. ولا نغالي إذا قلنا إنه شهادة حية عن حياة التصوف، وعن الحياة الدينية والأدبية في منطقة تادلا، أواخر القرن 17 وبداية القرن 18 الميلادي. قال رحمه الله في مقدمة كتابه هذا: "وأرجو الله الكريم أن يكمل قصدي فيما أردت، ويحقق ما أملت وقصدت، ويمنحني ما سألت وطلبت، من كتاب أضعه، ومصنف أجمعه في كرامات

سيدنا الإمام العالم العلامة الهمام، العارف الكامل الموصل الواصل، شمس العرفان الساطعة على مرور الزمان، وصدر العارفين والأكابر الأعيان، أستاذ الطريقة الجامع بين الشريعة والحقيقة، البدر اللائح، أبي عبد الله سيدي محمد المدعو بالصالح بن العارف الكبير، والغوث الشهير سيدي محمد المعطى، نفعنا الله بهما، ومنحنا من بركتهما وسرهما بركتهما، فقد كان أهلا لكمال الشهرة والتعريف والتبجيل والتشريف، وأن تُجمع شمائله وتُنْشر، وأن تُدَوّن محاسنه ومناقبه وتُذكر. وسميته "بالروض اليانع الفائح في مناقب سيدنا ومولانا أبي عبد الله محمد المدعو بالصالح"، وذلك بعد إشارة من تجب علي طاعته، ولا تَسعُنِي مخالفته، وقد ملكتني مِنَّته، وغمرتني نعمته، وعمتني بركته ونصرته، ومن أجل ذلك تحملت ما لا أطيق لقلة العلم والعمل..."[1]. وقد انتهى منه سنة 1179هـ/1765م.

ويدخل في هذا الإطار تحقيق عدد من النصوص التاريخية من نوع كتب المناقب، منها:

- كتاب **"التشوف إلى رجال التصوف"**[2] لابن الزيات التادلي (ت627هـ و628)، الذي يحتوي على أكثر من عشرين ترجمة خاصة برجال التصوف الذين نشأوا بتادلا، أو استوطنوها قادمين إليها من جهات أخرى. وبين أدوارهم الصوفية والدينية خلال القرن السادس الهجري وبداية القرن السابع الهجري. فهو يعتبر من أهم المصادر المؤسسة للتاريخ الصوفي بالمغرب، ووثيقة لها قيمة علمية وتاريخية مهمة تفيد الباحث أو المؤرخ في التعرف على التاريخ الاجتماعي والثقافي والنفسي والاقتصادي لمنطقة تادلا. وكذلك بعض الأحداث التي عرفها العصر مثل خبر واقعة داي وبين ثورة عتاب التي لا نجد لها ذكرا في المصادر. ويعطينا صورة واضحة عن العلاقة التي كانت بين السلطة الموحدية والفقهاء والمتصوفة ..

---

[1] الحسن المعداني، "الروض اليانع الفائح..."، ن م ، 86ج، (النسخة المعتمدة)، ص: 4.

[2] التشوف إلى رجال التصوف، لابن الزيات التادلي، تحقيق أحمد التوفيق، الطبعة الثانية، 1997، منشورات كلية الآداب الرباط.

-ثم كتاب **"المعزى في مناقب الشيخ أبي يعزى"**[1]، للشيخ أبي القاسم التادلي الصومعي، توفي سنة 1013هـ، جاء ليعطي نظرة موسعة أكثر عن التصوف والمتصوفة بتادلا، عرف فيه بأهمية الشيخ أبي يعزى ومناقبه، وبأعلام الطريقة الشاذلية الجزولية، واستعرض فيه أيضا أخبار مشايخ التصوف المغاربة والمشارقة وكراماتهم، كما يتضمن معلومات مهمة عن الشيخ الصومعي لا توجد في غيره من المصادر.

- ثم كتاب: **"المرقي في بعض مناقب القطب سيدي محمد الشرقي"**[2]، للشيخ عبد الخالق بن محمد بن أحمد العروسي، الذي كان حيا سنة 1139هـ، وتأتي أهميته من كونه أول مؤلف في تاريخ الزاوية الشرقاوية، أي من مرحلة التأسيس في منتصف القرن 10هـ-16م حتى أواخر القرن 11هـ -17م.ضم مجموعة من تراجم رجال الزاوية، وبعض من انتسب اليها، من علماء ومتصوفة هذا العصر. وتبرز قيمته أيضا في احتفاظه بقصائد شعرية ذات نفحة صوفية، في المديح النبوي وفي مدح الشيخ أبي عبيد أو الشيخ محمد الصالح الشرقاوي. ويعد ذخيرة ثمينة من ذخائر كتب المناقب المغربية، ومصدرا مهما من مصادر التأريخ للزاوية الشرقاوية خاصة، والتاريخ المغربي بصفة عامة.

-ثم **"الفتح الوهبي في مناقب الشيخ العربي"**[3]، لأبي حامد محمد العربي الشرقي، (ت 1316هـ)، فهو بدوره يمكن أن يصنف ضمن الترجمة المنقبية، لأنه ينقل لنا مناقب رجال الزاوية الشرقاوية خلال فترات تاريخية متزامنة، ويقدم لنا بعض التعريفات للتصوف، وأقوال المتصوفة وأشعارهم، ويعرفنا أيضا بمعالم الطريقة بدءا بالشيخ الشرقي وشيوخه ...

وتأتي أهمية هذا الكتاب المخطوط الذي نحن بصدد تحقيقه في أن صاحبه أرّخ للتصوف بتادلا، للزاوية الشرقاوية خاصة التي يصعب على الباحث أن يجد معلومات

---

[1] **المعزى في مناقب الشيخ أبي يعزى**، للشيخ أبي القاسم التادلي الصومعي، تحقيق علي الجاوي، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط منشورات كلية الآداب، أكادير 1996م.

[2] **المرقي في بعض مناقب القطب سيدي محمد الشرقي**، للشيخ عبد الخالق بن محمد بن أحمد العروسي، تحقيق محمد البقالي، أطروحة الدكتوراه، جامعة عبد المالك السعدي، تطوان السنة الجامعية 2011-2012م.

[3] **الفتح الوهبي في مناقب الشيخ العربي**، لأبي حامد محمد العربي الشرقي، دراسة وتحقيق محمد أفيلال، منشورات باب الحكمة، تطوان، الطبعة الأولى، 2020.

مستفيضة عنها، مثلما صدر عن شيخها ومؤرخها وعالمها وفقيهها الحسن بن محمد الهداجي المعداني. ويندرج كتاب "الروض اليانع الفائح ..."ضمن كتب المناقب الخاصة بأهل العلم والصلاح والتصوف.، وسمي الجنس المعرفي الذي تدخل في صلبه هذه الكتابة بـ(أدب المناقب "Hagiographie"). وهي من مصادر التاريخ عامة، والمغربي خاصة؛ ذلك أن هذا الجنس من المصادر يتضمن من الوثائق والنصوص ما لا غنى عنه للباحث والمؤرخ؛ فموضوعات العلمين ووثائقهما ومعلوماتهما تقربنا من معرفة أحداث المجتمع وأحواله وطبقاته وصيرورته.

ثم إن أهمية هذا الموضوع تتجلى في التعريف بتراث الجهة وبشيوخها وبثقافتها وبأعرافها وتقاليدها وأمثالها ومستواها الحضاري، لنؤكد من خلال بحثنا هذا بأن منطقة تادلا، بأقاليمها الممثلة حاليا في جهة بني ملال –خنيفرة، كانت تضاهي، من حيث المستوى العلمي والسلوكي والصوفي والحضاري، الجهات الأخرى؛ كمراكش وفاس. وقد مثلث جسرا واصلا بين فاس وشمالها، وبين مراكش وجنوبها، وسجلماسة وشرقها. وكانت حضنا جامعا لمعاني التثاقف والتواصل بين مختلف الجهات؛ وذلك لكونها نموذجا في الاستقرار الأمني، وفي الأمن المعيشي والاقتصادي؛ لوفرة بساتينها وعيونها وأنهارها. وفي الأمن الروحي باعتبار كثرة المراكز العلمية والزوايا الصوفية فيها.

وبناء على ما سبق، فإن قيمة هذا البحث تبدو في كونه نموذجا في التعريف بتاريخ الجهة وتراثها الثقافي والعلمي، وكشف مزايا أهلها وأعرافهم وتقاليدهم، وما اختصوا به من صفات الكرم والبذل والجهاد والتضحية وحسن السيرة.

2. دوافع اختيار الموضوع:

إن اختيارنا لتحقيق الكتاب المخطوط "الروض اليانع الفائح في مناقب سيدنا ومولانا أبي عبد الله محمد المدعو بالصالح" ودراسته تقف وراءه جملة أسباب ودوافع من أهمها:

أولا- أهمية الكتاب المخطوط: حيث يكتسي أهمية علمية ومعرفية كبيرة، نظرا لاحتوائه مادة معرفية صوفية وتاريخية وأدبية غزيرة؛ تتناول جوانب متعددة من تاريخ التصوف المغربي، والمجتمع التادلي، عـرّف المؤلف فيه بشيخه محمد الصالح الشرقاوي،

وبعض أقطاب الطريقة الشاذلية التباعية-الجزولية، والطريقة الناصرية. وهؤلاء من أبرز أئمة المالكية بالمغرب..

ثانيا: الأهمية المصدرية لهذا الكتاب المخطوط "الروض اليانع الفائح..."، الكامنة في اعتباره من الكتب التي عرفت بتراث الزاوية الشرقاوية العلمي والفكري والصوفي، وترجمت لرجالاتها؛ حيث اعتمدت عليه المصادر اللاحقة، قديمها وحديثها.

ثالثا: لم يحظ "الروض اليانع الفائح..." بمثل ما حظي به غيره من كتب المناقب المماثلة من اهتمام المحققين، رغم العناية البادية من قبل الباحثين بموضوعات تحقيق النصوص المنقبية. كما أن صاحبها الحسن الهَدّاجي المَعْدَاني لم ينل نصيبه الكافي من التعريف حياة، ونسبا، وولادة، وتربية، وتدريسا بعد ذلك بالزاوية الشرقاوية وكذا التعريف بمؤلفاته وشيوخه، حيث ظل مغمورا، لا يكاد يعرفه إلا من درس تراث الزاوية.

رابعا: يقدم هذا البحث تعريفا مستوفى لحياة أحد أقطاب أولياء المغرب وصلحائه، وهو الشيخ محمد الصالح بن المعطى الشرقاوي البجعدي العمري. كما يتضمن مادة وفيرة من القواعد الصوفية والحكم، والنصائح، والأذكار، والأوراد، والأنظام، والأشعار، والكرامات، ثم مادة غزيرة من المكاتبات والمراسلات والاجازات العلمية؛ مما يشكل إنتاجا تربويا وروحيا وفكريا رائدا في تراث الزاوية الشرقاوية.

خامسا : خصوصية الفترة التاريخية التي ألف فيها الحسن الهداجي المعداني كتابه "الروض اليانع الفائح ...".وتتجلى في ازدهار الحركة الصوفية وصحوتها وقوة نشاطها من خلال الزوايا والمراكز العلمية، في عهد السلطان المولى إسماعيل العلوي. في الفترة الممتدة من :(1139-1082هـ/1672-1727م)

3. المنهج المعتمد:

يعتبر المنهج إطارا نظريا عاما بمنطلقاته وأسسه ومراحله يعتمده الباحث في إنجاز عمل علمي أكاديمي ما. وتعقبه منهجية تنزيلية تستجيب لنوع البحث ومجاله وخصوصيته.

وبما أننا بصدد تحقيق نص الكتاب مخطوط، فإن المنهج الأنسب لبحثنا هو منهج تحقيق النصوص التراثية ودراستها.

إن عملنا في تحقيق الكتاب المخطوط "الروض اليانع، الفائح في مناقب سيدنا ومولانا أبي عبد الله محمد المدعو بالصالح" أخضعناه لمنهج لا ندعي أنه يختلف عن المنهج التقليدي المتبع في تحقيق المخطوطات ونشرها، بل إنه مستمد منه، كما أنه خاضع لخصوصية المخطوط أيضا.

ومعلوم أن لكل كتاب مخطوط خصوصيته، هذه الخصوصية تختلف شكلا ومضمونا، من مخطوط إلى آخر، الأمر الذي يتطلب- أثناء التحقيق- العمل وفق منهج يتفق وخصوصية ذلك المخطوط.

وهذا ما حاولنا أن نلتزم به أثناء تحقيقنا للكتاب، حيث اتبعنا المنهج العملي الذي وجدناه كفيلا بتقديم نص واضح بمتنه وهوامشه وتصويباته وتعقيباتنا عليه.

4.محتويات الكتاب :

اعتمدنا الخطة الآتية، من أجل تنزيل المنهج المعتمد في تحقيق هذا المخطوط ودراسته؛ ذلك أننا جعلنا العمل في بابين ومقدمة وخاتمة وفهارس متنوعة على الشكل الآتي: أما المقدمة، فتضمنت، تحديد الموضوع، ودوافع البحث فيه والمنهج المتبع، ومحتويات الكتاب، وصعوبات البحث.

أما الباب الأول، فجاء بعنوان: دراسة الكتاب المخطوط "الروض اليانع الفائح..."، ويتضمن ثلاثة فصول؛ ضمها الجزء الأول إلى غاية الصفحة 153 هي:

الفصل الأول: خصصناه لعصر المؤلف، وحياته، ومساره العلمي والصوفي، وإنتاجه الفكري. تناولنا فيه ثلاثة مباحث، أولها بعنوان: عصر المؤلف، ويضم مطلبين: المطلب الأول: ملامح عصر المولى إسماعيل، والمطلب الثاني: التجربة الصوفية في عهد المولى إسماعيل من خلال الزاوية الشرقاوية. أما المبحث الثاني، فهو بعنوان: حياة الحسن بن محمد المعداني ومساره العلمي. جاء في أربعة مطالب، هي: المطلب الأول: الحسن بن محمد المعدانى: ولادته ونشأته، والمطلب الثاني: مساره العلمي والصوفي، والمطلب الثالث: إنتاجه الفكري، والمطلب الرابع: وفاته. وخصصنا المبحث الثالث: لكتاب "الروض اليانع الفائح ...": عنوانه، ونسبته إلى مؤلفه، وقيمته المصدرية. تناولنا مباحثه

من خلال ثلاثة مطالب، هي: المطلب الأول: عنوان الكتاب، والمطلب الثاني: نسبته إلى مؤلفه الحسن بن محمد المعداني، والمطلب الثالث: قيمته المصدرية.

وخصصنا **الفصل الثاني** لحياة الشيخ محمد الصالح الشرقاوي (ت1139هـ): فتحد ثنا عن علمه وتصوفه وكراماته. وجاء في خمسة مباحث، هي: المبحث الأول: حياة الشيخ محمد الصالح: ولادته ونشأته ووفاته، تضمن مطلبين: أولهما: مولده ونشأته، والثاني: وفاته. وعنوان المبحث الثاني: شيوخه وتلامذته وأخلاقه ونعوته، يضم مطلبين كذلك: المطلب الأول بعنوان: شيوخه وتلامذته، والمطلب الثاني بعنوان: أخلاقه ونعوته.

وكان المبحث الثالث بعنوان: تكوينه العلمي والأدبي وعنايته بالعلوم، ضم ثلاثة مطالب، هي: أولا: تكوينه العلمي، ثانيا: عنايته بالعلوم ورحلته، ثالثا: شعره.

بينما تناول المبحث الرابع: تكوينه الصوفي وأسانيده وكراماته. وضم مطلبين اثنين، أولهما: تكوينه الصوفي وأسانيده، وثانيهما: كراماته.

وخصص المبحث الخامس لمظاهر تأييد الشيخ محمد الصالح للسلطة العلوية.

أما الفصل الثالث، فهو بعنوان: "كتاب الروض اليانع الفائح في مناقب سيدنا ومولانا أبي عبد الله محمد المدعو بالصالح": تحدثنا فيه عن مضامينه، ومنهجه. ويضم ثلاثة مباحث: المبحث الأول: مضامين الكتاب وقيمته، ويشمل ثلاثة مطالب، هي: المطلب الأول: مضامين الكتاب، والمطلب الثاني: مصادر المؤلف في تأليف كتابه.، والمطلب الثالث: قيمة الكتاب وعناية العلماء به.

أما المبحث الثاني، فهو بعنوان: منهج المؤلف في عرض القضايا وتفسيرها، ضم أربعة مطالب، هي: المطلب الأول: طريقته في التعامل مع المصادر، والمطلب الثاني: أصول الاستدلال عند المؤلف، والمطلب الثالث: منهجيته في العرض والمناقشة، والمطلب الرابع: بنية التراجم لدى المؤلف.

وأما المبحث الثالث، فهو بعنوان: نماذج من المخاطبات والمراسلات، والإجازات، والمصطلحات الصوفية المعرفة، والأعلام المترجم لهم. يحتوي على أربعة مطالب، هي: المطلب الأول: نماذج من المخاطبات والمراسلات والمطلب الثاني: نماذج من الإجازات

العلمية، والمطلب الثالث: نماذج من المصطلحات الصوفية المعرفة، والمطلب الرابع: نماذج من الأعلام المترجم لهم.

ومما ينبغي أن نلفت الانتباه إليه أن الفصل الثاني من خاتمة المؤلف الذي خصصه للمنظومات الشعرية للشيخ محمد الصالح (يبتدئ من الصفحة 246، وينتهي بالصفحة: 361) لم نتناوله لا في التحقيق، ولا في الدراسة، وكان ذلك بعد استشارة الأستاذ المشرف الذي وافق في نهاية المطاف على المقترح، بعد أن اقتنع بوجاهة الاعتبارات التي روعيت في حذف ما تم حذفه. مع العلم أننا أعطينا فكرة عن محتويات ذلك الشعر، وبينا مواضيعه، وأهميته في هذه الدراسة.

فأما الاعتبارات التي راعينا، فأهمها:

أ. طول الكتاب المخطوط. ذلك أن عدد صفحاته بلغ:456

ب. طول المنظومات التي يتضمنها هذا القسم، وكثرة مسائلها ومضامينها وتشابهها في كثير من الأحيان. وهو أمر يحتاج إلى جهد أكبر ووقت أوسع.

- إننا وجدنا فيها من الأهمية العلمية، والقوة الأدبية والفنية والجمالية لدى الشيخ محمد صالح ما جعلنا نرى ضرورة تخصيصها ببحث مستقل، يترك النهوض به للباحثين، بل هو من الآفاق المفتوحة أمام قارئ هذا المخطوط لتطوير دراسته والبحث فيه. من زاوياه الأدبية والنقدية. واستحضارا لقيمتها العلمية في المخطوط، وحضورها القوي والمتين ضمن مضامين البحث ومسائله، وذلك نظرا لما تتضمنه من أشعار ومدائح واستغفارات وأذكار ونصائح التي صدرت عن الشيخ محمد صالح الشرقاوي في أحوال وأوقات مختلفة ضمنها توسلاته وابتهالاته ودعواته إلى الله بإدرار الرحمات والغيث، وكذا صلواته على الرسول ﷺ. كل ذلك يبين لنا طريقة الشيخ في التصوف (الطريقة الجزولية الشاذلية)، وغنى منهجيته في تلقين معاني التصوف والتربية الصوفية والسلوك القويم للمريدين والأتباع ولهذا استوجب الأمر منا، تخصيص ملحق لنماذج شعرية للشيخ عددها 12 قصيدة اعتبرناها نماذج تمثيلية لطريقة الشيخ في التصوف.

مع العلم أننا حافظنا على الترقيم الأصلي الموجود في المخطوط، حرصا على تسلسله كما هو في الأصل، بغض النظر عن ورقتين منه غير مرقمتين بين الصفحتين

34و35. فاضطررت الى وضع هذين الرمزين تمييزا لهما، وحفاظا على الترتيب الموجود أصلا في المخطوط. والرمزان هما. 34 مكرر (1) و34 مكرر(2).

الباب الثاني: وهو يشكل المتن المحقق قسمناه إلى قسمين جاء القسم الأول منه في الجزء الأول من هذا العمل من الصفحة: 164، من بداية الكتاب إلى نهاية الفصل الثالث المخصص لذكر أشياخه. أما القسم الثاني من التحقيق فجاء في الجزء الثاني، بدأنا فيه من الفصل المخصص للمناقب والكرامات. ومهدنا له بمدخل تحدثنا فيه عن المنهجية المتبعة والخطوات التي سلكنا في التحقيق؛ بدء بجمع نسخ الكتاب المخطوط، والنظر في طبيعتها وشكلها وتمامها وسلامتها وأماكن وجودها. ثم تلا ذلك فحص النسخ التي حصلنا عليها: نوع الورق، ونوع التسفير، ونوع الخط، وتاريخ النسخ، واسم الناسخ، والتعقيبات، وما يليها.

واتجهنا بعد ذلك إلى ترتيب المخطوطات وفق معايير معينة: التمام والسلامة والقدم.

وبينا في منهجية التحقيق ما قمنا به أثناء مباشرة نسخ الكتاب المخطوط وتحريره في دفاتر بلغ عددها أحد عشر دفترا، ومقابلة النسخ مع بعضها، من أجل تصحيح النص وتجويده وإخراجه في نسخة صحيحة سليمة خالية من أي غرابة أو خطل أو تصحيف أو تحريف.، أو بتر، ما أمكن.

5.صعوبات البحث:

إن اشتغالنا في هذا البحث صادفته صعوبات عديدة، نذكر منها:

أولا: ندرة المعلومات المتعلقة بشخصية المؤلف الحسن بن محمد الهداجي المعداني؛ فأغلب المصادر لا تعطينا صورة واضحة عن نشأته وحياته الأسرية والعلمية ونشاطه العلمي والتربوي بالزاوية الشرقاوية.

ثانيا: الطريقة المنهجية التي اعتمدها المؤلف في الكتابة، فأحيانا كان يعمد إلى نقل النصوص مجردة من ذكر اسم المصدر وصاحبه؛ فتكون عملية البحث في هذه النصوص وردها إلى أصولها أمرا صعبا، ويتطلب وقتا طويلا من التنقيب والتمحيص، وأحيانا أخرى يعتمد على مصادر نادرة الوجود.

وقد بذلنا مجهودا كبيرا في اقتحام تلك الصعوبات وتدليلها، فاعتمدنا على مجموعة من المصادر والمراجع العربية مما مكننا من جمع المادة العلمية المطلوبة في الدراسة والتحقيق.

الباب الأول: دراسة كتاب :

"الروض اليانع الفائح في مناقب سيدنا ومولانا أبي عبد الله محمد المدعو بالصالح":

لمؤلفه الحسن بن محمد الهَدّاجي المعْداني

(ت 1180هـ):

- الفصل الأول: عصر المؤلف وحياته ومساره العلمي والصوفي وإنتاجه الفكري:
- الفصل الثاني: حياة الشيخ محمد الصالح (ت1139هـ): علمه، وتصوفه، وكراماته :
- الفصل الثالث: "الروض اليانع الفائح في مناقب سيدنا ومولانا أبي عبد الله محمد المدعو بالصالح": مضامينه، ومنهجه.:

الفصل الأول:

عصر المؤلف وحياته; ومساره العلمي والصوفي وإنتاجه الفكري:

- المبحث الأول: عصر المؤلف:
- المبحث الثاني: حياة الحسن بن محمد الهداجي المعداني ومساره العلمي:
- المبحث الثالث: كتاب الروض اليانع الفائح في مناقب سيدنا ومولانا أبي عبد الله محمد المدعو بالصالح: عنوانه، ونسبته إلى مؤلفه، وقيمته المصدرية:

المبحث الأول: عصر المؤلف:

المطلب الأول: ملامح عصر المولى إسماعيل:

اقترنت عودة الشيخ محمد الصالح (1139ه) لتعمير زاوية أجداده – الزاوية الشرقاوية– بفترة حكم السلطان العلوي المولى اسماعيل (1082-1139ه/ 1672-1727ه)، كما اقترنت حياة الحسن بن محمد الهداجي المعداني بهذه الفترة نفسها ومعاصرته لهما.

وقد مهد لهذه الفترة ما قام به السلطان العلوي مولاي رشيد من كسر شوكة الدلائيين، وهزيمتهم في معركة بطن الرمان، وتخريب زاويتهم عام 1079ه[1]. بحيث إنها كانت عائقا في وجه استكمال مشروع السلطة العلوية آنئذ. وكانت تلك نهاية الدلائيين، وبداية دخول تادلة دائرة الحكم العلوي.

و لما توفي المولى الرشيد خلفه أخوه المولى إسماعيل سنة (1082ه ـ 1672م) عزم العلويون، بقيادة المولى إسماعيل، على توطيد وجودهم في تادلا والعمل على تحصينها. "ومن العوامل التي دعت الى تحصينها خوف المولى إسماعيل من عودة أمازيغي صنهاجة الذين دعموا الدلائيين للمطالبة بحكم تادلا، وتفكيره في ضرورة حماية بسيط تادلا المفتوح من الهجمات الجبلية المرتقبة"[2]. وهذا أكبر دليل على الأهمية الاستراتجية التي كانت لمنطقة تادلا بحكم موقعها وسط المغرب.

ونظرا لأن منطقة تادلا كانت تتحكم في الطريق الرابط بين فاس ومراكش، وتتاخم المناطق الجبلية الوعرة. "فقد أمر المولى إسماعيل بجلب حامية من جيشه لتقيم في تادلا على الدوام، وبنى فيها قصبة ومسجدا، وعين عليها قائدا عسكريا، في انتظار استعمالها عند الاقتضاء"[3]. وكان ذلك بقصبة تادلة وماتزال معالمها بارزة إلى يومنا هذا. ولم يكتف بهذا، بل أضاف قصبة أخرى ببني ملال الحالية وكان ذلك في أوج عهده، لأنها "لم تكن في

---

[1] محمد حجي، الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي، الطبعة الثانية 1409ه-1988م، ص: 253.

[2] محمد بوسلام، تاريخ قبيلة بني ملال، 1854-1916، جوانب من تاريخ دير الاطلس المتوسط ومنطقة تادلا 1991، ص:50

[3] نفسه، ص:51

نظره كافية للحفاظ على الأمن والاستقرار في المنطقة؛ فأسس قصبة بن الكوش بدير بني ملال، وجعلها مركزا جديدا قريبا من الجبال لدعم توطيدها. وكان ذلك سنة 1099هـ-1688م"[1]. والذي يؤكد أهمية منطقة تادلة بالنسبة للمغرب كله لجوء المولى إسماعيل إلى تعيين فلدة كبده وولي عهده الأمير أحمد الذهبي واليا على المنطقة، وفي ذلك ما فيه من الدلالات السياسية العميقة محليا ووطنيا. "وكان ذلك سنة 1121هـ-1709م فجعله خليفة له بتادلا، وأسكنه بقصبتها، وأنزل فيها ثلاثة آلاف من الوصفان. لتكون هذه القصبة في المستوى المنتظر منها كعاصمة جهوية لوسط المغرب، ومركزا يوجد فيه ممثل السلطة المركزية على الدوام؛ فأمر المولى إسماعيل ابنه أن يوسع تلك القصبة، فبنى الى جانبها قصبة جديدة، وقصرا ومسجدا أعظم من مسجد والده، واستقر بها إلى وفاة والده سنة 1139هـ1727م، وهي فترة ممتدة تبين من خلالها الأهمية التي أصبحت تحتلها تادلا، وكذلك رجالها في إطار سياسة تحصين المغرب التي كان ينهجها المولى إسماعيل"[2]. الذي يعتبر من أعظم ملوك الدولة العلوية، إذ استطاع أثناء المدة الطويلة التي قضاها في الحكم أن ينشر الأمن والاستقرار والنظام من أقصى المملكة إلى أقصاها، وتكوين جيوش نظامية من العبيد وبناء قصبات في جميع المواقع داخل البلاد تستقر فيها وحدات عسكرية دائمة لتمثيل السلطة المركزية وحفظ الأمن والمراقبة لكل المناطق. واتخذ تدابير اقتصادية من شأنها أن تقوي مداخيل الدولة وتشيع الرخاء، والتي كانت تتغذى من الضرائب المفروضة على السكان. وكانت تثير أحيانا ردود فعل سلبية من لدن بعض القبائل "نظرا للتطبيق الصارم لاستخلاص الضرائب التي يرافقها بعض النهب والتعسف من طرف الولاة والقواد"[3]. وكانت توجه الى السلطان المولى إسماعيل رسائل من لدن بعض العلماء تخص مثل هذه القضايا ونخص بالذكر الرسالة التي كتبها الحسن اليوسي، والتي يقول فيها "فلينظر سيدنا فإن جباة مملكته قد جروا ذيول الظلم على الرعية فأكلوا اللحم وشربوا الدم وامتشوا العظم وامتصوا المخ ولم يتركوا للناس دينا ولا دنيا، أما الدنيا فقد أخذوها وأما الدين فقد فتنوهم عنه وهذا شيء شهدناه لا

---

[1] محمد بوسلام، تاريخ قبيلة بني ملال، ص:63

[2] نفسه، ص: 51

[3] إدريس أبو إدريس، الثابت والمتغير في بنية الدولة المغربية، دولة المولى إسماعيل، 1672-1727، ص:61

شيء ظنناه، ثم إن أرباب الحقوق قد ضاعوا ولم تصل إليهم حقوقهم فعلى السلطان أن يتفقد الجباة ويكف أيديهم عن الظلم."[1]وأعطى أهمية كبيرة للنشاط التجاري مع بلاد السودان التي كانت تدر أرباحا مهمة في خزينة الدولة المركزية، وانتعشت الحياة التجارية والاقتصادية بالبلاد. وكان له دور كبير في تحرير كثير من الثغور التي كانت محتلة من طرف الأوربيين (الاسبان –البرتغال). كأصيلا والعرائش والمهدية وطنجة...، وأما في الميدان الخارجي فقد عمل على إقامة علاقات متينة مع سائر الملوك في أوربا والشرق الإسلامي.

ونلمس أن الحالة الاجتماعية والثقافية والفكرية قد تقدمت بكيفية تدريجية ومناسبة، وأصبحت أفضل بكثير من عهود أخرى: فقد أخذ المغرب يظهر بمظهر القوة، ويتمتع باحترام الدول الأجنبية. ولا بأس أن نذكر بعض المنجزات التي قام بها المولى إسماعيل إلى جانب ما ذكر سابقا، ومنها متابعته للأعمال التي بدأها أخوه في الميدان العلمي والفكري والثقافي،" بحيث إن العلوم والآداب ازدادت تطورا واتساعا، فبنى عددا من المدارس والمساجد في مختلف مدن المغرب وجدد بعضها الآخر، في مقدمتها مسجد أسفى (1105ه)، والصهريج بمكناس (1130ه)، ومسجد درب الزهراء بالرباط. واعتنى بالأدباء وحملهم على التنافس"[2]. وإلى جانب اهتمامه بالمباني الدينية فقد اعتنى بالقائمين عليها من علماء وفقهاء، إذ كان يحب الاجتماع بهم، "وهكذا دعا علماء فاس خلال شهر جمادى الأولى عام 1180ه، لحضور حفل أقامه بمناسبة ختم (سلكة) تفسير القرآن الكريم بإشراف القاضي أبي عبد الله المجاصي[3] تـ عام 1103ه،وجرى هذا الحفل في بيت السلطان الخاص بالقصر، حيث نصب منبر التدريس"[4]. ويتضح هذا الاهتمام في الرسالة التي وجهها المولى إسماعيل إلى علماء فاس، يحضهم على الاجتهاد والجد في العلم والرفع

---

[1] أحمد الناصري، الاستقصا، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء،1418-1997م ج83/7 .

[2] محمد الأخضر، الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1977، ص: 74-73 (النقل بتصرف).

[3] أبو عبد الله محمد بن الحسن المجاصي، فقيه ناقد، علامة مشارك محرر محقق، حافظ متقن، خطيب، له عارضة في التقييد. توفي عام 1103، ترجمته في: ابن زيدان، إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس، تحقيق علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الأولى 2008م، ج 4/ 60-64.

[4] محمد الأخضر، الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية، ص:73، (بتصرف).

من مكانته، يقول "وأنتم علماء المسلمين وأئمة الدين، طرق سمعنا أنكم اشتغلتم باللذات، واتبعتم الشهوات واتبعت العامة والخاصة طريقكم، وسلكوا سبيلكم، وبلغني أنه حصل منكم تقصير في التعليم حتى كاد أن يضيع العلم من فاس وهي أم مدن المغرب فيكون في غيرها أضيع، فنأمركم أن ترجعوا لما كنتم عليه من الاجتهاد ونفع الحاضر والباد، واعملوا بما ينفعكم يوم المعاد، وستعمكم منا عطايا تعم المعلم والمتعلم، متبوعة بغيرها من غير ألم الانتظار والابعاد، ولا تسويف ولا تخصيص زيد أو عمرو، نعم من ظهر منه الجد في المطلوب والمراد أخصصه بصلات وزيادة رفع القدر، وينال مرغوبه في كل أمر، وتحمد عاقبة اجتهاده في السر والجهر، ومن بقي على تقصيره ولم يراع كتابنا ولا أمره تركناه على حاله، ولا نراعيه في أقواله. ولا أفعاله والسلام."[1]

وكان لهذه الرسالة وقع كبير في نفوس العلماء من خلال نص الرسالة الجوابية التي كتبوها للسلطان يخبرونه بذلك: "وإنه بلغنا كتاب أمير المؤمنين، وخليفة رسول رب العالمين، فقرأناه على الخاصة والعامة وبينا ما قصده مولانا وأمه واجبنا بكرة وعشية، وظهر العالم والمتعلم بفضل مولانا في الأقطار المغربية خصوصا هذه الحضرة العالية، وما أجبنا مولانا إلا بعد ما رأينا من الاجتهاد في السر والعلانية والمبالغة، فيما أمر به مولانا من غير مهلة ولا تأخير، ولو من عاجزنا فنطلب الدعاء بالإعانة من سيدنا إذ دعاء الأمير مستجاب... وأن يتفقد الأمير أحوال المتعلمين وأحوالنا فإننا يجب على بيت المال مواساتنا، بل نص بعض العلماء أنهم يقدمون في بيت المال على غيرهم، وأن الواجب كفايتهم"[2]. فقد بلغت العناية بالعلم والعلماء أنه "كان يشترط على ملوك أوربا افتداء أسراهم عن كل نصراني مقابل مائة كتاب من كتب الإسلام الصحيحة المختارة المثقفة في خزائنهم باشبيلية وقرطبة وغرناطة وما والاها من المدن والقرى."[3]

---

[1] عبد الرحمن بن زيدان، المنزع اللطيف في مفاخر المولى إسماعيل ابن الشريف، تحقيق عبد الهادي التازي، الطبعة الأولى، 1413هـ-1993م مطبعة "إديال" الدار البيضاء، ص: 106

[2] نفسه، ص:107

[3] محمد الإفراني، ياقوتة البيان، تحقيق عبد الحي السعيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1438هـ-2007م، ص، 18.

وهذا يؤكد أن عنايته بالعلماء كانت كبيرة، نظرا لأنهم عملوا على نشر مختلف العلوم، منها: "علوم التفسير والفقه والحديث والتصوف وعلوم العربية والمنطق والطب وعلوم التراجم والفهارس والمناقب والرحلات... وغيرها، وظهرت أعلام لامعة في ذلك، منهم: محمد بن أبي بكر الدلائي[1]، ومحمد بن ناصر الدرعي[2]، وعبد القادر الفاسي[3]،

---

[1] أبو عبد الله محمد بن أبي بكر المجاطي الدلائي أحد صدور مشائخ المغرب، انتهت إليه رياسة الدين والدنيا، فأحسن السيرة فيهما مع المشاركة في جميع الفنون، سيما علم التفسير، وعلم الحديث. وحج سنة 1005هـ، فلقي الشيخ زين العابدين البكري ولازمه مدة إقامته بمصر واستفاد منه. أخذ عنه الشيخ ميارة، وأبو العباس المقري، وابن عاشر، والبوعناني، وغيرهم. وتوفي عام 1046هـ ودفن بالدلاء قرب روضة والده وبنى عليه السلطان مولاي محمد الشيخ بن زيدان قبة حافلة البناء. متقنة الصنعة وفي ذلك يقول محمد بن سعيد المرغثي:

[البسيط]

هذا ضَرِيحُ التُّقَى والمجد والكَرَمِ هَذا الولي الوفي العهدِ والذِّمَمِ

ترجمته في: محمد الإفراني، صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر، تحقيق عبد المجيد خيالي، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء، الطبعة الأولى 1425هـ-2004م، ص: 136-138؛، ومحمد القادري، نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، تحقيق محمد حجي، وأحمد التوفيق، مكتبة الطالب الرباط، 1407هـ-1986م، ج 1/ 339-347؛ ومحمد القادري، الإكليل والتاج في تذييل كفاية المحتاج، دراسة وتحقيق مارية دادي، تقديم محمد بن شريفة، الجمعية المغربية للتأليف والنشر والترجمة، الرباط، ص: 318-319؛ ومحمد حجي، الزاوية الدلائية، ص: 79-86.

[2] أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد بن ناصر الدرعي، اشتهر بابن ناصر، نسبة إلى جده، أحد أكابر رجال العلم والتصوف في المغرب خلال القرن 11هـ، وهو مؤسس الزاوية الناصرية بتامكروت وشيخ طريقتها الشاذلية السنية، تصدر للتدريس والإرشاد بزاويته، فتخرج على يده علماء كثيرون، من أشهرهم أبو علي الحسن اليوسي، وأبو سالم العياشي وغيرهما، له تصانيف عدة منها: "الفتاوى"، و"الأجوبة الناصرية"، في الفقه، والفهرسة إضافة إلى رسائله ووصاياه وأذكاره الصوفية وأشعاره، توفي سنة 1085هـ. ترجمته في: الحسن اليوسي، المحاضرات، في الادب واللغة، تحقيق محمد حجي وأحمد الشرقاوي اقبال، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، 2006م، ج1/85-86؛ وعبد الله بن محمد الفاسي، الإعلام بمن غبر من أهل القرن الحادي عشر، تحقيق فاطمة نافع، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، 1429هـ-2008م، ص: 242-244؛ ومحمد الافراني، صفوة من انتشر، ص: 299-303؛ ومحمد القادري، نشر المثاني، ج2/211-215؛ ومحمد القادري، والإكليل والتاج، ص: 335-336.

[3] أبو محمد عبد القادر بن علي بن يوسف الفاسي الفهري بن الفقيه الصوفي سيدي علي بن الشيخ الكبير أبي المحاسن الفاسي، ولد سنة 1007هـ بالقصر الكبير وبه نشأ، فتعلم القرآن والعربية على أبيه، ثم رحل إلى فاس برسم القراءة، فنزل بالمدرسة المصباحية. وأكب على التعليم والجد والاجتهاد وتحصيل الفوائد. فقد أخذ عن أبيه، وعن عم أبيه أبي زيد العارف، وهو عمدته في علمي الظاهر والباطن، وعن عمه أيضا سيدي العربي الفاسي، وعن أبي القاسم بن أبي النعيم، وأبي العباس المقري مؤلف نفح الطيب وغيرهما، وأخذ عنه ابي العباس حمدون المزوار، وأبي فارس الزياتي...، فألف عقيدته المشهورة، وفقهيته في القواعد الخمس، وله أجوبة كثيرة في نوازل

والحسن اليوسي[1]، وابن رحال المعداني[2]، ومحمد بن عبد السلام بناني[3]، وعبد الرحمن الفاسي[4]، وأبوسالم العياشي[1] وغيرهم. وفي العناية بعلم الحديث ومصادره تم إدخال

مختلفة. توفي سنة 1091هـ. ترجمته في: محمد الافراني، صفوة من انتشر، ص: 310-314؛ ومحمد القادري، الإكليل والتاج، ص: 422-423.

[1] أبو علي الحسن بن مسعود اليوسي، نابغة علماء المغرب في عصره، ولد سنة 1040هـ بقرية مزيزة قرب صفرو، ويعد من أفضل المتحققين بالعلوم العقلية والنقلية، تخرج في العلم من الزاوية الدلائية بعد أن مكث بها حوالي 20 سنة طالبا ثم أستاذا، بعد سياحة طويلة، استقر اليوسي بفاس، فتصدر للتدريس بالقرويين ثم خرج إلى البادية فسكن قبيلته أيت يوسي البربرية ودرس بها العلوم الدينية والأدبية، وذاع صيته ببلاد المشرق الإسلامي. ترك مؤلفات جليلة منها "المحاضرات" و"زهرة الأكم"، و"ديوان شعر" وغيرها، توفي سنة 1102هـ، ترجمته في: محمد الافراني، صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر، ص: 344-350؛ ومحمد القادري، نشر المثاني، ج3/25-49؛ ومحمد القادري، الإكليل والتاج، ص: 211-213؛ وأحمد الحضيكي، طبقات الحضيكي، تحقيق أحمد بومزكو، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1427هـ-2006م، ج1/206-212؛ وابن مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1424هـ-2003م، ج1/474؛ وعبد الحي الكتاني، فهرس الفهارس والإثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، 1402هـ-1982م، ج2/1154-1161؛ وعبد الله كنون، النبوغ المغربي، ج1/285-286.

[2] أبو علي الحسن بن رحال المعداني الفقيه العالم العلامة الحافظ الكبير، له عارضة في الفقه واتساع في النوازل وتدبر في الفتوى. وكان كثير المطالعة والتدريس. ولي قضاء فاس العليا، ثم تأخر عنه وأكب على التدريس، وفي آخر عمره ولي قضاء مكناسة فتولى بها قاضيا. أخذ عن جماعة، منهم الشيخ اليوسي، وعبد السلام بن الطيب القادري، وسيدي سعيد العميري، وأبي عبد الله المناوي، وغيرهم من أهل الفقه، وأخذ عنه أبو عبد الله الكبير السرغيني وأبو العباس بن المبارك، وأبو الحجاج يوسف المجلدي، وأبو عبد الله محمد البكري بن الشاذلي الدلائي وغيرهم. من مصنفاته؛ "الإرفاق في مسائل الاستحقاق"؛ و"شرح مختصر خليل"؛ و"حاشية على شرح سيارة"؛ و"حاشية على شرح الخرشي". توفي سنة 1140هـ . ترجمته في: الارتفاق بمسائل الاستحقاق، لأبي علي الحسن بن رحال المعداني، تحقيق مبارك أحمد زكي، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى 1428هـ-2007م ص: 3-19، ومحمد القادري، نشر المثاني، ج3/294-295؛ وعبد الله كنون، النبوغ المغربي، ص: 287؛ ومصطفى عربوش، من أعلام منطقة تادلة وبني ملال، ص: 120-132.

[3] أبوعبد الله محمد بن عبد السلام ابن حمدون بناني النفزي الفاسي، مفتي كبير ولد بفاس عام 1083هـ، وتابع فيها دروس كبار الشيوخ أمثال القاضي بردلة، وأحمد بن الحاج، والحسن اليوسي، وعبد السلام القادري، توفي عام 1163هـ. ترجمته في: محمد الأخضر، الحياة الأدبية في المغرب على الدولة العلوية، ص 253-256.

[4] أبو زيد عبد الرحمن بن عبد القادر بن أبي المحاسن يوسف الفاسي الفهري "سيوطي زمانه" وأكبر مؤلف مغربي. ولد بفاس عام 1040هـ. وتابع فيها دراسته تحت إشراف والده، وأخذ عن جماعة من مشيختها. له مؤلفات كثيرة بلغت نحو سبعين مؤلفا في شتى العلوم منها: "الأقنوم في مبادئ العلوم"، و"تحفة الأكابر"، و"ابتهاج القلوب"

سنن البزار"[2]. ويبرز هذا الاهتمام العلمي ما ذكره بعض الدارسين "أن الحاضرة الإسماعلية مكناس أضحت تعج بالأدباء والشعراء والكتاب، وممن برزوا في خدمة السلطان المولى إسماعيل: محمد بن محمد القيسي[3]، والشاعر عمر الحراق[4]، والوزير محمد بن الحسن اليحمدي[5] القيم على الخزانة السلطانية التي أنشأها السلطان مولاي

وغيرها. توفي سنة 1096هـ . ترجمته في: عبد الله بن محمد الفاسي، الإعلام بمن غبر ص: 306-307؛ ومحمد الأخضر، الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية، ص: 114-121؛ وبروفنصال، مؤرخو الشرفاء، ص: 187-188.

[1] أبو سالم عبد الله بن محمد بن أبي بكر العياشي السجلماسي، ولد سنة 1037هـ في قبيلة آيت أعياش وهي قبيلة بربرية تتاخم بلادها الصحراء من أحواز سجلماسة. ويعتبر من أبرز علماء الأسرة العياشية، فهو الأديب والرحالة والفقيه والصوفي، التحق بالزاوية الناصرية في سنة 1053هـ فجالس علماءها وأقطاب التصوف بها، وكان من أبرزهم ابن ناصر الدرعي. ثم قصد فاس والتحق بجامع القرويين حيث عمق معارفه في بعض العلوم الشرعية كالحديث والفقه، وقرأ على الإمام الأبار، والشيخ ميارة، وأبي زيد بن القاضي، وأبي محمد الفاسي. وأخذ عن الشيخ علي الأجهوري، وأبي إسحاق الشهرزوري وغيرهم. له مؤلفات كثيرة منها "إظهار المنة على المبشرين بالجنة"؛ و"تحفة الأخلاء، بأسانيد الأجلاء"؛ و"فهرسته" ومجموع أشعار في مدح الرسول عليه السلام. ترجمته في: أبي سالم العياشي، إتحاف الأخلاء، بإجازات المشايخ الأجلاء" تحقيق محمد الزاهي، دار الغرب الإسلامي، 1999م، الطبعة الأولى؛ ومحمد الإفراني، صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر، ص: 325-330؛ ومحمد القادري، نشر المثاني، ج 2/254-264؛ وابن مخلوف، شجرة النور الزكية، ج1/454-455؛ وعبد الحي الكتاني، فهرس الفهارس، ج2/832-835؛ ومحمد الأخضر، الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية، ص: 90-101.

[2] محمد الأخضر، الحياة الأدبية في المغرب على الدولة العلوية، ص: 78، (النقل بتصرف).

[3] محمد بن محمد الكاتب القيسي الأندلسي نجارا، الفاسي منشأ ودارا وقرارا، فقيه، أمين وجيه نزيه. ترجمته في: ابن زيدان، إتحاف أعلام الناس، ج4/76-77.

[4] أبو حفص عمر الحراق، عين أعيان الأعلام، وواسطة عقد حملة الأقلام، قوة العارضة، رحل إلى المشرق، وله ديوان شعر. توفي عام 1141هـ، ترجمته في: ابن زيدان، إتحاف أعلام الناس، ج 5/563-565.

[5] محمد بن عبد الله بن أحمد بن الحسن بن أحمد بن محمد اليحمدي نسبة إلى بني يحمد القبيلة المعروفة قرب جبال غمارة، علامة فاضل، عارفا خبير بصير. ولما اتصل خبره بالمولى إسماعيل اصطفاه لمحاضرته وسمره. وقلده مفاتح الخزانة المولوية. وخصّه الحسن علي بن أحمد بن قاسم مصباح الزرويلي بتأليف ضخم سماه: **"سنا المهتدى إلى مفاخر الوزير ابن أبي العباس اليحمدي"** ألفه سنة 1125هـ. ترجمته في: ابن زيدان، إتحاف أعلام الناس، ج4/130-132.

إسماعيل، والكاتب الأديب السيد الشرقي الإسحاقي[1] صاحب الصلة الحجازية الشهيرة، والكاتب الأديب الشاعر عبد الحق بن عبد الكبير السحيمي[2]. ومن الشعراء الذين وفدوا على السلطان طلبا للعطاء والنوال الأديب الشاعر سعيد المنداسي التلمساني[3]، والشاعر عبد الله الشنجيطي الشهير بابن رزاكة والشاعر محمد بن عمر الولاتي وغيرهم."[4].

ولم يقتصر الأمر على مكناس لوحدها، "بل شهدت مدن مغربية أخرى حركة أدبية وعلمية متميزة مثل مدينة تارودانت إبان حلول محمد العالم بن إسماعيل بها، حيث استقدم معه علماء وأدباء من حاضرة فاس كمحمد بن أحمد المسناوي[5] وغيره، والتف حوله جماعة من الأدباء السوسيين، فقد كان عالما مشاركا وأديبا شاعرا. وكان عاملا على درعة ومراكش وسوس وعاصمته تارودانت سنة 1111هـ-1699م"[6].

والذي يعنينا من تلك العلوم كلها ما يتصل بالتصوف ورجاله. وهكذا ففي سياق ظهور علم التصوف في هذا العهد، وحركات المتصوفة، فإنه عرف ما يمكن تسميته "بالصحوة الصوفية"، حيث ظهرت حركة نشاط الزوايا والمراكز العلمية الداعمة لها. برزت باعتبارها حركة إصلاحية مقاومة للبدع التي تعكر صفو المنابع الإسلامية الصافية الأولى. وبالتأمل في عواقب الناس وجهل المجتمع، وبطلان العالم الدنيوي، وخداع ظواهره، أصبح العلماء يعتقدون أكثر فأكثر أن تلك المصائب التي حاقت بالمسلمين إنما هي من أثر غضب الله تعالى، فيزهدون في ملذات الحياة، ليعيشوا عيشة التقشف

---

[1] أبو محمد سيدي الشرفي بن محمد الإسحاقي، توفي بعد 1150هـ، ينظر: رحلة الوزير الإسحاقي الحجازية، دراسة وتحقيق محمد الأندلسي، الجزء الأول، 1438هـ-2017م.

[2] عبد الحق أبو محمد السحيمي، كان ناظما ناثرا، محنكا خبيرا ماهرا. ترجمته في: ابن زيدان، إتحاف أعلام الناس، ج585/4.

[3] سعيد بن عبد الله التلمساني المنشأ، المنداسي الأصل، شاعر من آثاره: العقيقة وهي قصيدة لامية في مدح النبي ﷺ. توفي سنة 1088هـ. ترجمته في: كحالة، معجم المؤلفين، ج225/4.

[4] محمد الإفراني، ياقوتة البيان، ص، 27-28.

[5] محمد بن أحمد بن المسناوي بن محمد ابن أبي بكر الدلائي اشهير بمحمد المسناوي، إمام كبير، علامة حجة شهير، حافظ متقن، عالم نقاد، من مؤلفاته: "قول الكاشف في صحة الاستبانة في الوظائف". توفي عام 1136هـ. ترجمته في: محمد القادري، الإكليل والتاج في تذييل كفاية المحتاج، ص357-359.

[6] محمد الإفراني، ياقوتة البيان، ص:32.

والنسك. ثم ينتهي الأمر بمعظمهم الى القيام بأداء فريضة الحج حيث يجدون العزاء والتسلية"[1].

ونستخلص من هذه الأقوال أن السلطان المولى إسماعيل كان يتعامل مع العلماء تعاملا يطبعه الاحترام والتوقير، واقتنع بدورهم في الحياة الاجتماعية والسياسية مادام لهم تأثير كبير في تحديد الطبيعة العامة للمجتمع. وهذا ما سنبرزه في المطلب اللاحق.

المطلب الثاني: التجربة الصوفية في عهد المولى إسماعيل من خلال الزاوية الشرقاوية:

اتبع المولى إسماعيل سياسة التوازن تجاه الزوايا، وذلك أنه لم يقض عليها، كما لم يترك لها حرية التصرف التام، بل قنن أعمالها وتحركاتها لصالح مستلزمات الحكم والسلطة[2]. ويقول بعض الباحثين في هذا الشأن "لقد حاول المولى إسماعيل أن يخلق نوعا من التوازن في سياسته بإقامة علاقة وفاق بينه وبين معظم الزوايا مستفيدا من تأثيرها الروحي على المناطق الموجودة فيها، لأن هؤلاء الأولياء "يؤمنون الاستمرارية والهيكل القوي الذي يحتاج إليهما بإلحاح النظام السياسي للقبائل"[3]، وكذلك هم "حجر الزاوية للنظام القانوني – نظام التحكيم-للقبائل"[4]. وبذلك فالسلطة المركزية محتاجة إليهم لضمان وجودها."[5]

ونستنتج من هذه المواقف أن المولى إ سماعيل كان يحرص على الحفاظ على التوازي بين السلطة المركزية ومؤسسة الزاويا. وتجلى ذلك في التبجيل والتعظيم لبعض مشايخ الزوايا، ونذكر على سبيل المثال لا الحصر ما قاله لحسن الهداجي المعداني على لسان الفقيه العربي الإسحاقي: "قال لي (يعني الشيخ محمد الصالح الشرقاوي شيخ زاوية أبي الجعد): أنا ومولاي إسماعيل كفردتي الرحا، إذا غابت واحدة لا ينتفع بالأخرى.

---

[1] محمد الأخضر، الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية، ص:78-79، (النقل بتصرف)

[2] أحمد بوكاري، الزاوية الشرقاوية، زاوية أبي الجعد اشعاعها الديني والعلمي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1985م، ج118/2.

[3] إرنست كلنر، السلطة السياسية والوظيفة الدينية بالبوادي المغربية، ص:175.

[4] نفسه، 180.

[5] إدريس أبو إدريس، الثابت والمتغير في بنية الدولة المغربية، ص، 93

ولما أردت موادعته، قال لي نفعنا الله به: أدخل يدك تحت هَيْدُورتي فأدخلتها فوجدت حَجَرًا من الجَاوِي المكي تحتها فأعطاني إياه، وقال لي : جمعنا الله في مستقر رحمته فمات نفعنا الله به قرب ذلك في صفر، ومات السلطان مولانا إسماعيل في رجب بعده من تلك السنة فعلمت أنه ﷺ، أشار لي إلى وفاته، وأن وفاته ووفاة السلطان مولانا إسماعيل متقاربان"[1]. والشيء نفسه حدث مع الشيخ أحمد بن ناصر، قال صاحب "الروض اليانع الفائح..." كان السلطان المنيف، مولانا إسماعيل بن الشريف، قدس الله أرواحهما، بعث إلى الشيخ سيدي أحمد بن ناصر، ﷺ، وكان به حنقو عظيم عليه، وهمَّ به، إذا وصل إليه يفعل به مكروها لا تدري حقيقة غير أن الأمر شديد عنده في جانبه... وتلقاه السلطان، قدس الله روحه، بالقبول والتعظيم والتبجيل والتكريم. وجاء إليه بنفسه، وهو في روضة الشيخ الكامل العارف العامل سيدي سعيد بن أبي بكر، نفعنا الله به، وصافحه بيده، وجلس معه في داخل القبة ساعة. ولما خرج السلطان من عنده نادى بلسانه في أصحابه، وقال: زوروا سيدي أحمد بن ناصر يا الناس، زوروا سيدي أحمد بن ناصر يا الناس، وصار يكررها بلسانه بصميم قلبه. وذهب جميع ما كان من الإحَنِ بفؤاده ولبه...ثم بعث إليه السلطان يأمره بالتوجه إلى بلاده معظما ومكرما"[2]. وبذلك فإن اهتمامه بالعلماء وعنايته بالفقهاء والمتصوفة مثلت أبرز ملامح حكمه.

وقد مثلت التجربة الصوفية المتجلية في الطريقة الجزولية الشاذلية مثالا فريدا لما سبق. هذه الطريقة التي ترسخت وانتشرت في مختلف مناطق المغرب، وأخذتها الزاوية الشرقاوية مسلكا في طريق نهج التصوف. بحيث إن "سند الزاوية الشرقاوية في الجزولية- الشاذلية من أعلى الأسانيد؛ من خلال سلسلة أشياخ أبي عُبَيْد الله الشرقي، خاصة بواسطة والده أبي القاسم الذي أخذ مباشرة عن الشيخ التباع[3]، وهذا عن الشيخ الجزولي." قال الحسن الهداجي المعداني: "اعلم أن طريقة الشيخ سيدي امحمد

---

[1] الحسن المعداني، الروض اليانع الفائح، ن م 86ج، ص:135

[2] نفسه، ص: 81.

[3] أحمد بوكاري، الزاوية الشرقاوية، ج117/1.

الشرقي تباعية جزولية، وطريقة الشيخ سيدي امحمد الجزولي شاذلية. وهي الشائعة في المغرب".[1]

وفي هذا السياق يشير بعض الباحثين أن "المولى إسماعيل كان يبجل الصلحاء، ويتبرك بهم، ويشيد لبعضهم الأضرحة، مثلما كان يستشير كبار الفقهاء ويزكي آراءهم كالعالم الحسن اليوسي، ويتلقى منهم آراء صريحة بشأن أسلوب الحكم وقيادة الأمة، فلا ينالهم بمكروه. باستثناء محنة عدد من فقهاء فاس في قضية تجنيد الحراطين وعدم موافقة هؤلاء الفقهاء على تجنيدهم إجباريا، وما أثاره موقفهم من شك التي شهدها عدد من فقهاء فاس بشأن تجنيد الحراطين وعدم موافقة هؤلاء الفقهاء على تجنيدهم إجباريا تشير من غير شك، تساؤل المتعطش إلى الحقيقة، لقد كان الوطن بحاجة إلى جيش يضم عناصر ذات كفاءة وقدرة على حماية البلاد، ولكن عملية تجنيد الحراطين إجباريا كعنصر مستقل، رأى فيها كثير من الفقهاء إجراء غير شرعي، وارتضاها آخرون بضغط من الفقيه المستشار عليليش العملية وأشار على السلطان، وفيما عدا هذا الحادث الذي أثار جرحا عميقا في مواقف سكان فاس وفي عواطفهم تجاه السلطة المركزية على الأخص".[2]

وتحدث بعض العلماء أيضا عن جهود المولى إسماعيل في أخذه بتوجيهات العلماء في تسيير دواليب الدولة ومن ذلك ما أبرزه الشيخ أحمد بن محمد بن يعقوب الولالي المكناسي (ت1168هـ) منهج المولى إسماعيل في الإمارة والوزارة ووظيفة العلماء، فقال: "فأما القاعدة الأولى من قواعد حرز المملكة فهي: حفظ الحرمة. لأن من حفظ حرمة الله حفظت حرمته. وأركانها ثلاثة: أحدها توقير الصالحين من عباد الله، وثانيها: مراعاة شرائع الدين، وثالثها: عدم إهانة الضعفاء والمساكين. وهذا المعنى– وهو تعظيم الصالحين – قد أخذ منه أميرنا المنصور بالله تعالى بالحظ الأوفر والقسط الأكبر؛ فتراه أدام الله توفيقه يحترم المنتسبين لذلك الجناب، ويعظم كل من له مع ولي من أولياء الله- ولو بعيد الانتساب- احترام ممن تقررت حقائق دينه، وظهرت دلائل يقينه ولو كان

---

[1] الحسن المعداني، الروض اليانع الفائح، ن م86ج، ص: 59.

[2] ابراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، الطبعة الثانية 1415هـ-1994م، ج62/3.

ظاهره عامي المعاملة. أما الركن الثالث: وهو عدم إهانة الضعفاء والمساكين. فقد أخذ من هذا الخلق أميرنا أيضا؛ فإنا لا نعلم مسكينا بلغ بين يديه، يعلمه مسكينا يرجع بلا تأنيسه وقضاء حاجته[1]." ثم أعطى نماذج أخرى في مجال كمال الخلافة وحسن بهائها، فقال:

"ويبنى على ثلاث قواعد: أحدها إحضار أهل العلم في النوازل، وثانيها: انتخاب الأمناء للوزارة، وكذلك كل عامل. وثالثها: عدم الاتكال في المهمات على أحد من عارف أو جاهل. فأما القاعدة الاولى: هي مشاورة أهل العلم في النوازل؛ وهي السيرة العمرية، فأركانها ثلاثة: أولها كون النازلة علمية لا سياسية ولا حربية، ثانيها: كون أهل العلم ممن لا يغلب عليه هواه، ولا تنسيه هيبة الملك خوف مولاه. وثالثها كون الملك عودهم قبول الحق منهم حيث كان. وإنا كانت هذه أركان القاعدة لأن العلماء بالنسبة الى الحروب والسياسة جهال[2]." والحاكم مهما علا شأنه يكون دوما في حاجة إلى وزراء يساعدونه في تدبير شؤون الدولة ومن هنا تأتي قاعدة انتخاب الوزراء فأركانها ثلاثة[3]:

أولها: كون ذلك المختار كامل العقل، ثانيها: كونه من أهل الود والمروءة والديانة والفضل، وثالثها : كونه لا يغلبه الطمع ولا تستولي عليه الشهوة والخديعة والميل.

ولا يخفى أن الوزراء والعمال إن كانوا بصفة الكمال لا تزدد بهم الدولة-كالعلماء إلا جمالا.

وهذا ما يتعلق بالسياسة العامة للمولى إسماعيل وموقفه من الزوايا وعلمائها في المغرب كله. "فقد بدأ التمكين للزاوية الأم ولأدوارها في عهد السلطان العلوي مولاي رشيد الذي وحد البلاد وشجع أحد حفدة الشيخ الشرقي للعودة إلى موطن أجداده بتادلا، وتعمير زاويتهم وجمع شتات أفراد أسرته، وهو الشيخ محمد المعطي بن عبد

---

[1] أحمد بن يعقوب الولالي، نصيحة الصفا في قوعد الخلفاء، اعتناء نزار حمادي، دار الضياء، الكويت، الطبعة الأولى، 1434هـ-2013م، من ص، 37 إلى ص،42، (النقل بتصرف).

[2] نفسه، ص:57-58، (النقل بتصرف).

[3] نفسه، ص، 59، (النقل بتصرف).

الخالق[1] بن الشيخ عبد القادر بن الشيخ المؤسس امحمد الشرقي"[2]، الذي عاش متنقلا مع والده إلى أن استقر بمراكش" وأخذ على كبار علمائها وصلحائها وكان من خاصة السلطان العلوي مولاي رشيد. وقد حاول أكثر من مرة العودة والاستقرار بزاوية أبي الجعد، إلا أن المنافسة العائلية حالت دون ذلك ليعود من جديد في أواخر حياته إلى مراكش حيث توفي عام 1092هـ"[3].

وقد وطدت الزاوية الشرقاوية علاقتها مع السلطة العلوية في عهد شيخها محمد الصالح. حيث وفر المولى إسماعيل له كل الدعم المادي والمعنوي لإحياء العلم والدين والتصوف في الزاوية الشرقاوية لاسترجاع مهامها الحيوية، فاسحا لها المجال لممارسة أنشطتها العلمية والدينية والاجتماعية والتأطيرية، وفي نفس الوقت أن تكون سندا لأعماله الإدارية والعسكرية، التي يسعى من ورائها الى مركزة الحكم وتقليص دائرة عصيان قبائل الجبل الثائرة.

يقول الأستاذ أحمد بوكاري في هذا الإطار: "استطاعت الزاوية خلال هذه الحقبة أن تسترجع مكانتها الدينية والعلمية بعد فترة الخفوت التي اقترنت بالأزمة الوبائية والسياسية التي أعقبت وفاة السلطان أحمد المنصور الذهبي إلى حين قيام حكم الأشراف العلويين، وقد اقترن بذلك عودة الاستقرار الاجتماعي والاقتصادي والسياسي،

---

[1] أبو عبد الله محمد المعطي بن عبد الخالق بن الولي الصالح سيدي محمد الشرقي بن أبي القاسم الزعري، كان من أولياء الله الصالحين، عالما عاملا متصوفا، فقيها زاهدا متقشفا ورعا، أخذ بمراكش عن محمد بن إبراهيم التاملي، وبفاس عن أبي محمد عبد القادر القاسي، سمع عليه التفسير، والإحياء، والحديث، والتصوف وأوائل الكتب الستة، وأجازه في جميع ذلك. توفي سنة 1092هـ. ترجمته في: محمد الإفراني، صفوة من انتشر، ص: 223-324؛ ومحمد العبدوني، يتيمة العقود الوسطى، ص: (3ب)؛ ومحمد القادري، نشر المثاني، ج301/2؛ وأبي حامد محمد العربي الشرقي، الفتح الوهبي، ص:366-374؛ والعباس بن إبراهيم، الإعلام، بمن حلّ مراكش وأغمات من الأعلام، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، 1977م، ج 314/5-317؛ وابن الموقت، السعادة الأبدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية، مراجعة وتعليق أحمد متفكر، الطبعة الثالثة، 1432هـ-2012م، ص: 115-117.

[2] أحمد بوكاري، الزاوية الشرقاوية والمخزن، المطبعة الوراقة الوطنية، مراكش، الطبعة الأولى 2017، ص:37

[3] نفسه، ص: 37.

إذ أصبحت الزاوية الشرقاوية قلعة من قلاع المخزن وركنا من أركان الحكم العلوي، خصوصا في منطقة تادلا ذات الموقع الاستراتيجي اقتصاديا وأمنيا"[1].

وبلغت الزاوية مكانة مرموقة في نشر الدين وإحياء العلم، وقصد مجالسها كبار علماء العصر، "أمثال الشيخ سيدي الحسن بن رحال المعداني، والحسن اليوسي، والطبيب سيدي عبد القادر بن شقرون، الذي دشن بالزاوية دروس الطب والتداوي بالأعشاب؛ كما أشرف على بناء مستشفى الزاوية لعلاج وإيواء المرضى خاصة المعوزين منهم...وقد كان للشيخ سيدي صالح فضل توسيع المباني والمنشآت الدينية والعلمية والاجتماعية، لتوفير شروط العيش الكريم لأطر الزاوية والوافدين عليها من الطلبة والعلماء "[2].

ويعتبر كتاب "الروض اليانع الفائح في مناقب سيدنا ومولانا أبي عبد الله محمد المدعو بالصالح" للحسن بن محمد الهداجي المعداني الذي نقوم بتحقيقه ودراسته مصدرا أساسيا في بيان مستويات الإشعاع التي ارتقت إليه الزاوية وشيخها في العلوم والوظائف والأدوار خلال هذه المرحلة، وفي هذه المنطقة. إنه يمثل أصدق تمثيل فترة العهد الإسماعيلي؛ حيث تجلت فيه مظاهر الإشعاع العلمي والصوفي في هذا العهد، وما تميزت به منطقة تادلا خاصة، والمغرب عامة. فهو من أهم مصادر المناقب والكرامات، وفضل الأولياء ومراتبهم، وأهميتهم في طريق السلوك إلى الله، والآداب الواجبة لله ورسوله وأولياء الله الصالحين. كما أن الكتاب تضمن موضوعات ذات قيمة علمية كبرى؛ مثل موضوع العلم وفضله وملازمته للتصوف.

وقد حفظ لنا تراث الزاوية ومسلكها الصوفي وشيوخها ومريديها وأعلامها، وهو حافل بالأذكار والأوراد والاستغفارات والأسانيد والإجازات والمراسلات والمصطلحات والمفاهيم والقواعد الصوفية .....

---

[1] أحمد بوكاري، الزاوية الشرقاوية، دار علم ودين وصلاح، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، الطبعة الأولى، ص: 70.

[2] نفسه، ص:63.

ثم إن الكتاب ترجم لأهم أعلام التصوف الشاذلي والفقه المالكي، وعلى رأسهم الشيخ محمد الصالح الشرقي وشيوخ الزاوية الشرقاوية وغيرهم. إنه مصدر في التربية الروحية وفي معرفة تاريخ جهة بني ملال خنيفرة وتراثها.

خلاصة:

إن ما تضمنه كتاب "الروض اليانع الفائح..."،من مناقب وكرامات وتراجم ومفاهيم وقضايا وموضوعات، أفادنا في معرفة قيمة الزاوية الشرقاوية وإسهامها في تثبيت الأمن الروحي والاستقرار الاجتماعي والسياسي في عصر عرفت فيه الزوايا ازدهارا وإشعاعا وانفتاحا وتوسعا ترك إرثا صوفيا وعلميا كبيرا. وقد تزامن ذلك مع الدعم الذي قدمه المولى إسماعيل عن طريق ظهائر الإنعام والاحترام والتوقير، مما جعل الزاوية الشرقاوية محضنا لأهل العلم والمريدين والفقراء والمستضعفين وأصحاب الحاجات، ومقصدا للقبائل والأفراد في طلب الشفاعة والوساطة والصلح والوفادة.

المبحث الثاني: حياة الحسن بن محمد الهَدّاجي المَعْدَاني ومساره العلمي:

المطلب الأول: الحسن بن محمد الهَدّاجي المعدانى: ولادته ونشأته:

لم تشر المصادر ولا المراجع التي رجعنا إليها في ترجمة المؤلف إلى تاريخ ولادته، وما عثرنا عليه منها هو ذكر لنشأته وانتمائه القبلي وتلقيه العلمي، وتخرجه ومعاصرته للشيخ محمد الصالح.

الحسن بن محمد الهداجي المعداني أديب وفقيه ومؤرخ، عرفه خير الدين الزركلي بالمعداني، ووصفه بالفضل، وقال عنه: "الحسن بن محمد المعداني فاضل مغربي"[1].

تسمى الحسن بن محمد الهداجي بالمعداني نسبة إلى مجموعة قبلية كانت تعرف ببني معدان تتواجد بين بني ملال وقصبة تادلة الحالية.

"وينتمي بنو معدان إلى اتحادية آيت الربع التي تشكلت خلال العصر العلوي الأول من عدد من قبائل الدير التادلي وهي قبائل كطاية وبني ملال وسَمْكَتْ، وينزلون في موقع وسط بين الزوايا التادلية الكبرى، وهي زاوية أهل الدلاء، وزاوية الصومعة وزاوية أبي الجعد، وتقع في أراضيهم القصبة التادلية التي جدد بناءها المولى اسماعيل، وأنزل بها ولده المولى أحمد الذهبي ومعه ثلاثة آلاف من الوصفان، كما يوجد بها ضريح وزاوية الشيخ أبي القاسم بن محمد الزعري والد الشيخ أبي عبيد الشرقي، وذلك على ضفة وادي أم الربيع قريبا من القصبة التادلية وتوجد ببلادهم أيضا الزاوية الأولى التي اتخذها الشيخ أبو عبيد الشرقي قبل أن ينتقل إلى منطقة أبي الجعد، وهي أقرب من زاوية أبيه إلى دير تادلا، وتقع على نفس الخط الذي قامت عليه زاوية أكرض وزاوية الصومعة وزاوية الدلاء"[2].

---

[1] خير الدين الزركلي، الأعلام، ج 2/ 219.

[2] عبد الله نجمي "محنة الفقيه الحسن بن رحال المعداني،" ضمن السلطة العلمية والسلطة السياسية بالمغارب، تنسيق، حسن حافظي علوي، منشورات كلية الآداب بالرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 170، ص: 257-258.

تلقى تعليمه في الزاوية الشرقاوية بأبي الجعد، وأدرك فيها مكانة متميزة علما وتكوينا ووظيفة لم يبلغها إلا القلائل ممن وفدوا على الزاوية من أبناء القطر التادلي بقصد التعلم والدراسة خلال القرن الثاني الهجري عشر 18م، وتتلمذ على يد الشيخ محمد الصالح وابنه محمد المعطي، واستطاع تكملة مسار تكوينه الدراسي الى أن صار واحدا من أبرز الفقهاء النشيطين داخل الزاوية.

فتخرج منها فقيها وأديبا ومؤرخا؛ وأنيطت به مهمة تسجيل حقبة من تاريخ الزاوية.

المطلب الثاني: مسار الحسن المعداني العلمي والصوفي:

تصف المصادر الحسن بن محمد الهداجي المعداني بالفقيه والأديب والمؤرخ، جاء في تحلية ناسخ "الروض اليانع الفائح..." له "الشيخ الفقيه الإمام الصالح العلامة الهمام حجة الإسلام وخاتمة المحققين..."[1]. ويتضح من خلال مؤلفه أنه استند على ثقافة علمية وصوفية رصينتين؛ خاصة في الحقول المعرفية الدينية المرتبطة بالقرآن الكريم والسنة النبوية، مثل علوم القراءات والتفسير والحديث والفقه وأصوله. وتبين لنا بالملموس غنى ثقافته الشخصية وتنوعها، إذ جمع بين العلم والتصوف والأدب، مما يدفعنا إلى الجزم بكون الحسن بن محمد الهداجي المعداني أخذ عن عدة شيوخ، وجلس إلى حلقات الدرس التي كانت تعقد بالزاوية، خصوصا إذا أخذنا بعين الاعتبار أنه عاصر الشيخ محمد الصالح أحد كبار فقهاء ومتصوفة العصر، وكذا ابنه الشيخ محمد المعطي، وهو يتلقى تكوينه العلمي في الزاوية، وجلس إلى حلقات العلم لبعض هؤلاء الشيوخ، وحصل على ثقافة في العلوم الدينية والصوفية.

ويمكن أن نحدد مكونات شخصيته العلمية من خلال العدة المصدرية التي اعتمد عليها في بناء مؤلفه، وما أدرج فيه من إفادات وأخبار، وهذه العلوم هي:

---

[1] الحسن المعداني، "الروض اليانع الفائح في مناقب سيدنا ومولانا أبي عبد الله محمد المدعو بالصالح"، النسخة رقم 1835/د، المكتبة الوطنية، الرباط، ص: 1.

1- القرآن الكريم وتفسيره:

اهتم شيوخ الزاوية الشرقاوية بتدريس القرآن قراءة وحفظا وشرحا؛ باعتباره أساس منبع كل العلوم. ويتضح أن المؤلف اعتمده مصدرا أساسيا في ثقافته الدينية، ومما يثبت أهمية هذا المصدر الديني في ثقافته العدد الكثير من الآيات القرآنية التي استشهد بها في مواطن متعددة،[1].

أما التفاسير المعتمدة، فهي مجموعة مصادر نذكر منها:

- الجواهر الحسان في تفسير القرآن، لأبي زيد الثعالبي.
- والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد بن عطية الأندلسي
- ونكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد، للبسيلي.
- وحاشية القسطلاني على الشفا.
- وحاشية سعد الدين التفتازاني على الكشاف.
- وأحكام القرآن، لأبي بكر ابن العربي.
- وتفسير ابن جزي الغرناطي.

2- الحديث النبوي:

واهتم شيوخ الزاوية الشرقاوية كذلك بعلم الحديث باعتباره ثاني مصدر للتشريع في الثقافة الإسلامية. "وبرز في هذا العلم الشيخ محمد المعطى بن عبد الخالق حيث أجازه في هذا العلم شيخه عبد القادر الفاسي كما أجاز أشياخ الزاوية عدد من العلماء والفقهاء"[2].

ويتضح لنا من خلال ما ورد في "الروض اليانع الفائح..." أن المؤلف بذل جهدا كبيرا في تحصيل هذا العلم، وحفظ أمهات كتب الحديث، وعلى رأسها صحيح البخاري وصحيح مسلم. وسنقتصر على ذكر بعض المصادر التي استفاد منها، إضافة إلى صحيحي البخاري ومسلم.، ومنها:

---

[1] وهو ما سنبينه في فهرس الآيات القرآنية.

[2] أحمد بوكاري، الزاوية الشرقاوية، ج1/ 214.

- سنن النسائي، للنسائي.
- المعجم الأوسط للطبراني.
- إرشاد الساري للقسطلاني.
- سنن الترمذي، للترمذي.
- الجامع الصغير، للسيوطي.
- ذخيرة المحتاج، لمحمد بن المعطى بن الصالح.

3- علم الفقه:

اشتهرت الزاوية الشرقاوية في هذا الميدان، "وتفوقت فيه، ودفعت بعض الطلبة والفقهاء من فاس والرباط إلى التردد على حلقات الدرس بها، وبرز في هذا العلم الشيخ محمد الصالح، ونجله محمد المعطي الذي أجازه في هذا العلم والده وكذلك عمه محمد بن المعطي"[1]. ومن أبرز المؤلفات التي كانت تدرس في هذا العلم "نذكر: مختصر ابن حاجب (تـ 646هـ) ومختصر الشيخ خليل (تـ 776) الذي كان يحفظه المعطي بن الصالح عن ظهر قلب"[2].

فنشأة المؤلف بين أحضان هؤلاء الفقهاء والعلماء والمتصوفة جعلت منه فقيها ناسكا. ومما يثبت تفوقه في هذا العلم ما ورد في "الروض اليانع الفائح..." من القضايا الفقهية، فالمؤلف قد اعتمد على مصادر فقهية متنوعة. ويبدو ذلك في معالجته لهذه القضايا التي كانت مثار نقاش بين الفقهاء والعلماء والمتصوفة، وكثيرا ما كان يدلي برأيه الفقهي. ويكفي أن نستدل على هذا بما أورده في سياق الحديث عن زيارات الأولياء من الأحياء والأموات، وقراءة القرآن وثوابها، وفي زيارة القبور.

ونراه في كل ما سبق يستدل بأقوال الفقهاء والعلماء، مثل الحسن اليوسي، وأحمد زروق في "جامع الوغليسية"، وابن رشد في "الأجوبة"، وابن العربي في "أحكام القرآن"، والقرطبي في "التذكرة". واستعرض أيضا بعض الآراء الفقهية للمذهب الشافعي والمالكي والحنفي، وفي الختام يصرح برأيه الشخصي، فيقول مثلا: "عليك بزيارة الصالحين،

---

[1] أحمد بوكاري، الزاوية الشرقاوية، ج 214/1.

[2] نفسه، ج 215/1.

والوقوف بأبواب الأولياء والعارفين، تظهر عليك أسرار الواصلين، وتهب عليك نفحات الكاملين"[1]..

4- علم السيـر والمغازي:

إن تأليفه هذا المصنف والترجمة للشيخ محمد الصالح ينبئ عن ثقافة واسعة في علم السير، ولذلك وجه عنايته في التأليف لسير الأولياء والصلحاء، وفي مقدمتهم الرسول ﷺ، وبعض كبار الصحابة مثل عمر بن الخطاب رضي الله عنه...

5- علم التصـــوف:

شكل علم التصوف حجر الزاوية في الثقافة والتعلم بالزاوية، سواء على المستوى النظري أو العملي. وفي هذه البيئة الثقافية والروحية عاش المؤلف، ونهل التصوف من أشياخ الزاوية، كشيخه محمد الصالح وابنه محمد المعطي الذين وسموا شخصيته بسمات الصلاح والتصوف؛ فشيخه محمد الصالح ربط بين التصوف والعلم بشكل وثيق.

ومما يدل على عمق تكوينه الصوفي، ما يشتمل عليه كتابه هذا "الروض اليانع الفائح..." من المكاتبات والمراسلات الصوفية التي كانت بين الشيخ محمد الصالح وعلماء عصره، وكرامات الأولياء وفضائلهم. وترجمته لبعض أقطاب التصوف الجزولي الشاذلي، والمنظومات الشعرية في الحض على التوسل إلى الله ورسوله.

ومما نستشفه مما سبق كذلك أن الحسن بن محمد الهداجي المعداني كانت له ثقافة صوفية متينة ومتنوعة؛ وذلك أثناء تناوله لقضية صوفية ما، كمسألة الفرق بين الكرامة والمعجزة والسحر، والاستقامة، ومسألة الخضر عليه السلام، هل هو نبي؟ أو ولي؟ هل هو حي؟ أم ميت؟ وقضية الأبدال والأقطاب والنقباء.... إلى غير ذلك من المواضيع التي اشتمل عليها كتابه.

---

[1] الحسن المعداني، "الروض اليانع الفائح...."، ن م 86ج، ص: 122.

ويمكن أن نستخلص أن المؤلف كان يمتلك رصيدا علميا وصوفيا أهله لتصنيف هذا المؤلف الزاخر بمختلف العلوم والفنون والمفاهيم والمصطلحات السائدة في ذلك العصر.

المطلب الثالث: إنتاجه الفكري:

لم تشر المصادر التي ترجمت للحسن بن محمد الهداجي المعداني إلا الى مؤلفه "الروض اليانع الفائح في مناقب الشيخ أبي عبد الله محمد المدعو بالصالح" وقد فرغ منه عام 1179هـ-م1765م.

ويعد هذا الكتاب مصدرا أساسيا لدراسة الشيخ محمد الصالح؛ إذ بفضله نحصل على معلومات قيمة تهم الوسط الذي نشأ فيه وأسرته ودراسته وثقافته. ولا نغالي إذا قلنا إنه شهادة حية عن التصوف والحياة الدينية والأدبية في منطقة تادلا، أواخر القرن 17م وبداية القرن 18م.

ويقول أحمد بوكاري "ويظهر أن المؤلف لم يجد كبير عناء في جمع مادته العلمية والتاريخية بحكم موقعه ومكانته في الزاوية باعتباره أحد أبرز تلامذتها وأطرها، بل وكاتبها ورسولها في المهام الأكثر خصوصية... مما جعل تحت يديه، ركاما من أوراق ووثائق رسمية تتضمن مراسلات الزاوية وتآليف شيخها المتعددة الموضوعات، بالإضافة إلى كونه معاصرا للفترة التي كتب عنها، ومكملا معلوماته حول الموضوع بواسطة ما نقله عن محمد بن عبد الكريم العبدوني والشيخ محمد المعطي وشخصيات أخرى ذكرها بأسمائها، عايشت الشيخ محمد الصالح ولازمته في معظم فترات حياته مثل الفقيه المرابط محمد بن عبد الرحمان الصومعي ومحمد بن يوسف..."[1].

[1] أحمد بوكاري، الزاوية الشرقاوية، ج 1/ 250.

المطلب الرابع: وفاته:

"أما وفاة الحسن بن محمد الهداجي المعداني، بحسب ما حدده خير الدين الزركلي، فهو بعد عام 1179 هـ/ 1765م. وحددها الأستاذ أحمد البوكاري في قوله: "توفي الحسن بن محمد الهداجي المعداني عام 1180هـ/ 1766م، أي في تاريخ مقارب لوفاة الشيخ محمد المعطي بن الصالح"[1].

خلاصة:

إن نشأة الحسن بن محمد الهَدّاجي المعداني في رياض التصوف ومسالكه وطرقه بالزاوية الشرقاوية ومصاحبته للشيخ محمد صالح ولابنه محمد المعطى، جعلته يتلقى مجموعة من العلوم والتجارب ويستفيد من قربه من الشيخ ومرافقته له في التدريس وفي مختلف المهمات مكنه ذلك من استثمار ما تلقاه وما ورثه من وثائق ورسائل وسماعات وتقاييد ومشاهدات من تأليف كتابه هذا في مناقب شيخه.

[1] مصطفى عربوش، من أعلام منطقة إقليم تادلة وبني ملال، ص: 137.

المبحث الثالث: كتاب "الروض اليانع الفائح ...": عنوانه ونسبته إلى مؤلفه وقيمته المصدرية:

المطلب الأول: عنوان الكتاب:

يعد عنوان الكتاب أبرز عنصر ينبغي أن تتوجه إليه العناية بالتحقيق والضبط، كما يشير إلى ذلك العلماء المختصون، فعبد السلام هارون، يقول: "الكتاب المحقق هو الذي صح عنوانه، واسم مؤلفه، ونسبة الكتاب إليه، وكان متنه أقرب ما يكون إلى الصورة التي تركها مؤلفه"[1].

ومما يلاحظ أن جميع نسخ كتاب "الروض اليانع الفائح..." تشير بالإجماع إلى صيغة واحدة ورد بها عنوان هذا المؤلف، وهو "الروض اليانع الفائح في مناقب سيدنا ومولانا أبي عبد الله محمد المدعو بالصالح". ومما يثبت عدم الاختلاف في صيغة العنوان هذه أن المؤلف صرح في مقدمة كتابه بهذا العنوان، قائلا: "وسميته بالروض اليانع الفائح في مناقب سيدنا ومولانا أبي عبد الله محمد المدعو بالصالح "[2].

اعتاد كتاب المناقب والتراجم أن يختاروا عناوين لمؤلفاتهم تنطوي على نفحة صوفية وروحية. ذلك أن المتتبع لأغلب عناوين كتب المناقب المغربية تصادفه مفردات من قبيل: الروضة، ونزهة، وصفوة، ومرآة، وسلوة، وغيرها. لأن الهدف من هذه المفردات هو تحفيز القارئ على الاطلاع على مضمون الكتاب واختيار مثل هذه المفردات المثيرة وإدراجها في العنوان الدفع إلى تحقيق مراد المؤلف.

استقى الحسن بن محمد الهداجي المعداني بدوره بعض مفردات عنوان كتابه من التراث الصوفي والديني. فنجد مثلا: الروض، اليانع، الفائح، مناقب، فما الذي ميز الدلالات التي تنطوي عليها هذه الألفاظ؟

---

[1] عبد السلام محمد هارون، تحقيق النصوص ونشرها، الطبعة السابعة، 1418هـ-1998م، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ص 42.

[2] الحسن المعداني،"الروض اليانع الفائح...ن م،86ج، ص:4.

الروض: حسب ابن منظور؛ الأرض ذات الخضرة، والروضة: البستان الحسن. إنما هو روض الذي هو جمع روضة"[1]. وقوله عز وجل ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ﴾[3].

وفي الحديث أن رسول الله ﷺ، قال: (**مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الجَنَّةِ**)[4]

ويقول الأعشى الكبير:

[البسيط]

مَا رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الحَزْنِ مُعْشِبَةٌ خَضْرَاءُ جَادَ عَلَيْهَا مُسْبِلٌ هَطِلُ[5]

اليانع: وجاء في لسان العرب، ينع: يَنَعَ التَّمْرُ يَيْنَعُ وَيَيْنِعُ يَنَعاً وَيُنْعاً وَيُنُوعاً، فهو يانع من ثَمَرٍ يَنْعٍ وَأَيْنَعَ يُونِعُ إِينَاعاً كلاهما: أدرك ونضج"[6]. ويقول تعالى: ﴿انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ﴾[7].

الفائح: حسب ابن منظور، "الفوح: فاحت ريح المسك تَفُوحُ وَتَفِيحُ فَوْحاً فَيْحاً وفُئُوحاً وَفَوَحاناً وَفَيْحَاناً: انتشرت رائحته"[8]، وجاء في الحديث: (**وَذَلِكَ أَنَّ رَبَّكَ اتَّخَذَ في الجنّة وَاديًا أَفْيَحَ من مِسْكٍ أَبْيَضَ فَإِذَا كان يَوْمَ الجمعة نَزَلَ من عِلّيينَ**)[9].

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، مادة "روض".

[2] سورة الروم، الآية: 15.

[3] سورة الشورى، الآية: 22.

[4] البخاري، الجامع الصحيح، تحقيق، محب الدين الخطيب، واستقصى أطرافه محمد فؤاد عبد الباقي، المطبعة السلفية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1403هـ. كتاب فضل الصلاة، باب فضل ما بين القبر والمنبر، ح: 1195، ج 368/1.

[5] ديوان الأعشى الكبير، تحقيق محمود إبراهيم محمد الرضواني، الطبعة الأولى، 2010، الدوحة، قطر، ص: 57.

[6] ابن منظور، لسان العرب، مادة "ينع".

[7] سورة الأنعام، الآية: 99.

[8] ابن منظور، لسان العرب، مادة "فوح".

[9] أحمد الطبراني، المعجم الأوسط، تحقيق طارق عوض الدين محمد وعبد المحسن بن ابراهيم الحسيني، دار الحرمين،1415هـ-1995م،ح: 2084، ج 314/2.

المناقب: جمع منقبة وتعني الكرم، الفعل، وهي ضد المثلبة، ويقال في فلان مناقب جميلة: أي أخلاق، وهو حسن النقيبة يعني جميل الخليقة"[1].

فالمراد بمناقب سيدنا ومولانا أبي عبد الله محمد المدعو بالصالح: مآثره وفضائله وأخلاقه وصفاته الحميدة، كالزهد والورع والتواضع والجود والصلاح والتقوى وغيرها.

تحيل هذه الدلالات المستقاة من المعاني اللغوية لمفردات العنوان أن تقتبس منها مجموعة من الإيحاءات التي تدل بكيفية متجانسة ومتناسبة ومتراتبة على أن الداخل إلى قراءة هذا الكتاب والاستفادة منه كأنه داخل إلى روضات تربوية وروحية نضجت واكتملت معانيها وإفاداتها حتى انتشرت وفاحت وأشع بريقها ونورها في آفاق الزاهدين والمريدين والعلماء والنقباء وهذا ما نجده في محتوى هذا الكتاب.

المطلب الثاني: نسبته إلى مؤلفه الحسن بن محمد الهَدّاجي المعداني:

كتاب "الروض اليانع الفائح في مناقب سيدنا ومولانا أبي عبد اله محمد المدعو بالصالح" وهو المشهور بكتاب "الروض الفائح"[2].

ألفه الحسن بن محمد الهَدّاجي المعداني، أحد تلامذة الزاوية وأطرها البارزة، وكان قد ألفه بإشارة من شيخه محمد المعطى بن محمد الصالح المتوفى عام 1180ه الذي حثه على تأليفه، بعد وفاة الشيخ محمد الصالح، وهو أمر صرح به المؤلف في مقدمة الكتاب، عندما قال: "وذلك بعد إشارة من تجب علي طاعته، ولا تسعني مخالفته، وقد ملكتني منته، وغمرتني نعمته، وعمتني بركته ونصرته، ومن أجل ذلك تحملت ما لا أطيق لقلة العلم والعمل. وقلت في ذلك:" مُكْرَهٌ أخاك لا بطل"، لكنني أجبت سيادته بالتلبية، وتلقيت إشارته بالامتثال وخالص النية، وساعدت في ذلك جماعة من السادات الأعيان، والأحبة في الله والإخوان، رجوت من الله سبحانه ببركتهم التيسير والتوفيق في كل مهم وصعب وعسير، إنه على ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير، وأسأله أن يجعله خالصا لوجهه، نافعا في عرصات القيامة وعند حدوث الموت وحلول الإنسان في رمسه. وصلى

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، مادة: "نقب".

[2] أحمد بوكاري، الزاوية الشرقاوية، ج107/1.

الله على سيد الأنام، ومسك الختام، سيدنا ومولانا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، وعلى آله وصحابته الأعلام، أئمة الهدى ومصابيح الظلام، صلاة تبوئنا بها دار السلام بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين يا رب العالمين"[1]. ووقع "الفراغ من تأليفه يوم الخميس 8 جمادى الأولى عام 1179هـ.

وقد وقع خلط لبعض العلماء منهم محمد بن جعفر الكتاني في كتابه (السلوة)، فنسب الكتاب خطأ للحسن بن رحال المعداني، والصواب كما تبين لنا أن هذا الكتاب هو لمؤلفه الحسن بن محمد المعداني.

يقول العباس بن إبراهيم المراكشي في هذا الشأن: "تم هذا التأليف كما ذكر مؤلفه سيدي الحسن بن محمد بن الهداجي المعداني في يوم الخميس ثامن من جمادى الأولى، عام تسعة وسبعين ومائة وألف. خلاف ما وقع في (سلوة الأنفاس) من نسبة هذا التأليف للشيخ سيدي الحسن بن رحال المعداني"[2]. "وأصل هذا الخلط في نسبة (الروض) المذكور، العلامة سيدي محمد بن جعفر الكتاني من كتابه (السلوة ج3، ص311) عند تعداد التآليف التي نقل منها في الكتاب المذكور، وقد كنت نبهته على هذا الغلط قيد حياته رحمه الله عام 1326هـ"[3].

وفي هذا الصدد يقول محمد الأخضر: "أدرج ليفي بروفنصال الحسن المعداني في كتابه "مؤرخو الشرفاء "بين أصحاب كتب التراجم في القرن الثاني عشر 18م، من أجل كتاب يظن أنه واضعه في أحد رؤساء زاوية أبي الجعد، محمد الصالح بن محمد المعطى الشرقي المتقدم الذكر، وسماه "الروض اليانع الفائح في مناقب سيدنا ومولانا أبي عبد الله محمد المدعو بالصالح"، غير أن هذه المعلومات المستقاة من كتاب "السلوة" خاطئة، لأن مؤلف هذا الكتاب هو أبو علي الحسن بن محمد الهداجي المعداني. وقد وقع في نفس الخطأ آخرون من أصحاب التراجم"[4].

---

[1] الحسن المعداني، "الروض اليانع الفائح ..."، ن م،86ج، ص: 4.

[2] العباس بن إبراهيم، الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، الطبعة الثانية 1413هـ-1993م، المطبعة الملكية، الرباط، ج 10/338-339.

[3] نفسه، ج 38/6.

[4] محمد الأخضر، الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية، ص: 205-206.

وقد أشار د.أحمد بوكاري في كتابه "الزاوية الشرقاوية" لهذا الخلط الحاصل عند بروفنصال، فقال: "اعتقد ليفي بروفنصال، أن المترجم له هو الحسن بن رحال المعداني، الفقيه العلامة القاضي المشهور بالحضرة المكناسية، على عهد المولى إسماعيل والذي توفي 1140هـ، بل إنه جانب الحقيقة أيضا، عندما زعم أنه كان أول من اهتم بتدوين تاريخ الزاوية"[1].

وذكر ذلك باحثون آخرون، من بينهم د. مصطفى عربوش الذي خصص في كتابه "من أعلام منطقة إقليم تادلة وبني ملال" فصلا تحدث فيه عن التداخل الحاصل بين شخصية الحسن بن رحال المعداني والحسن بن محمد الهداجي المعداني، وخلص إلى أن صاحب سلوة الأنفاس هو مصدر الخطأ الحاصل في نسبة الروض اليانع الفائح للحسن بن رحال المعداني بدلا من الحسن بن محمد الهداجي المعداني"[2].

وقال حسن جلاب في ترجمته للحسن بن رحال المعداني: "ونسب له بعض المترجمين كتاب "الروض اليانع الفائح في مناقب الشيخ أبي عبد الله محمد المدعو بالصالح"، وهو ابن محمد المعطي الشرقي المشهور بالزاوية الشرقاوية بأبي الجعد. ولعل الخطأ جاء من صاحب سلوة الأنفاس فتبعه الناصري في طلعة المشتري وبنسودة في الدليل. **أما مؤلف هذا الكتاب فهو أبو علي الحسن بن محمد الهداجي المعداني، المتوفى سنة** 1766/1180"[3].

وقد ارتأينا بدورنا أن ندلي ببعض الملاحظات التي بدت لنا ونحن نحقق كتاب "الروض اليانع الفائح في مناقب سيدنا ومولانا أبي عبد الله محمد المدعو بالصالح"؛ ذلك أنه بعد رجوعنا إلى النسخ الخطية المعتمدة في تحقيقنا لهذا الكتاب تبين لنا بأن مؤلف "الروض اليانع الفائح..." هو الحسن بن محمد الهداجي المعداني، وذلك للاعتبارات الآتية:

---

[1] أحمد بوكاري، الزاوية الشرقاوية، ج 1/223-224.

[2] مصطفى عربوش، من أعلام منطقة إقليم تادلة وبني ملال، ص: 132-134.

[3] حسن جلاب، مادة "المعداني، الحسن بن رحال"، معلمة المغرب الجزء 21، ص: 7186.

- **أن مقدمات هذه النسخ الخطية تبتدئ بذكر السبب** الذي دفع المؤلف إلى تأليف كتابه "الروض اليانع الفائح..."؛ حيث قال: "وأرجو من الله الكريم، أن يكمل لي رجائي فيما أردت، ويحقق لي ما أملت وقصدت، ويمنحني ما سألت وطلبت، من كتاب أضعه ومصنف أجمعه في كرامات سيدنا الإمام العارف الكامل الموصل الواصل، شمس العرفان الساطعة على مرار الزمان، وصدر العارفين والأكابر الأعيان، أستاذ الطريقة، الجامع بين الشريعة والحقيقة، البدر اللائح أبي عبد الله سيدي محمد المدعو بالصالح بن العارف الكبير والغوث الشهير، سيدي محمد المعطي، نفعنا الله بهما، ومنحنا من بركتهما وسرهما. فقد كان ﷺأهلا لكمال الشهرة، والتعريف والتبجيل والتشريف، وأن تجمع شمائله وتنشر، وأن تدون محاسنه ومناقبه وتذكر، وسميته: بـ "الروض اليانع الفائح في مناقب سيدنا ومولانا أبي عبد الله محمد المدعو بالصالح"، وذلك بعد إشارة من تجب علي طاعته، ولا تسعني مخالفته، وقد ملكتني منته، وغمرتني نعمته، وتلقيت إشارته بالامتثال"[1]، ويقصد بذلك أستاذه الشيخ محمد المعطي بن محمد الصالح الشرقاوي الذي أشار عليه بتأليف كتاب "الروض اليانع الفائح..". بعد وفاة الشيخ محمد الصالح.

- **كون هذه النسخ الخطية التي اشتغلنا عليها تنتهي بالعبارة الآتية:** "انتهى الكتاب بحمد الله وحسن عونه وتوفيقه، تقبله الله بأحسن قبول، وجعله الله سلما لبلوغ المنا والسول بجاه أفضل نبي ورسول. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، ووافق الفراغ منه يوم الخميس ثامن من جمادى الأولى، سنة تسع وسبعين ومائة وألف رزقنا الله خيره، ووقانا ميزه، بجاه الأنبياء والصالحين آمين يا رب العالمين، على يد كاتبه ومؤلفه الحسن بن محمد بن الهداجي المعداني، كان الله له وليا؛ وبه حفيا في حالتي البعد والتداني"[2].

- كتب بخط الناسخ في أعلى النسخة رقم 1835/د، بلون أزرق بعد البسملة والتصلية: "قال الشيخ الفقيه الإمام العالم العلامة الهمام حجة الاسلام وخاتمة

---

[1] الحسن المعداني، "الروض اليانع الفائح..."، النسخة 1835/د، ص: 3-2؛ والنسخة 86 ج، ص: 4؛ والنسخة 7740، ص: 4؛ والنسخة رقم 61 في جزأين، ص: 5-6؛ والنسخة: 2369 ك، ص: 3-4.

[2] الحسن المعداني، "الروض اليانع الفائح..."، النسخة 86ج، ص 246، والنسخة رقم 1835/د، ص: 385.

المحققين خديم الرسول المصطفى العدناني **أبو علي الحسن بن محمد المعداني**، رحمه الله تعالى ورضي عنه أمين"[1].

- وكتب بخط الناسخ أيضا في أعلى النسخة رقم 61 بلون أحمر، الجزء الأول، بعد البسملة والتصلية: "كتاب الروض اليانع الفائح في مناقب سيدنا ومولانا أبي عبد الله محمد المدعو بالصالح" تأليف الشيخ الإمام، حافظ وقته ومن شهد بكمال علمه أبناء جنسه صاحب المطالعة والإتقان، من تقاصر عن علمه القاصي والداني، **سيدي الحسن بن محمد المعداني التادلي قدس الله سره**[2].

- وكتب بخط الناسخ في أعلى النسخة رقم 61 بلون أزرق، بعد البسملة والتصلية: "الجزء الثاني من كتاب الروض اليانع الفائح في مناقب سيدي الصالح رضي الله وأرضاه ونفعنا ببركاته آمين. قال مؤلفه **الحسن بن محمد المعداني**، كان الله له وليا في حالتي البعد والتداني"[3].

- وأورد الناسخ في النسخة 2371/ك: "قال مؤلفه الحسن **بن محمد المعداني**، كان الله له وليا في حالتي البعد والتداني، وسقاه من شرابه الصمداني..."[4].

- جاء في النسخة 2260/ك، في الصفحة الأولى، مقدمة بخط يد محمد عبد الحي الكتاني، (يبدو أن النسخة كانت في خزانته واطلع عليها، وقرأها من خلال الإفادات والاشارات الموجودة في الكتاب) فقال: "الروض اليانع الفائح في مناقب سيدنا ومولانا أبي عبد الله محمد المدعو لصالح" للفقيه الأجل **أبي علي الحسن المعداني التادلي**".

- أورد الحسن بن محمد المعداني (ت 1180ه) في جميع نسخ كتابه "الروض اليانع....." ذكر الفقيه الحسن بن رحال المعداني (ت 1140ه) وأنه من تلامذة الشيخ

---

[1] الحسن المعداني، "الروض اليانع الفائح..."، النسخة رقم 1835/د، المكتبة الوطنية الرباط، ص: 1.

[2] الحسن المعداني، "الروض اليانع الفائح..."، النسخة رقم 61، (الجزء الأول)، المكتبة الحسنية، الرباط، ص: 1.

[3] الحسن المعداني، "الروض اليانع الفائح..."، النسخة رقم 61، (الجزء الثاني)، ص: 1.

[4] الحسن المعداني، الروض اليانع، النسخة رقم2371/ك، مبتورة الفصل الأول والفصل الأخير، المكتبة الوطنية، ص:63

محمد المعطي بن عبد الخالق، وأنه جرت بينهما مكاتبات. ومن إيراده له يتبين أن الكتاب ليس له، إنما هو للحسن بن محمد المعداني.

وهكذا أثبتنا من خلال ما تقدم في هذا المطلب من أدلة وحجج ونصوص ترجمية مقارنة أن الكتاب الذي بين أيدينا تأكدت نسبته إلى الحسن بن محمد المعداني.

المطلب الثالث: القيمة المصدرية للكتاب:

تبرز الأهمية المصدرية لكتاب "الروض اليانع الفائح..." من خلال اعتماد كثير من المؤلفين عليه مصدرا أساسيا للكتابة عن تاريخ الزاوية الشرقاوية خاصة وتاريخ منطقة تادلا وتراثها الفكري والثقافي والاجتماعي عامة ؛ نذكر منهم:

- محمد بن عبد الكريم العبدوني في كتابه **"يتيمة العقود الوسطى..."**أورد بعض القصائد الشعرية للشيخ محمد الصالح والتي ذكرها الحسن المعداني في "الروض اليانع الفائح...". ولكن يصعب القول بمن أخذ عن الآخر، لأنهما عاشا نفس الفترة وتتلمذا على الشيخ محمد الصالح وابنه محمد المعطى.

- محمد بن عبد الله الخليفتي في **"الدرة الجليلة في مناقب الخليفة"**، دراسة وتحقيق أحمد عمالك اعتمد عليه في ترجمته ليوسف بن سعيد أحد شيوخ زاوية حنصالة. استفاد منه في كرامات الشيخ أحمد بن ناصر.

- أبو حامد محمد العربي الشرقي في كتابه **"الفتح الوهبي في مناقب الشيخ العربي"**، اعتمده في مواضيع عدة نذكر منها: الكلام على الكرامة، والكلام على زيارة الأولياء، وبعض المكاتبات التي كانت بين الشيخ محمد الصالح وشيوخه أمثال محمد بن سعيد الهبري[1]، وأحمد بن ناصر. وفي ترجمته لبعض أقطاب الصوفية أمثال: أبي القاسم الزعري، ومحمد الشرقي، ومحمد المعطى بن عبد الخالق، والشيخ محمد الصالح... وهذا ما أشار إليه المحقق في مقدمة كتاب "الفتح الوهبي..."، بأن المؤلف أحال على كتاب

[1] محمد بن سعيد بن عبد الحق الهبري والي جليل، فقيه مدرس حفيل، عالم عامل، عارف بالله، أخذ عنه الشيخ محمد الصالح بالمكاتبة والمراسلة من غير ملاقاة أجسام، ترجمته في: الحسن المعداني، الروض اليانع الفائح...، ن م، 86ج، ص 100-101؛ ومحمد القادري، الإكليل والتاج، ص 351.

"الروض اليانع" في ثلاث مناسبات...ورجع إليه أكثر من مرة، وجعله من بين مصادره الأساس."[1].

- العباس بن إبراهيم المراكشي في كتابه **"الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام"** اعتمده في ترجمته للشيخ محمد الصالح وذكر بعض كراماته ومناقبه وشعره.

- وأحمد بن خالد الناصري في **"الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى"** نقل منه بعض كرامات الشيخ أحمد بن ناصر الدرعي.

- أحمد بن خالد الناصري في **"طلعة المشتري في النسب الجعفري"**، استفاد منه في المكاتبات التي كانت بين الشيخ محمد الصالح وأحمد بن ناصر.

- عبد اللطيف الشادلي في **"التصوف والمجتمع نماذج من القرن العاشر الهجري"** استفاد منه في تعريفه للكرامة والسماع والاستشهاد ببعض الكرامات.

- أحمد بوكاري في **"الزاوية الشرقاوية زاوية أبي الجعد، دورها الاجتماعي والسياسي"** اعتمد عليه كثيرا في ترجمته للشيخ محمد الصالح ولمؤلفه الحسن الهداجي المعداني، وإبراز الإشعاع العلمي والصوفي والإجتماعي التي تزخر بها منطقة تادلا.

- مصطفى عربوش في **"من أعلام منطقة إقليم تادلة وبني ملال"** في معرض ترجمته لأعلام منطقة تادلة عامة وقبيلة بني معدان خاصة.

-إدريس أبو إدريس في **"الثابث والمتحول في بنية الدولة المغربية"**، اعتمده في نقل "الكرامة " التي تتحدث عن اللقاء الذي وقع بين المولى إسماعيل والشيخ أحمد بن ناصر في روضة الشيخ أبي عثمان سعيد ابن أبي بكر بمكناس.

- محمد بن البشير بوسلام في **"تاريخ قبيلة بني ملال، 1854-1916 جوانب من تاريخ دير الأطلس المتوسط ومنطقة تادلا"**، استفاد منه في بعض الجوانب الاجتماعية والإقتصادية والثقافية التي تهم منطقة تادلا.

---

[1] أبو حامد محمد العربي الشرقي، "الفتح الوهبي في مناقب الشيخ العربي"، ص:78.

خلاصة:

ومجمل القول إن كتاب "الروض اليانع الفائح..." تأكدت نسبته لمؤلفه الحسن بن محمد المعداني، وتحقق عنوانه من خلال جميع النسخ الخطية، واعتبر بمضمونه من أهم المصادر المؤسسة للتاريخ الصوفي بالمغرب، ومصدرا مهما من مصادر تاريخ الزاوية الشرقاوية خاصة والتاريخ المغربي على امتداد القرن 18 بصفة عامة. ويحتل مادة منقبية متميزة أسلوبا ومضمونا.

الفصل الثاني:

حياة الشيخ محمد الصالح الشرقاوي (ت1139هـ)

علمه وتصوفه وكراماته:

- المبحث الأول: حياة الشيخ محمد الصالح: ولادته ونشأته ووفاته:
- المبحث الثاني: شيوخه وتلامذته وأخلاقه ونعوته:
- المبحث الثالث: تكوينه العلمي والأدبي وعنايته بالعلوم:
- المبحث الرابع: تكوينه الصوفي وأسانيده و كراماته:
- المبحث الخامس: مظاهر تأييد الشيخ محمد الصالح للسلطة العلوية:

المبحث الأول: حياة الشيخ محمد الصالح: ولادته، ونشأته، وفاته:

المطلب الأول: مولده ونشأته:

هو محمد المدعو الصالح بن محمد المعطى بن عبد الخالق بن عبد القادر بن محمد الشرقي، ولد بمراكش 1069هـ[1]. نشأ في أحضان أسرة غلب عليها الصلاح والتصوف أبا عن جد، حيث تميزت بنفوذ روحي كبير في المنطقة، فأجداده استفادوا من تصوف وصلاح رجالات التصوف في المغرب، من بينهم جده القطب النوراني محمد الشرقي، وهو أكبر شيوخ الطريقة الجزولية الشاذلية في عصره. حلاه الحسن بن محمد المعداني بـ "العالم العلامة، الدراكة الفهامة، ذو المجد الراسخ، والشرف الشامخ، طور المواهب والعرفان، وينبوع الفضائل ونخبة الزمان، الورع الزاهد، المكاشف العابد، أعجوبة عصره"[2]. تربى في بيئة دينية وعلمية تحرص على تعليم أبنائها وتربيتهم تربية صالحة خيرة، "قاسم والده حياة الغربة والترحال[3] بعيدا عن بلده وعشيرته"[4].

يقول الحسن بن محمد المعداني: "ولما ظهر نجله بين يديه، وتثبت فضيلته لديه، وصارت ألوية السعادة تلوح عليه، وتفرس فيه النجابة والمجادة، نظر إليه نظرة عطفة واستفادة، وصار يلاحظه بهمته، ويمده بنظرته، حتى ظهرت عليه من صفات الباطن سني الأخلاق الكريمة والأحوال، ومن صفات الباطن الجميلة والتأييد في الأقوال والأفعال، فكان يغلب عليه الوجد ويصيح، وينطق بالأمور المغيبة بلسانه الفصيح، ظهرت له الكرامات، وخوارق العادات"[5].

---

[1] الحسن المعداني، "الروض اليانع الفائح..." ن،م، 86ج، ص: 56

[2] نفسه، ص: 44.

[3] أحمد بوكاري، الزاوية الشرقاوية، دار علم ودين وصلاح، ص: 62.

[4] أحمد بوكاري، الزاوية الشرقاوية، ج 104/1.

[5] الحسن المعداني، "الروض اليانع الفائح..."، ن،م، 86ج، ص: 52.

وقد وجد ضالته في مجالس العلم، حيث كان يلازم حلقات دروس كبار فقهاء العصر وعلمائه، سواء بمراكش، على يد أبي علي الحسن بن مسعود اليوسي، "وبفاس على العلماء الأجلاء مثل سيدي أحمد بن الحاج، وسيدي أحمد بن زاكور، وسيدي محمد بن عبد القادر رضي الله عنهم"[1].

أما من اشتهر اعتماده عليه في الطريقة، فهو والده الذي أخذ عنه من جملة ما أخذ عنه طريق المصافحة. وأخذ عنه أيضا طريق المشابكة الخضرية، وأخذ طريقة جده سيدي محمد الشرقي الذي كانت طريقته شاذلية جزولية. وأجازه كذلك سيدي أحمد بن محمد بن ناصر في علم الظاهر، وطلب منه الانخراط في سلك الطريقة الناصرية، وأذن له في تلقين أورادها ونشر تعاليمها. كما يفهم مما قال له ذات يوم: "ونحن نحبك في الله تعالى وأنت بضعة منا، يسرنا ما يسرك، ويسوؤنا ما يسوؤك. فالله الله في دينك، وفي الاشتغال بما يعنيك. وارفض الدنيا وراء ظهرك، وراقب مولاك في السر والعلانية. والله يتولى هداك"[2].

وأعطت الشهرة التي نالها الشيخ محمد الصالح، زخما جديدا للزاوية الشرقاوية، بما وفر من سبل الاستقرار والتعمير بها، فكثر الوافدون عليها من طلبة العلم والورد؛ بل تردد عليها بعض كبار أعلام العصر أمثال: الحسن بن رحال المعداني، وعبد القادر بن شقرون، ومحمد الصغير الإفراني.

---

[1] محمد العبدوني، يتيمة العقود الوسطى، نسخة مصورة مأخوذة ضمن موقع:
source gallica bnf.fr bibliothèque –nationale de France:ص:72(أ).

[2] الحسن المعداني، "الروض اليانع الفائح..."، ن م، 86 ج، ص: 77.

المطلب الثاني: وفاة الشيخ محمد الصالح:

أما وفاة الشيخ محمد الصالح، فقد ذكر صاحب "الروض اليانع..." أنه توفي يوم الأربعاء الثاني عشر من صفر الخير عام تسعة وثلاثين ومائة وألف، وفي تقييد آخر الثاني عشر من صفر، أو السابع عشر منه، عام تسعة وثلاثين ومائة وألف"[1]. وقد وافته المنية بزاويته، حيث تحول منزله إلى ضريح يضم رفاته، ويبعد ببضع عشرات الأمتار عن ضريح جده محمد الشرقي بأبي الجعد.

خلاصة:

تربى الشيخ محمد الصالح داخل أسرة علم وصلاح وولاية، ورثها أبا عن جد، وفي بيئة يطبعها الزهد والورع والتقوى والعلم. مما أكسبه شخصية ارتقى بها إلى مراتب الأقطاب والأوتاد ومؤسسي الطرق الصوفية، الناشرين لمذهبه الجزولي- الشاذلي في منطقة تادلة وفي ربوع المغرب.

---

[1] الحسن المعداني، "الروض اليانع الفائح..." ن م، 86ج، ص: 56.

المبحث الثاني: شيوخه وتلامذته وأخلاقه ونعوته:

المطلب الأول: شيوخه وتلامذته:

أ- شيــوخــه:

من بين أبرز الشيوخ الذين أخذ عنهم الشيخ محمد الصالح مجموعة من علوم عصره، أسهمت في بناء شخصيته العلمية والروحية وفي إغناء الحضرة الصوفية وحلقات العلم بالزاوية:

- **والده أبو عبد الله محمد المعطى بن عبد الخالق (ت 1092هـ):**

"كان فقيها زاهدا متقشفا ورعا، أخذ بمراكش عن محمد بن إبراهيم التاملي[1]، وبفاس عن أبي محمد بن عبد القادر الفاسي، وهو وارث الشيخ محمد الشرقي"[2]، "تتلمذ عليه بمراكش محمد بن محمد بن سعيد المرغيثي[3] والحسن بن رحال المعداني"[1]، ألف كتابا وسمه بـ"الموائد السنية والأسانيد السنية".

---

[1] أبو عبد الله محمد بن إبراهيم التاملي المراكشي، كان عالما عارفا، وليا مكاشفا له العناية الربانية، والخصوصية العرفانية من أهل الولاية والعرفان. ومن أصحاب هذا الشيخ أبو العباس أحمد العطار المراكشي والولي الصالح محمد بن عبد الرحمان الصومعي التادلي، وأحمد بن عبد الله مولى المخفية بفاس. وكانت بينه وبين تلميذه محمد المعطى بن عبد الخالق مكاتبات سرية يهديه فيها ويؤدبه ويدعوه إلى مولاه حضرة ويقربه، ويبشره بإشارات، ويوصيه فيها على ما يناسبه مع صلحاء وقته، ويحذره من آفات الزمان ومقته، وقد ذكر محمد بن عبد الكريم العبدوني في كتابه "يتيمة العقود الوسطى" بعد النماذج من هذه المكاتبات (الرسائل). ترجمته في: العبدوني، يتيمية العقود الوسطى، ص: 83 (أ) – 85 (أ)؛ وابن الموقت، السعادة الأبدية، ص: 117.

[2] الحسن المعداني، "الروض اليانع الفائح..."، ن م، 86 ج، ص: 365.

[3] أبو عبد الله محمد بن سعيد المرغثي عالم مراكش وإمامها خلال القرن الحادي عشر، ولد بسوس سنة 1007هـ، ونشأ بها، وانتقل إلى مراكش، فلازم الشيخين أبا عبد الله محمد بن علي بن طاهر، فأخذ عنه الحديث، وأبا عبد الله محمد بن يوسف التاملي، فاستفاد منه علوم القرآن واللغة والأدب. ثم انتقل إلى فاس فأخذ عن مشيختها، ثم رحل إلى درعة ونزل زاوية بني ناصر مدرسا للعلم وراويا للحديث؛ غير أنه لم يلبث أن رحل إلى زاوية الدلاء، وهناك أخذ عليه اليوسي، له: "الإشارة الناصحة لمن طلب الولاية بالنية الصالحة" و"المستعان في أحكام الآذان" وغيرهما، وتوفي سنة 1085هـ . ترجمته في: عبد الله بن محمد الفاسي، الإعلام بمن غبر من أهل القرن الحادي عشر، ص: 254—257؛ ومحمد الإفراني، صفوة من انتشر، ص: 304-307 ومحمد القادري، نشر المثاني،

- **أبو علي الحسن بن مسعود اليوسي (ت 1102هـ):**

"كان خاتمة المحققين عملا وعلما، وحفظا، ورواية، ونقلا ودراية، حتى كان بعض الشيوخ من علماء المغرب يقول فيه: هو المجدد لهذه الأمة دينها على رأس هذه المائة. وكان الشيخ الصالح يحبه ويقرأ عليه، ويعظمه، ويقتطف من أزاهره التي بين يديه، ويثني بجميل الثناء عليه، ويذكر منزلته العظيمة لديه، وكانت له معه ألفة، بحيث لا يكاد يفارقه، لاسيما في زيارة الصالحين، وكان أبو علي الحسن اليوسي ينوه بسيدي الصالح، ويشهد له بالفضل والصلاح، ويعترف بأنه من أهل الخصوصية والفلاح"[2].

- **أبو عبد الله محمد بن عبد القادر بن علي بن يوسف الفاسي (ت 1116هـ):**

من كبار علماء فاس؛ وشيخ الجماعة بها، تمهر في علوم العربية؛ والحديث والتفسير وقد أجازه إجازة مطلقة، يقول "في جميع ما يصح لي وعني روايته من كتب الحديث وغيرها إجازة عامة مطلقة بشرطها.. بتاريخ ربيع الثاني 1109هـ"[3].

- **أبو عبد الله محمد بن سعيد الهبري (ت 1120هـ):**

"كان رضي الله عنه يجذب الرجال إليه بهمته العاشقة، ويغترف من مواهب ربانية في إشاراته الرائقة، له علوم ربانية...أخذ عنه بالمكاتبة والمراسلة من غير ملاقاة أجسام ولا مواصلة. وكان الشيخ محمد الصالح يعطي ورد هذا الشيخ ويلقنه لبعض الخصوص بإذن منه"[4].

- **أبو العباس أحمد بن محمد بن ناصر (ت1129هـ):**

"كان عالما عاملا، واصلا كاملا، وتلمذ له خلق كثير ممن لا يحصى عددهم، عظم به الانتفاع، كان رضي الله عنه من العلماء الأكابر.. محافظا على السنة والكتاب، وكان

ج2/241-245؛ ومحمد القادري، الإكليل والتاج، 338-339؛ وعبد الحي الكتاني، فهرس الفهارس، ج1/554-556؛ وعبد الله المرابط الترغي، فهارس علماء المغرب، ص: 650-651.

[1] أحمد بوكاري، الزاوية الشرقاوية، ج1/102.

[2] الحسن المعداني، "الروض اليانع الفائح..."، ن م، 86 ج، ص: 95-96.

[3] نفسه، ص: 111.

[4] نفسه، ص: 100-101.

الولي محمد الصالح يعظم شيخه هذا ويفخمه، ويثني عليه في المحافل ويبجله، ويقول: الدنيا والآخرة ضرتان لا يجتمعان إلا عند كامل مكمل كشيخنا أحمد بن ناصر"[1].

كما أخذ عن "الأديب الناظم الناثر أبي العباس أحمد بن عبد القادر التستاوتي، الذي تجري على لسانه الأقدار، ومن العلم المدد الأغزر... ومكاتبته وأخباره وأذكاره في كتاب "النزهة" مذكورة، وفضائله ومواهبه عند العانة والخاصة مشهورة. وكانت بينه وبين سيدي صالح مكاتبات ومواصلات ومحبة في الله ومواخاة، وكان يشهد له بالفضل ويجل مكانته، ويثني عليه الثناء الجميل، ويعظم سيادته. وقد أجازه بما أجاز به شيخه محمد بن ناصر"[2]، توفي سنة 1127هـ.

وأخذ أيضا عن أبي عبد الله محمد الحاج بن عبد القادر، "كانت أخلاقه كريمة، وأحواله مستقيمة، وكان نفعنا الله به لسانه دائما رطبا بذكر الله، كانت بينه وبين سيدي الصالح محبة في الله عظيمة، ومواخاة في ذاته الكريمة مستديمة، ينوه به ويعظمه، ويبجل مكانته ويفخمه، أجازه فيما أجازه فيه شيخه إجازة مطلقة"[3]، توفي سنة 1132هـ.

ب –العلماء المعاصرون له:

- **أبو عبد الله محمد بن يوسف (ت 1129هـ):**

"كان من العلماء العاملين وأهل العفاف والدين، كان سيدي الصالح يقرأ عليه ويحضر مجلسه في الكبرى والفقه والحديث وغير ذلك من العلوم، وكانت بينهما ألفة عظيمة ومودة في الله مستديمة، كل واحد منهما يثنى عن الآخر ويعظمه، وينشر محاسنه ويفخمه، وكان سيدي محمد بن يوسف يشهد له بالفضل والخصوصية الكاملة"[4].

---

[1] الحسن المعداني، "الروض اليانع الفائح..."، ن م، 86 ج، ص: 74-76.

[2] نفسه، ص: 87.

[3] نفسه، ص: 91-93.

[4] نفسه، ص: 111-112.

- **محمد العياشي بن عبد القادر المباركي التستاوتي (ت 1134):**

العالم الجليل[1]، أخذ العلم على يد شيوخ كبار، منهم أخوه وقدوته أحمد بن عبد القادر وأخوه محمد الحاج، وأبو علي الحسن اليوسي، والشيخ أحمد بن ناصر، وأبو عبد الله محمد بن يوسف ومحمد بن عبد القادر الفاسي وغيرهم، "كان كثير المحبة في هذا الشيخ الكبير، ويكاتبه سيدي صالح وينوه بقدره ويخاطبه"[2]. وقد أسهم العياشي المباركي في تعمير المجالس العلمية والدينية بالزاوية الشرقاوية، وترك عددا من مراسلات ومراجعات شعرية مع أخيه أحمد بن عبد القادر وردت في مجموعته، وفي ثنايا "نزهة الناظر"[3].

- **الحسين بن محمد شرحبيل الدرعي (ت 1142هـ):**

كان من العلماء العاملين، والأئمة الزاهدين المتقين، "كان يحب الشيخ محمد الصالح وينوه بقدره، ويتعرض لنفحاته، ودعائه، وسره، يكاتبه ويراسله، ويراجعه ويداخله"[4].

ج- تلامذة الشيخ محمد الصالح:

- **عبد الخالق بن محمد العروسي (كان حيا سنة 1139هـ):**

"عبد الخالق بن محمد العروسي بن الشرقي بن عبد القادر بن الشيخ الشرقي. مؤلف كتاب "المرقي". بدأ حياته العلمية بزاوية أبي الجعد، فتتلمذ على فقهائها وعلمائها، من بينهم والده، ثم رحل إلى كل من فاس والرباط ليأخذ على كبار أشياخ العصر، ..ظل يراسل شيخ الزاوية محمد الصالح، فحظي من طرف شيخها بكل الرعاية والاهتمام، ولزم حلقات الدراسة والتدريس بها. كما كان الشيخ محمد الصالح يخاطبه في مراسلاته

---

[1] العباس بن إبراهيم، الإعلام، ج 357/2.

[2] الحسن المعداني، "الروض اليانع الفائح..."، ن م، 86 ج، ص: 105.

[3] ينظر: بوعبيد التركي، سيدي محمد بن مبارك الزعري: دفين منطقة زيان، مقال موجود ضمن الملتقى الجهوي الأول: التراث الديني والثقافي بجهة تادلة أزيلال أيام 22-23-24 يونيو 2010م، ص243.

[4] الحسن المعداني، "الروض اليانع الفائح..."، ن م، 86 ج، ص: 105.

بـ "الشاب" مما يجعلنا أن نرجح أن ملازمته لشيخ الزاوية كانت في وقت مبكر من عمره.."[1].

- **الحسن بن محمد الهداجي المعداني (ت 1180هـ):**

"أحد تلامذة الزاوية وأطرها البارزة، تتلمذ للشيخ محمد الصالح وكذلك لابنه محمد المعطي، وهذا الأخير هو الذي أشار عليه بتأليف كتابه "الروض اليانع". بعد وفاة محمد الصالح، وقد فرغ منه عام 1179هـ-1765م.اشتغل الحسن بن محمد المعداني الى جانب التدريس بالزاوية بمهمة الكتابة.."[2].

- **أبو عبد الله محمد المعطي بن محمد الصالح (ت 1180هـ):**

"نشأ وترعرع وتعلم في زاوية والده. وقد اشتغل تحت رعاية والده بالتفقه في جميع العلوم حفظا وفهما، فقرأ النحو والتوحيد والفقه على أبيه وعمه سيدي محمد بن المعطي وقد ظهرت أبعاد تأثير وسطه، ونتائج تكوينة في مؤلفه "ذخيرة المحتاج في الصلاة على صاحب اللواء والتاج"[3].

- **محمد بن عبد الكريم العبدوني (ت: 1189هـ):**

"وهو المشهور بـ "الفقيه ابن عبد الكريم"، التحق بمدرسة الزاوية، وهو صغير السن، واستمر مواظبا على دروس أشياخها خاصة محمد الصالح، ومن بعده محمد المعطي، إلى أن أصبح واحدا من أبرز علمائها وفقهائها. كما جاء ذلك مسطرا في مؤلفه "اليتيمة" الذي يعتبر بحق من أهم مؤلفات وتراث الزاوية الفكري من حيث معلوماته التاريخية وطريقة سياقتها ومناقشتها.."[4].

---

[1] ينظر: عبد الخالق العروسي، المرقي في بعض مناقب القطب، محمد الشرقي، تحقيق محمد البقالي، أطروحة نوقشت بتطوان 2012/2011، (نسخة مرقونة)، القسم الأول من الدراسة، ص 50 و ص 137.

[2] أحمد بوكاري، الزاوية الشرقاوية، ج223/1،

[3] نفسه، ج 108/1-109. (النقل بتصرف).

[4] نفسه، ج 224/1-225.

- **أبو العباس أحمد بن فتوح التازي (كان حيا أواسط القرن 12ه):**

"وقد كان أحمد بن فتوح من المتعلقين بالزاوية وشيخها محمد الصالح، ولذلك كثرت زياراته لها وإقامته بها، فقد كان واحدا من تلامذة العلامة سيدي سعيد بن أبي القاسم العميري بمكناس زمن السلطان المولى إسماعيل، -.كما أشار البعض الى وجود تأليف له تحت عنوان: "التعريف المفيد في مناقب الشيخ الصالح بن المعطي وجده القطب أبي عبيد"[1].

المطلب الثاني: أخلاقه ونعوته:

يمكن ذكر أبرز الأوصاف التي عرفت عن الشيخ محمد الصالح؛ ومنها: إنه

- **كان من أهل المكاشفة**: اتصف الشيخ محمد الصالح بالمكاشفة ،بحسب ما أورده الحسن الهداجي المعداني في "الروض اليانع الفائح..." في إحدى كراماته عن الفقيه سيدي العربي، قال: "أردت زيارة الشيخ محمد الصالح، فتفكرت فيما أهديه له من كتبي، فقلت في نفسي: نأتي بكتاب المستصفى للإمام الغزالي، ثم قلت في نفسي لعلي أحتاج إليه للقراءة، وأردت أن أجعل عوضه ديوان ابن نباتة، لأن الشيخ كان يحب الأدب، فقلت: لا أذهب إلا بكتاب المستصفى، لأنه أحب كتبي إلي، فأتيت إلى الشيخ، فلما وصلت إليه، دفعت له الكتاب فتصفحه، ثم لما أردت موادعته بباب داره على عادته مع الزوار تناول الكتاب من فوق اللوح المعروف هنالك، وقال لي: خذ هذا الكتاب يصلح بك، لأنك في عنفوان القراءة، وإن كان عندك ديوان ابن نباتة ابعثه إلي"[2].

- **كان ممن ينتفع به**: فهو من الأولياء الذين يقصدون عند الحاجة، فيتحقق الانتفاع وبلوغ القصد، "وقد كان مجاب الدعوات ترياقا مجربا لكشف الشدائد والأزمات"[3]. ذكر صاحب "الروض اليانع الفائح..."، عن علي بن أبي يعزى الشجدالي، قال: "كان عندنا ولد مريض في صدره حصفة شبه خنجير، تخوفنا عليه منها، ولما أردت القدوم للشيخ، قال لأمه: أذكر أمر هذا الولد للشيخ لعله يدعو له، فلما وصلت للشيخ

---

[1] أحمد بوكاري، الزاوية الشرقاوية، ج1/199.-200.

[2] الحسن المعداني، "الروض اليانع الفائح ..."، ن م، 86 ج، ص: 135.

[3] نفسه، ص: 154.

نسيت أمر الولد، فقال لي: وهل عندكم ولد مريض؟ فقلت له: نعم، فسألني عن علّته، فذكرت له ما رأينا به، وتخوفنا عليه، فقال: إن رجعت إليه، اربط عليه كرموصة، ففعلت ما أمرني به، ثم لما أصبح الصباح، اطلعت على تلك الحصفة فوجدتها خرجت منها لحمة ميتة، وبرئ الولد من علته"[1].

- **كان من أهل الإغاثة:** يتضح هذا فيما ذكره الحسن بن محمد بن الهدّاجي المعداني من كرامات، حيث جاء في إحداها: عن الشيخ محمد المعطى، قال: "كان الشيخ سيدنا الصالح يكتب والدواة بيد الفقيه السيد الغزواني العجلاني، وكانت الدواة كبيرة جدا، فبينما هي بيده والشيخ يكتب منها، فإذا بالشيخ قبض على الدواة قبضة شديدة وصاح، واحمرت عيناه، وأخذه حال عظيم، فخاف الفقيه من الشيخ لما رأى من شدة حاله، ثم قال الشيخ للفقيه: السفينة إذا خيف عليها الحرق أو الغرق؛ فالأولى منهما؟ فلم يجبه الفقيه بشيء، لشدة خوفه، وعدم علمه بما يشير له الشيخ، ثم قال الشيخ، الغرق أولى من الحرق؟. وأخذ الدواة من يد الفقيه وضربها للحائط بشدة فانكسرت على أجزاء. ولم يفقه الفقيه ما أشار له الشيخ. فبقي الأمر على إبهامه، ثم ورد الخبر من مدينة سلا أن سفينه المسلمين غرقت في البحر، فعلم الناس أن الشيخ كان يشير لحالة سفينة المسلمين وما أراد الكفار بها من الحرق، وأنه اختار لها الغرق على الحرق. ويقول المعداني: ويستفاد من هذه القضية ومن أمور نحوها أن الشيخ كان من أهل الإغاثة في البحر والبر، وكان كثير الكتابة والمذاكرة في العلم والتقييد"[2].

- **كان من أهل الوجد والغيبة:** اشتهر الشيخ محمد الصالح بالوجد والغيبة، يقول الحسن الهدّاجي المعداني: "كان يغلب عليه الوجد، ويصيح وينطق بالأمور المغيبة بلسانه الفصيح، ظهرت له الكرامات، وخوارق العادات في حال الصغر، وفشت وتواترت في حال الكبر"[3].

- **كان من أهل الأحوال والجذب:** صرح الحسن الهداجي المعداني عن الفقيه محمد بن يوسف، قائلا: "كان من أهل الغيبة في الله والحب، وتغلب عليه الأحوال،

---

[1] الحسن المعداني، "الروض اليانع الفائح ..."، ن م، 86 ج، ص: 155- 156.

[2] نفسه، ص: 191-192.

[3] نفسه، ص: 52.

والجذب في حضرة الله"[1]. ويضيف العبدوني عن السيد عبد الكريم الدليمي: "وكان من أهل الجذب، إن الشيخ سيدي محمد صالح كان يتكلم مع العلماء من أصحابه بين المغرب والعشاء في أحوال القطب، وخالطه في ذلك الوقت جذب كثير وحال كبير"[2].

خلاصة:

أخذ الشيخ محمد الصالح عن مجموعة من أعلام العلم والتصوف وأصول العقيدة وعلم السير والقراءات وعلم الفقه وأصوله والتفسير والحديث واللغة والنحو والأدب والبلاغة والشعر والطريقة والسلوك والأوراد والإجازات، مما بوأه مكانة في الارتقاء العلمي والروحي جعلته من أهل الخصوصية والحظوة والعطاء. وقد تجلى ذلك في إشعاع الزاوية في عهده، وكذا فيما تلقاه عنه تلامذته ومريدوه. كما أنه اتصف بنعوت الأقطاب وتحلى بأوصاف الولاية والصلاح والقرب. فانفتحت له أبواب المكاشفة والإغاثة والجذب والوجد. وقد شهد له بذلك من عاصره وشاركه.

---

[1] الحسن المعداني، "الروض اليانع الفائح ..."، ن م، 86 ج، ص: 112.

[2] محمد العبدوني، يتيمة العقود الوسطى، ص: 21 (أ).

المبحث الثالث: تكوينه العلمي والأدبي وعنايته بالعلوم:

المطلب الأول: تكوينه العلمي:

أصبحت الزاوية الشرقاوية مركزاً علميا مشعًّا في مجال نشر الدين الإسلامي وإشاعة العلوم والمعارف بين العلماء وطلاب العلم الوافدين على الزاوية في مختلف ربوع المغرب.

يقول د.عبد الله المرابط الترغي: "إن تعمير الزاوية الشرقاوية بالعلم والطريقة، لم يزدهر إلا مع الشيخ محمد الصالح الشرقي، حينما تولى مشيخة الزاوية بعد وفاة والده المعطى. فأحيى الطريقة الصوفية، وعمر مجالسها بالقراءة والعلم، وعبأ لها الحضور الواضح في عصره وبين الزوايا الشهيرة آنذاك، لتصبح مقصد الشيوخ والطلاب من أهل العلم والانتساب والبركة"[1].

يقول الحسن المعداني في هذا الصدد أن الشيخ محمد الصالح" كانت مجالسه مجالس علم وفوائد، وإشارات صوفية، وعلمه يخرج من قلب نقي، وصدر تقي، فيقع في القلوب فيبريها، كما يقع الدواء النافع على الأمراض فيشفيها، مع تحقيق العبارة وتحريرها، وتلخيص العبارة وتيسيرها، فكان الانتفاع بعلمه أكثر، وأقوى وأغزر، لأن العلم النافع هو الناشئ عن مزيد التقوى، لا عن كثرة الرواية وفصاحة اللسان.

وكان من علماء الآخرة الزاهدين في الدنيا الراغبين فيما عند الله تعالى، حتى أدرك من ذلك المرتبة العليا شمر عن ساق الجدِّ في العلم حتى عرفه"[2]. وكان مجبولا على محبة العلم وأهله وله في مدح العلم:

---

[1] عبد الله المرابط الترغي، مراكز الدرس والتكوين، "وآثارها في الحركة العلمية والأدبية بالمغرب على عهد السلطان المولى إسماعيل"، القسم الثاني، ص: 113.

[2] الحسن المعداني، الروض اليانع الفائح ن م ،86ج، ص: -53.

[الطويل]

تَعَلَّمْ فما للمَرْءِ كالعِلْمِ مُقتنًى ... وليس أخُو علمٍ بكُفءٍ لجَاهِلِ
فَذُو العِلْمِ محبُوبٌ على كُلِّ حَالَةٍ ... وذُو الجَهْلِ محمُولٌ على غير طَائِلِ
وإذَا امْرؤٌ قد آثر الجَهْلَ والغِنَى ... عَلَى العلْمِ فَهْوَ أخرق غير عَاقِلِ
فكن مُقينا بالعِلْمِ لا تَنْسَ دَرسَهُ ... نَهَاراً وَلَيْلاً والزَمْ سَيْرَ الأَفَاضِلِ[1]

ويقول الإمام السبكي في الحظ على العلم أيضا:

[الطويل]

كمالُ الفَتَى بالعِلْمِ لا بِالمَنَاصِبِ ... ورُتْبَةُ أَهْلِ العِلْمِ أَسْنَى المَنَاصِبِ
هُمُ وَرَثُوا النَّبيئينَ فاقْتَدَى بِهِمْ ... كُلُّ سَارٍ في الظَّلاَمِ وَسَارِبِ[2]

وكان الشيخ محمد الصالح يتقن عددا من العلوم، يقول محمد بن عبد الكريم العبدوني: "وسمعت منه ﷺ، أنه قال: نعرف اثني عشر فنا من العلوم، لم يأتني أحد يسألني عنها غير هذه العلوم المتداولة بين الناس؛ مثل: النحو والتصريف واللغة والأصول والبيان والعروض والسير وعلم القراءات وغير ذلك مما كان يدرسه للطلبة"[3].

ويتمثل هذا النبوغ والتفوق في أنه "قرأ علوم الإسلام على كل نحرير وإمام، ممن يجل قدره بين الأنام، ويحسن الاقتداء به في الشرائع والأحكام، من نحو منطق وبيان ولغة وتصريف وأصول وفقه تقر به الأعيان، وعروض وتوقيت وحديث وعلم معالجة النفوس والأبدان، وغير ذلك من العلوم"[4]. وصرح صاحب اليتيمة قائلا: "وألف في علم النحو، رأيت له شرحا على الجرومية على سفرين، وشرحا على الخزرجية، وشرحا على

---

[1] الحسن المعداني، "الروض اليانع الفائح، ن م، 86ج،54-55.

[2] ورد البيتان في: السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج 180/10 مع اختلاف في كلمة واحدة فقط، "المراتب" عوض "المناصب" في الشطر الثاني من البيت الأول.

[3] محمد العبدوني، "يتيمة العقود الوسطى"، ص: 11(أ)

[4] الحسن المعداني، "الروض اليانع الفائح..." ن م، 86 ج، ص: 52.

المقنع في علم التوقيت، وشرحا على سيدي خليل، أمر بعض الطلبة يجمعه له من طُرَرٍ نسخته"[1].

ويقول العبدوني إن الشيخ محمد الصالح حدثه، قائلا: "لما قدمت على الشيخ سيدي أحمد بن ناصر وتلاقيت معه أول من سألني بعد المذاكرة معه في علوم على علم الطب وأنا كنت لم أقرأه على أحد، فقال لي: وهل في بلدكم من يعرف شيئا في علم الطب؟ فقلت له: يا سيدي ما عندنا أحد، فقال لي: ولم لم تتعلمه؟ فقلت له يا سيدي عقلت، فقال لي: تعلمه، فإن النبي ﷺ، قال: تعلموا علم الأبدان، كما تتعلموا علم الأديان، وقال لي أيضا: علم الأبدان هو وسيلة لصحة علم الأديان"[2].

ومما يدل على تفوقه في هذه العلوم ما صرح به صاحب "الروض اليانع الفائح..." قائلا: "كان الطلبة يقرؤون على الفقيه سيدي أحمد بن الحاج النحو، واستشكلوا مسألة عند الاقراء، فلما خرجوا من عند الفقيه المذكور، قال الطلبة لبعضهم: نأتي لهذا السيد -يعنون سيدي صالح- لعله يشفينا في هذه المسألة. فأتوا إليه بالدار التي كان نازلا فيها، واستأذنوه في الدخول، فأذن لهم وأخذوا في الحديث معه، ونسوا المسألة التي قدموا لأجلها، ولما علم الشيخ نسيانهم لما أرادوا، قال لهم: ما قرأتم على الفقيه اليوم، فقالوا له: قرأنا كذا، ولم يتفطنوا لمقالته، فقال لهم: ما قلتم في مسألة كذا؟ وهي مسألة سؤالهم، فتذكروا المسألة حينئذ، وقالوا: قلنا فيها كذا، وتوقفنا، فقال لهم: المسألة عند الشيخ الأزهري في موضع كذا، فطلبوها فوجدوها كما ذكر، وعلموا أن ذلك كله من بصيرة الشيخ نفعنا الله به"[3].

وكان يتميز بكثرة الكتابة، والمذاكرة في قضايا العلم والتقييد... وكان يقول: "لكل ولي جنة، وأنا جنتي الكتابة والعلم"[4]. ومن مظاهر تعلقه وحبه للعلم، ما ذكره العبدوني في هذا الشأن: "وكان الشيخ سيدي محمد صالح رحمه الله يحض أصحابه على محبة العلماء وخدمتهم ومرافقتهم، ويقول لأصحابه عليكم بمرافقة العلماء وخدمتهم، فإنه ما

---

[1] محمد العبدوني، يتيمة العقود الوسطى، ص: 72 (أ).

[2] نفسه، ص: 72 (أ).

[3] الحسن المعداني، "الروض اليانع الفائح..."، ن م، 86 ج، ص: 156

[4] نفسه، ص192.

أفلح من أفلح ولا نجح من نجح إلا بخدمتهم"[1]. الشيء الذي جعله أن يوصي ابنه بمصاحبة العلماء ومجالستهم وخدمتهم، وقد قال في وصيته لولده: "عليك بالعلم، فالعلم هو زينة الفقر وعماده وفراشه وغطاؤه ووساده، وفقر بلا علم فضيحة وخداع، ومكر وخديعة واستدراج"[2]. ويضيف صاحب "اليتيمة"، قائلا: "ومن جملة ما أكد عليه - (أي ابنه)- في وصيته أن قال له: أوصيك بتعاطي العلم، واجعله رأس مالك. وإياك أن تتركه في سائر أوقاتك وأحوالك"[3]. ونستنتج من هذه الآراء والأفكار أن الشيخ محمد الصالح كان قدوة لأبنائه وطلبته وأقربائه "لا تراه إلا والكتاب بين يديه وطلبة العلم دائرون به، ومتحلقون عليه وهو في مجلس التدريس والإقراء"[4].

ومن جراء كثرة قراءاته تأثر سلوكه بذلك، فكان من حسن خلقه ﷺ، "إذا رأى طلبة العلم الذين يقرؤون عليه ملوا من القراءة يباشرهم بحسن الخلق ويداعبهم ويمازحهم بكلام حسن، مثل ممازحة النبي ﷺ، ويحكي لهم الحكايات الغريبة والمضحكات العجيبة، ويقول لهم: هذا كله من أنواع العلم، ويسمونه[5] العلماء: الأحماض، يميلون إليه عند عيهم وكللهم، من الدرس ويستريحون وهو مشتق من الحماض العشبة المعلومة التي تأكلها الإبل عند شبعها، لتهضم بها ما في بطنها من الشبع وتستريح فيها"[6].

ومما يؤكد عنايته بالعلم تكوينا وتمكنا، واعتناءه بأهله؛ وفادة وتقريبا، وتأليفا وتقييدا ومدارسة، ما تجلى لنا في هذا الكتاب.

---

[1] محمد العبدوني، اليتيمة، ص: 11 (أ).

[2] نفسه، ص: 11 (أ)، ص: 8 (أ).

[3] نفسه، ص: 65 (أ).

[4] نفسه، ص: 9 (ب) و(10 (أ).

[5] كذا: والصواب "و يسميه".

[6] محمد العبدوني، اليتيمة، ص: 17 (أ) و(ب).

المطلب الثاني: عنايته بالعلوم ورحلته:

اهتم شيوخ الزاوية الشرقاوية بـ "إنشاء مكتبة الزاوية وإغنائها بمختلف المؤلفات العلمية من المغرب والمشرق، حتى أصبحت الزاوية مركز إشعاع ثقافي وروحي وإنساني، يتجاوز حدود المحلي إلى ما هو أوسع أفقا وانتشارا"[1]. وقد ظهر ذلك في تشجيع الشيخ محمد الصالح للعلم والعلماء.

أ - تشجيع التآليف العلمية:

شجع الشيخ محمد الصالح بعض العلماء على التأليف والتدوين، ونذكر في هذا الشأن أن تأليف "نزهة الحادي في أخبار ملوك الحادي" كان بإشارة من محمد الصالح إلى الفقيه الأديب والمؤرخ محمد الصغير الإفراني الذي قدم له الدعم المادي والمعنوي لإنجاز كتابه القيم، الذي ذ كر فيه: "إن صديقه شيخ زاوية أبي الجعد، محمد الصالح بن محمد المعطي طلب إليه، وألح عليه في الطلب، جمع تأليفه وتخريجه، وقد أشار الإفراني في بعض رسائله إلى محمد الصالح هذا"[2]. ويؤكد في موضع آخر من كتابه، يقول: "ثم تكرر الطلب إلي وأكد في جمع ذلك التأليف على من لا أستطيع مقابلة أمره بالأعمال، ولا أقدر أن أسجل على بينة غرضه إلا بالأعمال وهو عين الأعيان، وصدر أرباب البلاغة والبيان، الذي تهتدي الفقهاء بعلمه وعمله والأديب الذي تقتدي البلغاء ببراعة قلمه بقية السلف وقدوة الخلف، الولي الصالح أبو عبد الله محمد الصالح ابن الولي العارف سيدي محمد المعطى حفيد تاج العارفين وخاتمة الأولياء المحبوبين أبي عبدالله سيدي محمد الشرقي نفع الله به، وأبقى جلاله محروسا وأدام ذكره في روض المكارم مغروسا، فهو الذي أعاد لفكري قوة النشاط، ونشر عليه بساط الانبساط، فانقشع عني سحاب الكسل وانجاب وناديت فكري للتأليف فأجاب"[3].

---

[1] أحمد بوكاري، الزاوية الشرقاوية والمخزن، الطبعة، 2017م، ص: 39.

[2] محمد الإفراني، نزهة الحادي، بأخبار ملوك القرن الحادي، تقديم وتحقيق، عبد اللطيف الشاذلي، ص: 15.

[3] محمد الإفراني، نزهة الحادي.، طبعة 1888م، انجي، ص:310-311.

وطلب الشيخ محمد الصالح من عالم آخر، وهو عبد القادر بن شقرون، أن يؤلف له أرجوزة طبية تحتوي على مجموعة من المعلومات والفوائد والنصائح الطبية المتعلقة بأنواع المأكولات والمشروبات والألبسة، عرفت باسم "الأرجوزة الشقرونية". وقد أورد ها الحسن المعداني في" الروض اليانع الفائح.." من الصفحة، 334 إلى الصفحة،358.

ثم تأليف كتاب "المرقي في بعض مناقب القطب سيدي محمد الشرقي "قد يكون بذلك من تشجيع شيخه"[1]

ب - دعوة العلماء للتدريس بالزاوية:

أصبحت الزاوية في عهد الشيخ محمد الصالح منارة علم وصلاح، وذلك بفضل التقاليد العلمية التي دشنها، و تتمثل في عقد حلقات علمية، يستدعي لها كبار علماء ومتصوفة العصر، ومن أبرزهم على سبيل المثال لا الحصر:

- **أحمد بن عبد القادر التستاوتي[2] (ت1127)**

كان عالما عاملا عارفا كاملا، له ملكة في نظم الشعر وله عارضة في الأدب، سلك طريق التصوف على يد الشيخ محمد بن ناصر. وهو من أشياخ محمد الصالح الشرقاوي فقد كان التستاوتي في حياته يتردد على الزاوية، ويراسل شيخها، ويظهر أنه قضى في أبي الجعد وقتا ليس يسيرا بعد تسريحه من سجنه حوالي 1104هـ، فساهم في تعمير مجالس الزاوية العلمية والدينية، وهو نفس النهج الذي سار عليه أخوه محمد العياشي في عهد محمد المعطي بن الصالح.

- **أبو علي الحسن بن رحال المعداني[3](ت1140هـ):**

الفقيه الكبير، صاعقة الفقه المالكي في وقته، وصاحب التدريس بمكناسة الزيتون، له عارضة كبيرة في الفقه واتساع في النوازل وتدبر في الفتوى، وكان حافظا للمذهب المالكي، مرجوعا إليه في فتاويه مستحضرا لفروعه، وكان كثير المطالعة والتدريس والتقييد.

---

[1] أحمد بوكاري، الزاوية الشرقاوية، ج/196.

[2] نفسه، ج1/200-201.

[3] محمد الطيب القادري، نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، ج3/294-295.

- **عبد القادر بن شقرون[1](ت1143ه):**

أبو محمد عبد القادر بن العربي المعروف بابن شقرون المكناسي، فقيه نحوي، وأديب بارع، إلى جانب كونه طبيبا ماهرا درس بكل من فاس ومكناس، وتتلمذ عليه عدد من العلماء والفقهاء أمثال أبي القاسم العميري، وأبي عبد الله محمد الصالح الشرقاوي. اشتغل خلال مقامه بالزاوية بتدريس بعض العلوم؛ مثل النحو والصرف، وبالخصوص مادة الطب مساهمة منه في تعمير وتنوير مجالسها العلمية.

- **محمد الصغير الإفراني[2] (ت بعد 1156ه):**

كان رحمه الله فقيها محدثا حافظا نحويا بيانيا أديبا ماهرا بليغا فصيحا خطيبا مشاركا في فنون شتى، مشتغلا بالتقييد، وله تآليف عديدة جامعة الفوائد، منها: (شرح التوشيح) و(نزهة الحادي ...) و(صفوة من انتشر...) وغيرها. وأنه كان يتردد من وقت لأخر على شيخ الزاوية محمد الصالح، فيحظى منه بجزيل العطاء وبالغ الاهتمام..

- **أحمد بن فتوح التازي[3] :**

(كان حيا أواسط القرن 12ه)، وقد كان من المتعلقين بالزاوية وشيخها محمد الصالح، ولذلك كثرت زياراته لها وإقامته بها.

لقد عرف عن الشيخ محمد الصالح شغفه بالعلم وتعلقه بالعلماء، وأنه بدل في سبيل جلب الأطر العلمية للزاوية جهدا كبيرا، يقول الحسن بن محمد المعداني في هذا الإطار نقلا عن الفقيه سيدي العربي أمشطر به عرف الإسحاقي[4]، قال: "قدم على الشيخ سيدي الصالح نفعنا الله به، السيد عبد العزيز بن حمدوش المكناسي من ناحية سيدي

---

[1] محمد الأخضر، الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية، ص:207-208، وأحمد بوكاري، الزاوية الشرقاوية، ج1/205-206.

[2] محمد بن الموقت، السعادة الأبدية، في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية، ص: 77-78.

[3] أحمد بوكاري، الزاوية الشرقاوية، ج 1/199-200.

[4] أبو عبد الله محمد العربي بن محمد الملقب با مشطر الإسحاقي، كان حيا سنة 1180ه. ترجمته في: محمد الإفراني، ياقوتة البيان، أرجوزة في البلاغة وشرحها، تحقيق عبد الحي السعيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة الطباعة 1428ه-2007م، ص 43، والعبدوني، يتيمة العقود الوسطى، ص 48(ب).

سعيد أحنصال، وكان الرجل طبيبا، فقال له الشيخ سيدنا الصالح: تقيم عندنا خمسة عشر يوما، فاعتذر له الرجل عن الإقامة، فقال له الشيخ: تقيم عندنا بأجرتك. فقال له الرجل: يا سيدي، لا أحتاج أجرة معك، ثم مكث عنده المدة المذكورة.[1]

ج- رحلته العلمية:

عزم الشيخ محمد الصالح على زيارة شيخه بتامكروت، متحملا في ذلك المشاق والمتاعب، لينهل من منبع الزاوية الناصرية العلمي والصوفي. يقول الحسن المعداني: "ولما عقد الرحلة سيدنا الصالح لدرعة لزيارة شيخه هذا فرح به الشيخ، وأكرم منزلته لديه، ونوه بقدره بين المحبين والعلماء العاملين"[2].

وبهذه المناسبة كتب لأخيه الفقيه سيدي محمد بن محمد المعطي من بلاد مغران، ونص الكتاب: "الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله. من صالح عفا الله عنه، السلام التام، ورحمة الله وبركاته على الدوام، على الفقيه النبيه الأمجد، أخينا في الله سيدي محمد حماه الله وحفظه، أما بعد فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، ومن بلد مغران، كتبناه إليكم وأوردناه عليكم عن صحة وعافية وآلاء متوالية، لولا ما سألنا من مشقة الأسفار، وَجَوْبِ المهامه والقفار، وصعود جبال يَحَارُ في صعودها سِرْبُ القطا، وتَقْصُر دونها الخطى.

[الطويل]

صَعِدْنَا جِبَالاً شَامِخَاتٍ رُؤوسُهَا جِبَالٌ عنِ العُقْبانِ صَعْبٌ سُلُوكُهَا[3]

---

[1] الحسن المعداني، الروض اليانع الفائح، ن م 86ج، ص:231.

[2] نفسه، ص: 76.

[3] نفسه، ص:78.

المطلب الثالث: شعره:

حفل كتاب "الروض اليانع الفائح..." بمنظومات شعرية للشيخ محمد الصالح في غاية الأهمية، وهي غنية بإبداعاته الفنية الروحية والذوقية. وتدل على قوة الهامه، ومقدرته الشعرية الصوفية الفائقة.

وقد خصص الحسن الهداجي المعداني الفصل الأول من الخاتمة لمنظومات الشيخ محمد الصالح وقصائده وتوسلاته وفرائده. وأدرجها ضمن موضوعات متنوعة؛ أغلبها في التوسل إلى الله تعالى ورسولهﷺ.. وقد أجملناها في الآتي:

- في طلب رؤية وجه سيد الأنام[1].
- وفي طلب النجاة من هول الصراط والموقف[2].
- وفي التحصن بكف مولانا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام[3].
- وفي التوسل بخواص الأمة وصلحائها[4].
- وفي طلب الغيث[5].
- وفي طلب العفو والصفح والتجاوز[6].
- وفي طرد الجوع والأهوال[7].
- وفي الحض على قيام الليل[8].

---

[1] الحسن المعداني، الروض اليانع الفائح، ن م 86ج، ص: 247.

[2] نفسه، ص248.

[3] نفسه، ص: 249.

[4] نفسه، ص: 253.

[5] نفسه، ص: 256-257

[6] نفسه، ص: 259.

[7] نفسه، ص: 261

[8] نفسه، ص264.

ذكرنا طرفا منها على سبيل التمثيل لا الحصر. وفي هذا السياق يقول الشيخ محمد الصالح في التوسل بخواص الأمة من الصالحين والأولياء والتحصن بهم من حوادث الدهر وبلواه:

[الخفيف]

نَحْـنُ فـي ذِمَّـةِ الرِّجَالِ المِلاَحِ ... سَـــادَتـي الـصَّـالِـحِيـنَ أَهْلِ الفَلاَحِ
وَجْنَتِي تحت رِجْـلِ كُلّ تَقِـيٍّ ... أو تَـــقِـيَّـةٍ مـن ذواتِ الـــوِشَـــاحِ
حَاشَ أن يسلمونِ من غيرِ زَادٍ ... أو أُرى فـي الـــوَرَى بِـغَـيْـرِ سِـــلاَحِ
في حِمَاهُمْ جَعَلْتُ نَفْسِي وَأَهْلِي ... وَبِـهِـمْ عُـذْتُ مِـنْ عُـتُـوِّ الـــرِّمَـاحِ
وَلهـم رَاحَـتِي تُمَـدُّ فَـأُحْظَى ... نَـاعِـمـاً في المَسَاءِ أو في الـصَّبَـاحِ
وَإِذَا ما افتقـرتُ لَمْ أُلْفِ إِلْفاً ... مِـثْـلَـهُـمْ فِـي النّـدَا وَنَيْـلِ النَّجَـاحِ
لَيْـسَ لـي غَـيْـرُهُـمْ وَهَـبْـهُـمْ جَفَوْنِي ... لَيْسَ لِي عَنْ جَنَابِهِمْ مِنْ بَرَاحِ[1]

وله أيضا في خروج النصارى بثغر سبتة عام 1134هـ قصيدة بديعة المعنى رائعة اللفظ والمبنى، استنجد فيها بالصلحاء والأولياء والسادات الأتقياء.[2]

[مجزوء الخفيف]

عَسْعَسَ اللَّيْلُ فَانْهَضُـــوا ... سَـادَتِـــي للحرَاسَـــةِ
واحْرسُوا الغرب بَاشِـــرُوا ... أرْضَـــهُ كُـــلّ سَاعَة
وَانْـشُـــرُوا لانْـخِـرَاطِـهِ ... في سُلـــوكِ السّلامَـــة
وَسَـــدَادِ ثـغُـورِهِ ... رَايَـــة إثْـــرَ رَايَـــة
فـي حِمَـاكُمْ جَعَلْتُـــهُ ... فَـهُـوَ تَـحْـتَ الرِّمَـايَـــةِ
فَـابْـسُطُوا كُلَّ رَاحَـةٍ ... في الـــدُّجَى للصّراعَـــة
واطْرُدُوا عنْه مَـــا دَهَـــى ... أَهْلَـــهُ مـن مجاعَـــةِ

---

[1] الحسن المعداني، الروض اليانع الفائح، ن م 86ج، ص:262.

[2] نفسه، ص:268.

وَاكْسِـــرُوا أمداد الغَـــــــــلاَ بـــالـرّخَـــــــا في الحَـوَانِـيـــتِ

وله في الحظ على العلم الشريف وتحصيله والاستظلال بظله الوريف، وإنه أفضل ما يقتنى ويؤخر وتظهر محاسنه على الإنسان وتنشر، هذه القصيدة البديعة النظام:

[الطويل]

تَعَلَّـم فَمَـا لِلْمَـرْءِ كـالعِلْـمِ مُقْتَنًى وَلَـيْـسَ أَخُـو عِلْـمٍ بِكُفءٍ لِجَـاهِلِ
فَـذُو العِلْـمِ مَحْبُوبٌ علَى كُلِّ حَالَةٍ وَذُو الجَـهْـلِ مَحْمُولٌ عَلَى غَيْرِ طَـائِلِ
وإنْ امْـــرَءا قـد آثَـرَ الجَهْلَ والغِنَى عَلَـى العِلْمِ عِنْدِي أَخْرَقُ غَيْرُ عَـاقِلِ
وَمَـا العِـــزُّ كُـلُّ العِـــزِّ إلاَّ لِعَـالِمٍ بِهِ الحُسْنُ يَبْدُو في صُدُورِ المَحَافِلِ
أَلاَ إنَّ أَهْـــلَ العِلْـمِ قَـــوْمٌ أَجِلَّـةٌ وَنُـــورُ ذَوِيـــهِ بَـــازِغٌ غَـيْـرُ آفِـلِ
فَكُـنْ مُعْتَنٍ بالعِلْمِ لاَ تَنْسَ دَرْسَهُ نَهَـاراً وَلَـيْـلاً والْـزَمْ سَيْرَ الأَفَاضِلِ
وَدَعْ عَـنْـكَ مَا يُلْهِيكَ عَنْهُ وَلاَ تَكُنْ نَـؤُوماً فَـماَ اختَارَ الكَرَى غَيْرُ سَافِلِ
وَسَـامِـرْ دَوَاوِيـنَ العُلُومِ فَـإِنَّـهَا أَلَـذُّ نَـدِيـــمٍ دَافِـعِ بِـالبَـلاَبِـلِ
تُفِـيـدُكَ عِلْماً لاَ يُـنَـالُ بِـدُونِهَا وَتَعْـرِفُ عـن شَأْنِ القُرُونِ الأَوَائِلِ[1]

وللشيخ محمد الصالح هذه الوصية البليغة المشتملة على التحذير من كل وصف قبيح ومعنى والإغراء على التحلي بالأوصاف الحسان.

[الكامل]

خَـلّ الـتَـكَـبُّـر إنْ تُـرِدْ نَيْـلَ العُلاَ فَـالكِبْـرُ مِـنْ رُتَـبِ الوِلاَيَةِ يَـمْنَعُ
وَاتْـرِكْ مُـخَـالَطَـــةَ الأَرَاذِلِ إنَّـهَـا ذُلٌّ وَإِيَّـاكَ فِـي الـخَـلاَئِقِ تَطْمَعُ
وَاصْحَـبْ كِـرَاماً غُيِّبُوا في حَضْرَةٍ أَحْـدَاقُهُمْ مِـنْ حُـبِّـهَا مَـا تَهْجَعُ
وَاخْـدُمْ رِجَـالاً بَـايَنُوا الأَوْطَانَ بل تَـرَكُـوا القِفَارَ مَخَافَةَ أَنْ يُقْطَعُوا
وارْفَـعْ مَـزَابِـلَ خَيْلِهِمْ إنْ كَانَ ذَا يُـدْنِـيـكَ مِـنْـهُمْ فَفِيهِ خَيْرٌ يَنْفَعُ
وَاحْفَظْ لِسَانَكَ لاَ تَفُهْ بِالعَيْبِ فِي جَنْـبِ الَّـذِينَ بِجاهِهِمْ يُسْـتَشْفَعُ

[1] الحسن المعداني، "الروض اليانع الفائح..."، ن م 86ج، ص :273.

حَـافِظْ عَلَى الصَّلَـوَاتِ فِي أَوْقَاتِهَا وَاخْضَـعْ بِهَا يَا حَبَذَّا مَنْ يَخْضَعُ[1]

إن شعر الشيخ محمد الصالح يفيض عذوبة وسلاسة ويقطر بلاغة وأصالة لأن صاحبه رزق ملكة واسعة قوية وتفتحت شاعريته في سائر بحوره وأوزانه، إذ ربّما بلغت القصيدة الواحدة من أشعاره المئات من الأبيات، وهذه المنظومات الشعرية إن دلت على شيء فإنها تدل على ما أوتي صاحبها من عارضة، ومقدرة فائقة في نظم الشعر.

ونظم الشيخ محمد الصالح في الناظم الناثر أحمد بن عبد القادر التستاوتي قوله:

يَـا فَـخْـرَ أَهْـلِ المغـربِ وَمَـنْ إِلَيْـــــهِ هَرَبِي
وَمـن إِذَا رَأَيْـتُـــــــــهُ تَـذْهَـبُ عَنّي كُـرَبـــي
بِحَـقِّ أحمد النَّبِـــــــيِّ الهَـاشِمِـــيّ العَـرَبـــي
وَشَيْخِك ابن نـاصـــــــرِ الرَّاقِي لأَعْلَى الرتـــــب
اِصرف لِي الهِـمَّـة كَيْ تنْقِذَنِي مِنْ عَطَـــــــبِ
فَقَـدْ تَعَـاطَيْتُ أُمُـــــــو رَا مُوجِبَاتِ الغَضَـــــــبِ
آثرتُ دُنْـيَـايَ عـــــــلى الأخرى وَهَذَا مَـذْهَـــــبِي
مَا زُرْتُ يَـوْماً صَالِحاً إِلاَّ وَكَانت مَطْلَـــــــبي
فـالقَـلْـبُ مِنْ حُبِّي لَهَا في ظُلْمَةٍ وَحُـجُـــــبِ
لَمْ آلُ جُهْـداً في ابتغـا ءِ اللّهْوِ ثُمَّ اللَّعِـــــــبِ
أَمِيـلُ للرَّاحَةِ فـــــي الأَعـمْـالِ لا للتَّعَـــــبِ
أَهَـــذِهِ الحَالـــــــة تـرضي يَـا رَفِيـعَ النَّسَبِ
فَيَا أَبَا العَبَّاسِ يَا ذَا الوَرْدِ المُسْتَعْـــذَبِ
أَفْصَحتُ عَنْ حَالِي لِمَجْدِكُمْ بِقَوْلِ مُغْرِبِ[2]

[1] الحسن المعداني، الروض اليانع الفائح..."، ن م 86ج، ص:273-274.

[2] نفسه، ص،107.

خلاصة:

إن اقتران العلم بالتصوف وتلازمهما في منهج الشيخ محمد الصالح، وأسلوبه التربوي والعلمي بدا واضحا من خلال مستواه العلمي المرموق، ووصاياه في العناية بالعلم وحب العلماء ومصاحبتهم ومرافقتهم وخدمتهم والرحلة إليهم، وما تميز به من موهبة شعرية عالية، أبدع بها في مختلف الموضوعات؛ تندرج ضمن الشعر الصوفي، فقوته التربوية والروحية بدت في توسلاته ونصائحه ومدائحه.

لقد بدأ كل ذلك في أسلوبه المميز في التربية الصوفية، بحيث يجمع بين تلقين العلوم وما يغمره من أحوال الذكر ومقام التقوى وروح الدعابة حتى لا يمل الطالب من جلسات العلم وكثرة الأوراد. وهذا ينم عن شخصية متميزة قل نظيرها في عهد الشيخ.

إن قوة شخصيته الجامعة بين العلم والتصوف والعطاء التربوي جعلته نموذجا يستفاد منه في مجال مناهج التعليم والتربية والتكوين، وخاصة وأنه أسلوب جمع بين الجدية والصرامة اللازمة، وبين التواصل والانفتاح المرافق للعملية التعليمية عامة. وهذا ما يدفعنا إلى التنقيب عن مثل هذه الأساليب في بطون هذه الأمهات واستثمارها حاليا في تطوير مناهج التدريس وأساليبه في منظومتنا التربوية.

المبحث الرابع: تكوينه الصوفي وأسانيده وكراماته:

المطلب الأول: تكوينه الصوفي وأسانيده:

نشأ الشيخ محمد الصالح في بيئة دينية وعلمية، غلب عليها التصوف والصلاح، وكان حريصا على أخذ العلم وملازمة العلماء." وتتمثل على الخصوص في مظاهر الاهتمام والرعاية التي خصه بها والده باعتباره أحد كبار فقهاء العصر ومتصوفته. فرباه بالصيانة والعفاف والطاعة والديانة وجميل الأوصاف "بالإضافة إلى جو العاصمة مراكش، التي بدأت تعرف حركة علمية وفكرية اقترنت بعودة الاستقرار السياسي والوحدة الداخلية مع الحكم العلوي"[1].

ويصفه العبدوني أنه "كان عالما عاملا صوفيا وإماما صالحا عارفا وليا وسيدا ماجدا تقيا نقيا. ملاذا للمساكين والضعفاء وجميع الخلائق سُنِّيًّا سَنِيًّا لا تأخذه في الله لومة لائم ولا يَحُولُ بينه وبين مولاه حَائِلٌ. وفي ابتداء أمره يقرأ العلم على أبيه وغيره من علماء مراكش، فلاح له بارق الجذب، واختطف حشاه فصار يذهب لزيارة الصالحين وإلى البراري"[2].

يتضح من خلال هذه الإشارات أن الشيخ محمد الصالح قد ربط بين التصوف والعلم بشكل وثيق، فالتصوف عنده بلا علم مكر وخديعة. و"أن التصوف عنده لا يعني في شيء الانقطاع عن تحصيل لقمة العيش بعرق الجبين، والانزواء التام عن مخالطة الناس، بل التصوف اجتهاد وجهاد وممارسة وسلوك، ومعايشة لدروب الحياة وامتحان لها"[3].

وهذا ما أكدته بعض المصادر: "إن الشيخ محمد الصالح بقدر ما يمثل في شخصه جانبا مهما من ثقافة عصره، يعتبر نموذجا لكبار شيوخ التصوف آنذاك، الذين جمعوا

---

[1] أحمد بوكاري، الزاوية الشرقاوية، ج 1/ 103.

[2] محمد العبدوني، يتيمة العقود الوسطى، ص: 19 (أ) (ب).

[3] أحمد بوكاري، الزاوية الشرقاوية، ج 1/ 217.

بين العلم الظاهر والباطن (علم الشريعة وعلم الحقيقة)، قدوته في ذلك كبار الأشياخ أمثال: الحسن اليوسي، ومحمد بن ناصر، وأبو سالم العياشي وغيرهم"[1].

أخذ عن والده طريق المصافحة التي تتميز بسند عال، وهو سند يقول عنه الحسن المعداني: "قليل الوجود، مشتمل على نحو العشرين من أهل المراقبة والشهود، الأجلة الأعلام، الذين يحسن بهم الاقتداء"[2].

وقد أورد الحسن المعداني هذا السند، يقول: **"إن بين كفي وكف المصطفى نبينا وسيدنا ومولانا محمد ﷺ عشرين كفا لا غير**، وذلك أنه صافحني السني السني الشيخ الصوفي أبو محمد سيدي محمد بن سعيد المِرَغْثِي بحضرة مراكش، قال: صافحني الإمام الحافظ شيخنا أبو محمد عبد الله بن علي بن طاهر الحسني[3]، قال: صافحني الشيخ أبو العباس أحمد المنجور الفاسي[4]، قال: صافحني الإمام شيخنا زين الدين أبو زيد عبد

---

[1] أحمد بوكاري، الزاوية الشرقاوية، ج 1/ 106.

[2] الحسن المعداني، "الروض اليانع الفائح..."، ن م، 86 ج، ص: 57.

[3] أبو محمد عبد الله بن علي بن طاهر الحسني السجلماسي، أحد حفاظ المغرب وأعلامه، عالم متبحر، إمام في العلم والعمل والدين، وكان آية الله في حفظ السيرة النبوية، والتحقيق، والزهد، والورع، وله اعتناء بتفسير القرآن، وألف في علوم القرآن كتابا سماه: "الدر الأزهر، المستخرج من بحر الاسم الأظهر"، وله ديوان شعر في الأمداح النبوية. قرأ على الشيخ محمد عبد القادر بن علي الفاسي، وسمع عليه جملة من صحيح البخاري، والشفا والشمائل، والتفسير، والرسالة وغير ذلك، وتوفي سنة 1045هـ.ترجمته في: ابن القاضي، درة الحجال في أسماء الرجال، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث، القاهرة، الطبعة الأولى، 1391هـ-1971م، ج60/3؛ وعبد الله بن محمد الفاسي، الأعلام بمن غبر من أهل القرن الحادي عشر، ص: 258-259؛ ومحمد الإفراني، صفوة من انتشر، ص: 40-42؛ ومحمد القادري، نشر المثاني، ج 1/321-330؛ ومحمد القادري، الإكليل والتاج، ص: 398-399؛ وعبد الحي الكتاني، فهرس الفهارس، ج1/469-471.

[4] أبو العباس أحمد بن علي بن عبد الرحمان المنجور، كبير فقهاء المغرب الأقصى في أواخر القرن العاشر الهجري، ولد بفاس ولد عام 929هـ، ونشأ وأخذ عمن كان بها من علماء وفقهاء، كعبد الرحمان سقين العاصمي وعبد الواحد بن أحمد الونشريسي وعلي بن هارون المطغري وعبد الوهاب الزقاق. له تصانيف عدة منها: حاشيتان على شرح السنوسي لعقيدته الكبرى وفهرستان كبرى وصغرى، توفي سنة 995هـ .. ترجمته في: ابن عسكر الشفشاوني، دوحة الناشر، تحقيق محمد حجي، منشورات المركز الثقافي المغربي، الدار البيضاء، الطبعة الثالثة، 1424هـ-2003م، ص: 57؛ وابن القاضي، درة الحجال، في أسماء الرجال، ج1/156-163؛ ومحمد القادري، نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، تحقيق محمد حجي وأحمد التوفيق، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة

الرحمان بن علي بن سُقّين[1]، قال: صافحني شيخ الإسلام أبو يحي زكريا الأنصاري الشافعي[2]، قال: صافحني الإمام شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر[3]، قال: صافحني

والنشر، سلسلة التراجم(3)، ج1/55-56؛ وأحمد الحضيكي، طبقات الحضيكي، ج1/32-34؛ وابن مخلوف، شجرة النور الزكية، ج1/415-416؛ وعبد الله كنون، النبوغ المغربي في الأدب العربي، ج1/250-251.

[1] أبو زيد عبد الرحمان بن علي بن أحمد العاصمي السفياني القصري، ثم الفاسي عرف بسقين. ولد سنة 873هـ . وكان فقيها، محدثا، محققا مشاركا في الفنون من طب وأدب، وعربية وتصوف...ارتحل إلى المشرق، ودخل بلاد السودان، وحج وأخذ علم الحديث بمصر عن القلقشندي وزكريا الأنصاري، والسخاوي، فحصلت له رواية واسعة، ثم رجع إلى فاس، فخطب بجامع الأندلس، وتولى الفتيا. وتوفي بفاس سنة 956هـ . ترجمته في: فهرسة المنجور، تحقيق محمد حجي، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر الرباط،1396هـ-1976م، سلسلة الفهارس (1)، ص: 59؛ وابن القاضي، جذوة الاقتباس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1973م، ص: 407؛ وأحمد بابا التنبكتي، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، تحقيق محمد مطيع، 1421هـ-2000م، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ج1/283-284؛ ومحمد الكتاني، سلوة الأنفاس، ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء الصلحاء بفاس، تحقيق عبد الله الكامل الكتاني، وحمزة بن محمد الطيب الكتاني ومحمد حمزة بن علي الكتاني، دار الثقافة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1425هـ-2004م، ج2/180-182؛ ومحمد الحجوي، الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، ابتدئ طبعه بمطبعة إدارة المعارف بالرباط، عام 1340هـ، وكمل بمطبعة البلدية بفاس، في ربيع عام 1345هـ، ج4/102 وعبد الحي الكتاني، فهرس الفهارس، ج 2/ 987-988.

[2] أبو يحي زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، السنيكي، المصري الشافعي، ولد بسنيكة سنة 826هـ، ونشأ بها، ثم تحول إلى القاهرة، فقطن الأزهر. وكان عالما في الفقه والفرائض والتفسير والقراءات والتجويد والحديث والتصوف والنحو، وتوفي سنة 926هـ. من تصانيفه الكثيرة: "تحفة الباري على صحيح البخاري"، و"شرح مختصر المزني في فروع الفقه الشافعي"، و"فتح الرحمان" وغيرها ترجمته في: عبد الرحمان السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار الجيل، بيروت، ج 3/234-238؛ وجلال الدين السيوطي، نظم العقيان في أعيان الأعيان، المكتبة العلمية- بيروت، ص: 113؛ ومحمد الغزي، الكواكب السائرة، وضع حواشيه خليل المنصور، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ،1418هـ-1997م، ج1/198-208؛ وعبد القادر العيدروس، النور السافر عن أخبار القرن العاشر، تحقيق أحمد حالو ومحمود الأرناؤوط وأكرم البوشي، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، 2001م، ص 172-179؛ ومحمد الشوكاني، البدر الطالع في محاسن من بعد القرن السابع، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ج 1/252-253؛ والزركلي، الأعلام، ج 3/ 46-47؛ وكحالة، معجم المؤلفين، ج 4/182.

[3] أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن أحمد الشهاب أبو الفضل الكناني العسقلاني القاهري الشافعي المعروف بابن حجر، الحافظ الكبير الشهير الإمام المنفرد بمعرفة الحديث وعلله. ثم حفظ العمدة وألفية الحديث للعراقي ومختصر ابن الحاجب في الأصول. ومن مصنفاته "فتح الباري"، توفي سنة 852هـ، ترجمته في: محمد الشوكاني، البدر الطالع، ج1/87-92.

الزين العراقي[1] وصافحني الشيخ رضوان المُسْتَمْلِي[2]، قالا: صافحنا الشريف أبو طاهر الربعي، قال صافحني أبو إسحاق القَطِّي وأنا في الرَّبْعَةِ[3]، قال: صافحني النجيب أبو عبد الله الخولي، قال: صافحني أبو المجد القزويني، قال: صافحني القاضي أبو الحسن علي بن محمد بن إسماعيل بن أبي زرعة[4]، قال: صافحني أبو منصور عبدالرحمن بن عبد الله البزاز[5]، قال: صافحني أبو محمد عبد الملك بن محمد بن نجيد بن عبد الكريم البغوي بها، قال: صافحني أبو القاسم بن حميد بن عبدان المنجبي بحلب، قال صافحني محمد[6] بن سعيد بن سنان المنجبي، قال: صافحني أحمد بن دهقان، قال: صافحني خلف بن تميم، قال: دخلنا على هرمز نعوده فصافحنا قال: دخلنا على أنس بن مالك ﵁نعوده، فصافحنا، وقال: **صافحت بكفي هذه كَفَّ رسول الله ﷺ، فما مَسَسْتُ خزًّا ولا حريرا أَلْيَنَ من كفه ﷺ**[7].

---

[1] عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحيم بن أبي بكر بن إبراهيم بن الزين أبو الفضل الكردي الأصل الشافعي المعروف بالعراقي، ولد سنة 725هـ بمصر، وتصدى للتصنيف والتدريس، ومن مؤلفاته: "تخريج أحاديث الأحياء والألفية في علم الحديث وشرحها"، ونظم منظومة في السيرة النبوية وأخرى في غريب القرآن، كان عالما بالنحو واللغة والغريب والقراءات والفقه وأصوله غير أنه غلب عليه الحديث، فاشتهر به وانفرد بمعرفته، توفي سنة 806هـ. ترجمته في: محمد الشوكاني البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن 7، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ج 1/354-356.

[2] أبو نعيم المستملي هو الزين رضوان بن محمد العقيلي. ولد سنة 769هـ بالجيزة، وظهر دروس البلقيني وابن الملقن وآخرين وهو تلميذ الحافظ بن حجر. توفي سنة 852هـ. ترجمته في: محمد السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج3/226.

[3] الربعة: من حصون ذمار باليمن للعبيد، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، مادة "ربيع".

[4] أحمد بن عبد الرحيم العراقي: أبو زرعة الإمام العلامة الفقيه الحافظ الأصولي ذو الفنون، ولد في سنة 762هـ. من مؤلفاته: شرح "البهجة والنكت ومختصر المهمات"، وشرح "جمع الجوامع"، وشرح "تقريب الأسانيد"، توفي سنة 826هـ. ترجمته في: محمد القادري، الإكليل والتاج، ص131.

[5] في مرآة المحاسن، "الفزاري"، ص 301

[6] في مرآة المحاسن، "عمر"، ص 301.

[7] نفسه، ص: 57.

وقد **أجازه والده فيها** إذ يقول: "وقد أجزت ولدنا محمد الصالح في المصافحة وصافحته فليروها عني بهذا السند، وليحمد الله تعالى الذي من علينا وعليه بذلك، وليدع لنا بخير"[1].

وأخذ أيضا عن والده **طريق المشابكة بسندها**[2]، وأخذ عنه عقيدة الشيخ الجليل العارف بالله تعالى السيد الأصيل، شيخ والده سيدي محمد ابراهيم التاملي، فقد كان شيخا إماما عالما هماما صاحب الأسرار والفيض الغزير"[3].

وأخذ أيضا "الطريق الخَضِرية عن والده عن شيخه بطريق خاصة بأعيان الخاصة، عن صفي الأولياء أبي العباس سيدي أحمد الخضر عليه السلام. وأخذها سيدي أحمد عن سيد المرسلين وخاتم النبيين سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وعلى آله الطيبين وأصحابه الطاهرين. فهذه طريقة عالية السند، غزيرة المدد، عزيزة الوجود، كثيرة الفضل والجود، ولا ينكر فضلها، وقلما يوجد مثلها"[4].

وأخذ أيضا عنه **طريق جده القطب الكامل**، مربي المريدين، ونخبة المجذوبين والسالكين، أستاذ الطريقة، وسلطان أهل الحقيقة أبو عبد الله سيدي محمد الشرقي؛ يقول الحسن المعداني: "وأما طريق الشيخ سيدي محمد الشرقي ﷺ، تباعية جزولية، وطريقة الشيخ سيدي محمد الجزولي شاذلية وهي الشائعة بالمغرب"[5]. "وذلك لبساطة تعاليمها، والتزامها بالكتاب والسنة، وابتعادها عن مظاهر الغلو والتفلسف. إذ أنها تستمد منابعها من مدرسة وتصوف أبي القاسم الجنيد السني"[6]. كما أكد ذلك الشيخ الشرقي لأصحابه:

---

[1] الحسن المعداني، "الروض اليانع الفائح..."، ن م، 86 ج، ص: 58.

[2] نفسه، ص: 58.

[3] نفسه، ص: 58.

[4] نفسه، ص:58.

[5] نفسه، ص: 59.

[6] أحمد بوكاري، الزاوية الشرقاوية، دار علم ودين وصلاح، ص: 49.

اللِّي بْغَى اتعنَّى ويكونْ مِنَّـــــا اتْبَعْ طْرِيقْ السُنّة يَبَابَـــــا[1]

ويعتبر سند الزاوية الشرقاوية في الجزولية الشاذلية من أعلى الأسانيد؛ لكون الشيخ المؤسس أخذها عن والده أبي القاسم الزعري الذي أخذ عن الشيخ التباع، وهذا عن الشيخ الجزولي، مما جعل هذا السند من أعلى الأسانيد.

ويبين صاحب الروض اليانع الفائح طريقة الشيخ الجزولي وفضائلها يقول :" وطريقة الشيخ الجزولي شاذلية، فهي طريقة فاضلة مفضلة"[2]. كما ذكر اتصال الشيخ الجزولي بالشيخ أبي الحسن الشاذلي. فقال: "إن الشيخ الجزولي أخذ عن الشيخ أبي عبد الله أمغار، عن الشيخ أبي عثمان سعيد الهرثاني، عن الشيخ سيدي عبد الرحمن الرجراجي، عن الشيخ أبي الفضل الهندي، عن الشيخ سيدي عنوس البدوي، عن الشيخ سيدي أحمد القرافي، عن الشيخ أبي عبد الله المغربي، عن القطب سيدي أبي الحسن الشاذلي"[3].

فقد استعرض المؤلف مقصورة أبي العباس أحمد بن فتوح التازي. ومطلعها:

[الرجز]

وَهْـوَ عَـنِ القُـطْـبِ الشَّـهِيـرِ فَضْلُهُ الجَـزُولِـيِّ الحَبْـرِ نُخْبَـةِ العُـلاَ
وَقَـدْ رَوَى مِـنْ بَحْـرِ شَيْـخِ هَـاشِـمِ أَبـِي اللهِ المَـغَـارِي الـمُـرْتَـضَى
عـن شَيْـخِـهِ أَبـِي عُـثْمَانَ فاسْتَغِثْ بِـجَـاهِـهِ تَـنَـالُ عِـزّاً وَارْتِـقَا
وَهْـوَ عَـنِ الشَّـيْـخِ الإمَامِ الرّجْرَاجِـي عَـبْـدِ الرَّحِيمِ اللَّيْتِ تَـارِكِ الدُّنَا
عَنْ شَيْخِهِ الهِنْدِي أبي الفَضْلِ الَّذِي قَـدْ فَـاحَ مِـنْ زَهْـرِ رِيَاضِهِ شَذَا[4]

---

[1] أحمد بوكاري، الزاوية الشرقاوية، دار علم ودين وصلاح، ص 143.

[2] الحسن المعداني، "الروض اليانع الفائح..."، ن م، 86 ج، ص: 67.

[3] نفسه، ص: 59

[4] نفسه، ص، 60.

وقد جاء في كتاب "الروض اليانع الفائح..." عن أبي عبد الله القصار: "كان سيدنا محمد بن سليمان الجزولي على محبة عظيمة له ﷺ، فقد قيل فضلتك على أهل عصرك بكثرة صلاتك على حبيبي محمد ﷺ، وسادتنا الشاذلية مخصوصون بزيادة محبة فيه ﷺ، لأن طريقهم مبنية على كثرة الصلاة عليه، ﷺ، وهي تفيد ذلك"[1].

كما أن تلميذ الحسن الشاذلي، وهو أبو العباس المرسي، يقول: "لو حجب عني رسول الله ﷺطرفة عين ما عددت نفسي من المسلمين"[2].

وتفيد مصادر الزاوية أيضا الى أن مريدي الزاوية كانوا يواظبون على قراءة كتاب "دلائل الخيرات" للإمام الجزولي، باعتباره حجر الأساس في أذكار الزاوية ،يتضمن أحزابا في ذكر الله، يشتمل على أدعية نبوية وابتهالات واستغفارات بعضها من إنشاء أشياخ الزاوية.

وكانت طريقة قراءته زمن الشيخ محمد الصالح على الشكل الآتي، كما أخذها العبدوني، قال: "فيتم قراءة "دلائل الخيرات" ثلثه يوم السبت، ويوم الأحد ثلثه، ويوم الاثنين يتم ختمه. ثم تستأنف قراءته من جديد يوم الثلاثاء، حيث يقرأ منه الثلث، ويوم الأربعاء الثلث، ويوم الخميس يتم ختمه، ويوم الجمعة يختمه كله. وهذه الطريقة هي سنة المشايخ من أصحاب الجزولي إلى وقتنا هذا. **وهكذا أخذته عن الشيخ سيدي محمد الصالح رحمه الله بهذه الكيفية"**[3]. أما فيما يتعلق "بحزب الفلاح" فقد أفصح عنه الفقيه محمد بن عبد الكريم العبدوني، عندما سأل شيخه محمد الصالح عن ورد الشيخ الشرقي، قال: "سألت شيخنا ووسيلتنا إلى ربنا الشيخ الإمام، القدوة الهمام، العالم العارف، الناصح أبا عبد الله سيدي محمد المدعو بالصالح بن المعطى عن ورد الشيخ الرباني سيدي محمد الشرقي، الذي ترك لأصحابه بقصد أن آخذه عليه، فقال لي: يا ولدي ما ترك لهم إلا حزب الفلاح، يقرؤونه صباحا ومساء، زيادات عليه أي على حزب الفلاح، من عند أشياخ سيدي محمد الشرقي ومن عنده، زادوها على حزب الفلاح،

---

[1] الحسن المعداني، "الروض اليانع الفائح..."، ن م، 86 ج، ص68.

[2] نفسه، ص: 69.

[3] محمد العبدوني، يتيمة العقود الوسطى، ص: 101 (أ).

فصار مجموع ذلك حزبا، وهو حزب الشيخ الشرقي الكبير الذي يقرؤونه أصحابه يبدؤونه بحزب الفلاح ويزيدون عليه ذلك...

وأما ورده المعلوم الذي ترك لهم الشيخ سيدي محمد الجزولي فهو حزب الفلاح، وأوله:

توكلت على الحي الدائم الذي لا يموت. فأخذته عن سيدي محمد الصالح. وقال لي: قال الأشياخ: ما أفلح من أفلح إلا بقراءة حزب الفلاح، وقال لي: وردهم الذي ترك لهم سيدي محمد بن سليمان الجزولي مع دلائل الخيرات يقرؤونه على قدر ما استطاعوا...

فيقرأ بعد صلاة الصبح، ولازال من ينتسب إلى الشيخ الجزولي وأتباعه كالشيخ عبد العزيز التباع إلى وقتنا هذا يقرؤونه على هذه الحالة[1].

واعتبارا لهذا المنحى السني للطريقة الجزولية الشاذلية، فإن المغاربة تمسكوا بها وتأدبوا بآدابها وأخلاقها، علماء، وفقهاء، وصلحاء... وهذا ما صرح به الدارسين يقول:

"وكان للشيخ الجزولي وتلامذته أمثال الشيخ عبد العزيز التباع وسيدي محمد الغزواني وأبي عبيد الله الشرقي، فضل إحيائها وتجديد رسومها ومعالمها، حتى كادت تكون الطريقة الوحيدة في البلاد إلى جانب المذهب المالكي في الفقهيات والمذهب الأشعري في المعتقدات"[2].

فأما **التباعية الجزولية**، فأخذها عن "أحمد بن عبد القادر التستاوتي، عن سيدي محمد المفضل، عن محمد الحفيان الرتبي الفلالي، عن محمد الشرقي، عن عبد الله بن ساسي، عن عبد الله الغزواني، عن عبد العزيز التباع الحرار المراكشي، عن محمد الصغير السهيلي السفياني، عن الشيخ أحمد زروق؛ على ما ذكر الصالح أحمد بن أبي القاسم التادلي الصومعي"[3].

---

[1] محمد العبدوني، يتيمة العقود الوسطى، ص: -100 (ب) -101 (أ).

[2] أحمد بوكاري، الزاوية الشرقاوية، دار علم ودين وصلاح، ص: 51.

[3] محمد العبدوني، يتيمة العقود الوسطى، ص: 77 (أ).

وأما **الطريقة الناصرية الغازية**، فأخذها الشيخ محمد الصالح، "عن شيخه أحمد بن ناصر، عن أبيه محمد بن ناصر، عن أحمد بن إبراهيم عن عبد الله بن حسين الرقي، عن أحمد بن علي الحاجي، عن سيدنا الغازي بن أبي القاسم، عن أبي الحسن علي بن عبد الله السجلماسي، عن أحمد بن يوسف الملياني، عن أبي العباس زروق ،عن أبي العباس أحمد بن عُقْبَة الحَضْرَمي، عن أبي زكريا يحيى بن أحمد القادري، عن أبي الحسن عليٍّ بن وَفَا، عن أبي عبد الله محمد بن وفا، عن أبي سليمان داوود الباخلي، عن أبي العباس أحمد بن عبد الكريم بن عطاء الله، عن أبي العباس المرسي، عن أبي الحسن علي بن عبد الله الشاذلي.[1]"

بعد وفاة الشيخ أبي عبد الله محمد بن ناصر الدرعي عام 1085هـ. خلفه ابنه أحمد بن محمد بن ناصر في تسيير شؤون الزاوية الناصرية. إلا أن الاتصال بين الزاويتين "قد حدث في عهد الشيخ محمد المعطي بن عبد الخالق حفيد أبي عبد الله الشرقي (المتوفى 1092هـ)، ذلك أن شيخ الزاوية الناصرية آنذاك أرسل إلى ابن عبد الخالق يدعوه لصحبته والانخراط في سلك طريقته، فأجابه هذا الأخير، بأنه قد أدرك غايته في طريق القوم، ولم يعد يحتاج إلى أحد"[2].

وستعرف العلاقة بين الشيخين أحمد بن ناصر ومحمد الصالح الشرقاوي، فيما بعد، تطورا ملحوظا انتهت بانتساب الشيخ محمد الصالح إلى الطريقة الناصرية؛ حيث "كان الشيخ محمد الصالح يعظم شيخه هذا ويثني عليه في المحافل، وإذا ذكر عنده تضاءل عند ذكره"[3].

وكانت بينهما أيضا مكاتبات؛ أورد منها الحسن بن محمد الهداجي المعداني، أربع رسائل بعث بها الشيخ أحمد بن ناصر إلى الشيخ محمد الصالح جوابا عن رسائله. تمخض عنها طلب الشيخ محمد الصالح الانخراط في طريقته، وتلقين أورادها، فلبى طلبه الشيخ أحمد بن ناصر، وقال له: "فقد ورد علينا كتابك فتلقيناه بالقبول

---

[1] الحسن المعداني، الروض اليانع الفائح...، ن م 86ج، ص:97-98.

[2] أحمد بوكاري، الزاوية الشرقاوية، ج 168/1.

[3] الحسن المعداني، "الروض اليانع الفائح..."، ن م، 86 ج، ص: 76.

والإقبال... وما ذكرت أنك أردت الدخول في الزمرة الناصرية، مرحبا بك وأهلا وسهلا، صحح التوبة بشروطها، وقل كل يوم (استغفر الله) مائة مرة. اللهم صل على سيدنا محمد النبي الأميّ وعلى آله وصحبه وسلم تسليما مائة، لا إله إلا الله (ألف مرة) عند تمام كل مائة محمد رسول الله ﷺ ووقته من صلاة الصبح اليوم إلى صلاة صبح الغد، وما بين ذلك وقت واسع، وأفضل أزمانه ما بين صلاة الصبح وطلوع الشمس، وما استطعت أن تصنعه في ذلك الوقت فاصنعه، وما لم تستطع صنعه في ذلك الوقت فأخره حتى تتفرغ له، ولا يضر تفرقه، وقُلْهُ في أي حالةٍ من جلوس وقيام ومشي ورُقاد ووضوء وبغير وضوء، إلا أن الكمال الوضوء وعدم الكلام، والأَوْلَى حضور القلب، والتفكر حين الاشتغال به، والإتيان به على الهيئة المذكورة... ونحن نحبك في الله تعالى وأنت بضعة منا يسرنا ما يسرك ويسوؤنا ما يسوؤك، فالله الله في دينك وفي الاشتغال بما يعنيك، الدنيا وراء ظهرك وراقب مولاك في السر والعلانية، والله يتولى هداك"[1].وجاء في "الروض اليانع الفائح...": **"ومن جاءك طالبا للورد علمه كما علمت، جعلنا الله وإياكم من المقبولين"**[2].

ولم تتوقف همة الشيخ محمد الصالح العلمية والصوفية عند هذا الحد، بل انه سعى لطلب الانخراط في طريقة الشيخ أبي عبد الله محمد بن سعيد الهبري، بواسطة أحد أخص أتباعه وأصحابه وهو سيدي أحمد بن الطالب.

وهذا ما أشار اليه صاحب "اليتيمة"، قال: "ومن أشياخه الشريف المجذوب، والولي المحبوب، مولاي أحمد بن الطالب، من أصحاب سيدي محمد بن سعيد الطرابلسي الهبري القطب، وهو خليفته، وكان هبط من بلاده إلى المغرب، فلما وصل إلى أخيه في الشيخ سيدي صالح عرض له سيدي المعطى، وقال له: لقنه ورد الشيخ محمد بن سعيد، **فَمِنْ فَمِكَ إلى فَمِهِ**، فلقَّنَهُ مولاي أحمد الأوراد، وأذن له في تلقينها لعباد الله.

---

[1] الحسن المعداني، "الروض اليانع الفائح..."، ن م، 86 ج، ص:77

[2] نفسه، ص: 78.

وتلك الأوراد أسماء من أسماء الله الحسنى، وكان تلقينها من الشيخ سيدي المعطى للناس قليل"[1].

وأخذ **الطريقة الهبرية بالمراسلة** عن الشيخ أبي عبد الله محمد بن سعيد الطرابلسي الهبري، قال صاحب "الروض اليانع الفائح...،" في هذا الصدد **"أخذ عن شيخه الطريقة الهبرية بالمكاتبة والمراسلة من غير ملاقاة أجسام**... وكان الشيخ الصالح يعطي ورد هذا الشيخ ويلقنه لبعض الخصوص بإذن منه بيده مسطر منصوص"[2].

وفي هذا الاطار يقول محمد بن سعيد الهبري: "ونحن أجزنا لك في الإعطاء فإذا أعطيته ففوض أمرك للمعطى إليه، واجعل دليل الحق فيه، وحسن نيتك في الوصول إلى الله وقت العلائق وقطع العوائق، ولا تصاحب إلا من كان فيه قابلية، ولا تعطها لغير أهلها فتظلمها، لأن لله أقواما لا يصلحون للترقية إلا لقبول الزيادة لقصورهم على الصوم والصلاة..".[3].

نستشف مما سبق أن الشيخ محمد الصالح نهل من طرق وأسانيد وأوراد علمية وصوفية متعددة المشارب، وأخذ عن علماء ومتصوفة كبار جعله يتبوأ مرتبة سامية حددها الحسن المعداني في مرتبة الاوتاد[4]. وهناك من ينعته بالقطبانية، يقول صاحب اليتيمة: "حاصل الأمر إنه هو القطب الذي عليه في حل المشكلات العمل وإليه في المهمات الالتجاء والمُعَوَّلِ. وقد ورث القطبانية من شيخه سيدي محمد بن سعيد الهبري الطرابلسي، وسمع منه في مراسلته أنه قال: "إني واقف بباب الله على قدم السموات بلسان الشريعة وأنت بضعة مني، إِذْنُكَ إِذْنِي وحالك حالي، ولسانك لساني. وقد كان محمد بن سعيد يصرح بالقطبانية بلسانه"[5].

---

[1] محمد العبدوني، اليتيمة، ص: 65 (ب).

[2] الحسن المعداني، "الروض اليانع الفائح..."، ن م، 86ج، ص: 101.

[3] نفسه، ص: 103.

[4] نفسه، ص:164

[5] محمد العبدوني، يتيمة العقود الوسطى، ص: 22 (ب).

ولذلك **اشتهر متصوفا أكثر منه عالما"**، فكان كثير التلاوة لكتاب الله، كثير الذكر والسماع، زاهدا متقشفا، سخيا كريما، منفقا إنفاق من لا يخاف الفقر"[1].

وقد شهدت الزاوية في عهد هذا الشيخ الصالح شهرة وإشعاعا على المستوى الصوفي والعلمي والثقافي، بحيث أسهمت في إشاعة التعاليم الإسلامية بمنطقة تادلا خاصة وبمختلف المناطق والجهات عامة. ثم إنها كانت معبرا جغرافيا ممتدا، ونقطة ربط وصلة بين مختلف التيارات الفكرية السائدة في شمال البلاد وجنوبها؛ قال صاحب "اليتيمة" **"إن أكثر بلاد الله أولياء تادلا في الغالب، وأن الأولياء يفرون إليها من أوطانهم كما تفر الإبل إلى بلد الرعي"**[2].

المطلب الثاني: كراماته:

تعتبر الكرامة في الفكر الصوفي، مفتاحا يستعمله الباحث المدقق في الكشف عن مجموعة من القضايا المرتبطة بموضوع الكرامات. ومن جملة هذه القضايا معرفة المستوى السلوكي والروحي للشيخ الصوفي من جهة، من خلال معيار التقوى الذي هو دين علماء التصوف في تربيتهم لأنفسهم ولمريديهم، وهو مسلكهم في القرب من الحضرة الربانية العالية. ومن جهة ثانية فان الكرامة تعتبر مدخلا لرصد العلاقات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية بين شيوخ طرق الصوفية المتصفين بكرامات معينة وبين مختلف أفراد المجتمع وطبقاته.

ويعد كتاب "الروض اليانع الفائح..." من المؤلفات العلمية التي خصصت قسطا وافرا للحديث عن كرامات الأولياء الصالحين ومناقبهم؛ لأن قضية كرامات الأولياء والصالحين من بين أكثر القضايا التي نالت نصيبا كبيرا من الجدل في تاريخ الفكر الإسلامي.

---

[1] ينظر: أحمد عمالك، مادة "الشرقاوي، محمد الصالح"، معلمة المغرب، الجزء 16، ص: 5345-5346.

[2] محمد العبدوني، يتيمة العقود الوسطى، ص: 21 (ب).

يقول المؤلف "إن كراماته لم تجتمع قبل هذا في كتاب، ولا تعرض لها أحد من أهل العلم وذوي الألباب"[1].

وقد استعرض فيه كرامات الصحابة، والأولياء الأعلام، وكرامات الشيخ محمد الصالح، وبعض الشيوخ المترجم لهم، بحيث وردت أكثر من مائتين وسبعين كرامة من بينها مائتين وعشرة كرامات للشيخ محمد الصالح.

وقد عرف الكرامة قائلا: "فاعلم أن الكرامة إنما هي من مواهب الله لأوليائه، ومن فتوحاته لأحظيائه وأصفيائه، تأييدا لهم ليزدادوا إيمانا بالقدرة الأزلية، ويقينا بالحكمة المولوية، لأنها كشف للقدرة بخوارق العادات والتصرف في الممكنات والمكونات"[2].

ثم ينتقل للحديث عن أصلها باعتبارها من "صفاء القلب إما أن يكون ذلك بجاذب إلهي من نور يقذفه الحق سبحانه في قلب من سبقت له عنايته، وغمرته هدايته، فيطهره ويصفيه ويجذبه إلى حضرته ويصطفيه، ويطلعه على مكنون غيبه، ويشاهد عجائب الملك والملكوت"[3]. وبعد ذلك يبين الحكمة في صدورها وهي "تقوية المريدين وتربية السالكين وتكون كمالا للمحبوبين ونظرة للمظلومين، وحماية للمنتسبين، وإلا فالمراد بها إنما هو حصول اليقين بالله"[4].

كما أنه خصص فصلا تناول فيه الفرق بين المعجزة والكرامة والسحر، فقال "اعلم أن المعجزة هي فعل الله تعالى الخارق للعادة المقارن لدعوى الرسالة متحدا به قبل وقوعه غير مكذب"[5]. والكرامة "أمر خارق للعادة غير متحد به ولا مقارن لدعوى النبوءة ظهر على يد من عرفت ديانته واشتهرت ولايته باتباع نبيه في جميع ما جاء به"[6]. "والسحر أمر خارق للعادة مطرد الارتباط بسبب خاص به"[7].

---

[1] الحسن المعداني، " الروض اليانع ...،"ن م، 86 ج، ص123.

[2] نفسه، ص: 14.

[3] نفسه، ص: 14.

[4] نفسه، ص: 15.

[5] نفسه، ص: 34.

[6] نفسه، ص: 34.

[7] نفسه، ص: 34مكرر1.

ومما يوضح أهمية الكرامة في كشف معطيات الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية، هذه النماذج من الكرامات الواردة في هذا المؤلف لكونها تعج بمعطيات عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي كانت سائدة، بمنطقة تادلا ووردیغة والشاوية ودكالة **إبان فترة السلطان العلوي المولى إسماعيل وبعدها**. ومن نماذج تلك الأبعاد ما يأتي:

- **مسألة إطعام الطعام:**

شكلت عملية الإطعام أحد خصائص الزاوية الشرقاوية، إذ فاقت شهرتها في ذلك المستوى المحلي. فقد كان الشيخ محمد الشرقي أكثر شيوخها حرصا على ذلك. واشتهر بحاتم الطائي يقول العبدوني. "كان يلقب بين الصالحين بحاتم الطائي لكونه أشد بذلا منهم وأكثر سخاء وسماحة وإنعاما"[1]. وأصبحت الزاوية مقصدا لكثير من المريدين والطلاب، ومحجا لذوي الحاجة والمتسولين والمستضعفين، وعابري السبيل ،وهذا ما أثبتته الحسن المعداني على لسان المحجوب العريفي الموسوي قال : "كنت بعد العشاء جالسا مع الشيخ سيدنا الصالح، فإذا سائل ينادي: يا سيدي الصالح، ضرني الجوع، فقال سيدي الصالح لمقدمه المعلم عبد الرحمان السوسي هل عندك شيء من الخبز، وقد فات العشاء؛ أي طعامه، فقال المقدم لا... ثم إن سيدنا الصالح أخرج خبزة كبيرة تعدل أربعا أو خمسا من غيرها من تحته، وقال: اعطوها للسائل"[2]. فقد كان الشيخ محمد الصالح "يطعم في زاويته كل من وفد عليه من العامة والخاصة، مثل الأشراف والعلماء والقواد وأعيان القوم. أما الأشراف والعلماء فكان يطعمهم ما يناسبهم من الدرمك[3]، الخالص أو طحين الرحا مثل الكسكسو، وسَمِيدَةُ الخالص، وبَرْكُوكْشْ بالحليب والسمن والعسل، والخبز العجيب بالزبد والعسل وغير ذلك. وأما المخزن فكل منهم يطعمه على قدر حاله من كسكسو القمح واللحم وخبز القمح والعسل أو الفاكهة. وأما العامة فطعام الدار كيفما يَسَّرَهُ الله من قمح أو شعير ويزيد من السوق الخبز

---

[1] محمد العبدوني، يتيمة العقود الوسطى، ص :34(ب).

[2] الحسن المعداني،"الروض اليانع الفائح..."،ن م،86 ج، ص: 158.

[3] الدرمك الذي يدرمك حتى يكون دقاقا من كل شيء الدقيق والكحل وغيرهما، وكذلك التراب الدقيق درمك. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة "درك."

والتمر."[1] بالإضافة إلى ذلك كانت الزاوية تقوم عند توالي سنوات الجفاف والمجاعة بتقديم "طعام معنوي" قوامه الأدعية والأذكار، وأساليب أخرى من التغذية الروحية تكتسي فيها القيمة الرمزية لعنصر البركة دورا كبيرا. إن ما تجدر الإشارة إليه، إن عملية الإطعام كانت لها أبعاد هامة في دعم النفود الاجتماعي للزاوية وتقويته وسط محيطها. فبواسطة هذه العملية كانت الزاوية تجذب المزيد من الأتباع والمريدين.

- **مسألة التمريض والعلاج:**

وجه الشيخ محمد الصالح عناية كبيرة إلى المجال الطبي. وأصبح الطب من العلوم التي تدرس بالزاوية، وطلب من الشيخ عبد القادر بن شقرون أن يضع له أرجوزة تحتوي على فوائد ونصائح طبية في أنواع الأكل والمشروبات والملبوسات.

واشتهر الشيخ محمد الصالح بين الناس بتقديم خدمات طبية لأتباع الزاوية وجاء في "الروض اليانع الفائح..."، عن سيدنا المعطى، قال: "ورد على الشيخ رجل من أهل فاس، ومر في طريقه بمدينة سلا، وأتى معه بإناء خلٍّ من سلا، وبه المرض الكبير المسمى عند العامة بالبيبش عاذنا الله منه، فلما جلس بين يدي الشيخ، قال له: أنتم أهل المدينة تحبون الخلّ وتجعلونه في أمتعتكم، يشير له لما قدم به معه من الخل، فلم يتفطن الرجل لمراد الشيخ، ثم قال له: أين الخَلُّ الذي قدمت به معك ايتني به نحتاجه للمرض، فقال له الرجل: والله ما علم به أحد عندي ولا أخبرت به أحدا. ثم خرج وأتى به للشيخ، فأمر الشيخ مقدم الزاوية يأتيه بطعام للرجل، فأتى له بخبز وعسل وإناء ماء، فقال الشيخ للرجل: كل واشرب، فجعل الرجل كلما أكل لقمةً شَرِبَ شَرْبةً، ثم ودعه الشيخ صباحا، فلما كان في أثناء الطريق عرق عرقا شديدا، فلم يأت اليوم الذي بعده إلا وقد برئ الرجل"[2].

---

[1] محمد العبدوني، يتيمة العقود الوسطى، ص12(ب)،13(أ).

[2] الحسن المعداني، "الروض اليانع الفائح..."، ن م،86 ج، ص176.

- **مسألة الشفاعة والوساطة:**

تشير بعض المصادر المناقبية والإخبارية إلى أن شيوخ الزاوية الشرقاوية قاموا بدور كبير في التوسط والشفاعة لدى المخزن من أجل التخفيف من ضغط سياسة الضرائب والكلف المخزنية المفروضة على القبائل والتي كانت أحيانا تعجز عن أدائها، ونستدل على ذلك، ما قام به الشيخ محمد الصالح في وساطته بين القبائل والجماعات والأفراد. يقول الحسن المعداني على لسان الشيخ محمد المعطى "كان القائد أبو يحي الجراري خليفة بدار الأحكام عند الشريف الأجل مولانا أحمد بن إسماعيل بقصبة تادلة، وكان الشيخ يشفع عنده للناس بكتابه أو بصاحبه، ويقبل الحاكم المذكور شفاعته."[1] وإلى جانب أسلوب الشفاعة، مارس الشيخ محمد الصالح أيضا أسلوب الوساطة ونمثل على ذلك ما ذكره صاحب "الروض اليانع الفائح..." قال: "سخط السلطان الأجل مولانا إسماعيل قدس الله روحه، على ولده الشريف مولاي سليمان وحلف له إن رأيتك في هذه البلد حتى نقطع رأسك، ففر الشريف من والده إلى تافلالت وبقي بها سنين متخوفا من والده، ثم بعد ذلك كتب للشيخ سيدنا الصالح يستشيره بما نزل به مع والده، فكتب له الشيخ وأمره بالقدوم على السلطان، فلما وصله الكتاب قدم على مكناسة الزيتون، وتلاقى مع والده ففرح به الغاية وأعطاه جنانا كبيرا بتاورا، وقال لزوجته الحرة المصونة السيدة خناثة أم ولده الأرضى مولانا عبد الله، وكانت من أحظى أزواج السلطان، اجعليه مع ولدك مولاي عبد الله كأنه ولدك. وكل ذلك من بركة الشيخ نفعنا الله"[2].وهناك أمثلة كثيرة مشابهة في موضوعها في هذا الشأن.

---

[1] الحسن المعداني، الروض اليانع الفائح، ن م 86ج، ص:171.

[2] نفسه، ص: 170

- **مسألة الهدايا والفتـوحات:**

وهي كل ما يقدمه مريدو الزاوية وأتباعها، أفرادا وقبائل، من هدايا ممثلة في منتجات فلاحية متنوعة، أو شيء من النقود لشيخ الزاوية؛ تعبيرا عن شكر، إثر طلب دعاء، أو استغاثة مطر، أو شفاء مرض، بفضل بركة دعاء الشيخ؛ يقول: الحسن الهداجي المعداني: "ومن كراماته يعني (الشيخ محمد الصالح): "ما وقع له مع عبد الكبير السميري، أنه دفن قلة من الدراهم بقرب وادي الزم من بلادهم، فتعاهدها مرة، فوجدها قد رفعت من محلها، فأتى الشيخ، فوجده مريضا بداره، فطلب من سيدنا المعطي أن ينهي خبره وما نزل به الشيخ رضي الله عنه، فدخل سيدنا المعطي على الشيخ، وذكر له مقالة الرجل، قال له الشيخ: قل له يذهب للفقيه السيد محمد بن يوسف، فذكر رضي الله عنه للرجل مقالة الشيخ، فقال له الرجل: قل لسيدي: لا أذهب إلى أحد وإنما أتيت لك. فرجع سيدنا المعطى للشيخ، وذكر له مقالة الرجل، فقال له، نفعنا الله به، قل له يذهب إلى الفقيه السيد محمد بن يوسف فإنها بين رجليه، فذكرت مقالة الشيخ للرجل فذهب للفقيه المذكور، والتزم له نحو **الستين أوقية في الفتوح**[1]، وذهب لخيمته فلقيه الخبر بظهور ماله"[2].

- **مسألة الـزيـارة:**

وهي تدل على كل ما يقدمه المريدون والأتباع للشيخ، وفاء للعهد والمحبة له. وقد تكون الزيارة عبارة عن أشياء عينية كالسمن والعسل والصوف، أو بهائم.... وقد تكون الهدية كتابا؛ جاء في "الروض اليانع الفائح..." على لسان الشيخ المعطي عن الفقيه العربي الإسحاقي قال: "أردت زيارة الشيخ سيدنا الصالح رضي الله عنه، فتفكرت فيما أهديه له من كتبي، فقلت في نفسي نأتي بكتاب المستصفى للإمام الغزالي رضي الله عنه"[3]. وأحيانا يكون الاهداء مالا؛ يقول الحسن الهداجي المعداني على لسان الفقيه عبد الله بن الغزواني

---

[1] الفتوح: أعطية تقدم للشيخ أو الفقيه من قبل المريد وطالب العلم تأكيدا للمحبة والرضى، ويسمى بالعامية (الباروك).

[2] الحسن المعداني، الروض اليانع الفائح، ن م 86ج، ص: 132-133.

[3] نفسه، ص:135.

العميري الجباري: "قال كنت ساكنا بآيت عتاب، ثم قدمت لزيارة الشيخ سيدنا الصالح مع جماعة من الطلبة، وكنا جمعنا دراهم لزيارة الشيخ نفعنا الله به، قدرها خمس وعشرون أوقية، ثم أعطانا بعض من له تصرف في الأحكام المخزنية ثلاث أواقي، قال: هذه زيارة الشيخ"[1].

ولبيان أهمية الكرامات وكثرتها وارتباطها بمختلف صور الحياة حينئذ، في المجالات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والعلمية، نوردها مرتبة كما يلي:

أ. الكرامات المرتبطة بالمجال الاجتماعي

الحدث الذي ارتبط بظهور الكرامة	الولي الذي ظهرت على يده	المصدر	الصفحة
- نكبة بني مسكين على يد رجال الباشا الغازي	محمد الصالح الشرقاوي	الروض اليانع	442-441
- اللصوصية بأبي الجعد	محمد الصالح الشرقاوي	الروض اليانع	446-447-470-471-472-497
- السرقة ببلاد زعير	محمد الصالح الشرقاوي	الروض اليانع	447
- اللصوصية ببلاد تادلة	محمد الصالح الشرقاوي	الروض اليانع	450-451
- تعسف القائد عبد الكريم بن رحمون	محمد الصالح الشرقاوي	الروض اليانع	452
فتنة بعض قبائل بني مسكين	محمد الصالح الشرقاوي	الروض اليانع	461-462
خروج أصحاب الأمير أحمد الذهبي لأعشار	محمد الصالح الشرقاوي	الروض اليانع	463-464
اللصوصية ببلاد ورديغة	محمد الصالح الشرقاوي	الروض اليانع	466-467
تخوف الناس من المخزن بتادلا	محمد الصالح الشرقاوي	الروض اليانع	469-477-486-498-550
شدة الخوف في الطريق بين فاس وأبي الجعد	محمد الصالح الشرقاوي	الروض اليانع	473
قدوم المرابطين من أولاد الشيخ أحمد بن أبي القاسم الصومعي الفقيه الصغير بن عبد الرحمان وجماعة من إخوانه الكبار	محمد الصالح الشرقاوي	الروض اليانع	494

[1] الحسن المعداني، الروض اليانع الفائح، ن م 86ج، ص:138.

يشكون على الشيخ بحال بلدهم وإذاية جيرانهم			
مجاعة بأبي الجعد	محمد الصالح الشرقاوي	الروض اليانع	496-497-523-583
خوف الأغنياء على أموالهم	محمد الصالح الشرقاوي	الروض اليانع	501
مرض الشيخ وعدم قدرته	محمد الصالح الشرقاوي	الروض اليانع	466-505-527
سرقة بعض التجار بأبي الجعد	محمد الصالح الشرقاوي	الروض اليانع	501-511
ديون ترتبت على المرابط محمد بن محمد بن عبد الرحمان الصومعي وخوفه من القائد موسى الجراري	محمد الصالح الشرقاوي	الروض اليانع	517-518
قطع الطرقات على المارة ببلاد الشاوية	محمد الصالح الشرقاوي	الروض اليانع	535
خوف الناس من المخزن ببلاد ورديغة	محمد الصالح الشرقاوي	الروض اليانع	545
قطع الطرقات من قبل عبيد السلطان	محمد الصالح الشرقاوي	الروض اليانع	570-571
مشاحنة على الماء ببني مسكين	محمد الصالح الشرقاوي	الروض اليانع	573
رجل من أعيان قبيلة الحياينة نزل به أمر من ناحية السلطان مولاي اسماعيل وسجنه	محمد الصالح الشرقاوي	الروض اليانع	596
وردت على أبي الجعد بعض الكلف	محمد الصالح الشرقاوي	الروض اليانع	596-597

ب. الكرامات المرتبطة بالمجال السياسي

الحدث الذي ارتبط بظهور الكرامة	الولي الذي ظهرت على يده	الصفحة
- عزل السلطان المرابط عبد الرحمان بن العسري بن أبي يعزى عن تسيير أمور الزاوية	محمد الصالح الشرقاوي	437-439
- أمر السلطان السبيل على بني وجين وهلاك عدد منهم	محمد الصالح الشرقاوي	456
- علاقة الشيخ محمد الصالح بالسلطان العلوي مولاي إسماعيل	محمد الصالح الشرقاوي	457
- اعطاء السلطان بلاد تامسنا للقائد غانم	محمد الصالح الشرقاوي	475

- التنبؤ بفشل ثورة محمد العالم	محمد الصالح الشرقاوي	483-484
- خروج القائد الشرقي العمري من المخزن	محمد الصالح الشرقاوي	486
- سخط السلطان مولاي اسماعيل على القائد بوعلي الروسي بفاس وسجنه	محمد الصالح الشرقاوي	510
- سخط السلطان مولاي اسماعيل على ولده مولاي سليمان وفراره إلى تافلالت	محمد الصالح الشرقاوي	514-515
- سجن الشيخ سيدي حسين عند السلطان مولاي اسماعيل	محمد الصالح الشرقاوي	517
- خروج النصارى بثغر سبتة (1134م)	محمد الصالح الشرقاوي	519-520
- أمر السلطان مولاي اسماعيل بالجهاد في القبائل	محمد الصالح الشرقاوي	519
- قدوم ركب من مدينة سلا ونزوله بأبي الجعد قصد زيارة يوسف احنصال	محمد الصالح الشرقاوي	522
- حركة عبد الله بن السلطان مولاي اسماعيل على قبيلة بني حسن	محمد الصالح الشرقاوي	544

ج. الكرامات المرتبطة بالمجال الاقتصادي

الحدث الذي ارتبط بظهور الكرامة	المصدر	الصفحة
- الجفاف وقلة الأمطار بتادلا	الروض اليانع	490-491
- غلاء الأسعار	الروض اليانع	466-490-536
- علاقة المشاركة في الحرث بين الشيخ محمد الصالح وبعض أتباع الزاوية	الروض اليانع	582-583
- حبس الأمطار وارتفاع الأسعار	الروض اليانع	451-490-536
- كان عام 1134هـ شديد الغلاء	الروض اليانع	519

هـ. الكرامات المرتبطة بالمجال العلمي

الحدث الذي ارتبط بظهور الكرامة	المصدر	الصفحة
- إهداء الكتب للشيخ محمد الصالح	الروض اليانع	458
- أخذ المصافحة عن الشيخ عبد المومن الجنى	الروض اليانع	460-461
- إعطاء الورد من قبل الشيخ محمد الصالح لبعض مريديه	الروض اليانع	463-478-479-507

- الفقيه عبد القادر بن الصالح الشرقاوي يسأل الشيخ عن النعت السببي	الروض اليانع	465
- محمد بن عبد الكريم العبدوني يقرأ على الشيخ كتاب الجرومية	الروض اليانع	476-477
- قراءة البردة بباب الشيخ	الروض اليانع	490
- حل بعض القضايا العلمية المستعصية على الطلبة	الروض اليانع	465-493
- ملازمة محمد بن عبد الله التلمساني الشيخ بأبي الجعد لتدريس بعض العلوم	الروض اليانع	578-579
- قراءة مختصر خليل	الروض اليانع	471-475-519
كان الشيخ بالسيد عبد العزيز بن حمدوش المكناسي (كان طبيبا) وطلب منه الشيخ الإقامة بالزاوية بالأجرة	الروض اليانع	621-622

يقول أحمد بوكاري عن هذا الموضوع: "إن المناقب والكرامات عنده جاءت في معظمها مصوغة في إطار أحداث ووقائع اجتماعية وسياسية واقتصادية بارزة الدلالة، بعيدة كل البعد عن التجرد أو المناقشات النظرية الصوفية، كما هو الشأن في المرقي، فهي تتحدث مثلا: عن ضرورة توفير الدواب لحرث أرض الزاوية، أو عن ضرورة تدخل شيخ الزاوية لإنقاذ حياة أحد أتباعه، من قصاص أو ظلم حاكم أو كيف يسر الشيخ زواج أحد أصحابه، وقيمة ما دفع إليه من النقود والتجهيز، أو علاجه لصبي مريض بانحصار في مسالكه البولية، إلى غير ذلك من الأحداث اليومية التي كان يعيشها شيخ الزاوية، وبذلك جاءت كراماته غنية بالإشارات التاريخية المتعددة المواضيع[1].

ومما استفدناه من دراستنا وتحليلنا لهذه الكرامات وللمعطيات المرتبطة بها، ما تنقله لنا من معلومات عن:

- أنواع المأكولات آنذاك: الكسكسو، الترید، بركوكش، رغيف، العسل، السمن، الجبن، العنب، التمر...

- والملبوسات: جبة الصوف، الكتان، العمامة، الجلابية، القشابة..

[1] أحمد بوكاري، الزاوية الشرقاوية، ج 251/1.

- وبعض الحرف والأنشطة المتداولة: كالحلاقة والخرازة، والتجارة وصنعة النقاشة، والصيادة ومعالجة العيون بالقدح...

- ومعلومات أخرى عن العملة، دينار، الدرهم، موزونه، أوقية، المثقال.

وهكذا يبدو من خلال دراستنا وتحليلنا لكرامات الشيخ محمد الصالح (مائتان وعشرة كرامة). وطبيعتها الروحية والنفسية من جهة، في ارتباطها بالسلوك الصوفي، وبمقدار القرب من الحضرة الإلهية واستئناس المعية الربانية، في دروب الحياة المختلفة من قبل القطب الرباني محمد الصالح.

يستفيد الباحث من الحضور الوازن للكرامة في هذه البيئة أنها بقدر ما تعبر عن معناها الاصطلاحي في علم التصوف، فهي تسهم في دورة الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لمجتمع الزوايا بأفراده وطبقاته، وتغني الروابط بين الناس، وتسهم في حل المعضلات والمشكلات والعوائق والأمراض مما يجعل الكرامة عنصرا أساسيا في سيرورة الحياة.

كما تعد الكرامات مادة ثرية في معرفة طبيعة معاش القوم ومستواهم الاقتصادي والاجتماعي، وأدواتهم المستعملة في تدبير الحرث والرعي والمعيشة، ومعرفة طبيعة القضايا الخلافية بين الناس. كل هذا يهم منطقة تادلا بمكوناتها المختلفة.

وقد تضمن هذا المطلب ما حملته الكرامات من معلومات ذات الأبعاد الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي من شأنها أن تساعد الباحث في التاريخ وعلم الاجتماع والانتربولوجيا والمفكر على استحضار صور صحيحة عن العصر العلوي الحديث، خاصة بعد تعزيزها بوثائق تاريخية معضدة.

خلاصة:

لقد اتضح مما سبق أن الشيخ محمد الصالح كان له تكوين صوفي متين، ومتنوع المصادر. وقد استفاد من والده ومن شيوخه الذين عاصروه، وقام بجمع طرقهم وتلقيها وأخذها إجازة منهم إليه بكيفيات متعددة ذكرت قبل، وبذل في ذلك جهدا كبيرا.

وهذا يدل على أن الشيخ محمد الصالح لم يكن شيخا عاديا في الطريقة، بل كان قطب زمانه وعصره؛ وذلك من خلال الجمع بين الطريقة التباعية الجزولية والطريقة الناصرية الغازية، وعمل على تعدد أوراد الزاوية وفي طرقها. مما جعل الزاوية في عهده محجا للأشياخ والمريدين، ومقصدا للعلماء والطلاب.

وقد أسهمت كراماته في تنزيل طريقته المجددة في السلوك الصوفي، كما أفادتنا في معرفة التاريخ الفكري والنفسي والروحي والاجتماعي والسياسي للجهة وامتداداتها.

المبحث الخامس: مظاهر تأييد الشيخ محمد الصالح للسلطة العلوية:

اتسمت علاقة الشيخ محمد الصالح بالسلطان العلوي المولى اسماعيل بالولاء المطلق وفي هذا الشأن يقول صاحب "الروض اليانع الفائح" عن الفقيه العربي الإسحاقي: قال لي (يعني الشيخ محمد صالح): "**أنا ومولانا إسماعيل كَفَرْدَتَيْ الرَّحَا، إذا غابت واحدة لا ينتفع بالأخرى**، ولما أردت موادعته، قال لي أَدْخِلْ يَدَكَ تَحْتَ هَيْدُورَتِي، فأدخلتها فوجدت حجر الجاوي المكي تحتها، فأعطاني إياه، وقال لي: جمعنا الله في مستقر رحمته، فمات نفعنا الله به قرب ذلك في صفر، ومات السلطان مولانا إسماعيل في رجب بعده من تلك السنة"[1].

ومن صور الولاء ما أورده المعداني - لما ادعى مولاي محمد بن المولى إسماعيل الملك، وقام فيه على والده - قال: "ووجهت إليه قبائل تادلة كلها لأنهم سمعوا من بعض صلحاء الوقت ممن يقتدى به إن الشريف مولاي محمد هو الملك، فزاد ذلك في أمر الشريف وقوى أمره في قلوب الناس، وقال: ذلك الولي هو الملك أحبَّ من أحبَّ وكره من كره. ورحلت قبائل تادلة كلها لأبي عكبة. ولما صدرت هذه المقالة لقبائل تادلة من هذا الولي، قال بعض الناس: حضر كذلك السيد الحاج علي بن منصور، وكان من أصحاب الشيخ سيدنا الصالح، فلما سمع مقالته أهل تادلة، أقسم لهم بالله وأنه لا يكون من مولاي محمد ولا ممن تبعه كائنة ولا يستقيم له أمر، فقاموا إليه مسرعين وأرادوا قتله لمخالفته لمقالة الشيخ المذكور لأنه كان له عندهم شأن عظيم وهو حقيق بذلك، فلم ينج منهم السيد علي إلا بمشقة. فرحلت قبائل تادلة كلها لأبي عكبة الموضع المعروف على واد العبيد، متوجهين للقاء الأمير مولاي محمد المذكور، وكان بقصبة تادلة الشريف الأصيل مولاي أحمد بن مولانا إسماعيل خليفة بها على يد والده، ولم يلتفت له أحد من القبائل كلها من أهل تادلة، مع كونه بين أظهرهم، وثوقا منهم بما سمعوا من مقالة المرابط، وما رأوا من تناسق مولاي محمد واستقامة أمره. ولما رحلت قبيلة بني معدان، قال لهم بعض أشياخهم: لا أرحل إلا بعد مشورتي لسيدنا الصالح، فقال له إخوانه:

---

[1] الحسن المعداني،" الروض اليانع الفائح..."، ن م 86ج، ص:135.

قال سيدي فلان: مولاي محمد هو السلطان يشيرون إلى المرابط المذكور سابقا، فقال لهم: لا بد من مشورتي لسيدنا الصالح، فقدم بإبله حاملة متاعه ليودعه بالزاوية. فلما وصل لقرب البير المعروف لسيدنا الصالح الآن، وكان هنالك جنان حصر بهائمه هنالك، وقدم لسيدنا الصالح فأخبره بخبر القبائل ورحيلهم، وبما سمعوا من سيدي فلان، وأن مولاي محمد هو السلطان. فأجابه سيدنا الصالح بقوله: ارجع بمتاعك إلى محلك. ثم قال: **ما يربح لا هو - يعني الشريف المذكور - ولا من يعرفه**. فرد متاعه ورجع لمكانه.

ثم وقع للشريف المذكور ما هو معلوم من قبضه بعد حروب، وإتيانهم به لأبيه، وفعل به والده ما كان سببا لموته. واشتدت الوطئة والأمر على كل من عرفه، وضاقت الأرض بقبائل تادلة، وتخوفوا من الشريف مولاي أحمد الذي كان خليفة عليهم في بلادهم؛ لما صدر منهم من الإعراض عنه. وهمّ الشريف بالفتك فيهم مجازاة عما وقع منهم، فقدموا للشيخ سيدنا الصالح، يطلبون منه الشفاعة لهم عند الشريف المذكور، فبعث إليه الشيخ بالشفاعة فيهم، **فقبل شفاعته وتجاوز عنهم**"[1].

ومن صور تأييد الشيخ محمد الصالح للسلطان المولى إسماعيل ما حصل أثناء ثورة أحمد بن محرز؛ قال صاحب اليتيمة: "إنه كان إذا ذكر له -أي الشيخ محمد الصالح- أن أحدا يقوم على السلطان أو يفسد عليه شيئا في مملكته من أولاده وغيرهم، **تَغَيَّرَ حَالُهُ**، وحين أراد ابن عمه مولاي أحمد بن محرز يقوم عليه، وذكروا له ذلك **أَخَذَهُ حَالٌ عَظِيمٌ**... وقال: كل من تبع مولاي أحمد بن محرز **يبقى معه في الخلا**"[2].

وقد استغل الشيخ محمد الصالح هاته الأحداث، لإبراز ولائه وتأييده للسلطان المولى إسماعيل وتأكيد التزامه التام بالشرعية القائمة، حتى وصف الشيخ الصالح الشرقاوي من لدن معاصريه من العلماء والصلحاء بأنه **"كان واضعا يده على رأس السلطان الأعظم مولاي إسماعيل**، ومعينا له بدعائه، وحارسا لمملكته، وكان يقول: **"كلُّ ما يفسدُه الملك في مدة مملكته تفسده الرعية إذا سَابَتْ في مدةٍ قليلةٍ**"[3].

---

[1] الحسن المعداني،" الروض اليانع الفائح..."، ن م 86ج، ص150-151.

[2] محمد العبدوني، يتيمة العقود الوسطى، ص: 22 (أ).

[3] نفسه، ص: 21 (ب).

خلاصة:

من خلال تحليلنا لموضوع الكرامات تبين لنا مدى إسهامها في تثبيت معاني الطاعة والتأييد والولاء، والتوقير والاحترام، وهو ما غمر صلة شيوخ الزاوية الشرقاوية بالسلطة العلوية. وحقق ذلك ما يلزم من الاستقرار الروحي، وإشاعة الصلح ودرء الفتن.... وماتزال هذه المعاني متجذرة ومستمرة في نهج الزاوية الشرقاوية إلى اليوم.

الفصل الثالث:

كتاب الروض اليانع الفائح

في مناقب سيدنا ومولانا

أبي عبد الله محمد المدعو بالصالح:

مضامينه وقيمته، ومنهجه:

- المبحث الأول: مضامين الكتاب وقيمته:
- المبحث الثاني: منهج المؤلف في عرض القضايا وتفسيرها:
- المبحث الثالث: نماذج من المخاطبات والمراسلات والإجازات والمصطلحات الصوفية المعرفة والأعلام المترجم لهم:

المبحث الأول: مضامين الكتاب وقيمته:

المطلب الأول: مضامين الكتاب:

تحدث المؤلف في خطبة كتابه عن مضامينه التي فصل الحديث عنها كما سنبين في:

"الروض اليانع الفائح في مناقب سيدنا ومولانا أبي عبد الله محمد المدعو بالصالح" ألفه الحسن بن محمد الهداجي المعداني، أحد تلامذة الزاوية وأطرها البارزة. تتلمذ على يد الشيخ محمد الصالح، وكذلك ابنه محمد المعطى. وهذا الأخير هو الذي أشار عليه بتأليف "الروض اليانع الفائح...". ووقع الفراغ من تأليفه يوم الخميس 8 جمادى الأولى عام 1179هـ، أي قبيل وفاة شيخه بقليل.

بوب الحسن بن محمد الهداجي المعداني مؤلفه من مقدمة شملت ثلاثة فصول، وخاتمة أيضا ضمت ثلاثة فصول. واستهله بالحديث عن فضل ذكر الأولياء والصالحين ومنزلتهم بين العباد باعتبارهم مصدرا للرحمة والنجاة. ثم انتقل المؤلف إلى ذكر دواعي التأليف التي تمثلت في الامتثال بخالص النية لإشارة شيخه محمد المعطي. وأنه تحمل ما لا طاقة له لقلة العلم والعمل.

الفصل الأول: تناول فيه، الحديث عن فضائل الأولياء والعارفين والصالحين، مستشهدا بما جاء في القرآن الكريم والأحاديث النبوية ومقطوعات شعرية وأقوال وحكايات لمشاهير المتصوفة.

اهتم هذا الفصل بالحديث عن طائفة من الأمة المحمدية خصها الله بالثناء والفضل وأشار لهذه الطائفة بوضوح، وقد حددها في النجباء والأوتاد والنقباء، وذكر نصوصا تشير إلى عددها في بعض الأحيان، كما استعرض جملة من آراء العلماء والآثار النبوية، لدحض من ينكر وجودهم كالسمرقندي والجلال السيوطي، في كتابه "الخبر الدال على وجود الأقطاب والأوتاد والأبدال".

وقد شرح فيه المؤلف أيضا التراتب الهرمي للأولياء، وفسر كيف أن منزلة بعضهم تعلو عن بعض، وحدد سماتهم وخصائصهم ومنازلهم. وركز أيضا على مسألة وجود القطب ومكانته من الأولياء كالنقطة من الدائرة التي هي مركز ما به يقع صلاح العالم،

ودافعه في ذلك هو إثبات سريان مفعول أسرار النبوة، واستمرارها في طائفة من صالحي الأمة، سواء كانوا أقطابا أو أبدالا أو نجباء.

تعرض في هذا الفصل أيضا لمفهوم الكرامة، وعرفها بأنها هي من مواهب الله لأوليائه، ومن فتوحاته لأحظيائه، وأصفيائه تأييدا لهم ليزدادوا إيمانا ويقينا بالحكمة المولوية. وذكر الحكمة في صدورها لتقوية المريدين، وتربية السالكين. ولا تتأتى إلا لمن لاحت عليه الاستقامة. وقوله صاحب الكرامة هو المستقيم لا غيره، واستدل بأقوال العلماء كالحسن الشاذلي والإمام البوصيري، ومحمد المعطي في ذخيرته، والحكم لابن عطاء الله السكندري وأبو علي الجرجاني، واستدل على ثبوتها وجوازها من القرآن الكريم والسنة وأقوال العلماء، أمثال: الباقلاني، والجويني، وأبي حامد، والشهرستاني، وتاج الدين السبكي. واستعرض مقطوعات شعرية لهذا الغرض، وذكر بعض كرامات كبار الصحابة أمثال أبي بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما.

واستعرض أيضا ذكر كرامات الأولياء الأعلام وبعض الصالحين ممن اتضحت خصوصيته للخاص والعام، نذكر منهم: إبراهيم الخرساني، وحبيب العجمي، وسعيد بن يحيى البصري، وبعض أصحاب أبي تراب، وبعض أصحاب سهل بن عبد الله، وعمر بن عبد العزيز، وإبراهيم الخواص، وذا النون المصري، وبكير صاحب الشبلي، وأبي القاسم الجنيد والفضيل بن عياض.

تطرق في هذا الفصل للفصل بين المعجزة والكرامة والسحر وحدودها. وانتقل للحديث عن المحبة الإلهية وأفضليته عليه السلام على جميع الأنبياء والمرسلين والملائكة، وأفضلية أمته المعظمة عن الأمم السابقة.

<u>الفصل الثاني:</u> خصصه للتعريف بالشيخ محمد الصالح، وما له من الحظوة والمكانة وعلو القدر والجناب، وفي ابتداء أمره ومما شاع من خبره، وأن له القدم الراسخ في العوارف والمعارف.

وربط المؤلف بين التعريف بشيخه محمد الصالح والحديث عن نسبه الشريف، مشيرا إلى أن إلغاء النسب أصلا جور والاقتصار عليه عجز، وأشار في هذا الفصل إلى أهمية العلم وفضله وشرفه ونوه به كثيرا.

وختم هذا الفصل بتاريخ ولادته بمراكش عام 1069 هـ، وتوفي يوم الأربعاء الثاني صفر الخير عام تسعة وثلاثين ومائة وألف، وفي تقييد آخر الثاني عشر من صفر أو السابع عشر منه عام تسعة وثلاثين ومائة وألف.

الفصل الثالث: تناول فيه المؤلف ذكر شيوخ محمد الصالح الكاملين الذين أخذ عنهم الطريقة. وذكر بعض إخوانه من العلماء الأعلام وأهل الخصوصية من الإسلام، كما استعرض ما جرى بينه وبينهم من المكاتبات والرسائل والتوقيعات والإجازات.

فمن شيوخه والده محمد المعطى، وأحمد بن ناصر الدرعي، وأحمد بن عبد القادر التستاوتي، والحسن اليوسي، وأبو عبد الله محمد بن سعيد الهبري نسبة والطرابلسي دارا.

وقد تضمن هذا الفصل الحديث عن طريق المصافحة، وما تتميز به من سند عال مشتمل على نحو عشرين من أهل المراقبة والشهود؛ وطريق المشابكة وسندها، وطريق المشابكة الخضرية عن والده وعن شيخه محمد بن إبراهيم التاملي بطريق خاصة، عن صفي الأولياء أبي العباس أحمد الخضر عليه السلام.

وتعرض فيه المؤلف أيضا للحديث عن طريق محمد الشرقي، وهي طريقة تباعية جزولية، تمثل امتدادا للطريقة الشاذلية الشائعة في المغرب. وعرج فيه على ذكر شيوخ محمد الشرقي، فهم:

والده أبو القاسم، وأبو عبد الله بن ساسي، وأبو محمد الغزواني، وأبو عبد الله محمد بن عمر المختاري. والكل عن القطب الشيخ عبد العزيز التباع، مباشرة دون واسطة باستثناء عبد الله بن ساسي بواسطة عبد الله الغزواني، والشيخ عبد العزيز التباع عن القطب محمد بن سليمان الجزولي، وهو الأصل بالمغرب، ومنه تفرعت طريقة الشاذلي.

وأما عن إخوانه وأصحابه فذكر المؤلف الشيخ حسين شرحبيل، والعياشي بن عبد القادر المباركي التستاوتي، وأبا عبد الله محمد بن يوسف، وأحمد بن فتوح التازي... وترجم فيه لمجموعة من الأولياء والفقهاء والمتصوفة.

وأنهى هذا الفصل بخاتمة في الكلام على الزيارات للأولياء من الأحياء والأموات، واستحباب القراءة عند زيارة القبور. وسرد مناقب وكرامات الشيخ محمد الصالح، حيث بلغ عددها مائتين وعشر كرامات.

الخاتمة: وقد اشتملت على ثلاثة فصول

<u>الفصل الأول:</u> شرع فيه المؤلف بذكر منظومات الشيخ محمد الصالح وقصائده وتوسلاته وفوائده وفرائده، وبعض ما كان بينه وبين غيره من الأجلة الأعيان من المخاطبات والمراسلات التي تطيب بها القلوب والأذهان.

إن موضوعات قصائده جاء معظمها في التوسل بالله وبرسول الله ﷺ، طلبا رحمة الله ودفع العوارض الوقتية والأوجاع والأسقام، وطلب النجاة من هول الصراط والموقف والزلازل العظام، والتوسل بخواص الأمة من الصالحين والأولياء، وطلب الشفاعة، وطلب الألطاف والتوسلات والاستشفاع بأشرف نبي ورسول، وطلب العفو والصفح والتجاوز من مولانا الكبير المتعال، والحض على قيام الليل واغتنام فوائده لأن الليل مطية العارفين ومجال أرواح العابدين والمكاشفين، والحض على العلم وتحصيله والاستظلال بظله الوريف، والتشوق لرؤية وجهه الشريف أفضل الصلاة والسلام، والحث على التقوى، والتحصن بكف سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، بالإضافة إلى نص الاستغفار ونص النصيحة الشافية المباركة التي تعين المريد في تهذيب نفسه من الشهوات، وأرجوزة عبد القادر بن شقرون.

وكل هذه القصائد والمقطوعات الشعرية أضافت بعدا أدبيا وصوفيا على النص، وكشفت عن الموهبة الشاعرية الصوفية والأدبية التي يتميز بها الشيخ محمد الصالح، وأفصحت عن ولعه وشغفه بالشعر.

إن ما يثير الانتباه في هذا الفصل هو إصرار المؤلف على إبراز الغزارة والقوة الشعرية لدى الشيخ محمد الصالح إلى جانب التصوف، والإقرار له برتبته الرفيعة بين أولياء عصره.

<u>الفصل الثاني:</u> تناول فيه ترجمة الشيخ محمد المعطى والد الشيخ محمد الصالح، حيث ختم المؤلف ترجمته بقوله: "ومثل ما نقل أعلاه نقله المرابط الأصيل، العالم الأثير، سيدي عبد الخالق بن محمد في كتابه "المرقي في مناقب الشيخ الشرقي" وذكر أنه

نقله من خط والده وذكر والده أنه نقل من خط من نقل من خط صاحب المبيضة أيضا، ولكن لم يذكر في نسخته الزيادة التي في الورقة في الوجه المقابل لهذا يعني ما في طرته.

وتطرق أيضا المؤلف في هذا الفصل إلى ذكر شيوخه، أمثال: أبي عبد الله محمد بن إبراهيم التاملي، وأبي عبد الله محمد بن سعيد المِرَغْثِي، وعبد القادر بن علي بن أبي المحاسن يوسف الفاسي، وأبي عبد الله بن علي بن طاهر السجلماسي، وانتقل أيضا في سرد كراماته ومآثره الجليلة.

الفصل الثالث: تطرق هذا الفصل لنسب الشيخ محمد الصالح وعموده الجليل وذكر بعض كرامات الشيخ محمد الشرقي. واعتمد المؤلف على نسب الشيخ محمد الصالح على ما وجده بخطه نفسه. ومنظومة الأديب أبي العباس أحمد بن فتوح التازي في نسب محمد الشرقي، وسجل المؤلف في هذا الشأن بعض الملاحظات التي تهم الاختلافات الموجودة في هذا النسب التي وردت في المقصورة وما تقدم في أول الفصل مما وجد بخط الشيخ محمد الصالح، ثم ترجم لثاني الخلفاء الراشدين عمر بن الخطاب جد الأسرة الشرقاوية.

ختم هذا الفصل بالحديث عن نسبة أخرى للشيخ محمد الشرقي، هي أشرف من الأولى وأرفع وأعلى وأغلى وأنفع؛ وهي الاتصال بسيدنا ومولانا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام، من جهة أمه الشريفة الصالحة الخيرة فهي السيدة رحمة بنت حمزة، مستحضرا في هذا السياق أقوال وحكايات بعض الأولياء والعلماء والمتصوفة إذ يقول المؤلف: إن سيدي عبد الرحمان الثعالبي، دفين الجزائر، كان كثير الفرح والسرور فسئل ذات يوم عن سبب انبساطه وسروره، فأجاب: كيف لا أنبسط وأفرح وجدتي السابعة لأمي بنت لرسول الله ﷺ. وترجم فيه أيضا للشيخ محمد الشرقي، واستعرض بعض كراماته، تم وفاته واختلاف أولاده في الوراثة، تم يعلن الكاتب أنه انتهى من تأليفه يوم الخميس الثامن منه جمادى الأولى سنة تسع وسبعين ومائة وألف 1179هـ.

من خلال عرض مسائل خطبة الكتاب وبيانها وتفصيلها، تبين أن الكتاب يكتسي أهمية بالغة مضمونا ومنهجا وأسلوبا، حيث سار فيه المؤلف على نهج أسلافه من الكتاب والمصنفين في علم المناقب وتراجم الرجال.

المطلب الثاني: مصادره في تأليف "الروض اليانع الفائح...":

اعتمد الحسن بن محمد الهداجي المعداني في تدوين كتابه على مصادر متنوعة مكتوبة وغير مكتوبة، فالصنف الأول تمثله المؤلفات والتقاييد والفهارس والمكاتبات والمراسلات والإجازات. أما الصنف الثاني فتمثله الرواية الشفهية والمشاهدة والمعاينة والمعاصرة. وسنقف على إبراز كل صنف على حدة من هذه المصادر. إلا أننا سنفرد للمكاتبات والمراسلات والإجازات مبحثا خاصا ضمن موضوعات الكتاب؛ نظرا لأهميتها في كونها من مصادر المؤلف في نشر معطيات الكتاب وبيانها، وهي في الآن ذاته من الموضوعات الأساسية في الكتاب.

1- المصادر المكتوبة:

أ- المؤلفات:

اعتمد المؤلف على مؤلفات متنوعة من حيث التخصصات العلمية؛ كالفقه والحديث والتفسير والتصوف والتراجم والأدب وغير ذلك من مجالات المعرفة. وتكون في الغالب إما مشرقية أو مغربية أو أندلسية.

كما يجب الإشارة إلى مسألة ذات أهمية، مفادها أن المؤلف يذكر أحيانا اسم الكتاب واسم مؤلفه معا، وأحيانا يذكر اسم صاحبه دون اسم الكتاب، وفي بعض الأحيان يذكر اسم المؤلف دون مؤلفه، كما يجب التنبيه على أن المؤلف اعتمد على مصادر أخرى لم يصرح بها، وقد حاولنا في غالب الأحيان، رد هذه النقول إلى مصادرها، وفي أحيان أخرى صعب علينا كشف المصادر التي ينهل منها المؤلف، خاصة عندما تكون هذه النقول مصدرة بعبارات عديدة، نذكر مثلا: "قال بعض العارفين"، و"قال بعض الفضلاء"، و"قال بعضهم".

وقد حاولنا وضع قائمة لأسماء بعض المؤلفات مرتبة ترتيبا تاريخيا كالآتي:

اسم الكتاب	صاحب الكتاب	تاريخ الوفاة	ملاحظات	الصفحة
الموطأ	الإمام مالك بن أنس	ت: 179هـ	مطبوع	692-730
سنن الدارمي	عبد الله الدارمي	ت: 255هـ	مطبوع	730
الجامع الصحيح	أبو عبد الله بن إسماعيل البخاري	ت: 256هـ	مطبوع	180-182-215-216-218-226-494-648-692-730-758-760-774-775
صحيح مسلم	مسلم بن الحجاج القشيري	ت: 261هـ	مطبوع	692-730-776
سنن أبي داوود	أبو داود سليمان بن عمرو السجستاني	ت: 275هـ	مطبوع	692-731
شمائل الترمذي	الترمذي	ت: 279هـ	مطبوع	730-776
سنن النسائي	أحمد بن شعيب النسائي	ت: 303هـ	مطبوع	429
قوت القلوب	أبو طالب المكي	ت: 386هـ	مطبوع	422
حلية الأولياء	أبو نعيم الأصفهاني	ت: 430هـ	مطبوع	458
المستصفى	الغزالي	ت: 505هـ	مطبوع	671
منهاج العابدين	الغزالي	ت: 505هـ	مطبوع	692
إحياء علوم الدين	الغزالي	ت: 505هـ	مطبوع	432
أحكام القرآن	أبو بكر بن العربي	ت: 543هـ	مطبوع	248
الشفا	القاضي عياض	ت: 544هـ	مطبوع	692
التذكرة بأحوال الموتى والآخرة	القرطبي	ت: 671	مطبوع	698

جمع النهاية في بداية الخير والغاية	ابن جمرة	ت: 695هـ	مطبوع	731
روض الرياحين في حكايات الصالحين	أسعد اليافعي	ت: 698هـ	مطبوع	186-377-434-664-666-704
كفاية المعتقد	أسعد اليافعي	ت: 698هـ	يجهل أمره	196
الحكم العطائية	ابن عطاء الله السكندري	ت: 709هـ	مطبوع	194-204-379-615-666
الجرومية	أبو عبد الله محمد الصنهاجي الشهير بابن آجروم	ت: 723هـ	مطبوع	799
المدخل	محمد بن محمد بن الحاج العبدري	ت: 737هـ	مطبوع	712-715
الأنوار السنية في الألفاظ السنية	ابن جزي الكلبي الغرناطي	ت: 740هـ	يجهل أمره	731
مختصر خليل	خليل بن إسحاق	ت: 767هـ	مطبوع	419-703
ديوان ابن نباتة	ابن نباتة	ت: 768هـ	مطبوع	458-459
مناقب الشيخ عبد الله المنوفي	خليل بن إسحاق	ت: 776هـ	مخطوط	419
شرح الحكم العطائية	ابن عباد الزندي النفزي	ت: 792هـ	مطبوع	731
حاشية سعد الدين التفتازاني على الكشاف	سعد الدين التفتازاني	ت: 793هـ	مخطوط	248
تلخيص الكوكب المنير في مناقب الشيخ أبي العباس البصير	برهان الدين الأنباسي	ت: 802هـ	مخطوط	419

القاموس المحيط	الفيروز آبادي	ت: 817هـ	مطبوع	336
نكت وتنبيهات	البسيلي	ت: 830هـ	مطبوع	248
فهرسة المنتوري	محمد بن عبد الملك بن عبد الله القيسي المنتوري	ت: 834هـ	مطبوع	698
دلائل الخيرات	الجزولي	ت: 870هـ	مطبوع	329
الجواهر الحسان	أبو زيد عبد الرحمان الثعالبي	ت: 872	مطبوع	200
معجم برهان الدين البقاعي	برهان الدين البقاعي	ت: 885هـ	يجهل أمره	713
الكواكب الزاهرة في اجتماع الأولياء يقظة بسيد الدنيا والآخرة	ابن مغيزل	كان حيا 894هـ	مطبوع	335-748
شرح العقيدة الصغرى	محمد بن يوسف السنوسي	ت: 895هـ	مطبوع	349-731
جامع الوغليسية	أحمد زروق	ت: 899هـ	مطبوع	428
محصل المقاصد	ابن زكري	ت: 899هـ	مخطوط	247
النصيحة الكافية	أحمد زروق	ت: 899هـ	مطبوع	282-731
فهرسة	محمد بن أحمد بن غازي المكناسي	ت: 910هـ	مطبوع	698
الكنز المدفون والفلك المشحون	السيوطي	ت: 911هـ	مطبوع	175
الخبر الدال على وجود الأقطاب والأوتاد	السيوطي	ت: 911	مطبوع	197

قطف الثمر في موافقة عمر	السيوطي	ت: 911هـ	مطبوع	219
الجامع الصغير	السيوطي	ت: 911هـ	مطبوع	729-731
إنباء الأذكياء بحياة الأنبياء	السيوطي	ت: 911	يجهل أمره	715
المعيار المعرب	الونشريسي	ت: 914هـ	مطبوع	242-432
سنن الإمام أحمد بن حنبل	أحمد بن حنبل	ت:941هـ	مطبوع	
المواهب اللدنية بالمنح المحمدية	أحمد القسطلاني	ت: 963هـ	مطبوع	174-433
الجواهر والدرر لعبد الوهاب الشعراني مما استفاده من شيخه سيدي علي الخواص	عبد الوهاب الشعراني	ت: 973هـ	مطبوع	208-251-414-415
الزواجر	ابن حجر الهيثمي	ت: 974هـ	مطبوع	276
شرح الهمزية	ابن حجر الهيثمي	ت: 974هـ	مطبوع	268
دوحة الناشر	ابن عسكر الشفشاوني	ت: 986هـ	مطبوع	319-320-321-325-326-327-332
تحفة الإخوان ومواهب الامتنان في مناقب سيدي رضوان	أحمد بن موسى المرابي	ت: 1034هـ	مخطوط	325-329
كفاية المحتاج	أحمد بابا التنبكتي	ت: 1036هـ	مطبوع	799
فهرسة	أبو محمد العربي بن أبي المحاسن	ت: 1052هـ	مخطوط	
مرآة المحاسن	أبو حامد الفاسي	ت: 1052هـ	مطبوع	310-319-320-325-328

حاشية أبي مهدي عيسى بن عبد الرحمان السجستاني	أي مهدي السجستاني	ت: 1062هـ	مخطوط	731
المقنع في اختصار أبي مقرع	محمد بن سعيد المرغثي	ت 1089هـ-	يجهل أمره	743
تحفة الأخلاء في أسانيد الأجلاء	أبي سالم عبد الله العياشي	ت: 1090هـ	مطبوع	362
الموائد السنية والأسانيد السنية	محمد بن عبد الخالق الشرقاوي	ت: 1092هـ	مخطوط	727
نخبة الأكابر في أخبار الشيخ عبد القادر	أبو زيد عبد الرحمان بن محمد الفاسي	ت: 1096هـ	يجهل أمره	701
فهرسة	محمد بن عبد الرحمان بن عبد القادر الفاسي	ت: 1096هـ	مخطوط	648
فهرسة	الحسن اليوسي	ت: 1102هـ	مطبوع	362-363-383
المحاضرات	الحسن اليوسي	ت: 1102هـ	مطبوع	385-386-387-674-810
ممتع الأسماع	محمد المهدي الفاسي	ت: 1109هـ	مطبوع	317-320-326-328-329-330-332
نزهة الناظر أحمد عبد القادر التستاوتي	أحمد عبد القادر التستاوتي	ت: 1127هـ	مخطوط	365-368
فهرسة	أحمد بن ناصر	ت: 1129هـ	مخطوط	346
الإعلام بمن غبر من أهل القرن الحادي عشر	عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الفاسي الفهري	ت: 1131هـ	مطبوع	652
المرقي في مناقب الشيخ الشرقي	عبد الخالق العروسي	كان حيا 1139هـ	مطبوع	657-707

كناش الشيخ محمد الصالح	الشيخ محمد الصالح	ت: 1139ه	مخطوط	785
صفوة من انتشر من صلحاء القرن الحادي عشر	محمد الصغير الإفراني	ت: 1154ه	مطبوع	288-310-343-652-661-676-682-701-718-813-815
ذخيرة المحتاج	محمد المعطي بن صالح	ت: 1180ه	مطبوع	203

ب- التقـايـيـد

تندرج التقاييد ضمن المصادر المكتوبة المعتمدة عند المؤلف في تشكيل مواد كتابه، وهي تعود لعلماء مغاربة عاشوا في القرن الحادي عشر الهجري/القرن السابع عشر الميلادي، أو في القرن الثاني عشر الهجري/ القرن الثامن عشر الميلادي.

فقد نقل المؤلف عن تقييد لأبي علي الحسن اليوسي[1]، حول ما يدعى به عند قبور الصالحين وهو كالتالي: "اللهم يامن لا يعلم كيف هو إلا هو، ولا يعلم أحد قدرته إلا هو يا عالم السر والخفا، يا ذا الجود والوفا، اسألك بحرمة سيدنا محمد المصطفى، وبحق أصحابه أهل الوفا أن تقضي حاجتي كذا. وبحق سادتنا الشرفا، وبحق سادتنا الشرفا وبحق وليك سيدي فلان بن فلان أن تقضي حاجتي وهي كذا، وتقول: يا ولي الله ثلاثا. ثم تقرأ آية الكرسي. انتهى ما وجد مقيدا عن أبي علي سيدى الحسن بن مسعود اليوسي[2]". كما استفاد من تقييد الشيخ محمد الصالح[3]، وأخذ أيضا عن تقييد شيخه المعطى بن صالح[4]، وتقييد الفقيه محمد بن عبد الكريم العبدوني[5]، وتقييد الفقيه مبارك بن خلوق[6].

---

[1] الحسن المعداني، "الروض اليانع الفائح..."، ن م، 86 ج، ص: 120.

[2] نفسه، ص: 120

[3] نفسه، ص: 222.

[4] نفسه، ص: 367.

[5] نفسه، ص: 225.

[6] نفسه، ص: 197.

كما أن المؤلف أيضا استفاد كثيرا مما كان مدونا عند الشيخ محمد الصالح، فمثلا نقل ما وجده بخطه، ويظهر في عبارته: أو مما وجدته بخط أبي عبد الله محمد المدعو بالصالح[1]، و"ما وجدته بخط هذا الشيخ الجليل في طلب الإجازة"[2]، و"وجدتها في كناشته بخط يده"[3].

ج- الفهـارس:

تشكل الفهارس مصدرا من المصادر المكتوبة المعتمدة في التأليف عند الحسن الهداجي المعداني، نذكر منها:

فهرسة الحسن اليوسي[4] (ت 1102هـ): تعد هذه الفهرسة من أهم المصادر التي اعتمدها المؤلف في ترجمته للشيخ أبي عبد الله محمد بن ناصر الدرعي وذكر بعض كراماته. ومن العبارات التي تبين استفادته من هذه الفهرسة، قوله مثلا: "قال أبو علي في فهرسته في الشيخ محمد بن ناصر: كان رحمه الله مشاركا في فنون من العلم، كالفقه والعربية والكلام والتفسير والحديث والتصوف عابدا ناسكا، ورعا زهدا"[5].

فهرسة محمد بن عبد الرحمان بن عبد القادر الفاسي (ت 1096هـ)،: استفاد منها المؤلف في ترجمته للشيخ محمد المعطي بن عبد الخالق، ومن العبارات الدالة على ذلك: "كان ﷺ–أي محمد المعطي بن عبد الخالق- جامعا مانعا واصلا مكاشفا، وغيثا نافعا وودقا هامعا، عارفا رحمانيا، وإماما ربانيا من دوي التشمير والحزم والاجتهاد والعزم، كما عرف به العالم الدراكة الفهامة سيدي محمد بن عبد الرحمان بن عبد القادر الفاسي في فهرسته"[6].

---

[1] الحسن المعداني، "الروض اليانع الفائح..."، ن م، 86 ج، ص: 278.

[2] نفسه، ص: 291.

[3] نفسه، ص: 302.

[4] فهرسة اليوسي، للحسن بن مسعود اليوسي، تقديم وتحقيق حميد حماني اليوسي، الطبعة الأولى، تاريخ النشر 2004م.

[5] الحسن المعداني، "الروض اليانع الفائح..."، ن م، 86 ج، ص: 84.

[6] نفسه، ص: 362.

واستفاد المؤلف أيضا من فهرسة المنتوري[1] وفهرسة ابن غازي[2].

وقبل أن ننتقل إلى ذكر ما تبقى من المصادر المعتمدة، يبدو لنا أن نبدي ببعض الملاحظات حول طبيعة المصادر المكتوبة التي وردت في كتاب "الروض اليانع الفائح...".

يظهر من خلال تمعننا لهذه المؤلفات أن كتب التصوف تحتل عند المؤلف في المرتبة الأولى من حيث العدد. وهي الكتب التي كانت في الغالب يقبل المغاربة على دراستها.

ويلي كتب التصوف في الأهمية كتب الحديث والفقه والتفسير، مما يبين أن المؤلف نشأ بين أحضان شيوخ التصوف بالزاوية ونهل كثيرا من فيض علومهم اللدنية.

2- الرواية الشفهية:

اعتمد المؤلف على الرواية الشفهية باعتبارها مصدرا من مصادر تدوين أخباره من أجل إتمام موضوعات كتابه، خاصة الفصل الثالث الذي ختمه المؤلف بذكر كرامات الشيخ محمد الصالح التي اتسمت بالكثرة، حيث بلغ عددها مائتين وعشرة كرامات، وذكر، "أن كراماته لم تجتمع قبل هذا في كتاب ولا تعرض لها أحد من أهل العلم. واقتصرت منها على ما حدثني به أستاذنا وعمدتنا سيدنا المعطى، وما تلقيته من الثقات والسادات الأعيان، ومن حضره من الأحبة في الله والإخوان"[3]. وبهذا تبرز قيمة الرواية الشفهية في قضية كرامات الشيخ.

ويبدو من خلال تتبعنا لنصوص الكتاب أن طبيعة أسانيد الرواية الشفهية عند المؤلف متعددة، فتارة يكون **السند مباشرا**، حيث يستقي المؤلف أخباره من رواة عايشوا الأحداث مباشرة، ويمثل هذا الصنف الأول شيخه محمد المعطى، وقد دلت على هذا السند العبارة الآتية:

---

[1] فهرس المنتوري، تحقيق محمد بن شريفة، إصدار مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث بالرابطة المحمدية للعلماء، الرباط، الطبعة الأولى 1432هـ-2011م.

[2] فهرسة ابن غازي، تحقيق محمد الزاهي، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع، تونس.

[3] الحسن المعداني، الروض اليانع الفائح، ن م 86ج، ص123.

"ما حدثني به سيدنا المعطى"[1] وقد استفاد المؤلف من شيخه ما يقرب من خمسين مناسبة.

ويمثل الصنف الثاني السند **المتصل رواية**، ويشير هذا النوع من السند أن هناك وسائط بين مصدر الخبر والمؤلف ويمثل هذا النوع من السند العبارات الآتية:

"ما حدثني به سيدنا المعطى... عن الحاج محمد القباج"[2]؛

"ما حدثني به سيدنا المعطى... عن محمد أبي يعزى المعداني"[3]؛

"ما حدثني به الفقيه محمد بن مولود الزموري... عن رجل"[4]؛

"ما حدثني به سيدنا... عن الفقير محمد الهرفالي"[5]؛

"ما حدثني به سيدنا... عن الفقيه محمد بن عبد الخالق"[6].

أما الصنف الثالث من الرواة الذين استقى منهم المؤلف في نقل أخباره، فيتمثل في بعض الفقهاء المنتسبين للزاوية، نذكر منهم الفقيه محمد بن عبد الكريم العبدوني، الذي حلاه المؤلف بالفقيه الأجل، الدين الأمثل، فقد نقل عنه سبع مرات سماعا كما يتضح في قوله: "ما حدثني الفقيه النزيه محبنا في الله السيد محمد بن عبد الكريم العبدوني"[7].

وكذلك الفقيه أحمد بن فتوح التازي، الذي حلاه المؤلف أيضا الأجل الدين الخير الأمثل محبنا في الله، فقال: "ما حدثني به الفقيه الأجل الدين الخير الأمثل محبنا في الله عز وجل سيدي أحمد الفتوح"[8].

---

[1] الحسن المعداني، "الروض اليانع الفائح..."، ن م، 86 ج، ص-ص: 125-126-130-133-142-170.

[2] نفسه، ص136.

[3] نفسه، ص: 136

[4] نفسه، ص: 142.

[5] نفسه، ص: 145.

[6] نفسه، ص: 145.

[7] نفسه، ص: 225.

[8] نفسه، ص219.

والصنف الرابع من رواته يتشكل من بعض المرابطين من أفراد الأسرة الشرقاوية، كقوله: "ما حدثني به المرابط عبد السلام بن الشرقي بن العروسي"[1]، و"ما حدثني به المرابط محمد الشريف أحد حفدة الشيخ الهمام سيدي محمد الشرقي"[2]، و"ما حدثني به المرابط سيدي عبد الخالق سيدنا المعطى"[3].

أما فيما يتعلق بالترجمة للشيخ محمد المعطى بن عبد الخالق، فاستمد المؤلف بعض أخباره من ولده محمد بن محمد المعطي. مما أضفى على هذه الترجمة نوعا من الوثوقية، فجاءت روايته مصدرة بعبارات: "وحدث ولد صاحب الترجمة الدين الخير النزيه العلامة الخاشع الوجيه سيدي محمد بن محمد المعطى"[4].

ويندرج ضمن الصنف الخامس رواة أسماؤهم مجهولة وغير محددة، وقد دلت على هذا الصنف عبارات عديدة، نذكر مثلا: "ما حدث به رجل،"[5] و"ما حدثني به بعض الإخوان"[6]، و"ما حدثني به بعض الثقات"[7].

وكان المؤلف في ابتداء عرضه لأخباره يقوم بذكر أسماء رواته، وصفاتهم، وما يتميزون به من خصال دينية وعلمية؛ حيث حلى بعضهم بالفقيه الأديب النزيه...

وإذا تمعنا في هذه الروايات، نستشف أن المؤلف تعامل مع أخبار رواته بنوع من التمحيص والتحري والدقة حتى يضفي على الخبر القوة التوثيقية، وهكذا نراه يدقق في الرواية بقوله: "ما حدثني به الفقيه الأجل الدّين الأمثل سيدي محمد بن عبد الكريم العبدوني **بمحضر سيدنا المعطى**"[8]، و"ما حدثني به سيدنا المعطى عن الفقيه الأجل

---

[1] الحسن المعداني، "الروض اليانع الفائح..."، ن م، 86 ج، ص127.

[2] نفسه، ص: 179-180.

[3] نفسه، ص: 129.

[4] نفسه، ص: 381-390.

[5] نفسه، ص: 129.

[6] نفسه، ص: 173.

[7] نفسه، ص: 177.

[8] نفسه، ص:159.

الخير الأمثل سيدي أحمد الفتوح وتلقيته منه أيضا"[1]. مما يثبت بأن المؤلف كان يحرص ما أمكن على نقل الخبر من مصدره الأصلي ويربطه بقرائن الأحوال المصاحبة للرواية؛ حتى يقطع دابر الشك والريبة عن الخبر المروي عن رواة موثوق بهم من أهل الدين والتصوف، ممن نشأوا بالزاوية الشرقاوية، أو نهلوا من شيوخها.

3- المشاهدة والمعاصرة:

ومن مقتضيات شدة مصاحبته لشيخه محمد صالح، ومعرفته بأحواله ومعاصرته له بالمشيخة ومشاهداته لمناقبه، ما يحكيه بنفسه عن شيخه فيما وقع له. ويزخر الكتاب بأمثلة عديدة؛ من ذلك قوله مثلا: **"ما وقع له سنة أربع وثلاثين ومائة وألف لما** خرج النصارى دمرهم الله بثغر سبتة بجنود عديدة، وكانت بينهم وبين المسلمين حروب كثيرة. وتروع الغرب من ذلك، وأمر السلطان الأعظم مولانا إسماعيل نَضَّرَ الله وجهه بالجهاد في القبائل وبعث من وصفانه عبيد سيدي البخاري اثني عشر ألف، وكانت في تلك السنة مجاعة عظيمة، فأنشد قصيدته المعلومة في الانتصار بصلحاء المغرب في دفع ما نزل به من ذلك"[2].

نستخلص من خلال هذا العدد الهائل من المصادر المذكورة في الكتاب القيمة العلمية لمؤلف "الروض اليانع الفائح في مناقب أبي عبد الله محمد المدعو بالصالح"، ويبين أن الحسن الهداجي المعداني اعتمد على عدد كبير من المصادر المتنوعة مكتوبة وغير مكتوبة، وأقوال وآراء كبار علماء التصوف السني، أمثال الشيخ الجنيد (ت: 277هـ)، وأبي الحسن الشاذلي (ت: 656هـ)، وابن سليمان الجزولي (ت: 870هـ)، وأحمد زروق (ت: 889هـ)، وأمثالهم في المشرق والمغرب، مما يؤكد سعة علمه وثقافته.

---

[1] الحسن المعداني، "الروض اليانع الفائح..."، ن م، 86 ج، ص: 158.

[2] نفسه، ص172.

المطلب الثالث: قيمة الكتاب وعناية العلماء به:

تتجلى قيمة هذا الكتاب المخطوط وأهميته فيما حظي به من عناية من قبل العلماء والنساخ وذلك للاعتبارات التالية:

غزارة المادة الصوفية والتاريخية والاجتماعية والثقافية بما اشتمل عليه من كرامات الأولياء ومناقبهم واستمدادها من الكتاب والسنة وسير الصحابة.

كما أنه تضمن مجموعة من القواعد الصوفية ومن مسائل التصوف والسماعات والأسانيد كالمصافحة في سلوك طريق التصوف. وكذا مجموعة من المفاهيم والمصطلحات الصوفية؛ من ذلك صلة العلم بالتصوف وتلازم الاستقامة والكرامة، والسماع، والعزلة، والمجاهدة والمكاشفة، وأهمية كل ذلك في الإشعاع العلمي والروحي للزاوية، وفي الاستقرار السياسي والاقتصادي للمنطقة.

ثم إن أسلوب محمد الصالح التربوي ينهج نهجا شاملا في تربية المريد وبقدر عنايته بالمذهب الصوفي القائم على الذكر والاستغفار والتوسل. واعتنى كذلك بصحة المريد، وسلامته، مما جعله يطلب من الشيخ عبد القادر بن شقرون، نظم أرجوزة تحتوي على نصائح وفوائد في أنواع المأكولات والمشروبات والملبوسات.

ومما أسهم في ذيوع صيت هذا الكتاب المتعلق بشخصية محمد الصالح، هو أنه تضمن دلائل الخيرات الذي نظم في أحزاب وأوقات معلومة. وحزب الفلاح الذي عرف بدوره عناية من قبل مريدي الزاوية.

وتزداد أهميته أيضا باحتوائه على أسماء أبرز شيوخ التصوف وأعلامه بالمغرب عامة وبمنطقة تادلا خاصة. ويزخر أيضا بكثير من أعلام التصوف بمنطقة تادلا لا نجد لهم ذكرا في مصادر التراجم والطبقات وإنما انفرد بذكر أسمائهم منهم:

- الفقيه محمد بن يوسف.
- الفقيه العربي الإسحاقي.
- الفقيه عبد الله الغزواني العميري الجباري.
- المرابط أحمد زروق المباركي.
- الفقيه صالح النفاتي الفكروني الشكدالي.

- الفقيه محمد بن مولود الزموري.
- الفقيه محمد مع الله المعداني.
- المحجوب العريفي المساوي.
- الفقيه ابن الطيب الفيلالي.
- الفقيه أبو بكر السيفى.
- الفقيه الحاج محمد بن يوسف.
- الفقيه عبد المومن البغادي.
- الفقيه محمد بن أبي يعزى المعداني.
- أحمد بن عبد الخالق.

وهؤلاء الأعلام هم من علماء الزاوية وفقهائها الذين اشتغلوا بالتدريس في مختلف العلوم. ويحتاجون إلى بحث مستقل من أجل الترجمة لهم ودراسة حياتهم.

خلاصة:

لقد تميز كتاب "الروض اليانع الفائح ..." من خلال خطبة مؤلفه، بأسلوبه الواضح السهل، وعدته المصدرية المتنوعة، واستدلالاته القوية على المسائل والقضايا؛ بنصوص من القرآن الكريم والسنة النبوية، والحكم والأمثال والأشعار والحكايات والكرامات والروايات.

كما كانت له ملكة نقدية راسخة، بدت من خلال تدخلاته في التقويم والرد والشرح والتفسير وإبداء الرأي والاستنتاج. وتجسدت كذلك في قدرته على تجميع مادته وعرضها عرضا منطقيا، مما يضفي على مؤلفه قيمة علمية، فهو لا يكتفي بما يقتبسه من غيره، بل يضيف إلى ذلك معلومات أخرى ينفرد بها عنهم.

المبحث الثاني: منهج المؤلف في عرض القضايا وتفسيرها:

المطلب الأول: طريقته في التعامل مع المصادر:

إن المنهج الذي سلكه المؤلف في تأليف كتاب "الروض اليانع الفائح..." يدفعنا إلى الإقرار بأن المؤلف كان على إطلاع مسبق بما كتبه سابقوه في مجال الترجمة المنقبية.

وإذا ما رجعنا إلى الكتب مثل: "المعزى في مناقب الشيخ أبي يعزى" لأحمد التادلي الصومعي[1]، (ت: 1013هـ)، و"المرقي مناقب الشيخ محمد الشرقي" لعبد الخالق بن محمد العروسي[2] الذي كان حيا عام 1139هـ، و"الفتح الوهبي في مناقب الشيخ العربي" لأبي حامد محمد العربي الشرقي[3]، نجد تقاربا بين هذه المؤلفات وبين كتاب "الروض اليانع الفائح في مناقب الشيخ أبي عبد اله محمد المدعو بالصالح" من حيث التبويب ومواد الكتاب وطريقة العرض.

ونبين فيما يأتي عناصر المنهج التي سار عليها المؤلف من خلال تعامله مع المصادر سواء على مستوى الاقتباس والتوثيق، أو على مستوى التعليل والاستدلال والمناقشة.

ثم إن ما ينبغي تسجيله فيما يتعلق بالمصادر أن المؤلف كان يصرح بها عند الاستفادة منها، فقد حرص على إثبات النصوص كما وردت في الأصل عند أصحابها، وفي بعض الأحيان يقوم بتغيير بعض الحروف من غير أن يؤدي ذلك إلى الإخلال بالسياق العام للنص. كما كان يشير إلى بداية النقول، كأن يقول مثلا: "قال أبو العباس أحمد بن موسى المرابي في "تحفة الإخوان ومواهب الامتنان"[4]، و"قال ابن عبد القادر التستاوتي في كتابه "النزهة"[5]".

وقد يعين المؤلف مواطن النقول المستشهد بها ضمن فصول المصدر المعتمد؛ مما يسهل على القارئ إمكانية ضبط موضع النقل في يسر. فمن أمثلة ذلك قوله: "ما ذكره

---

[1] المعزى في مناقب الشيخ أبي يعزى، لأحمد التادلي الصومعي، تحقيق علي الجاوي، منشورات كلية الآداب، أكادير.

[2] المرقي في مناقب الشيخ محمد الشرقي، لعبد الخالق بن محمد العروسي، تحقيق محمد البقالي.

[3] الفتح الوهبي في مناقب الشيخ العربي، لأبي حامد محمد العربي الشرقي، دراسة وتحقيق محمد أفيلال.

[4] الحسن المعداني، "الروض اليانع الفائح..."، ن م،86 ج، ص: 68.

[5] نفسه، ص: 85.

الشيخ اليافعي في كتابه روض الرياحين في حكايات الصالحين، الحكاية السابعة والسبعين بعد المائة"[1]، وقوله: "ومن ذلك الحديث الذي أخرجه البخاري، وغيره في أسيد بن حضير وسيد عباد بن بشر رضي الله عنها"[2]، و"قلت في روض الرياحين، في حكايات الصالحين للإمام اليافعي ﷺفي الحكاية الحادية عشر بعد الأربعمائة"[3].

أما مسألة توثيق النصوص عند المؤلف، فهي تتخذ أشكالا مختلفة من مصدر إلى آخر فهو أحيانا يلجأ إلى التوثيق الكامل، حيث يستهل نقوله بذكر اسم الكتاب واسم صاحبه، مثل قوله: "قال في كتاب صفوة ما انتشر في أخبار صلحاء القرن الحادي عشر للفقيه الصغير الإفراني المراكشي"[4]. و"قال ابن عسكر الشفشاوني في الدوحة"[5]و"قال أبو علي في فهرسته"[6] و"قال أبو سالم في تحفة الأخلاء"[7]، و"قال عبد الوهاب الشعراني في جواهره"[8] والأمثلة عديدة في هذا المجال.

وفي بعض الأحيان يقتصر على ذكر اسم الكتاب دون ذكر مؤلفه، كقوله مثلا: "قال في الجواهر الحسان"[9]، و"قال في المعيار"[10]، و"قال في المرآة"[11]، و"قال في الدوحة"[12].

وأحيانا يذكر اسم المؤلف دون ذكر لكتابه كقوله مثلا: "قال أبو القاسم الجنيد"[13]، و"عن سيدي أبي مدين"[14]و"عن دي النون المصري"[1] و"قال المنجور"[2].

---

[1] الحسن المعداني، "الروض اليانع الفائح..."، ن م ،86 ج، ص: 92.

[2] نفسه، ص: 27.

[3] نفسه، ص: 12.

[4] نفسه، ص: 47.

[5] نفسه، ص: 64.

[6] نفسه، ص : 84.

[7] نفسه، ص: 84.

[8] نفسه، ص: 18

[9] نفسه، ص: 6.

[10] نفسه، ص: 34 مكرر 1.

[11] نفسه، ص63.

[12] نفسه، ص: 66.

[13] نفسه، ص: 394.

[14] نفسه، ص: 36.

وفي بعض الحالات يأتي بنقول **خالية من اسم الكتاب واسم صاحبه**، بقوله: و"قد قال بعضهم"[3]، و"قال بعض الأئمة"[4]، و"قيل"[5]، و"يقال"[6] و"حكى بعض الثقات"[7]، و"قال بعض العارفين"[8].

كما أنه اعتاد التنبيه على نهاية النقول بعبارات مختلفة مثل: "انتهى"[9] و"انتهى من خطه"[10] و"انتهت الرسالة"[11] و"انتهى من خط مؤلفه"[12] و"انتهى بلفظه من خطه"[13]و"انتهى المقصود من المقصورة"[14].

ومما يلاحظ أن المؤلف كان يرجع إلى بعض المصادر أكثر من مرة في كتابه اليانع. فقد يتعدد النقل من كتاب روض الرياحين في حكايات الصالحين" و"عبد الوهاب الشعراني في جواهره" و"ممتع الأسماع" و"صفوة ما انتشر" و"دوحة الناشر" و"المحاضرات لليوسي".

كما أن المؤلف في بعض الأحيان ينهج نهجا متقطعا متباينا، من حيث الوحدات المضمونية المكونة للموضوع، بحيث نجده داخل النص الواحد يأتي بفقرات متقطعة غير متسلسلة سياقيا، ويربط بينها بعبارات مختلفة، كأن يقول مثلا: "ومن ذلك

---

[1] الحسن المعداني، "الروض اليانع الفائح..."، ن م،86 ج، ص: 36.

[2] نفسه، ص: 34مكرر1.

[3] نفسه، ص: 6.

[4] نفسه، ص: 11.

[5] نفسه، ص: 17.

[6] نفسه، ص: 82.

[7] نفسه، ص: 82.

[8] نفسه، ص: 19.

[9] نفسه، ص: 369.

[10] نفسه، ص: 391.

[11] نفسه، ص: 295.

[12] نفسه، ص: 286.

[13] نفسه، ص: 435.

[14] نفسه، ص: 437.

الحديث... ومن ذلك ما ورد... ومن ذلك ما جاء... ومن ذلك ما روى... ومن ذلك قضية سيدي تميم... ومن ذلك ما يحكى... ومن ذلك قضية سيدي سفينة"[1].

يتضح أن أسلوبه يتسم بالوثاقة والضبط في نقل الأخبار من مصادرها وعزوها الى أصحابها، والأمانة العلمية في تحديد مواطن النصوص ونقلها. أما ما لا يتذكر مصدره من الاستشهادات فإنه يبنيه للمجهول. وقد اجتهدنا في رد غالب هذه النقول الى مظانها، وتبين أسلوب المؤلف في توثيقها.

المطلب الثاني: أصول الاستدلال عند المؤلف:

كان الحسن الهداجي المعداني لا يكتفي بنقل النصوص وتجميعها بل كان في كثير من الأحيان يعقب على تلك النقول بتعليقات تبرز حسه النقدي، الذي كان يصدر فيه عن ثقافة علمية واسعة في علوم الفقه والحديث والتفسير والتصوف والأدب والتراجم وأحوال الرجال. وقد سلك في تدخلاته ومناقشات منهج التحليل العلمي معتمدا في ذلك على أدلة وحجج عديدة من الكتاب أو السنة أو من أقوال العلماء المتقدمين.

و قد أمكننا أن نحدد أصول الاستدلال لديه فيما يأتي:

1- الاستدلال بالقرآن الكريم:

ورد في كتاب "الروض اليانع الفائح..." عدد كثير من الآيات القرآنية، حيث عددنا مائة وأربعة آية، ساقها المؤلف بغرض الاستشهاد بها في بعض القضايا المعرفية؛ باعتبار القرآن هو المصدر الأول للتشريع الإسلامي. فمن الآيات القرآنية التي استشهد بها المؤلف لإبراز فضل الأولياء. قول الله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[2]، وقوله عز وجل: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾[3].

---

[1] الحسن المعداني، "الروض اليانع الفائح..."، ن م، 86 ج، ص: 27.

[2] سورة يونس، الآية: 64.

[3] سورة المائدة، الآية: 54.

وفي معرض ثبوت الكرامة للأولياء نجده يستشهد بآيات قرآنية، منها قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ءِ الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[1]، وقوله تعالى أيضا: ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾[2].

وفي حديثه عن أفضلية العلم استحضر بعض الآيات من القرآن الكريم، نذكر على سبيل المثال، قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[3]، وقوله عز وجل: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ﴾[4].

2- الاستدلال بالأحاديث النبوية:

ضم كتاب "الروض اليانع الفائح..."أحاديث نبوية كثيرة، استشهد بها المؤلف في مواضيع مختلفة من كتابه؛ ففي الفصل الأول من المقدمة الموسوم ب "فضل الأولياء" أورد المؤلف، أحاديث نبوية أكثر من خمسة أحاديث؛ منها قولهﷺ: **(مَنْ عَادَى لِي وَلِيّاً فقد آذنته بالحَرْبِ)**[5]، وقوله ﷺ: **(سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ الله بِظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ)**[6].

أما في باب ثبوت الكرامة للأولياء، فاستشهد المؤلف بأحاديث نبوية تثبت وجود كراماتهم، نذكر على سبيل المثال، "حديث جريج الراهب[7]، وحديث أصحاب الغار[8]، وحديث البقرة[9]، وحديث الذئب"[10].

---

[1] سورة آل عمران، الآية: 37.

[2] سورة مريم، الآية: 25.

[3] سورة فاطر، الآية: 28.

[4] سورة الفرقان، الآية: 44.

[5] الحسن المعداني، "الروض اليانع الفائح..."، ن م، 86، ص: 8.

[6] نفسه، ص: 9.

[7] نفسه، ص: 21.

[8] نفسه، ص:21

[9] نفسه، ص:21.

[10] نفسه، ص:21

3- الاستدلال بأقوال العلماء:

حرص المؤلف بعد استشهادته بآيات قرآنية، وبما ورد في السنة النبوية من أحاديث أن يستشهد في بعض موضوعات كتابه بأقوال من تقدمه من العلماء والمتصوفة في عدة مواطن، من ذلك المسائل الاتية:

- ففي موضوع سيدنا أحمد الخضر عليه السلام، قال المؤلف: "وقد اختلف في سيدنا الخضر عليه السلام، هل هو نبي أو ولي؟ والصحيح أنه ولي لا نبي عند أهل العلم. كما أن الصحيح عند الجمهور منهم أنه الآن حي. وبهذا قطع الأولياء ورجحه الفقهاء والأصوليون وأكثر المحدثين"[1].

ثم شرع في الإتيان بآراء العلماء في هذه القضية؛ فاستدل برأي عمرو بن الصلاح، وعز الدين بن عبد السلام، والشيخ تقي الدين، والقاضي نجم الدين الطبري[2].

- أما في موضوع ثبوت الكرامة للأولياء، فقال المؤلف: "فإن ذلك من قبيل الجائز إذ لا استحالة في ذلك عقلا، لأنها من قبيل الممكنات، كظهور معجزة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام"[3]. ثم انتقل إلى استعراض آراء العلماء مثل: رأي أبي بكر بن الطيب الباقلاني، وإمام الحرمين، وأبي حامد الغزالي والشهرستاني، وتاج الدين السبكي[4].

- ومن الأمور التي نالت أهمية لدى العلماء، نذكر مثلا: موضوع النقباء والنجباء والبدلاء والأقطاب والأوتاد والغوث[5]، وموضوع الكرامة[6]، وموضوع الفصل في الفرق بين المعجزة والكرامة والسحر وحدودها[7]، وموضوع فضل الأولياء والصالحين والزهاد والعارفين[8] وفي الكلام على زيارات الأولياء من الأحياء والأموات[1].

---

[1] الحسن المعداني، "الروض اليانع الفائح..."، ن م، 86، ص: 11.

[2] نفسه، ص:11

[3] نفسه، ص: 19.

[4] نفسه، ص:19

[5] نفسه، ص:19

[6] نفسه، ص:14 -19

[7] نفسه، ص: 34

[8] نفسه، ص:35-37

ومن اللافت للانتباه، أن المؤلف لم يقتصر عمله وبيانه على فئة من العلماء دون أخرى، وإنما رأيناه يستدل بعلماء الفقه والتفسير والحديث والمتصوفة وعلماء الكلام.

4- الاستدلال بالشعر:

إن من يتصفح فصول كتاب "الروض اليانع الفائح..." تبدو له كثرة القصائد والمقطوعات والأبيات الشعرية، حتى يكاد يخيل أنك أمام مصنف في الأدب، بعضها من إنشاد الشيخ محمد الصالح، وبقيتها من إنشاد غيره. فلا يترك مسألة تمر إلا واستشهد بالشعر. وهو في هذه المسألة يسير على نهج كتاب المناقب.

ويقول الإمام الشاطبي في هذا الشأن: "الاستناد إلى الأشعار في تحقيق المعاني العلمية والعملية؛ وكثير مثل هذا لأهل التصوف في كتبهم، وفي بيان مقاماتهم، فينتزعون معاني الأشعار، ويضعونها للتخلق بمقتضاها، وهو في الحقيقة من الملح، لما في الأشعار الرقيقة من إمالة الطباع، وتحريك النفوس إلى الغرض المطلوب، ولذلك اتخذه الوعاظ ديدنا، وأدخلوه في أثناء وعظهم[2].

بناء على ما سبق فإن الدافع الى الاستدلال بالشعر هو تحريك أحاسيس القارئ وإمالة طبعه، وحمله على الاقتناع بما المؤلف بصدد الدفاع عنه.

وهكذا نذكر على سبيل المثال، حديثه عن أهمية العلم وفضله وشرفه، فاستدل بأبيات شعرية تحض على العلم وطلبه[3].

واستشهد أيضا بمقصورة أبي العباس أحمد بن فتوح التازي في سند الشيخ محمد الشرقي والتي يبرز منها سند اتصال الشيخ الجزولي بالشيخ أبي الحسن الشاذلي [4].

---

[1] الحسن المعداني، "الروض اليانع الفائح..."، ن م، 86، ص:117

[2] أبو اسحاق الشاطبي (ت 790ه)، الموافقات في أصول الشريعة، تحقيق عبد الله درار محمد عبد الله درار وعبد السلام عبد الشافعي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ص: 48.

[3] سبق الاستشهاد بها.

[4] سبق الاستشهاد بها أيضا.

وهو ما يبين قوة الحافظة لدى المؤلف. وسلامة منهجيته في التوثيق والضبط واختيار مصادر الاستدلال المعتبرة لدى علماء الشريعة بمختلف أصنافهم. وهذا يبرز لنا تمكنه في منهج الجدل والمناظرة والاحتجاج والإقناع بأسلوب بسيط ولغة واضحة.

المطلب الثالث: منهجيته في العرض والمناقشة:

تبرز منهجية المؤلف فيما يقدمه للقارئ بإزاء القضايا والمسائل والحجج والبراهين والمفاهيم والمصطلحات المرتبطة بموضوع الكتاب. ثم إنه كثيرا ما يبدي رأيه فيها، ويحرص على إطلاع القارئ على وجهة نظره.

ومن مفاتيح منهجيته في العرض أن يستهل تدخله بعبارة "قلت"؛ حيث أكثر منها في الكتاب: في ثلاث وخمسين مناسبة تقريبا. أما سياق استعمالها فهو كل أمر يتصل إما بالرد على مصادره، أو عندما يشرع في التعليق على خبر أو كرامة.

ونبرز ذلك من خلال الأمثلة الآتية: عند حديثة عن كرامات الشيخ محمد المعطى بن عبد الخالق، قال المؤلف: "إنه كان يصلي بالليل مرة، وكانت زوجته جالسة خارج البيت، فسمعته يبكي، ثم سمعته يضحك، ورأت البيت امتلأ نورا"[1]. شرع في التعليق عليها قائلا: "قلت وفي هذه الكرامة أمران الأول: منهما بيان زهده في الدنيا، وغض طرفه عنها وإعراضه عنها، وتجافيه عن زينتها، وإقباله على النعيم المقيم، وسروره به. وفرحه وضحكه حيث بشره سيد الوجود بالجنة، على أنه ليس فرحا لذاتها، وعمله لأجل نيلها وحصولها، ورجاء الثواب على عمله. أما الامر الثاني: مما استفيد من كرامة صاحب الترجمة رؤيته له ﷺ يقظة؛ و هي أعظم الكرامات"[2].

---

[1] الحسن المعداني، "الروض اليانع الفائح..."، ن م، 86 ج، ص: 393.

[2] نفسه، ص:393.

وعند تناوله بعض كرامات الشيخ محمد الصالح، تتعلق بـ "حالة سفينة المسلمين وما أراد الكفار بها من الحرق، وأنه اختار لها الغرق على الحرق"[1]. شرع في التعليق عليها، قائلا: "قلت ويستفاد من هذه القضية ومن أمور نحوها أن الشيخ كان من أهل الإغاثة في البر والبحر"[2].

ونفهم من خلال طريقة عرضه لكرامات الشيخ محمد الصالح أنه يورد الأشباه ونظائرها؛ فيستعمل عبارات دالة على التماثل، وذلك قوله: "ما وقع لسيدي أبي جعفر مع شيخه الكامل سيدي أبي يعزى التي ذكرها في التشوف"[3].

كما أن المؤلف يخاطب المتلقي بأسلوب جدلي، بحيث يدعوه إلى التأمل والنظر، فيستعمل عبارات: "فانظر، رحمك الله، إلى هذه المنزلة ما أعظمها"[4]، "وتأمل رحمك الله"[5]، و"انظر هذه العناية الربانية لهذا الشيخ"[6].

دأب المؤلف، بعد ما ينتهي من بسط موضوعه ومناقشته والاستدلال بما ينبغي له، وطلب التأمل والنظر فيه، أن يستخلص ما يجب الاستفادة منه، فيستعمل لذلك العبارة الآتية: **"وبالجملة"**؛ قال: "**وبالجملة** فقد كان ﷺ–أي عبد الله الغزواني- من الأئمة في وقته في تربية المريدين، وممن له قدم راسخ في الطريق"[7]. وقال أيضا: "**بالجملة** إن الشيخ أبا الحسن الشاذلي لما قربت وفاته أوصى أصحابه، فكان من **جملة** وصيته لهم أن قال لهم: عليكم بحزب البحر، وقال لهم: حفظوه لأولادكم"[8].

---

[1] الحسن المعداني، "الروض اليانع الفائح..."، ن م، 86، ص: 192.

[2] نفسه، ص:192

[3] نفسه، ص: 130.

[4] نفسه، ص: 79.

[5] نفسه، ص:79

[6] نفسه، ص: 131.

[7] نفسه، ص64.

[8] نفسه، ص: 73.

إن ما يتميز به أسلوب الحسن الهداجي المعداني في كتابه "الروض اليانع الفائح..."، هو الوضوح في العبارة، والدقة في الشرح والتفسير، والخلو من التكلف والصنعة. ينساق القارئ معه بكل تلقائية. "ومن ثم جاء مؤلفه وما تضمنه بعيدا كل البعد عن الإطناب الممل، خال من كل حشو يضر بوحدة الموضوع وأفكاره، وهو ما امتاز به عن كتاب المرقي، هذا إلى جانب كون مادته مستقاة من منابعها الأصلية والأصيلة"[1].

كما أنه يلجأ كثيرا إلى استعمال بعض العبارات والكلمات الجارية في اللسان المغربي الدارج، مثل: "نُسَيْفِطُكَ"، و"ما عْقَلْتْ هل بِقَيْشَرْ أو سيدي النَّفَاتِي" و"قال له الله يُطَيِّرُهُ"، و"يَمْشِي مع البَقَر لِلسَّرْحِ" و"إذا بالصَّبِي مُكَتَّفٌ"، و"أنت ذَاهِبٌ عَقْلُكَ"، و"حَلَفْتُ في نَفْسِي بِالحَرَامِ يا أَبَا الجَعْدِ عُمْرِي لَا رَجَعْتُ لَكَ ما دَامَ الصَّالَحْ بنْ المَعْطِي فِيكَ"، و"هَيْدُورَة"، و"البَرْمَة"، و"إِينُورْ"، و"خَابِيَة"، وغيرها كثير. كما كان يستعمل بعض العبارات الأمازيغية مثل: "منتن تزالات" ومعناها بالعربية سِرْ تَصَلِّي.

ومن خصائص أسلوبه أيضا التتابع السردي لكرامات الأولياء عامة وكرامات الشيخ محمد الصالح، خاصة مما أضفى على النص مسحة فنية بليغة و وحدة بنائية ووحدة موضوعية.

ثم إنه استعمل أسلوب السجع كثيرا، وخاصة في تجلياته التي خص بها الأعلام المترجم لهم، ونخص بالذكر الشيخ أبو عبد الله محمد المدعو بالصالح على سبيل المثال لا الحصر قال: "هو العالم العلامة، الدراكة الفهامة، ذو المجد الراسخ، والشرف الشامخ، طود المواهب والعرفان، وينبوع الفضائل ونخبة الزمان، الورع الزاهد المكاشف العابر، أعجوبة عصره وفريد دهره، مركز الصلاح، ومنبع المرابح، الولي الصالح، التقي النقي الناصح[2].

ومن السمات التي طبعت أسلوبه توظيف الاستطراد، كلما استوجبه السياق؛ وفي هذا يقول الجرجاني: "الاستطراد: سوق الكلام على وجه يلزم منه كلام آخر، وهو غير

---

[1] أحمد بوكاري، الزاوية الشرقاوية، ج250/1

[2] الحسن المعداني، "الروض اليانع الفائح..."، ن م، 86 ج، ص: 44.

مقصود بالذات بل بالعرض[1]. وهذا ما يؤكده ابن رشيق القيرواني قائلا: "الاستطراد وهو أن يري الشاعر أنه في وصف شيء وهو إنما يريد غيره، فإن قطع أو رجع إلى ما كان فيه فذلك استطراد، وإذا ما تمادى فذلك خروج. وأكثر الناس يسمي الجميع استطرادا، والصواب ما بينته[2].

ومن أمثلة ذلك، نذكر استطراد المؤلف أثناء تناول ترجمة الشيخ محمد الصالح؛ فاستطرد في الحديث عن النسب، وسرد آيات قرآنية، وأحاديث نبوية، ثم عرض أقوالا لكبار المتصوفة، أمثال الحسن اليوسي وغيره، وطال الاستطراد خمس صفحات، ثم رجع الى إتمام ما بدأ من الترجمة.

المطلب الرابع: بنية التراجم لدى المؤلف:

إننا ونحن ندرس منهج المؤلف في تراجمه للأعلام الواردة في كتاب "الروض اليانع الفائح..."، تمكنا من بيان ما بني عليه منهجه؛ بحيث إنه اشتمل على العناصر الآتية:

أولا: التحلية: اعتاد الحسن الهداجي المعداني على تحلية الشيوخ الذين ترجم لهم بأوصاف جليلة ترفع من قدرهم، وتعلي من هيبتهم ومنزلتهم في أوساط العلماء والمتصوفة. وغالبا ما كانت عبارات التحلية ترمز إلى تفوق ونبوغ المترجم له. من ذلك أنه استهل ترجمة الشيخ محمد الصالح بقوله: "العالم العلامة، الدراكة الفهامة، ذو المجد الراسخ، والشرف الشامخ، طود المواهب والعرفان، وينبوع الفضائل ونخبة الزمان، الورع الزاهد المكاشف العابد، أعجوبة عصره، وفريد دهره، مركز المصالح، ومنبع المرابح، الولي التقي النقي الناصح..."[3]، وقوله أيضا عن الشيخ محمد الشرقي: "العارف الصمداني، والقطب الكامل النوراني، شهير الصيت والذكر، وعظيم الجاه والقدر، الطود الكبير، الولي الشهيد، مربي المريدين، ونخبة المجذوبين والسالكين، أستاذ الطريقة، وسلطان الحقيقة"[4]. ويقول عن الشيخ أحمد بن ناصر الدرعي: "شيخ المشايخ

---

[1] الجرجاني، معجم التعريفات، ص: 20.

[2] ابن رشيد القيرواني، العمدة، ص: 231-232.

[3] الحسن المعداني، "الروض اليانع الفائح..."، ن م، 86 ج، ص: 44.

[4] نفسه، ص: 58.

الأعيان وغرة العصر والدهر والآوان، عالم الأعلام، وقدوة الأكابر الكرام"[1]، إلى غير ذلك من التحليات الكثيرة التي يعج بها لكتاب. وقد لاحظنا أن عبارات التحلية تختلف لديه إلى حد ما من شيخ إلى آخر، وتتفاوت بحسب أقدار المترجم لهم ودرجاتهم. كما أن السمات والعناصر المكونة للترجمة (إسمه، سنه في حفظ القرآن، بلدته، شيخه في التحفيظ...) تكاد تغيب بين ثنايا عبارات التحلية الكثيرة.

ثانيا: النسب والكنية: يعد النسب من العناصر الأساسية في بناء هيكل الترجمة، لذلك نجد المؤلف يحرص على ذكره ضمن مواد ترجمته، فنراه يوثق عمود نسب محمد الشرقي المتصل بجده عمر بن الخطاب.

قال: "فهو أبو عبد الله سيدي محمد الملقب بالشرقي، بن أبي القاسم بن محمد الزعري بن عمر بن حم بن مهدي بن حمامة بن سعيد بن عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن سليمان بن سمير بن يعقوب بن فاضل بن عمر بن موسى بن أحمد بن محمد بن مرداس بن هلال بن عمر بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ﷺ"[2].

ثالثا: المشيخة:

تعتبر المشيخة في علم التصوف والمناقب عنصرا ضروريا؛ لذلك فإن كتاب التراجم دأبوا على ذكر شيوخ المترجم لهم في الطريقة. حيث إن السالك عامة والمريد خاصة لا تكتمل مكانته العلمية والصوفية إلا إذا خضع لتربية صوفية من قبل شيخ صوفي عارف بأمور الطريقة.

وقد تناول الحسن الهداجي المعداني في كثير من تراجمه، الشيوخ المترجم لهم والتعريف بهم وذكر مناقبهم؛ كما هو حاصل في ترجمة الشيخ محمد الصالح. فبعد أن ذكر شيوخه والده الشيخ محمد المعطى بن عبد الخالق، وأبو علي الحسن اليوسي، والشيخ محمد بن سعيد الهبري الطرابلسي، والشيخ أحمد بن عبد القادر التستاوتي، توقف عند شيخه الذي اعتمد عليه، وهو الشيخ أحمد بن محمد بن ناصر، شيخ

---

[1] الحسن المعداني، "الروض اليانع الفائح..."، ن م، 86ج، ص:74

[2] نفسه، ص434.

الطريقة الناصرية، كان محمد الصالح يعظم شيخه هذا ويفخمه، ويثني عليه في المحافل ويبجله وإذا ذكر تضاءل عند ذكره[1].

وهذا التوقف والاعتماد والتعظيم والتبجيل والثناء يدل على عمق الصحبة الروحية وقوة المشيخة وشمولها.

وذكر أيضا شيوخه في العلم، أمثال والده الشيخ محمد المعطى بن عبد الخالق، الذي أجازه في المصافحة[2]، والشيخ محمد بن عبد القادر بن علي بن يوسف الفاسي الذي أجازه إجازة مطلقة عامة[3].

رابعا: الصفات الخلقية:

كان المؤلف يحرص في تراجمه على ما يتحلى به المترجم له من صفات حميدة، وأخلاق جليلة عرفت وشاعت في حق ذلك العلم؛ مثل الزهد والورع والتواضع، والوفاء بالعهد، وطاعة الشيوخ وخدمتهم والتأدب معهم، وغيرها من الصفات الأخلاقية الفاضلة.

ونذكر في هذا الشأن زهد وورع الشيخ محمد الصالح[4]، وسخاء وجود السيدة رحمة بنت حمزة أنها وهبت كل ما لها من الحلي من صداقها لما دخلت به على نساء الولي الصالح سيدي عثمان أمسناو[5].

خامسا: التكوين الصوفي والديني:

يراعي المؤلف في الشيوخ المترجم لهم نبوغهم وتفوقهم في بعض العلوم كالفقه والحديث والتفسير والتصوف وذكر مقاماتهم الصوفية. وهكذا نجد المؤلف يثبت للشيخ محمد الصالح أنه كان من الأوتاد[6].

---

[1] الحسن المعداني، "الروض اليانع الفائح..."، ن م، 86 ج، ص: 74

[2] نفسه، ص: 57

[3] نفسه، ص: 111.

[4] نفسه، ص44.

[5] نفسه، ص: 442.

[6] نفسه، ص: 164

سادسا: الكرامـات:

وردت بكتاب "الروض اليانع الفائح..." كرامات كثيرة، بحيث لا يخلو أي فصل من فصول الكتاب، من ذكر كرامات معظم الأعلام المترجم لهم من الأولياء والصحابة والعلماء. ولذلك اعتبرها المعداني عنصرا اساسيا في بناء الترجمة.

سابعا: الـوفـاة:

اهتم المؤلف بذكر وفاة كثير من الأعلام المترجم لهم، ومواطن دفنهم في نهاية الترجمة. وفيما يأتي بعض الأمثلة؛ من ذلك وفاة عبد الله بن ساسي، يقول المؤلف: "كانت وفاته ليلة الجمعة السادس والعشرين من شعبان سنة إحدى وستين وتسعمائة، ودفن بزاويته على ضفة واد تانسفت بقرب من مراكش وقبره مزارة عظيمة هناك"[1]. ومنه أيضا تاريخ وفاة أبو علي الحسن اليوسي ومكان دفنه، قال: "توفي بعد قفوله من الحج عام اثنين ومائة وألف ودفن بتمززيت بالقرب من صفرو"[2]. وفي ذكر تاريخ وفاة محمد المعطي، قال: "توفي في صفر سنة اثنين وتسعين وألف حسبما دلَّت علي وصيته التي وجدت بخطه. وقول صاحب المرقي سنة سبعين وألف يرده ما وجد بخطه نفعنا الله به، ودفن بخارج باب الدباغ من حضرة مراكش بجنان العفو، متصلا بقبر شيخه محمد بن إبراهيم التاملي[3]. وعن تاريخ وفاة محمد بن يوسف، قال: "توفي محمد بن يوسف سنة تسع وعشرين ومائة وألف، ودفن بإزاء ضريح سيدي أبي القاسم"[4].

وممن لم يذكر تاريخ وفاته الشيخ أبو القاسم الزعري، يقول المؤلف: "سيدي أبو القاسم نفعنا الله به، وشهرته ﷺتغني عن التعريف به... وقبره مزارة عظيمة للناس بضفة واد أم الربيع قرب قصبة تادلة"[5].

---

[1] الحسن المعداني، "الروض اليانع الفائح..."، ن م، 86 ج، ص: 63.-64

[2] نفسه، ص97.

[3] نفسه، ص: 392.

[4] نفسه، ص: 112.

[5] نفسه، ص: 63.

هذه أبرز العناصر الأساسية التي اعتمد عليها المؤلف في بناء منهج الترجمة، استقرئت لديه في كل تراجمه، إلا أنها لم تضمن باطراد في كل علم على حدة.

خلاصة:

تنوعت أصول الاستدلال عند المؤلف من النصوص القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة وإجماعات الفقهاء والشعر، من حكم وأمثال وأقوال مأثورة عن العلماء، مما يبين سعة علمه وقدرته على توظيف ذلك في منهجية عرضه ومناقشته لقضايا الكتاب بآرائه وتعقيباته الدالة على الحس النقدي البارز. كما لم يخل الكتاب من ذكر الشيوخ والعلماء الذين أخذ عنهم، أو كانت له بهم صلة ما. وقد حلى التعريف بهم بذكر مناقبهم وصفاتهم ونعوتهم.

المبحث الثالث: نماذج من المخاطبات والمراسلات، والإجازات، والمصطلحات الصوفية المعرفة، والأعلام المترجم لهم:

المطلب الأول: نماذج من المخاطبات والمراسلات:

لقد تضمن الكتاب عددا من المخاطبات والمراسلات التي اكتست أهمية كبرى في إغناء مادته العلمية. مما يضفي على المصنف قيمة مصدرية؛ لوفرة الإفادات التاريخية والتراثية المتضمنة فيها؛ حيث من شأنها إغناء البحث العلمي والتاريخي حول قضايا مجتمعية تهم هذه البلاد التادلية.

إن الرسالة الصوفية هي قناة الاتصال المعتبرة بين العلماء والمتصوفة مع بعضهم، وهي كفيلة في هذه الفترة بترسيخ المذهب الصوفي وتوطيد الصلات الفكرية والروحية والاجتماعية بين مختلف أصناف المجتمع المغربي في عهد المولى إسماعيل.

وهذا يبرز لنا روح الرسالة الصوفية بأدبها وأسلوبها ومصطلحاتها ومحتوياتها في تثبيت أواصر المحبة وتجديد العهد والود وتصحيح مسالك الطريق إلى الله. كما أنه يقوي روابط العقيدة والبيعة واللحمة الاجتماعية والثقافية والسياسية في عهد الدولة الإسماعيلية.

لقد ورد في الكتاب أكثر من ثلاثين مكاتبة/ رسالة، تحمل حمولات متعددة في المجال الاجتماعي والديني، والمعيشي؛ منها ما يرتبط بالمعاملات أو المقامات، أو بالعمل الصوفي ومراتبه ومستلزماته (مثل علاقة المريد بشيخه، وما تقتضيه الصحبة من آداب وسلوك، وقضايا أخرى مثل التوبة والتقوى ووسائل طرقية).

ومن نماذج تلك المخاطبات والمراسلات ما يأتي:

- علمنا أن الشيخ محمد الصالح قد انخرط في سلك الزمرة الناصرية، وأخذ الورد الناصري؛ ومما دل على هذا تلبية طلب الشيخ من قبل شيخه أحمد بن ناصر؛ حيث

قال: "وما ذكرت أنك أردت الدخول في الزمرة الناصرية مرحبا بك وأهلا وسهلا، صحح التوبة بشروطها..."[1]. ثم كتب له الورد وبين له كيفية أدائه وشروطه.

- وذكر صاحب "الروض اليانع الفائح..." أن الشيخ محمد الصالح كتب كتابا لأخيه الفقيه محمد بن محمد المعطي، من بلاد إمغران، قائلا: "أما بعد، فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، ومن بلاد أمغران كتبناه إليكم، وأوردناه عليكم عن صحة وعافية، وآلاء متوالية، لولا ما نالنا من مشقة الأسفار وَجَوْبِ القفار، وصعود جبال يَحَارُ في صعودها سِرْبَ القَطَا وتقصر دونها الخُطأ"[2].

- وكتب أيضا الشيخ محمد الحاج بن عبد القادر للشيخ أحمد بن ناصر ملحونة يطلبه فيها الإجازة. ومطلعها قوله:

يا لِشيْخ نَبْغِي مِنْكَ نَدِّ لاِجَـــازَ يَرْتَاح قَلْبِي ويطِيب مْنَامِـــــــي[3]

- وأجابه الشيخ أحمد بن ناصر: قائلا: "أما بعد فمرحبا بك وأهلا راضيا مرضيا، فأنت منا ونحن منك، كروحين حللنا جسدا واحدا فلك ما لنا، وعليك ما علينا، ولسانك لساننا ويدك يدنا وقولك قولنا. ومن أراد الانتماء إلينا والانخراط في سلكنا والإيواء لجانبنا، وأتى إليك وقبلته فهو منا ومقبول لدينا، ولقنه أورادنا، فقد أذنا لك فيه، إذنا عاما، وأطلقنا لك فيه يد التصرف وتصرفك فيه كتصرفنا"[4]. وهي موثقة بتاريخ: ست عشرة خلت من جمادى الأولى، عام سبعة عشرين ومائة وألف عبيد ربه تعالى أحمد بن محمد بن ناصر.

وقد تنوعت المراسلات من نثرية في الغالب إلى نظمية شعرية في بعض الأحيان.

وقد احتلت المادة الشعرية جزءا ملحوظا على خريطة الرسائل، مما يكشف عن القيمة العلمية لهذه الرسائل.

---

[1] الحسن المعداني، "الروض اليانع الفائح..." ن م، 86 ج، ص: 77.

[2] نفسه، ص: 78.

[3] نفسه، ص: 93.

[4] نفسه، ص: 94.

- ولنذكر هنا قصيدة جليلة جميلة حفيلة مشتملة على أنواع البلاغة والفصاحة ولطافة المعنى للشيخ محمد الصالح في الناظم الناثر أحمد بن عبد القادر التستاوتي:

قوله:

يا فَخْرَ أَهْلِ المَغْرِبِ وَمَنْ إِلَيْهِ هرَبِي وَمَنْ إذَا رَأَيْتُه تَذْهَبْ عَنّيِ كُرَبِي

-وقد كتب له أحمد بن عبد القادر التستاوتي:

قوله:

أَدْرَكْتَ كُلّ مَأْرِبٍ وَحُزْتَ كُلّ مَطْلَبٍ وَنِلْتَ في الدَّارَين أَمْناً رَافِعاً للشَّغَب[1]

وقد عملنا على وضع جرد مفصل توضيحي لهذه المخاطبات والمراسلات والإجازات، كالآتي:

المرسل	المرسل إليه	موضوعاتها	الصفحة
أحمد بن ناصر الدرعي	الشيخ محمد الصالح(1)	رسالة جوابية في السلام والتحية والمحبة والدعاء.	347-348
أحمد بن ناصر الدرعي	الشيخ محمد الصالح (2)	رسالة جوابية يطلب الشيخ الدخول في الزمرة الناصرية وكتب له الورد.	348-349
الشيخ محمد الصالح	الفقيه محمد بن محمد المعطي	رسالة في التحية والسلام، يطلعه بما ناله من مشقة الأسفار وهول القفار.	351
أحمد بن ناصر الدرعي	الشيخ محمد الصالح(3)	رسالة جوابية تتضمن تعزية، وإخبارا بالحج، وإذنا في تعليم الورد لمن يطلبه.	349-350
أحمد بن ناصر الدرعي	الشيخ محمد الصالح(4)	في التحية وطلب الدعاء.	350
الشيخ محمد الصالح	أبو العباس أحمد بن عبد القادر	رسالة منظومة في التحية والدعاء والتوصية به خيرا.	371-372
أحمد بن عبد القادر التستاوتي	الشيخ محمد الصالح	رسالة منظومة تتضمن طلب القدوم عنده.	373

[1] الحسن المعداني، "الروض اليانع الفائح..."، ن م 86ج، ص: 107.371-372

سيدي العياشي بن عبد القادر	الشيخ محمد الصالح	رسالة في الوسيلة والتوسل.	374-375
سيدي محمد الحاج بن عبد القادر	الشيخ محمد الصالح	الإجازة في إنشاء الطريقة وتلقين الورد الناصري.	383
الشيخ أحمد بن ناصر الدرعي	سيدي محمد الحاج بن عبد القادر	رسالة جوابية في تلبية طلب إنشاء الطريقة والإجازة في تلقين الورد موثقة بتاريخ: (16 من جمادى الأولى عام 1127هـ)	382-383
سيدي حسين بن محمد بن علي شرحبيل	الشيخ محمد الصالح	رسالة في التحية والشكوى والاعتذار وطلب الدعاء	402-403
سيدي العياشي بن عبد القادر المباركي التستاوتي	الشيخ محمد الصالح	رسالة جوابية في الثناء والسلام والمحبة	404
سيدي أحمد بن إبراهيم العطار	الشيخ محمد الصالح	رسالة في التحية والسلام، وطلب منه أن يبعث له القطارات	404-405
سيدي أحمد العطار	الشيخ محمد الصالح	رسالة جوابية في التحية والسلام والاعتذار بعدم الجواب له	405-406
سيدي عبد الوهاب بن الشيخ المكناسي	الشيخ محمد الصالح	رسالة في الثناء والاشادة والشفاء برقياه	408-409
سيدي حسين شرحبيل	الشيخ محمد الصالح	رسالة في التحية والدعاء وتجديد العهد والمحبة	410-411
السيد المطيب بن محمد	الشيخ محمد الصالح	رسالة في التحية والسلام والاشتياق وطلب الرضى	411-412
الشيخ عبد الوهاب بن الشيخ المكناسي	الشيخ محمد الصالح	رسالة في التحية والثناء وطلب الدعاء	608-610
سيدي محمد بن عبد الله التلمساني	الشيخ محمد الصالح	رسالة جوابية في التحية وتجديد المحبة والاستضافة والاعتذار عن المشراطة وطلب حوائج أخرى (جناح الحدية)	626-628
الفقيه محمد الهاشمي بن محمد بن عبد الله المدعو باشكلنط	الشيخ محمد الصالح	رسالة في التحية والثناء وفي الإعلام بالمحبة	629-630

الفقيه محمد بن عبد الله	الشيخ محمد الصالح	رسالة في التحية والثناء وطلب حوائج وأقوات	631-632
محمد المعطى بن عبد الخالق	لوالده سيدي عبد الخالق	رسالة حول سماعه بالتوجه إلى بلاد تادلا	760-761
أحمد العطار	الشيخ محمد صالح	رسالة للإشادة بمكارم أخلاقه والطلب منه الدعاء	765-766
محمد المعطى بن عبد الخالق	لوالده سيدي عبد الخالق	رسالة جوابية في الالتزام بالطريق	768-769
محمد بن عبد القادر الفاسي	محمد المعطى بن عبد الخالق	رسالة جوابية في موضوع الشهادتين. مسألة النطق بلا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله	773-774

لقد اتسمت معظم المخاطبات والمراسلات والإجازات بالتوثيق التاريخي وتحديد ظرفها الزمني، وتكتسي أهمية بالغة في تسليط الضوء على حلقة أساسية من حلقات التاريخ الصوفي للزاوية الشرقاوية وعلاقتها بباقي الزوايا الأخرى، كالزاوية الصومعية والزاوية الناصرية والزاوية التستاوتية والزاوية الفاسية. وكذلك التعرف على قضايا التصوف التي كانت قائمة آنذاك بين الأشياخ وبين مريديهم، مما يبرز القيمة العلمية والأدبية لهذه المخاطبات والمراسلات والإجازات، وما تحمله من خصوصيات في موضوعها وأسلوبها. وتبرز المستوى الفني والجمالي والبياني للمؤلف. بل هي جديرة بالدراسة والبحث، وأن تكون مشروعا علميا قائم الذات.

المطلب الثاني: نماذج من الإجازات العلمية:

تعتبر الإجازة وسيلة من الوسائل الضامنة لنقل المعرفة من جيل إلى جيل، وهي ترتبط في ثقافتنا الإسلامية، وعلومنا الشرعية بعلم القراءات وعلم الحديث وعلم التصوف، وكذا علم الطبقات.

ويجد مفهوم الإجازة وأنواعها حضورا وافيا مستوفيا بين مصنفي العلوم المذكورة، كما هو متجل في كتاب "الروض اليانع الفائح..." الذي نحن بصدده. ومن أولئك الرجال الشيخ محمد الصالح الذي حظي من شيوخه ومن غيرهم بإجازات علمية عامة ومطلقة. وقد نظمنا طرفا منها فيما يأتي:

نوع الإجازة وسندها	المجيز	عبارة الإجازة	صفحتها في المتن
إجازة في المصافحة	الشيخ محمد المعطى بن عبد الخالق (والده)	وقد أجزت ولدنا محمد الصالح في المصافحة وصافحته فليروها عني بهذا السند.	306
إجازة في تلقين الأوراد وأوراد الشيخ سيدي محمد بن ناصر	الشيخ محمد الحاج بن عبد القادر	هذا إني أجزت السيد البركة السيد الصالح بما أجازني به الشيخ في تلقين الأوراد أوراد الشيخ سيدي محمد بن ناصر.	383
إجازة في تلقين الورد الهبري	الشيخ محمد بن سعيد الهبري نسبة الطرابلسي دارا وتربية وطريقة	ونحن أجزناك في الإعطاء فإذا أعطيته ففوض أمرك للمعطي إليه. موثق بتاريخ: (الخامس في شهر الله المحرم عام تسعة عشر ومائة وألف).	400-401
إجازة علمية عامة	محمد بن عبد القادر بن علي بن سيدي يوسف الفاسي	قد أجزت الأخ الفقيه الناسك محمد المدعو بالصالح في جميع ما يصح لي وعني روايته من كتب الحديث وغيرها إجازة عامة مطلقة بشرطها. موثقة بتاريخ: ربيع الثاني من تسعة بعد مائة وألف.	412-413

إجازة عامة مطلقة (تخص الشيخ محمد المعطى بن عبد الخالق)	عبد القادر الفاسي	وقد أجزت السيد الفقيه في جميع ما ذكر. وأذنت له أن يحدّث عنا بذلك ويرويه بأسانده في ذلك (بتاريخ أوائل جمادى الأخرى عام1099 هجرية)	691

تنوعت إجازات الشيخ محمد الصالح، واكتسبت حظوة كبيرة ومقاما ساميا بين علماء عصره ومريديه. ونال احتراما وتوقيرا من قبل السلطة العلوية. كما برزت قيمة الزاوية الشرقاوية في المجتمع التادلي بواسطة هذه الإجازات العلمية والصوفية.

المطلب الثالث: نماذج من بعض المصطلحات الصوفية المعرفة:

المصطلح	تعريفه في الكتاب	الصفحة
الإجلال	تعظيم مقرون بالحب.	175
الارهاص	ما يظهر على يد الرسول قبل الرسالة	249
الاستدراج	ما يظهر على يد مبتدع.	249
الأقطاب	هم القائمون بحق الكون والمكون	292
الخوف	هرب القلب من حلول المكروه عند استشعاره.	174-175
الأوتاد	هم الراسخون في معرفة الله تعالى.	292
البدلاء	هم الذين استبدلوا صفاتهم بصفات محبوبهم .هم الذين إذا غابوا تبدل في مكانهم صورة روحانية تخلفهم.	292
التصوف	هو ملازمة الكتاب والسنة، وترك الأهواء والبدع وتعظيم حرمات المشايخ ورؤية أعذار الخلائق والمداومة على الأوراد وترك الرخص والتأويلات.	744
الجرس	هو الذي يتلقى الأمر جملة ثم يتبين له فيوجهه إلى ما أريد به مأخوذ من صلصلة الجرس.	292
الرجال	هم الذين لا يشغلهم عن الله شاغل أي عن ذكر الله.	292

الرغبة	اسفر القلب في طلب المرغوب فيه.	175
الرهبة	الإمعان في الهرب من المكروه وهي ضد الرغبة.	175
الزهاد	ملوك الآخرة وهم فقراء العارفين.	254
السحر	أمر خارق للعادة مطرد الارتباط بسبب خاص به.	247
السماع	غذاء الأرواح فإذا بدا السماع تحرك الروح في الرأس واضطربت الجوارح على تعطيش الروح وتصفيته من كدور النفس فإذا كان عطشانا وسمعت النغمة خرجت الروح تطلب غداءها فإذا نزلت من الرأس إلى الوجه يصيح فإذا نزلت إلى الصدر غشي عليه فإذا نزلت من الصدر يموت صاحبها.	661
الولي	أنه المداوم على فعل الطاعات واجتناب المعاصي المعرض عن الانهماك في اللذات	246
العزلة	راحة من خلطاء السوء.	667
العلم	نور يضعه الله في قلب من يشاء	296
العلم النافع	الذي يسلم صاحبه من الكبر والعجب والفخر والحسد والرياء وغير ذلك من أمراض القلوب.	302
العلماء	وهم ورثة الأنبياء.	298
الغزاة	وهم سيوف الله تعالى.	298
الغوت	هو الذي يغيث عن حوله.	292
الفقيه	من زهد في الدنيا.	298
الكرامة	الكرامة هي من مواهب الله لأوليائه، ومن فتوحاته لأحظيائه، وأصفيائه، تأييدا لهم ليزدادوا إيمانا بالقدرة الأزلية، ويقينا بالحكمة المولوية.	197
الكرامة	أمر خارق للعادة غير متحدي به ولا مقارن لدعوى النبوءة ظهر على يد من عرفت ديانته، واشتهرت ولايته واتباع نبيه في جميع ما جاء به لأن من شرط التابع أن يكون على قدم المتبوع، فإن حاد القدم عن القدم فهو مدحور ومدفوع.	244
المعجزة	هي فعل الله تعالى إلى الخارق للعادة المقارن لدعوى الرسالة	244

	متحدا له قبل وقوعه غير مكذب.	
الملوك	وهم رعاة الخلق.	298
النجباء	هم السابقون إلى الله لنجابتهم.	192
النقباء	هم الذين نقبوا الكون وخرجوا إلى فضاء مشاهدة المكون	192
النية	نفحة من نفحات الله تخص بها الله من يشاء من عباده ..	756
الهيبة	خوف مقارن للتعظيم والاجلال وأكثر ما يكون مع المعرفة والمحبة.	175
الوجل	رجفان القلب وانصداعه لذكر من يخاف سلطانه وعقوبته	175

المطلب الرابع: نماذج من الأعلام المترجم لهم:

ترجم المؤلف لكثير من العلماء والفقهاء والمتصوفة المنتسبين للطريقة الشاذلية الجزولية، ولغيرهم من أعلام الفقه المالكي في مختلف بقاع المغرب، ومنطقة تادلا ممن لم يحظ بدراسة ترجمية لدى كتاب التراجم. كما ترجم لشجرة نسب المؤسس أبي عبيد الشرقي. ونذكر منهم:

الأعلام	معلومات عنهم في الكتاب	الصفحة
- أبو حفص عمر بن الخطاب	أبو حفص عمر بن الخطاب بن نغيل بن عبد العزى بن رباح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن غدي	789-790
- أبو الحسن الشاذلي	مولده شاذلة، توفي سنة ست مائة وخمسين وستمائة	336-341
- أبو عبد الله بن عمر بن داوود المختاري	توفي في العشرة السابعة ودفن بموضع يقال له أجروا بإزاء واد الكل على مرحلة من مكناسة، كان من الصالحين.	326-327
- أبو عبد الله محمد بن سليمان الجزولي	يعرف بالجزولي، لكونه في عد الاجزولية، وهي قبيلة من البربر بسوس الأقصى.	327-331
- محمد السنوسي	محمد بن يوسف بن محمد بن شعيب السنوسي وبه عرف.	799

أبو محمد عبد الله بن محمد بن ولي الله سيدي عجال الغزواني	توفي سنة 935هـ ودفن بزاويته بحومة القصور داخل مدينة مراكش وهو مزارة عظيمة مشهورة. المحقق الصوفي، قطب زمانه، وفريد وقته، له الكرامات الكثيرة.	320-326
- أبو القاسم بن محمد الزعري	توفي ليلة الجمعة السادس والعشرين من شعبان سنة 961هـ وقبره مزارة عظيمة للناس بضفة واد أم الربيع قرب قصبة تادلة. كان من الشيوخ المعتمدين والأولياء المعتبرين.	317-319
- عبد الله بن ساسي البونسفي	توفي ليلة الجمعة السادس والعشرين من شعبان سنة إحدى وستين وتسعمائة. ودفن بزاويته على ضفة واد تانسفت بقرب من مراكش وقبره مزارة عظيمة وعليه بناء حفيل ومقام جليل	319-320
- محمد الشرقي	دخل قبره يوم الأحد بين صلاة الظهر وصلاة العصر آخر يوم من النحر ودخل قبره آخر أول يوم من المحرم فاتح عشرة وألف سنة	784-785
- أحمد بن خضرا	توفي سنة 1075هـ ودفن داخل مدينة مكناس الزيتون وقبره مزارة عظيمة	815-816
- قاسم بن للوشة المعروف بوعسرية	توفي عام 1077هـ ودفن على ضفة وادي أرضم وبنيت عليه قبة حافلة	814-815
-أبو عبد الله محمد بن ناصر	كان مشاركا في فنون العلوم كالفقه والعربية والكلام والتفسير والحديث والتصوف.	361-368
- عبد القادر بن علي بن يوسف الفاسي	ولد يوم الاثنين ثاني رمضان، سنة سبع وألف، بالقصر.	
- أبو عبد الله محمد المعطي بن عبد الخالق	توفي سنة 1092هـ ودفن بخارج باب الدباغ من حضرة مراكش بجنان العضا متصلا بغير شيخه محمد بن إبراهيم التاملي	646-783

-أبو علي الحسن اليوسي	توفي بعد قوله من الحج عام 1102هـ ودفن بتموزيت بالقرب من صفرو نقل بعد نحو من عشرين سنة من مدفنه إلى موضع آخر فوجد على حالته التي دفن عليها	383-390-799
- أحمد بن عبد القادر التستاوتي	توفي عام 1127هـ بمكناسة الزيتون عند روضة العارف الكبير سيدي عبد الله بن أحمد	368-369
- أحمد بن ناصر الدرعي	توفي في الثامن عشر من ربيع النبوي عام ثمانية وعشرين ومائة وألف، ودفن مع أبيه	342-361
- أبو عبد الله محمد بن يوسف	توفي سنة 1129هـ ودفن بإزاء ضريح سيدي أبي القاسم الزعري	373-414
- أبو عبد الله محمد الحاج بن عبد القادر	توفي عام 1132هـ (توفي في شهر الله المحرم فاتح اثنين وثلاثين ومائة وألف	376-377
- أبو عبد الله محمد المدعو بالصالح	ولادة الشيخ سنة 1069 هـ بمراكش وتوفي عام تسعة وألف وثلاثين ومائة وألف وفي تقييد آخر الثاني عشر من صفر أو السابع عشر منه عام تسعة وثلاثين ومائة وألف	274-300

خلاصة:

إن غنى هذا الكتاب بكثير من المخاطبات والمراسلات والإجازات العلمية والمصطلحات الصوفية والموضوعات والأعلام، وما احتواه من ترجمة لمجموعة من أعلام الفقه المالكي بالمغرب، ولشيوخ الزاوية الشرقاوية، يبرز لنا ما أسهموا به في تبني المذهب المالكي وانتشاره وامتداده في عهد السلطان المولى إسماعيل. كما يؤكد وطادة العلاقة بين الشيخ محمد الصالح والمولى إسماعيل. وعنايته بعلماء عصره. وانفرد بذكر كثير من الأعلام التادليين الذين اشتغلوا بالتدريس في الزاوية، ولمنجد لهم ذكرا في المصادر الترجمية المعهودة.

الفصل الرابع:

عملنا فـي التـحقـيـق:

- المبحث الأول: وصف النسخ ودواعي اختيارها
- المبحث الثاني: نماذج من صور نسخ الكتاب المخطوط

المبحث الأول: وصف النسخ ودواعي اختيارها:

المطلب الأول: النسخ الخطية:

إن أول خطوة قمنا بها في منهجية تحقيق الكتاب المخطوط "الروض اليانع الفائح..."، هي البحث عن نسخه في مختلف الخزائن التراثية شرقا ومغربا، وبعد التحري والاتصال بأهل الاختصاص، اهتدينا إلى بعض الخزائن المغربية التي يوجد بها نسخة من المخطوط فعثرنا على سبع نسخ كلها توجد بمدينة الرباط حيث اعتبرتها كافية لإجراء المقابلة والتصويب وتصحيح النص الأصلي وإخراجه محققا.

أما تلك النسخ السبعة فقد عثرنا على ثلاث منها بالخزانة الحسنية، وأربع بالمكتبة الوطنية العامة. وبعد دراسة هذه النسخ المخطوطة وفحص سلامتها من البتر والبلى والخرم، ومقارنة إحداها بالأخرى تمكنا من معرفة النسخة الأقرب إلى الأصل اعتمادا على معيار السلامة والقدم.

وقد رتبنا النسخ تبعا للمقياس المذكور إلى أربع نسخ؛ هي التي اختيرت ضمن السبعة.

أما أول النسخ المعتمدة فهي التي توجد بالمكتبة الوطنية بالرباط رقم86 ج. ورمزنا لها بحرف (أ)، والثانية هي نسخة الخزانة الحسنية بالرباط رقم 7740ورمزنا لها بحرف (ب)، والثالثة توجد ايضا بالمكتبة الوطنية بالرباط رقم 1835/د، ورمزنا لها بحرف (ج)، أما الرابعة فهي نسخة الخزانة الحسنية بالرباط، رقم 61 في جزأين، ورمزنا لها بحرف (د).

أما النسخ الثلاث الباقية، فقد استصحبنا وجودها بحوزتنا للاستئناس بها أحيانا والاستفادة منها في ملء بعض البياضات والتأكد بها من أسماء بعض الأعلام. ولم ندرجها ضمن المقابلة، ولم نعين لها رموزا حتى لا نثقل البحث بكثرة الهوامش والتعليقات.

ونقوم فيما يلي بوصف النسخ الخطية المتوفرة لكتاب "الروض اليانع الفائح في مناقب سيدنا ومولانا أبي عبد الله محمد المدعو بالصالح"، التي جاءت مرتبة على الشكل الآتي:

أولا: وصف نسخة المكتبة الوطنية:86 ج: رمز (أ)

توجد هذه النسخة بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم 86ج، رمزت لها في التحقيق بحرف(أ) تحتوي على 458 صفحة، مقياس،16.5 X 27 سم، مسطرتها 26 سطرا، وفي كل سطر معدل 16 كلمة ،كتبت بخط مغربي جيد ومشكول، سليمة من التآكل والبلى، وهي نسخة تامة كاملة لم يصبها خرم، وقد استهلها الناسخ بالبسملة والتصلية، لونت عناوين الأبواب وبداية الفقرات بالأحمر، بها تعقيبة في أسفل نهاية كل ورقة للإشارة إلى بداية الورقة التالية، وذلك ليمكن القارئ من الاطمئنان إلى تسلسل ورقات المخطوط بها بعض التعديلات والتصويبات؛ وذلك لاستدراك ما سقط من الكلمات والجمل أثناء عملية النسخ.

وينبغي التنبيه في هذا المقام إلى أن ترقيم هذه النسخة كما هو في أصلها المخطوط وجدت ورقتان منه غير مرقمتين بين الصفحتين 34و35، فاضطررت إلى وضع هذين الرمزين تمييزا لهما، وحفاظا على الترتيب الموجود أصلا في المخطوط. والرمزان هما:

- 34 مكرر (1).
- 34 مكرر (2).

وقد اعتمدنا هذه النسخة أصلا في التحقيق للمزايا الآتية التي تمتاز بها:

- **نسخة تامة كاملة** بخط ناسخ واحد، بخط مغربي، سليمة من أي خرم أو بتر.

-**قدم نسخها وقربها تاريخيا من نسخة المؤلف:** جاء في ختم نسخها: "كان الفراغ من نسخها إثر العصر يوم الأحد التاسع والعشرين من رمضان عام ثلاثة وتسعين ومائة وألف". في حين أن الحسن بن محمد الهداجي المعداني انتهى من نسخ مؤلفه "الروض اليانع الفائح..." "يوم الخميس الثامن من جمادى الأولى سنة تسع وسبعين ومائة وألف". يتضح لنا أن الفرق بين تاريخ الفراغ من نسخة المؤلف (سنة تسع وسبعين ومائة وألف) والنسخة 86ج (عام ثلاثة وتسعين ومائة وألف)، لا يتعدى 14 سنة كما هو مبين. وهذا يقوي لدينا احتمال كون ناسخ النسخة رقم 86 ج، قد عاصر المؤلف واعتمد على الأصل المنتسخ منه (نسخة المؤلف). مما يجعل هذه النسخة تكتسب قوة ووثوقا.

- **كما حظيت هذه النسخة (أ) بعناية خاصة** من قبل العلماء والنساخ؛ بحيث جعلت أصلا للانتساخ منها، نظرا لسلامتها وتمامها وقربها زمنا من عصر المؤلف. ذلك ما صرح به ناسخ النسخة الخطية رقم1835/د، رمز (ج) عندنا في التحقيق؛ حيث يقول الناسخ: "انتهى ما وجدت في الأصل المنتسخ منه كتابة ومقابلة في خاتم ذي القعدة الحرام عام اثنين وثمانين ومائتين وألف"، على يد ناسخها محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمان بن الجيلاني التلمساني المغوفلي النجار، التازي المنشأ، المكناسي الدار، نسخها للفقيه محمد الطيب بن مبارك الجرناوي بن محمد الغزواني.

ثانيا: نسخة الخزانة الحسنية: 7740. رمز (ب)

توجد بالخزانة الحسنية بالرباط، تحمل رقم7740، رمز هذه النسخة في التحقيق حرف (ب) وعدد صفحاتها 409، مقياسها 29 سم × 22 سم، مسطرتها 30 سطرا، وفي كل سطر معدل 14 كلمة. نسخة تامة في مجلد ضخم، مكتوبة بخط مغربي واضح، لونت رؤوس فقراتها وأسماء الأعلام باللون الأحمر، وفي أحيان قليلة استعمل الناسخ اللون الأزرق. بها تعقيبة مائلة للإشارة إلى بداية الورقة التالية، مصدرة بالبسملة والتصلية، توجد عليها بعض التصويبات في الحواشي.

وبعد تفحصنا لهذه النسخة لاحظنا اضطرابا في نسخها، حيث كان الناسخ يلجأ أحيانا إلى التشطيب على الكلمة أو الجملة التي يراها غير مناسبة فيعمل إلى تعويضها بكلمة أخرى؛ كأنه يسرع في الكتابة، أو اعتمد في المقابلة على أصل ضعيف. وحملت الحواشي أيضا شروحا وتصحيحات. ورد في طرة هذه النسخة: **"بلغت المقابلة جهد الاستطاعة، وقد بقي ما لا يمكن إصلاحه لفساد أصله**. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وأصحابه أجمعين، وآخر دعوانا الحمد لله رب العالمين". وكان الفراغ من نسخها، يوم الجمعة الثامن من شوال سنة تسع وستين ومائتين وألف"، خالية من اسم الناسخ.

ثالثا: نسخة المكتبة الوطنية: 1835/د، رمز (ج)

توجد بالمكتبة الوطنية بالرباط، تحمل رقم 1835/د، نرمز لها في التحقيق حرف (ج)، وتقع في 198 ورقة، مقياسها 32 سم × 20 سن مسطرتها 28 سطرا، وفي كل سطر معدل 18 كلمة، كتبت بخط مغربي جميل، بها تعقيبة، وتتصدر كل ورقة بالبسملة والتصلية. كتب في الصفحة الأولى: "قال الشيخ الفقيه العالم العلامة الهمام حجة

الإسلام، وخاتمة المحققين، خديم الرسول المصطفى العدناني، أبو علي الحسن بن محمد المعداني رحمه الله تعالى ورضي عنه آمين".

بعد تفحصنا لها وجدنا فيها بترا؛ حيث بلغ عدد الأوراق المبتورة من وسط النسخة، معدل 28 ورقة أي ما يقارب 56 صفحة أو يزيد، وهي الأرقام الآتية: (192-193-213-214-215-216-217-238-239-240-241-264-265-266-267-268-269-270-271-272-273-274-275-276-277-278-279-280-281-282-283-284-285-286-287-288-289-290-291-306-307-352-353-354-355-356-357-358-359-360-361-362-363-364-365). وقد رممت النسخة وتم تعويض هذه الصفحات المبتورة بصفحات من النسخة رقم 86ج رمز (أ) أعلاه. وقد شكل هذا الترميم خللا وتداخلا بين الصفحات من حيث التسلسل في الترقيم؛ مما أحدث تقديما وتأخيرا في بعض الفقرات. وقد حاولنا تجاوز هذه العقبة عن طريق ترتيبها ومقارنتها بنسخ أخرى. وذلك حتى نتمكن من الاستفادة منها.

أما هذه النسخة فقد اعتمد ناسخها على نسخة (أ) مع تنقيح وتجويد مرتفق، أفسده البتر. يقول الناسخ: "انتهى ما وجدت في الأصل المنتسخ منه كتابة ومقابلة، في فاتح ذي العقدة الحرام عام اثنين وثمانين ومائتين وألف"، على يد محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمان بن الجيلاني التلمساني المغوفلي النجار التازي المنشأ المكناسي الدار، نسخها للفقيه محمد الطيب بن مبارك الجرناوي بن محمد الغزواني.

رابعا: نسخة الخزانة الحسنية: 61 في جزأين: رمز (د)

توجد بالخزانة الحسنية بالرباط، تحمل رقم 61 في جزأين، يقع الجزء الأول في 178 ورقة، نرمز إليها بحرف (د)، مقياسها 17.5 سم × 12 سم، مسطرتها 21 سطرا، وفي كل سطر معدل 12 كلمة، كتبت بخط مغربي جميل ومليح، لونت عناوين الأبواب ورؤوس الفقرات والفصول وأسماء بعض الأعلام بالأحمر غالبا، وفي أحيان قليلة استعمل الناسخ اللون الأزرق والأخضر. بها بسملة وتصلية في صدر صفحتها الأولى، كما أثبت عنوان الكتاب ومؤلفه هكذا:

"كتاب الروض اليانع الفائح في مناقب سيدنا ومولانا أبي عبد الله المدعو بالصالح، تأليف الشيخ الإمام حافظ وقته ومن شهد بكمال علمه أبناء جنسه صاحب المطالعة والإتقان من تقاصر عن علمه القاصي والداني سيدي الحسن بن محمد المعداني التادلي قدس الله سره". المكتوب منها يوجد داخل إطار من خط أزرق وخطين أحمرين. كان الفراغ من كتابة هذا الجزء المبارك في 15 قعدة سنة 1289هـ نسخها أبي عبد الله التطاوي.

أما الجزء الثاني: فيقع في 148 ورقة، مقياسها 17.5 سم × 15 سم، مسطرتها 21 سطرا، وفي كل سطر معدل 12 كلمة، المكتوب منه داخل إطار أزرق وخطين أحمرين. وكان الفراغ منها في 15 محرم فاتح سنة 1290هـ دون ذكر اسم الناسخ.

خامسا: نسخة المكتبة الوطنية 2260/ك:

توجد بالمكتبة الوطنية، تحمل رقم2260/ك، وتقع في 525 صفحة، مقياسها 18 سم× 15.5 سم، مسطرتها 17 سطرا، وفي كل سطر معدل 12 كلمة، مكتوبة بخط مغربي واضح، بها البسملة والتصلية، وبها تعقيبة، كتبت عناوين الأبواب وأول الفقرات باللون الأحمر والأخضر وفي بعض الأحيان استعمل اللون الأزرق.

كتبت الصفحة الأولى من النسخة بخط يد محمد عبد الحي الكتاني، لأن اسمه ذكر في أعلى الصفحة قائلا: "الروض اليانع الفائح في مناقب الشيخ لأبي علي الحسن المعداني التادلي" وقد أشار الكتاني إلى الفصول التي تضمنتها النسخة. وذكر فيها الزيارة التي قام بها إلى أبي الجعد.

وكان الفراغ من هذه النسخة يوم السبت خامس رجب الفرد عام1319هـ على يد مؤلفه هو سيدي محمد بن محمد المدني. واكتفينا بالاستئناس بها فقط.

سادسا: نسخة الخزانة الحسنية: 2369/ك:

توجد بالمكتبة الوطنية بالرباط تحمل رقم 2369/ك، وتقع في 190 ورقة، مقياسها 17 سم×13 سم، المسطرة مختلفة كتب بخط مغربي جيد، بها تعقيبة، لونت بعض أسماء الأعلام ورؤوس الفقرات بالأحمر، وهي نسخة تامة. وكتب في الصفحة الأخيرة من النسخة "هذا كتاب الروض اليانع الفائح في مناقب سيدنا ومولانا أبي عبد الله محمد

المدعو بالصالح " للفقيه الصالح أبي علي الحسن المعداني التادلي. بها خاتم المكتبة الكتانية لمالكها محمد عبد الحي الكتاني بفاس. وكان الفراغ منه في يوم الخميس في 9 من جمادى الأولى عام 1323هـ، نسخها محمد بن المدني الشرقي الحارثي. واكتفينا بالاستئناس بها فقط.

سابعا: نسخة المكتبة الوطنية: 2371/ك:

توجد بالمكتبة الوطنية بالرباط، تحمل رقم 2371/ك، نسخة بها بتر؛ الفصل الاول من المقدمة والفصل الثاني والثالث من الخاتمة. وتقع في 71 ورقة، مقياسها 24 سم × 16 سم تقريبا، المسطرة مختلفة كتبت بخط مغربي، كتب في الصفحة 63 منها: قال مؤلفه الحسن بن محمد المعداني: "كان الله وليا في حالتي البعد والتداني وسقاه من شرابه الصمداني."خالية من اسم الناسخ وتاريخ النسخ. واكتفينا بالاستئناس بها فقط.

المطلب الثاني: الخطوات المنهجية المتبعة في التحقيق:

سلكنا الخطوات المنهجية الآتية في تحقيق كتاب "الروض اليانع الفائح في مناقب سيدنا ومولانا أبي عبد الله محمد المدعو بالصالح" لمؤلفه الحسن بن محمد المعداني،

- قمنا بكتابة النسخة رقم 86ج – التي سيرد وصفها ووصف باقي النسخ لاحقا -، خطا بيدي، وفقما تمليه قواعد الكتابة، من بيان معالم النص بيانا شافيا، وعملنا على إدخال ما وجب إرجاعه من الكلمات المكتوبة في الهامش والتي أشار إليها المؤلف بعلامات الإلحاق أو الاستدراك أو التصحيح.

- قمنا بمقابلة المتن بباقي النسخ التي وقفنا عليها، فنبهنا على الاختلافات والفروق في الهامش.

- نظمنا مادة النص بوضع الفواصل والنقط والعارضتين والمزدوجتين والأقواس وعلامات الاستفهام والتعجب، فكنا نرجع إلى السطر عند انتهاء كل فقرة وبداية فقرة جديدة، وصححنا الأخطاء الإملائية والتركيبية الواضحة دون الإشارة إليها في الهامش.

- كتبنا الاختصارات بشكلها الكامل، مثل "هـ" التي تعني انتهى.

- الإشارة إلى بداية كل صفحة من المخطوط بخطين مائلين (//) مع وضع رقم الصفحة بينهما.

- خرجنا الآيات القرآنية التي ورد ذكرها في المتن، ووضعناها بين القوسين المزهرين، وأشرنا في الهامش إلى اسم السورة ورقمها، معتمدين في ذلك على رواية ورش.

- عمدنا كذلك إلى تخريج الأحاديث النبوية تخريجا وافيا مع ضبط كلماتها بالشكل ووضعناها بين قوسين ( ) مع ذكر المصدر ومؤلفه والكتاب والباب ثم الجزء ورقم الصفحة مع رقم الحديث.

- وضعنا الأسقاط الواردة في النص وزيادتها بين معقوفتين [ ] ونبهنا عليها في الهامش.

- وثقنا بعض النقول الواردة، وأحلنا على مصادرها، وبعضها لم أتوفق إليها، ووضعنا جميع النقول بين عارضتين.

- قمنا كذلك بضبط الأبيات الشعرية، فشكلناها، وذكرنا بحورها وإثباتها بين معقوفتين في جهة اليسار ونسبنا بعض الأشعار التي ساقها المؤلف إلى قائلها.

- اتبعنا في مسألة التوثيق الطريقة المعمول بها؛ حيث كلما ذكر المصدر أو المرجع أول مرة إلا ووثقناه توثيقا كاملا، من ذكر اسم المؤلف واسم الكتاب كاملا، ودار الطبع، ثم رقم الطبعة وتاريخها، مع الجزء والصفحة، وإن تكرر اكتفينا باسم المؤلف والكتاب مع الجزء ورقم الصفحة.

- ترجمنا لأغلب الأعلام الواردة في الكتاب، سوى ما لم نعثر على ترجمته في المصادر والمراجع التي رجعنا إليها. والتزمنا بذكرها كما هي مرسومة في المتن.

- عرفنا بمعظم الأماكن حسب ما وجدنا إلى ذلك من سبيل.

- قمنا بالتعريف بالمصطلحات الصوفية في الهامش.

-شرحنا الألفاظ الغريبة أو الدارجة الواردة في المتن.

وقد ذيلنا الخطوات السابقة بفهارس؛ تمثلت فيما يلي:

- فهرس الآيات القرآنية.
- فهرس الأحاديث النبوية.
- فهرس الأشعار.

- فهرس الألفاظ الصوفية
- فهرس الألفاظ العامية
- فهرس الأعلام
- فهرس الأماكن.
- فهرس المصادر والمراجع.
- فهرس محتويات الكتاب
- عرض صور النسخ المخطوطة المعتمدة في التحقيق.

المبحث الثاني: نماذج من صور نسخ الكتاب المخطوط:

المطلب الأول: نماذج من صور النسخة المعتمدة رقم: 86 ج:

أ. نماذج من صور النسخة المعتمدة رقم "86 ج:

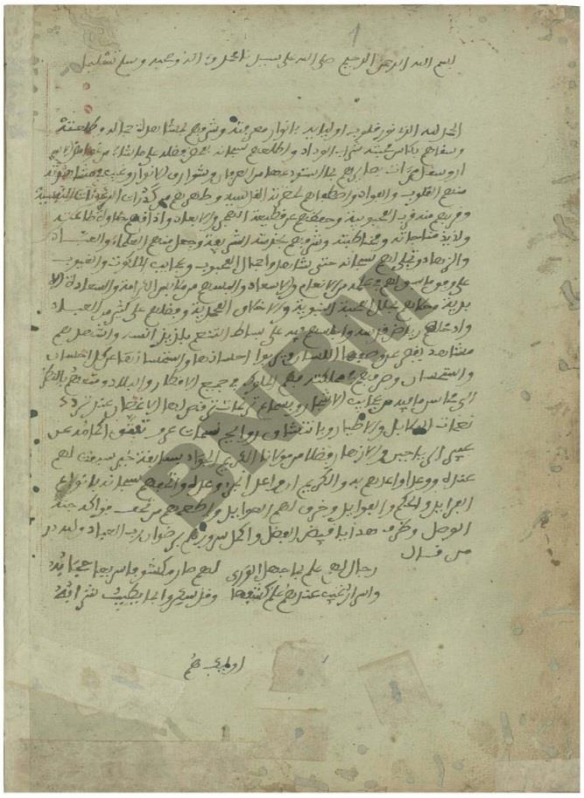

الصفحة الأولى من النسخة المعتمدة رقم 86ج

(المكتبة الوطنية)

الصفحة الأخيرة من النسخة المعتمدة رقم 86ج

(المكتبة الوطنية)

ب. نماذج من صور بقية النسخ:

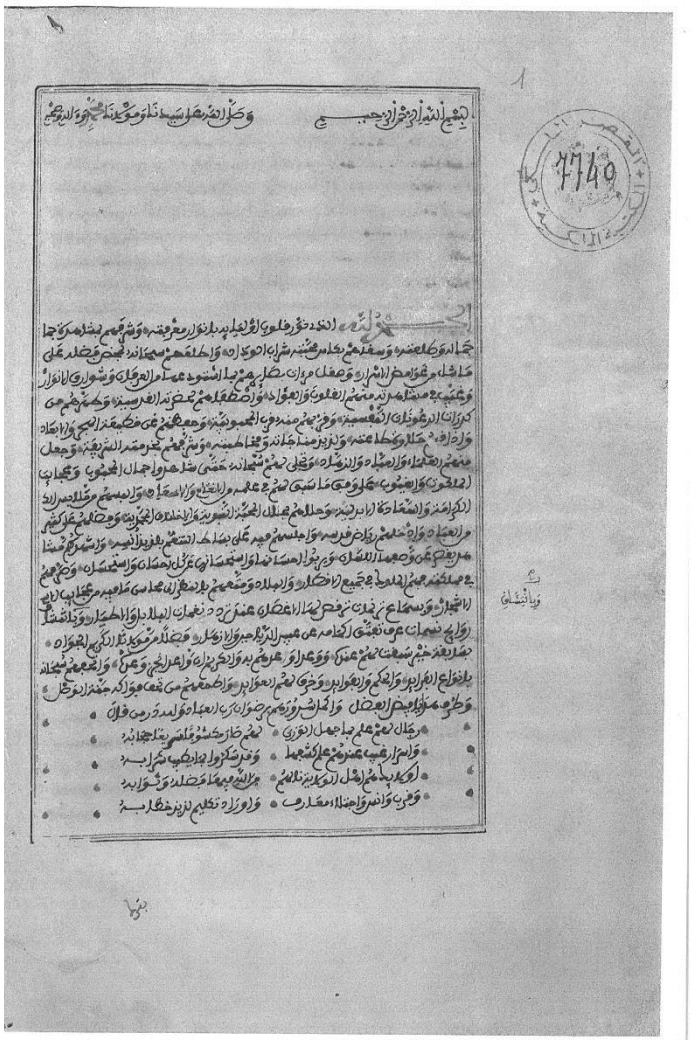

الصفحة الأولى من النسخة 7740

(الخزانة الحسنية)

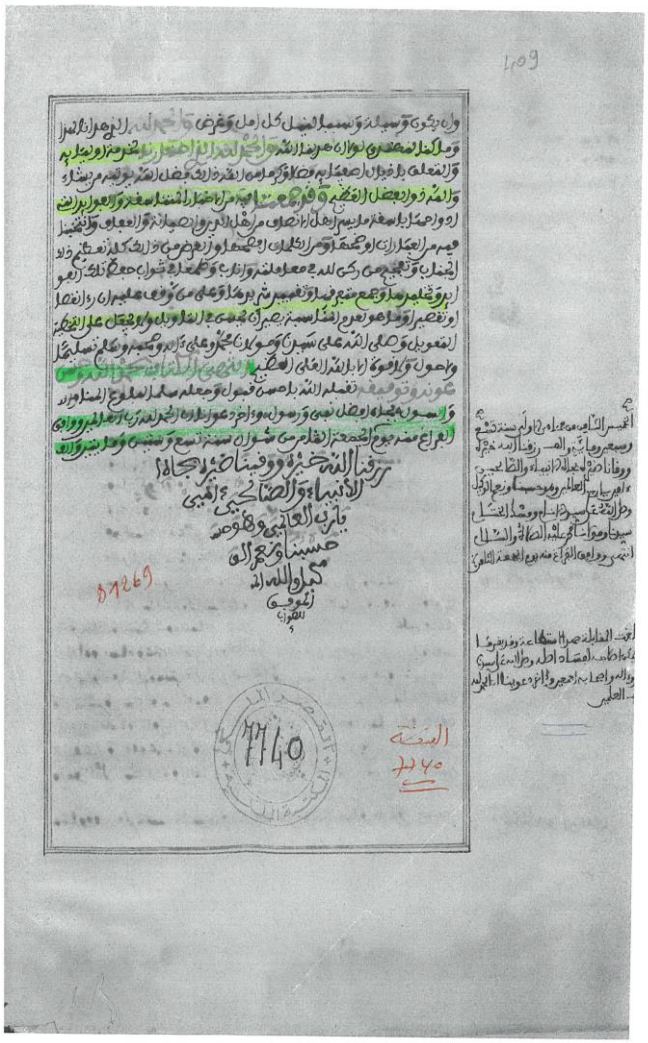

الصفحة الأخيرة من النسخة 7740

(الخزانة الحسنية)

الصفحة الأولى من النسخة رقم 1835د

(المكتبة الوطنية)

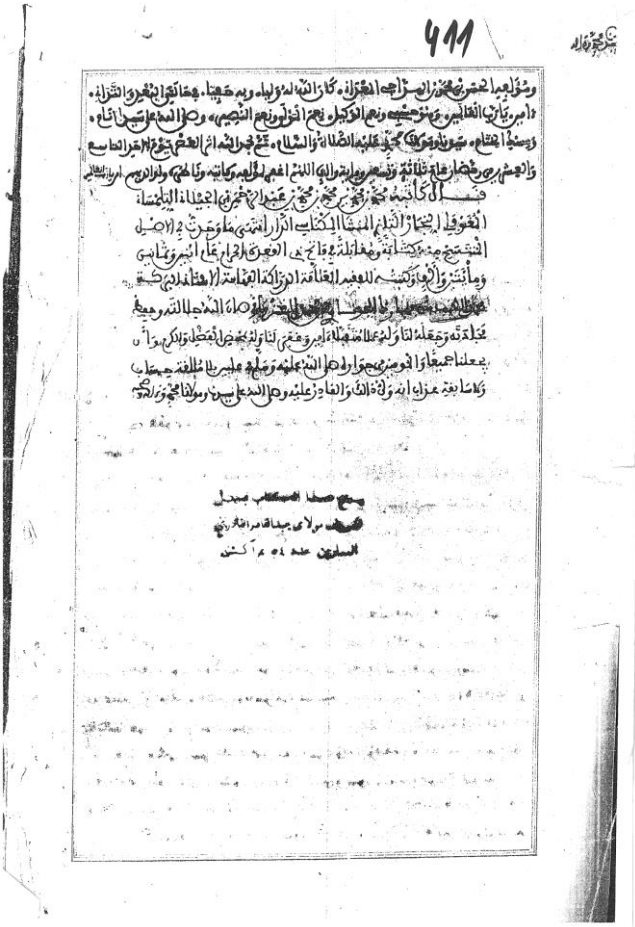

الصفحة الأخيرة من النسخة رقم 1835د

(المكتبة الوطنية)

الصفحة الأولى من النسخة رقم 61
الجزء الأول (الخزانة الحسنية)

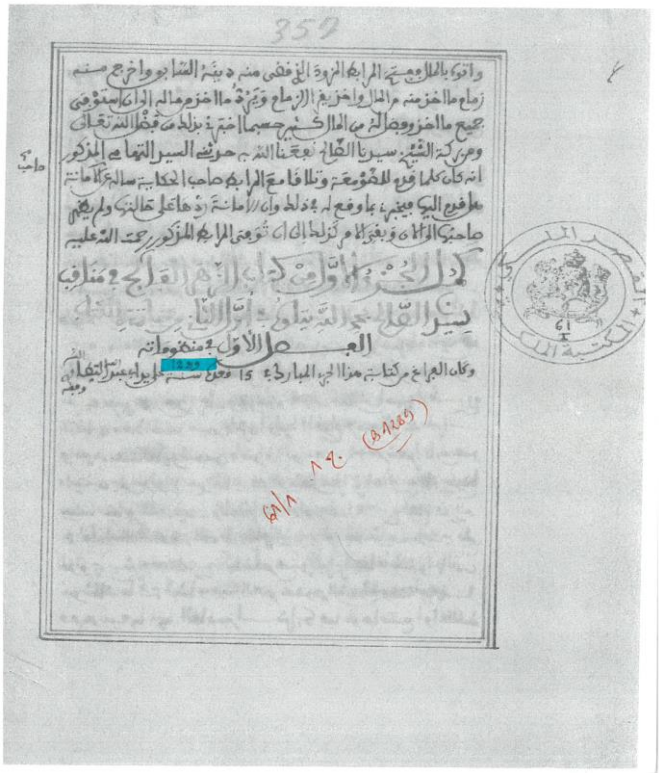

الصفحة الأخيرة من النسخة رقم 61 الجزء
الأول (الخزانة الحسنية)

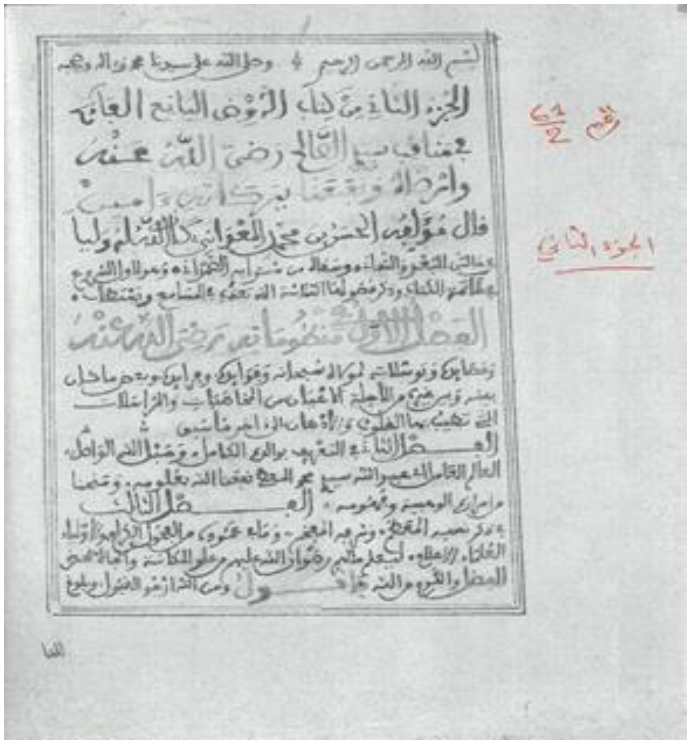

الصفحة الأولى من النسخة رقم 61 الجزء الثاني
(الخزانة الحسنية)

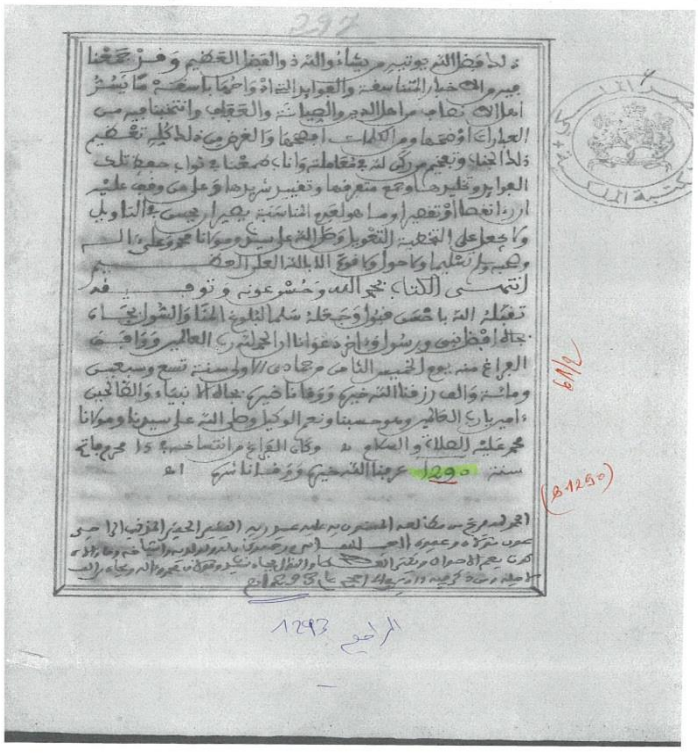

الصفحة الأخيرة من النسخة رقم 61 الجزء الثاني
(الخزانة الحسنية)

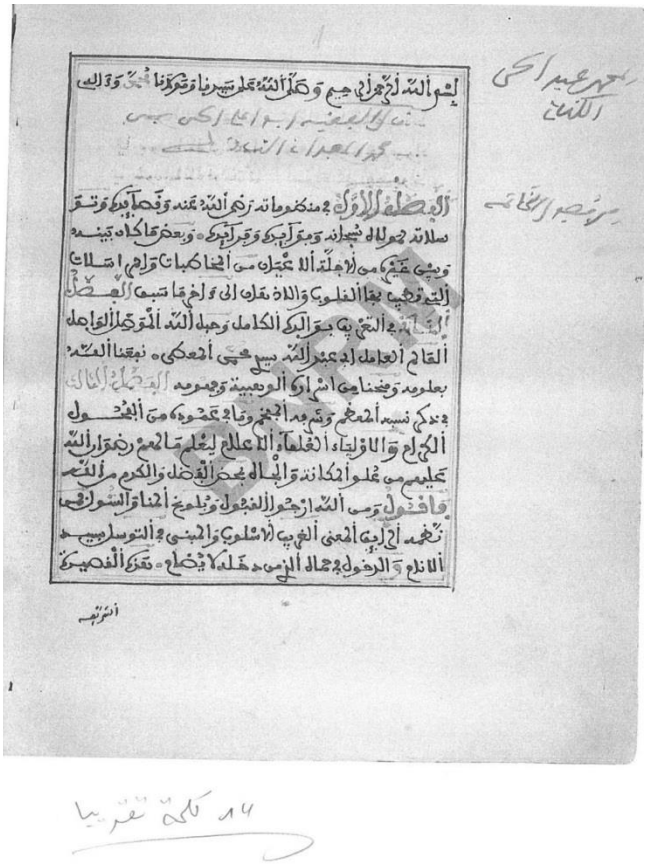

الصفحة الأولى من النسخة رقم 2260 ك
(المكتبة الوطنية)

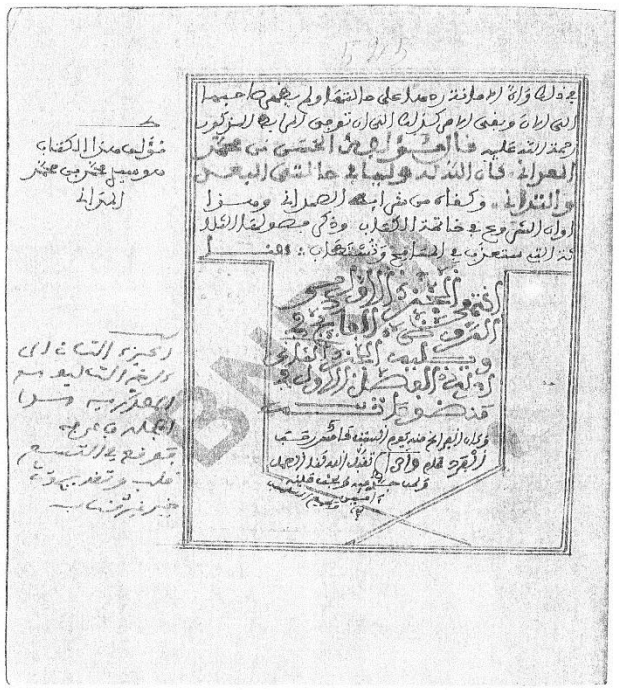

الصفحة الأخيرة من النسخة رقم 2260 ك
(المكتبة الوطنية)

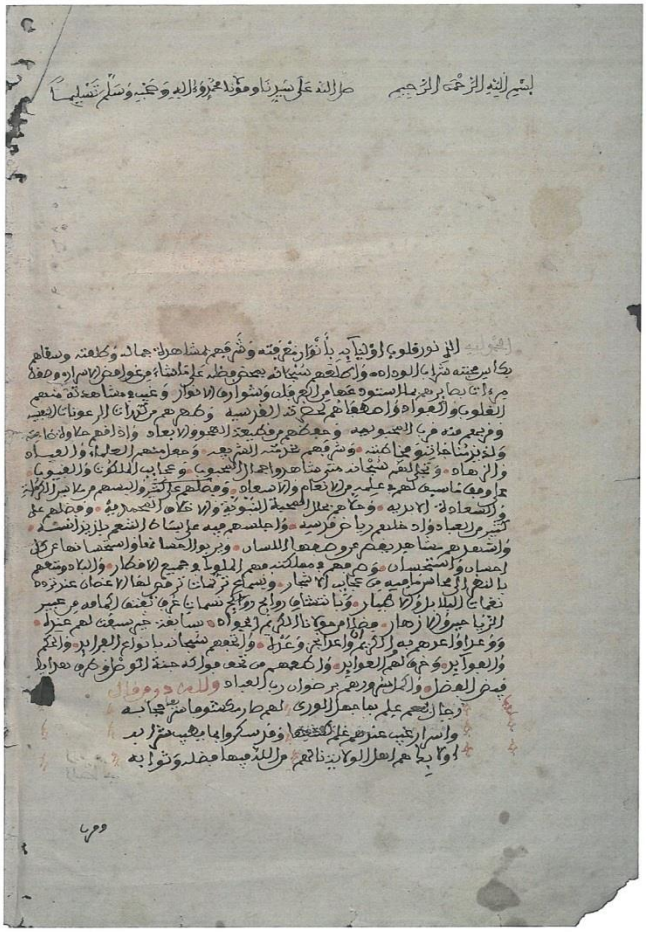

الصفحة الأولى من النسخة رقم 2369
(المكتبة الوطنية)

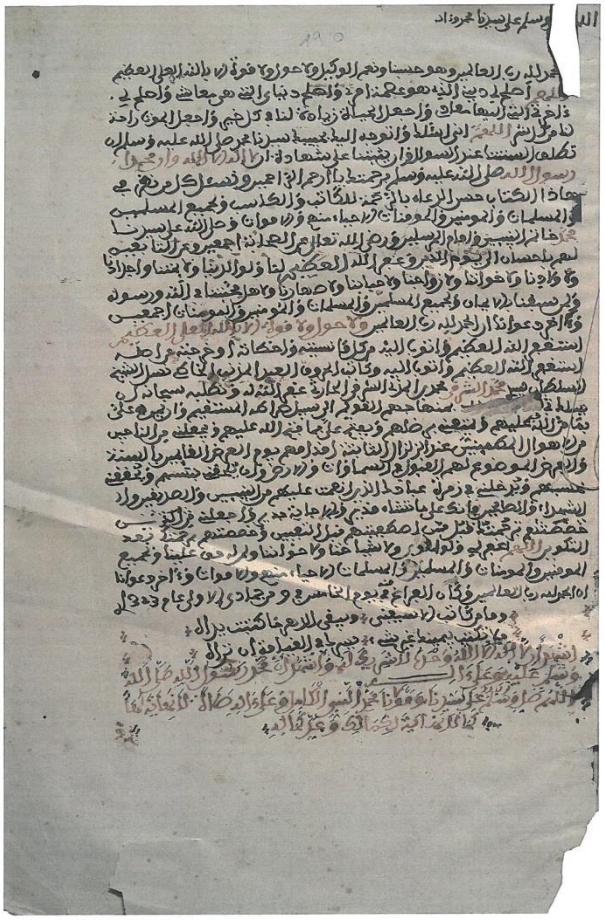

الصفحة الأخيرة من النسخة رقم 2369
(المكتبة الوطنية)

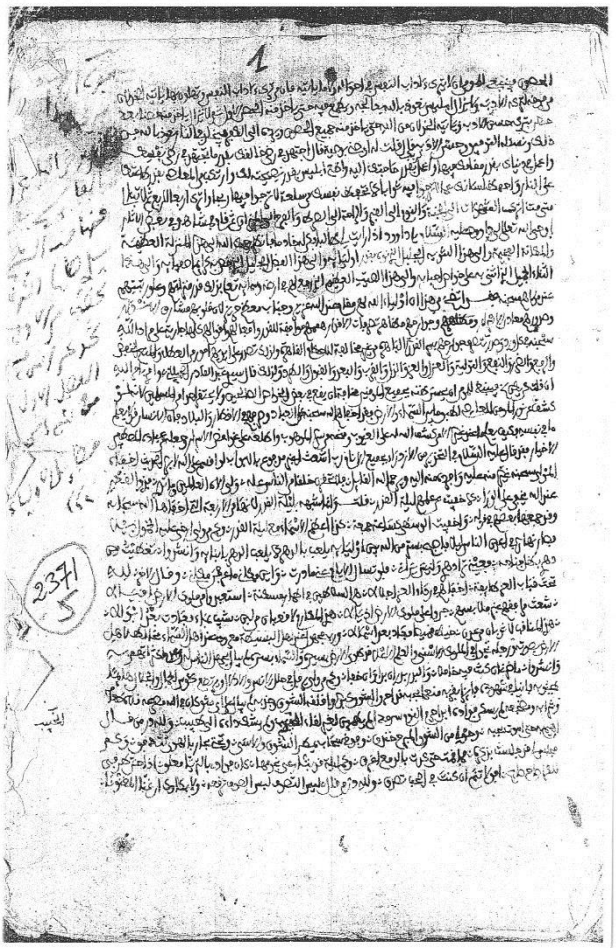

الصفحة الأولى من النسخة (نسخة مبتورة)
رقم 2371 ك (المكتبة الوطنية)

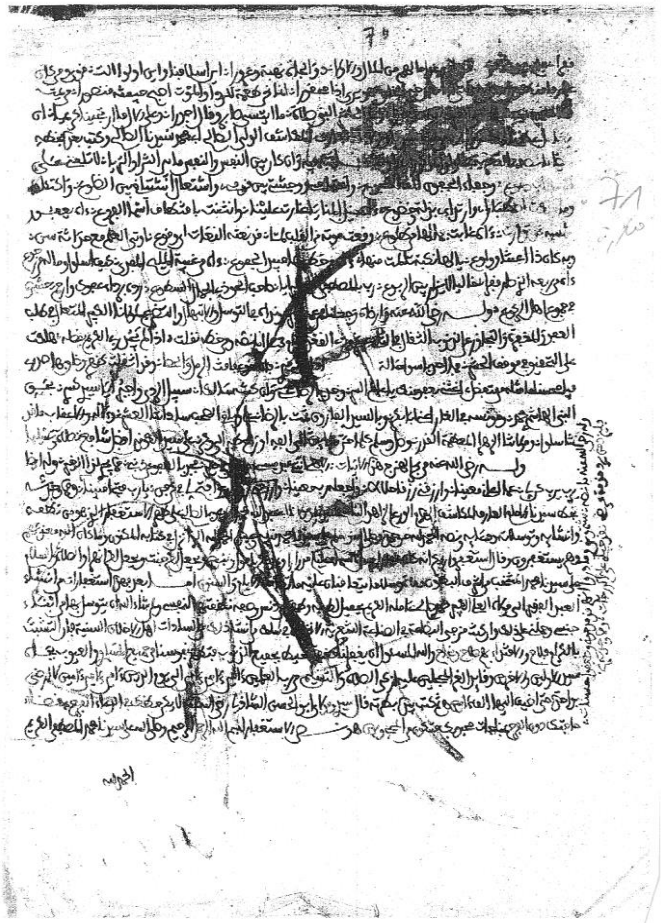

الصفحة الأخيرة من النسخة (نسخة مبتورة)
رقم 2371 ك (المكتبة الوطنية)

المطلب الثاني: بيان الرموز والمختصرات

1. نسخة المكتبة الوطنية: 86ج، ورمزنا لها في التحقيق بحرف: (أ).
2. نسخة الخزانة الحسنية: 7740، ورمزنا لها في التحقيق بحرف: (ب).
3. نسخة المكتبة الوطنية: 1835/د، ورمزنا لها في التحقيق بحرف: (ج).
4. نسخة الخزانة الحسنية: 61 في جزأين، ورمزنا لها في التحقيق بحرف: (د).

- ن: انتهى
- [ ]: ما بين معقوفتين كلام ساقط في النسخة وتم إضافته.
- " ": ما بين مزدوجتين كلام نقله المؤلف عن غيره.
- ﴿﴾: ما بين المزهريتين عبارة عن آيات قرآنية.
- ( ): ما بين القوسين عبارة عن حديث نبوي.
- ن.م 86ج: نعني بذلك النسخة المعتمدة في التحقيق، رقمها 86ج.

الباب الثاني:

النص المحقق: كتاب

الروض اليانع الفائح في مناقب سيدنا ومولانا

أبي عبد الله محمد المدعو بالصالح

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

[كتاب الروض اليانع الفائح في مناقب

سيدنا ومولانا أبي عبد الله محمد المدعو بالصالح]

الحمد لله الذي نور قلوب أوليائه، بأنوار معرفته، وشرفهم بمشاهدة جماله، وطلعته، وسقاهم بكأس محبته شراب الوداد، وأطلعهم سبحانه بمحض فضله على ما شاء من غوامض الأسرار، وسقل[1] مرآة بصائرهم بما استودعها من العرفان، وشوارق الأنوار، وغيب في مشاهدته منهم القلوب والفؤاد، واصطفاهم لحضرته القدسية، وطهرهم من كدرات الرعونات النفسية، وقربهم منه قرب المحبوبية، وحفظهم عن[2] قطيعة الهجر والإبعاد، وأذاقهم حلاوة طاعته، ولذيذ مناجاته ومخاطبته، وشرفهم بخدمته الشريفة، وجعل منهم العلماء والعبَّاد والزهاد. وتجلى لهم سبحانه حتى شاهدوا جمال المحبوب، وعجائب الملكوت والغيوب، على وفق ما سبق لهم في علمه من الإنعام والإسعاد، وألبسهم من ملابس الكرامة والسعادة الأبدية، وحلاَّهم بحلل المحبة النبوية، والأخلاق المحمدية، وفضلهم على كثير من العباد، وأدخلهم رياض قدسه، وأجلسهم فيه على بساط التنغم بلذيذ أنسه، وأشهدهم مشاهد يقصر عن وصفها اللسان، ويربو إحسانها واستحسانها عن كل إحسان واستحسان، وصرفهم في مملكته فهم الملوك في جميع الأقطار والبلاد، ومتعهم بالنظر إلى محاسن ما فيه عجائب الأشجار، وبسماع ترنمات ترقص لها الأغصان عند تردد نغمات البلابل والأطيار، وبانتشاق روائح نسمات

---

[1] في النسخ (ب) و (ج) و (د): "صقل". وهو الأصوب.

[2] في النسخة (د): "منْ".

عَرْفِ تَفَتُّقِ أكمامه عن عبير الرياحين والأزهار، فضلا من مولانا الكريم الجواد بسابقة خير سبقت لهم عنده، ووعداً واعدهم به الكريم، إن واعد أنجز وعده، وأتحفهم سبحانه بأنواع الفرائد والحكم والفوائد، وخرق لهم العوائد، وأطعمهم[1] من تُحَفِ فواكه جنة الوصل، وطرق هدايا فيض الفضل، وأكمل سرورهم برضوان رب العباد، ولله درُّ من قال:

[الطويل]

رِجَالٌ لهم عِلْمٌ بمَا جَهِلَ الوَرَى ... لَهُمْ صَارَ مَكْشُوفاً سَرِيعاً حِجَابُهُ

وأَسْرَارُ غَيْبٍ عِنْدَهُمْ عِلْمُ كَشْفِهَا ... وقَدْ سَكِرُوا بِمَا يَطِيبُ شَرَابُهُ

/2/أُولَئِكَ هُمْ أَهْلُ الوِلاَيَةِ نَالَهُمْ ... مِنَ اللَّهِ فِيهَا فَضْلُهُ وثوَابُهُ

وَقرْبٌ وَأُنْسٌ واجْتِلاَءُ مَعَارِفٍ ... وَأورَادُ تَكْلِيمٍ لَذِيذٍ خِطَابُهُ

بِترْكِ الهَوَى أَمْسَوْا يَطِيرُونَ فِي الهَوى ... وَيَمْشُونَ فوْقَ الماءِ طَوعٌ جَنَابُهُ

مُلُوكٌ عَلَى التَّحْقِيقِ لَيْسَ لِغَيْرِهِمْ ... مِنَ المُلْكِ إلاَّ إِثْمُهُ وعِقَابُهُ[2]

نحمده حمداً نتعرض به لمزيد إحسانه، ونستجلب به دائم فضله وجزيل امتنانه، ونشكره شكرا نقيد به نعمه المسداة منه إلينا، ونستغفره من كل ذنب، قامت له به الحجة علينا، ونفوض إليه الأمر تفويض من قصر أمله على مولاه، ونتوكل عليه توكل من استقام وقال ربي الله، ونبرأ من الحول والقوة إليه في جميع الأحوال، ونعتصم به فيما يصدر عنّا من الأقوال والأفعال. ونشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له شهادة معترف بنواله، وأن سيدنا ومولانا محمدا عبده ورسوله بعثه مبشرا بجنته ومحذرا من

---

[1] في النسخة (ج): "أطمعهم".

[2] وردت هذه الأبيات بنفس اللفظ في: أبي حامد محمد العربي الشرقي، الفتح الوهبي في مناقب الشيخ العربي، تحقيق ودراسة محمد أفيلال، منشورات باب الحكمة، تطوان، الطبعة الأولى، 2020، ص: 342.

عذابه ونكاله، اصطفاه من أنوار دلالته قبل وجود خليقته، وخصه بنبوءته، وآدم مُنْجَدَلٌ في طينته، وخلق النبيئين كلهم من الرحمة، وجمله هو عينها وعنصرها وأصلها. فلا مقرب إلا هو منوط بواسطة عنايته، ولا هادي إلا وهو مقتبس من شمس هدايته، ولا سيد إلا وهو معترف بكمال سيادته، صلى الله عليه وعلى آله الكرام، وصحابته الأعلام، الذين هاجروا لنصرته، ونصروه في هجرته، وبذلوا النفوس في إعلاء كلمة الإسلام وسنته، وعلى التابعين وتابع التابعين وعلى جميع الأئمة والصالحين والأولياء الذين تخلقوا بأخلاقه الكريمة، واقتفوا آثاره المستقيمة، وسلكوا من مناهجه القويمة أعدل السبل، وصاروا ورثة الأنبياء والرسل، فهم الخلفاء على الجملة والتفصيل، والنواب في الخلق، ليُبَيِّنُوا لهم الدليل، ويوضحوا لهم إلى معرفته الطريق والسبيل، أقامهم الحق سبحانه لمصالح عباده، وحماية أرضه وبلاده، وأيدهم سبحانه بسيوف الكرامات، وقمع بهم أهل الزيغ والأهواء والمخالفات، ورقى بنظرتهم أهل المحبة والخدمة وصدق المعاملات، فعند ذكرهم تنزل الرحمات، وبنصرتهم تكشف الشدائد والأزمات، وبمحبتهم تنال السعادة الأبدية، ورفعُ الدرجات، من دخل حماهم أمن من جميع الأهوال والكدرات، وظفر بأنواع الفرح والفوز والنجاة، فهم معاقيل اليمن والأمان، ومعاطين الفضل والامتنان، حياهم الله بالروح والريحان، وجزاهم عنا أفضل الجزاء من المواهب والإحسان، آمين يا رب العالمين.

أما بعد، فإنه لما كان بذكر الصالحين تستمطر السحائب الرحمانية، /3/ وبمحبتهم تشرق أنوار الحقائق العرفانية، وبمدحهم يتعرض للنفحات الربانية، وبشر مناقبهم، وذكر كراماتهم، وتستجلب أسرار المواهب الصمدانية، وبخدمتهم والانتماء إليهم تتخلص النفوس من الرعونات البشرية والنزاعات الشيطانية، وباتباع طريقهم تتشرف الندوات

على غيرها من الخليقة الإنسانية، وبدعواتهم ترفع عن القلوب الحجب الظلمانية، وتتهيأ للواردات السلطانية.

فقد حكي عن بعض الصالحين أنه قال: "لما أظهر الله الخلق في القدم، أظهر لهم الصنائع كلها، ثم خَيَّرهم فيها، فاختار كل إنسان صنعته، فلما أبداهم إلى الوجود [و][1] أجرى على لسان كل واحد ما اختار لنفسه [و][2]انفردت طائفة [فلم][3] تختر شيئا، فقال لها: اختاري، فقالت: ما أعجبنا شيء رأيناه فنختاره، فأظهر لهم مقاما في العبادة، فقالت: قد اخترنا خدمتك يا مولانا، قال: وعزتي وجلالي لأسخرنهم لكم ولأجعلنهم لكم خدّاما، وعزتي وجلالي لأشفعنكم غداً في من[4] عَرْفَكُمْ وخَدَمَكُمْ"، وفيهم، قال القائل:

[المتقارب]

تَشاغَلَ قَوْمٌ بِدُنيَاهُمُ وقَوْمٌ تَخَلوْا لِمَوْلاَهُمُ

فَأَلْزَمَهُمْ بَابَ مَرْضَاتِهِ وعَنْ سَائِرِ الخَلْقِ أغْنَاهُمُ[5]

أردت بفضل الله، وكرمه، أن أتعرض لنفحات الرب الكريم من أبوابهم، وأتعلق بخدمتي لهم بأسبابهم، وأستنشق عَرْفَ السعادة من رياض مناقبهم، وأستمطر صيُوبَيَاهُمُ الرحمات من فَيْضِ مواهبهم، عند ذكر كراماتهم ومآثرهم. ففي الطبراني[6]، عن النبي، أنه

تَشاغَلَ قَوْمٌ وقَوْمٌ تَخَ
لِمَوْلاَهُـــ
وعَنْ سَ
الخَلْقِ
فَأَلْزَمَهُمْ بَابَ مَرْضَاتِهِ أغْنَاهُمُ[1]

[1] سقط ما بين معقوفتين من النسختين (ج) و (د).

[2] سقط ما بين معقوفتين من النسخة (ب).

[3] في النسخة (ب): "لم".

[4] في النسخ (ب) و (ج) و (د): "فبمن".

[5] ورد البيتان بنفس اللفظ في: أبي حامد الغزالي، منهاج العابدين إلى جنة رب العالمين، تحقيق محمود مصطفى حلاوي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الثالثة، 1422-2001م، ص: 237.

[6] أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مُطير اللخمي الطبراني، كان حافظ عصره، ولد سنة 260هـ بطبرية الشام، رحل في طلب الحديث من الشام إلى العراق والحجاز واليمن ومصر، وسكن أصبهان إلى أن توفي بها سنة 360هـ وله مصنفات عديدة منها، المعاجم الثلاثة: "الكبير" و"الأوسط" و"الصغير"، ترجمته في: ابن خلكان،

قال: **(إنَّ لربّكم في أيَّامِ دَهْرِكم نفحاتٍ، فتعرَّضُوا لهَا، فلعلَّها أن تُصيبكم سَعَادةٌ لاَ تَشْقَوْنَ بَعْدَهَا أَبَداً)**[1].ولله درُّمن قال:

[الكامل]

أُسْرُدْ حَدِيثَ الصَّالحينَ وسمِهِمْ[2] فَبِذِكْرِهِمْ تَتَنزَّلُ الرَّحَماتُ

واْذكُرْ كَرَامَتَهُمْ تَنَلْ بَرَكَاتِهِمْ وَقُبُورَهُمْ زُرْهَا إذَا مَا مَاتُوا[3]

وقد قال بعض العارفين: "إذا ذكر الصالحون، نزلت الرحمة، ويخلق الله من هذه الرحمة سحابة لا تمطر إلا في أرض الكفار، وكل من شرب من مائها أسلم"[4].

"وفيات الأعيان"، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، طبعة، 1398هـ-1978م، ج 407/2؛ والزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة عشرة، 2002م، ج 121/3.

[1] أحمد الطبراني، المعجم الأوسط، تحقيق طارق بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، الطبعة 1415هـ، 1995م، باب من اسمه: إبراهيم، ح: 2856، ج 180/3.

[2] في النسختين (ج) و (د) : "وذكرهم".

[3] ورد البيتان بنفس اللفظ في: أبي جعفر البلوي، ثبت، تحقيق عبد الله العمراني، دار المغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، 1403هـ-1983م، ص :139؛ وأبي حامد محمد العربي الشرقي، الفتح الوهبي في مناقب الشيخ العربي، مع اختلاف في "وفضلهم" عوض "وسمهم" ص :55..

[4] ورد هذا النص بنفس اللفظ في: يوسف التادلي، المعروف بابن الزيات، التشوف إلى رجال التصوف، 1997، ص 38؛ وابن عسكر الشفشاوني، دوحة الناشر، ص:12، ومحمد الإفراني، صفوة من انتشر، ص: 39.

وقال أبو القاسم الجنيد[1]:

"تنزل الرحمة[2] على الفقراء[3] في ثلاثة مواضع عند السماع فإنهم لا يسمعون إلا عن حق، ولا يقومون إلا عن وجد[4]، وعند أكل الطعام، فإنهم لا يأكلون إلا عن فاقة، وعند مجاراة العلم[5]، فإنهم لا يذكرون إلا صفة الأولياء"[1].

---

[1] أبو القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد النهاوندي ثم البغدادي الخزاز، كان من الفقهاء المتعبدين في العلم والعمل، شيخ الزهاد والسالكين، صوفي من العلماء بالدين، ولد ونشأ ببغداد، فهو أول من تكلم في علم التوحيد، عده العلماء شيخ مذهب التصوف لضبط مذهبه بقواعد الكتاب والسنة، صحب السري السقطي، وصار شيخ وقته، وفريد عصره في علم الأحوال والكلام على لسان الصوفية. وله أخبار وكرامات كثيرة مشهورة، توفي سنة 297هـ، ترجمته في: أبي عبد الرحمن السلمي، طبقات الصوفية، تحقيق نور الدين شريبة، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1418هـ-1997م، ص: 155-163؛ وأبي إسحاق الشيرازي، طبقات الفقهاء، دار القلم، بيروت، ص: 194؛ ابن الجوزي، صفة الصفوة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1409هـ-1989م، ج2/270-275؛ وعبد الوهاب الشعراني، الطبقات الكبرى، المسمى بلواقح الأنوار في طبقات الأخيار، تحقيق وضبط أحمد عبد الرحيم السايح وتوفيق علي وهبة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1426هـ-2005م، ج1/154.

[2] الرحمة: هي إرادة إيصال الخير، ينظر: ابن قيم الجوزية، مدراج السالكين بين منازل (إياك نعبد وإياك نستعين)، تحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة السابعة، 1423هـ-2003م، ج 1/425؛ والجرجاني، التعريفات، تحقيق ابراهيم الابياري، دار الكتاب العربي، بيروت الطبعة الاولى،1405هـ، ص: 47.

[3] الفقراء: صفوة لله عز وجل من عباده ومواضع أسراره بين خلقه، بهم يصون الحق الخلق، وببركاتهم يبسط عليهم الرزق ينظر: عبد الكريم القشيري، الرسالة القشيرية، تحقيق معروف زريق وعلي عبد الحميد بلطجي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثانية، ص: 271-272.

[4] الوجد: ما يصادفه القلب من الأحوال المفنية له عن شهوده، ينظر: عبد الكريم القشيري، الرسالة القشيرية، ص: 62؛ وابن عربي، اصطلاحات الصوفية، تحقيق بسام عبد الوهاب الجابي، دار الإمام مسلم، بيروت، الطبعة الأولى، 1411هـ-1990م، ص: 59؛ وابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، ج 3/68؛ والجرجاني، التعريفات، ص: 110؛ وأحمد بن عجيبة، معراج التشوف إلى رجال التصوف، تحقيق عبد المجيد خيالي، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء، ص: 64.

[5]العالم والعلم: من أشهده الله ألوهية ذاته ولم يظهر على حال، والعلم: حاله. ينظر: أبو اسحاق الشيرازي، اللمع في أصول الفقه، تحقيق عبد القادر الخطيب الحسيني، دار الحديث الكتانية، الطبعة الأولى، 1434هـ-2013م، ص: 78-79؛ وابن عربي، اصطلاحات الصوفية، ص: 72؛ وابن قيم الجوزية، مدارج السالكين: ج2/434-441؛

ويرحم الله من قال:

[البسيط]

لله مِنْ جُلَسَاءِ الخَيْرِ فِي خَلْقِهِ ثَلاَثَةٌ بِهِمُ الخَيْراتُ تَجْتَمِعُ

مُعَلِّمُ الخَيرِ من علمٍ وَمِنْ عَمَلٍ وَطَالِبُ اَلْعِلْمِ لِلتَّقوَى ومُسْتَمِعُ

وَجُلَسَاءُ بِسَاطِ الحَقِّ صُفْوَتُهُ لَهُمْ مَقَامٌ جَليلُ القَدْرِ مُرْتَفِعُ/4/

هُمُ الكِرَامُ فَلاَ يَشْقَى جَلِيسُهُمُ وَلَيْسَ يُدْرِكُهُ ضَيْمٌ ولاَ جَزَعُ

وَعِند ذِكرهمُ الرَّحمةُ تُنْزِلُهَا خَزَائِنُ المولى واللَّأوَاءُ تَنْدَفِعُ

فاخْدُمْهُمْ خِدْمَة المملوك مَالِكَهُ وانْشُر مَحَاسِنَهُم تُهْدَى وتَنْتَفِعُ

واذْكُرْ مَناقِبَهُمْ تُعْطَى مَوَاهِبَهُمْ فالكَرْبُ يُجْلَى بِهِمْ والضّيقُ يَتَّسِعُ

وأرجو الله الكريم أن يكمل لي قصدي ورجائي فيما أردت، ويحقق لي ما أملت وقصدت، ويمنحني ما سألتُ وطلبت من كتاب أضعه، ومصنف أجمعه في كرامات سيدنا الإمام العالم العلامة الهمام، العارف الكامل، الموصل الواصل، شمس العرفان الساطعة على مرور الزمان[2]، وصدر[3] العارفين والأكابر الأعيان، أستاذ الطريقة الجامع

والجرجاني، التعريفات، ص: 988؛ وأحمد زروق، قواعد التصوف، دار الجيل- بيروت، الطبعة الأولى، 1412هـ-1992م، باب قاعدة العلم، ص: 59-66؛ وحسن الشرقاوي، معجم الألفاظ الصوفية، مختار، القاهرة، الطبعة الأولى، 1987، ص: 212-213.

[1] ورد هذا النص في: أبي السراج الطوسي، اللمع في التصوف، تحقيق عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور، دار الكتب الحديثة بمصر ومكتبة المثنى ببغداد ،1380-1960م ص: 242، مع اختلاف في بعض الألفاظ، مثل: "مواطن" عوض "مواضع"؛ والكلاباذي، التعرف لمذهب أهل التصوف، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الثانية، 1415هـ-1994م، ص: 127، مع اختلاف في بعض الألفاظ، مثل: "الفقير" عوض "الفقراء" و"الحاجة" عوض "الفاقة"؛ وعبد الكريم القشيري، الرسالة القشيرية، ص: 840، بنفس اللفظ.

[2] في النسختين (ج) و (د): "الأزمان".

[3] في النسختين (ج) و (د): "صدور".

بين الشريعة والحقيقة البدر اللائح، أبي عبد الله سيدي محمد المدعو بالصالح[1] بن العارف الكبير، والغَوْثِ الشهير، سيدي محمد المعطى، نفعنا الله بهما، ومنحنا من بركتهما وسرهما، فقد كان، أهلا لكمال الشهرة والتعريف والتبجيل والتشريف، وأن تُجمع شمائله وتنشر، وأن تدون محاسنه ومناقبه وتذكر، وسميته: "بالروض اليانع الفائح، في مناقب سيدنا ومولانا أبوعبد الله محمد المدعو بالصالح". وذلك بعد إشارة من تجب علي طاعته، ولا تسعني مخالفته، وقد ملكتني منته، وغمرتني نعمته، وعمتني بركته ونصرته ومن أجل ذلك تحملت ما لا أطيق لقلة العلم والعمل، وقلت في ذلك مُكْرَهٌ أخاك لا بطل، لكنني لما أجبت سيادته بالتلبية، وتلقيت إشارته بالامتثال، وخالص النية، وساعدت في ذلك جماعة من السادات الأعيان، والأحبة في الله والإخوان، رجوت من الله سبحانه ببركتهم التوفيق والتيسير في كل مهم وصعب وعسير، إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير، وأسأله أن يجعله خالصا لوجهه، نافعا في عرصات القيامة، وعند

---

[1] أبو عبد الله محمد الصالح، ابن الشيخ أبي عبد الله محمد المدعو المعطي، كانت ولادته بمراكش سنة 1069هـ، نشأ مع والده المعطي بن عبد الخالق، وأخذ عنه، ثم انتقل لزاوية أجداده وعمرها وأحي رسومها، صحب الحسن اليوسي، وأحمد العطار، ومحمد بن عبد القادر الفاسي، ورحل إلى تامكروت وأجازه أحمد بن ناصر الدرعي. توفي يوم الأربعاء الثاني عشر من صفر الخير، عام 1039هـ، ترجمته في: الحسن المعداني، الروض اليانع الفائح، في مناقب سيدنا ومولانا أبي عبد الله محمد المدعو بالصالح، موضوع هذه الأطروحة؛ ومحمد العبدوني، يتيمة العقود الوسطى، في مناقب الشيخ أبي عبد الله محمد المعطى، نسخة مصورة ومصنفة ضمن source gallica.bnf.fr/bibliotheque nationale de France بالعربية تحت رقم 7289، ص: من 10 [أ] إلى 26[ب]؛ وأبي حامد محمد العربي الشرقي، الفتح الوهبي، ص: 375-398. وأحمد الناصري، الاستقصا، لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1418هـ/1997م، ج6/138؛ والعباس بن إبراهيم المراكشي، الإعلام، بمن حلّ مراكش وأغمات من الأعلام، ج6/37-43؛ وأحمد بوكاري، الزاوية الشرقاوية، زاوية أبي الجعد، إشعاعها الديني والعلمي، 1985م،/ج1 /103-108؛ وأحمد بوكاري، الزاوية الشرقاوية دار علم ودين وصلاح، ص: 61-72؛ ومحمد الخليفتي، الدرة الجليلة في مناقب الخليفة، تحقيق أحمد عمالك، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، الطبعة الأولى، 1435هـ-2014م، ج2/514-529.

حدوث الموت، وحلول الإنسان في رمسه. وصلى الله على سيد الأنام، ومسك الختام سيدنا ومولانا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، وعلى آله وصحابته الأعلام، أئمة الهدى ومصابيح الظلام، صلاة تبوؤنا بها دار السلام، بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين يا رب العالمين. وأقدم أمام المقصود والسول مقدمة تشتمل على ثلاثة فصول:

- **الفصل الأول:** في شيء من فضائل الأولياء، والعارفين والأتقياء والفقراء والمساكين والمحبين في الله والرسول والصالحين، مما جاء في القرآن والأحاديث المروية عن سيد بني معد وعدنان. وفي الكلام على الكرامة من حيث أصلها وشرفها وفضلها، والدليل على ثبوتها من السنة والكتاب، وكلام الأئمة الفحول والأذكياء وأولي الألباب، وفي فضل من ظهرت على يديه، إذا أراد سبحانه أن يظهر فضله على /5/ عبده خلق ونسب إليه، وإذا اصطفى سبحانه عبدا لنفسه، جعل في قلبه سراجا من نور قدسه، يفرق به بين الحق والباطل، ويبصر به عيوب نفسه، ويظهر شرفه بين أبناء جنسه، وفي معرفة مقامات الأولياء ومراتبهم، والحكمة في وجودهم وبقائهم، وفي تقسيمهم إلى من خصه الله بالكرامة، ومن حجبه عنها، وشرفه بمحض الاستقامة، ومن جمع له بين الحالتين، وأكرمه بفضله بالمرتبتين.

- **الفصل الثاني:** في التعريف بهذا الشيخ الموضوع فيه هذا الكتاب، وما له من الحظوة والمكانة وعلو القدر والجناب، وفي ابتداء أمره، وما شاع من خبره، ليعلم الواقف على ذلك أنه ممن سبقت له من الله العناية، وأن له القدم الراسخ في العوارف والمعارف والرواية في العلوم والدراية.

- **الفصل الثالث:** في ذكر أشياخه الكاملين الذين أخذ عنهم الطريقة، وجمع الله لهم بين الشريعة والحقيقة، وفي بعض أشياخه من علماء الإسلام، ممن يحسن أن يكون واسطة بين العبد وربه في جميع الأحكام، وفي ذكر ما لهم عنده من المكاتبات،

والتوقيعات، والإجازات. وفي ذكر [بعض][1] إخوانه في الله من العلماء العاملين، والأولياء، والصالحين الذين عاصروه في وقته، وشهادتهم له بما يدل على شرفه وعلو رتبته. وبعض ما كان بينه وبينهم، من المكاتبة والمراسلة، وحسن التودد في الله والمواصلة وفي حسن سيرته وسيادته، ومكارم أخلاقه وسياسته، وأختم الكتاب بعد الكرامات وخرق العادات بحول رب الأرباب، وفاتح الأبواب، وميسر الأسباب، بخاتمة مشتملة على ثلاثة فصول تكملة للغرض والسول.

الفصل الأول: في منظوماته وقصائده وفوائده وفرائده، وماله في ذلك من الحكم والأسرار والرياحين والأزهار، وما احتوت عليه من الأمداح النبوية، والتوسل إلى الله بالسيادة المصطفوية، في طلب المصالح الدينية والدنيوية، وحماية الأمة المحمدية، وما في ذلك من حسن التوسل والابتهال، والتلطف في الطلب والسؤال، وبث الشكوى من حوادث الحال، والتضرع خوفاً من العاقبة والمآل، ليعلم ماله من الخوف الذي لا يفارق قلوب الفحول من الرجال.

[فإن قيل: "هل الخوف والوجل والرهبة ألفاظ مترادفة، أولا؟، قلت: قال في "المواهب اللدنية، في سير خير البرية"[2] لما تكلم على خوفه اعلم أنَّ الخَوْفَ والوَجَلَ والرَّهْبَةَ أَلْفَاظٌ متقاربةٌ غير مترادفة. قال الجنيد: "الخوف توقع العقوبة على مجاري الأنفاس، وقيل: الخوف اضطراب القلب، وحركته من تذكر المخوف، وقيل: الخوف قوة العلم بمجاري الأحكام./6/ وهذا سبب الخوف. لا أنه نفسه. وقيل: الخوف هرب القلب من

---

[1] سقط ما بين معقوفتين من النسخة (د).

[2] احمد القسطلاني، المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، الجزء الأول، تحقيق صالح أحمد الشامي، المكتب الاسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، 1425هـ -2004م، والملاحظ هو اختلاف صيغة عنوان الكتاب بين المطبوع وما أشار إليه المؤلف بصيغة (المواهب اللدنية في سير خير البرية).

حلول المكروه عند استشعاره. والخشية أخص من الخوف. فإن الخشية للعلماء، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[1] فهو خوف مقرون بمعرفة. وقال إن أتْقاكم للهِ، وأَشَدُّكم لَهُ خشيةً. فالخوف حركة، والخشية انجماع، وانقباض وسكون، فإن الذي يرى العدو والسيل ونحوهما له حالتان: إحداهما: حركته للهرب منه وهي حالة الخوف، والثانية: سكونه وقراره في مكان لا يصل إليه. وهي الخشية. وأما الرهبة، فهي الإمعان في الهرب من المكروه. وهي ضد الرغبة التي هي سفر القلب في طلب المرغوب فيه. وأما الوجل فرجفان القلب، وانصداعه لذكر من يخاف سلطانه وعقوبته، وأما الهيبة: فخوف مقارن للتعظيم والإجلال، وأكثر ما يكون مع المعرفة والمحبة. والإجلال: تعظيم مقرون بالحب. فالخوف لعامة المؤمنين والخشية للعلماء العارفين. والهيبة للمحبين. والإجلال للمقربين. وعلى قدر العلم والمعرفة يكون الخوف والخشية، كما قال: **(إنّي لَأَعْلَمُكُمْ بِاللهِ، وأَشدُّكُمْ لَهُ خَشْيَةً)**[2] رواه البخاري انتهى من "المواهب" بلفظه.

وقال "صاحب" الكنز المدفون، والفلك المشحون[3]": "الخوف على أنواع، الخوف للمذنبين، والرهبة للعابدين، والخشية للعالمين، والوجد للمحبين، والهيبة للعارفين،

---

[1] سورة فاطر، الآية: 28.

[2] البخاري، الجامع الصحيح، تحقيق محب الدين الخطيب، استقصى أطرافه محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة السلفية، القاهرة، الطبعة الأولى ،1400هـ، كتاب الأدب، باب من لم يواجه الناس بالعتاب، ح :6101، ج110/4؛ ومسلم، صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1412-1991م، كتاب الفضائل، باب علمه، بالله تعالى وشدة خشيته، ح: 2356، ج1829/4.

[3] الكنز المدفون والفلك المشحون قد اختلف في نسبته إذ ينسب إلى جلال الدين السيوطي أو إلى يونس المالكي، وبرجوعنا إلى كتاب "الأعلام" للزركلي، ج263/6 وجدناه يثبت بأن يونس شرف الدين المالكي هو صاحب "الكنز المدفون والفلك المشحون" المنسوب إلى جلال الدين السيوطي، وهذا ما ذكره إياد خالد الطباع، في كتابه الإمام الحافظ لجلال الدين السيوطي، معلمة العلوم الإسلامية، أعلام المسلمين، عدد 64، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، 1417هـ-1996م، ص: 283، بأن الكنز المدفون والفلك المشحون منسوب الى السيوطي، وهو ليونس المالكي.

فخوف المذنبين من العقوبات، وخوف العابدين من فوت ثواب العبادات، وخوف العالمين من الشرك الخفي في الطاعات، وخوف المحبين من فوت النقاء في الخلوات، وخوف العارفين بالهيبة والتعظيم وهو أشد الخوف لأنه لا يزال أبداً وسائر هذه الأنواع إذا قوبلت بالرحمة واللطف سكنت"[1][2].

وقد قال بعضهم: "رأيت في تيه بني إسرائيل رجلا قد أنحلته العبادة، حتى صار كالشن البالي، فقلت له: ما الذي بلغك إلى هذا الحال؟ فنظر إلي متعجبا من سؤالي، وقال: يا هذا ثقل الأوزار، وخوف النار، والحياء من الملك الجبار"[3]. ثم قال:

[البسيط]

لَمَّا ذَكَرتُ عَذَابَ النَّارِ أَزْعَجَنِي ... ذَاكَ التذكُّرُ عَنْ أَهْلِي وَأَوْطَانِي

وصرتُ فِي الْفَقْر أَرْعَى الوَحْشَ مُنْفَرِداً ... كَمَا تَرَانِي عَلَى وَجْدِي وَأَحْزَانِي

وَذَا قَلِيلٌ لِمِثْلِي بَعْدَ جُرْأَتِـهِ ... فَمَا عَصَى اللهَ عَبْدٌ مِثْلُ عِصْيَانِي

نَادُوا عَلَيَّ وقُولُوا فِي مَجَالِسِكُم ... هَذَا اَلْمُسِيءُ وَهَذَا المُجْرِمُ اَلْجَانِي

فَمَا ارْعَوَيْتُ ولاَ قَصَّرْتُ مِنْ زَلَلِي ... ولاَ غَسَلْتُ بِمَاءِ الدَّمْعِ أَجْفَانِي[4]

---

[1] الكنز المدفون والفلك المشحون، المنسوب للسيوطي، الطبعة 1288، مصر، ص: 175-76، بنفس اللفظ.

[2] ساقط من النسختين (ب) و (د) وتفردت به النسختين رقم 1835 د/ والنسخة رقم 86ج. وقد ورد هذا النص بنفس اللفظ في: أحمد القسطلاني، المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، تحقيق صالح أحمد الشامي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية 2004م، ج 2/361-362.

[3] ورد هذا النص بنفس اللفظ في: أسعد اليافعي، روض الرياحين في حكاية الصالحين، الملقب بنزهة العيون النواظر وتحفة القلوب الحواظر في حكايات الصالحين، مطبعة الميمنية، مصر، 1307، (الحكاية الخامسة والعشرون بعد المائة)، ص: 79.

[4] وردت هذه الأبيات بنفس اللفظ والترتيب في: أسعد اليافعي، روض الرياحين في حكايات الصالحين، (الحكاية الخامسة والعشرون بعد المائة) ص: 79.

قلت: وهذا شأن العارفين، والأولياء الكاملين، فقد نقل "صاحب الجواهر" أن قطب الأقطاب، ومن خضعت له الأعناق والرقاب، سيدي عبد القادر الجيلاني[1]،قال: أخذت العهد /7/ من الله سبحانه، أربعين مرة، على أنه لا يمكر بي، قيل له: كيف وجدت نفسك بعد ذلك؟ قال: خائفا، وذلك لأن الخوف بقدر المعرفة، ولذلك ورد حسنات الأبرار، سيئات المقربين جعلنا الله ممن احتمى بحماهم، ودخل تحت ظلهم ولواهم، آمين يا رب العالمين". ولله در القائل:

[السريع]

من عرَف اللهَ فَلَم تغْنِهِ معرفةُ الله فذاك الشَّقِي

ما يصْنَعُ المرءُ بِعزِّ اَلْغِنَى وَاَلْعِزُّ كُلُّ اَلْعِزِّ لِلْمُتَّقِي[2]

الفصل الثاني: في التعريف بوالده الشهير، العامل العالم العارف الكبير، قدوة الزهاد والأكابر من العباد، عين العلوم، وينبوع المعارف والفهوم، من ترك في رضى مولاه سبحانه الأهل والأوطان، والعشائر والإخوان، سيدي محمد المعطى، ليعلم ما له من الجلالة، ومكانته في العلوم والمعارف والأمانة والعدالة، وأما مآثره ومناقبه وكرائمه ومواهبه، فلا يناسبها إلا تأليف مخصوص. وينضم لذلك ما أجرى الله على لسانه من

---

[1] أبو محمد عبد القادر بن موسى بن عبد الله الجيلاني الشريف الحسني، مؤسس الطريقة الصوفية القادرية المنتشرة في معظم بلدان العالم الإسلامي، وأحد كبار الزهاد والصوفية في عصره، ولد بجيلان سنة 471هـ، ورحل إلى بغداد سنة 488هـ بقصد طلب العلم، وله تآليف منها: "الغُنية"، و"الفتح الرباني"، و"فتوح الغيب" وغيرها توفي ببغداد سنة 561هـ، ترجمته في: ابن الملقن، طبقات الأولياء، تحقيق نور الدين شريبة، الطبعة الاولى، 1393هـ/1973م، ص: 246؛ وابن مخلوف، شجرة النور الزكية، في طبقات المالكية، ج1/236-237؛ وأبي حامد الفاسي، مرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبي المحاسن، تحقيق محمد حمزة الكتاني، الطبعة الأولى، 1424هـ-2003م، ص: 248-249.

[2] وردت هذه الأبيات بنفس اللفظ في: ابن عجيبة، إيقاظ الهمم في شرح الحكم، تقديم ومراجعة حسب الله، دار المعارف، كورنيش النيل، القاهرة، ص 470.

فرائد العلوم، التي صارت بدلائلها كالنصوص. وأرجو منه سبحانه أن يتيسر ذلك عليّ، وأن يظهر فضله على يدي. فإنه جواد كريم، رؤوف رحيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

الفصل الثالث: في بيان نسبه المعظم، وشرف قدره الجليل المفخم، وما في عموده من الفحول الكرام، والقادة الأعلام، ممن جمع الله له العلم والصلاح والفلاح والنجاح، وصرفه سبحانه في مملكته، وجعل العوالم في قبضته. وما لهم في ذلك من علو المرتبة والجاه، بمحض الفضل والكرم من الله، نعمة من الله أنعمها عليهم، ومائدة جعلها سبحانه لأولهم وآخرهم، هي المواهب والمنى لا تنال بترك السنة والوسن، من قدر له شيء ناله، ولو عز أدرك غايته وكماله.

[الرجز]

سَوَّدَتْ عِصَاماً نَفْسُ عِصَامٍ وَعَلَّمَتْهُ اَلْفَتْكَ والإقْدَامَـــــا[1]

إذا حلت الهداية القلوب، ظفر صاحبها بكل مرغوب، ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾[2].

---

[1] ورد هذا البيت الشعري بنفس اللفظ في: عبد الرحمن البرقوقي، شرح ديوان المتنبي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، ص: 465؛ والحسن اليوسي، المحاضرات في الأدب واللغة، ج59/1 مع اختلاف في بعض الألفاظ، مثل: "وعلمته الكر" عوض "وعلمته الفتك".

[2] سورة الجمعة، الاية:4

الفصل الأول من المقدمة:

في فضل الأولياء وما ورد في ذلك من الآيات القرآنية والأخبار، عن نبينا ومولانا محمد النبي المختار

فمن القرآن قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا﴾[1]. وقوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[2]. وقال سبحانه: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾[3]. وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[4]. وقال سبحانه و[تعالى][5]: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾[6]. وقال تعالى: ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾[7]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ/8/ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ[8] نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ﴾[9]. وقال تعالى:

---

[1] سورة النساء، الآية: 68-69.

[2] سورة يونس، الآية: 62-63-64.

[3] سورة الإسراء، الآية: 65.

[4] سورة العنكبوت، الآية: 69.

[5] سقط ما بين معقوفتين منه النسختين (ج) و(د).

[6] سورة المائدة، الآية: 54.

[7] سورة الأحزاب، الآية: 23.

[8] في النسخة (د): "توعدون".

[9] سورة فصلت، الآية31.

﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾[1]. وقال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾[2]. وقال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾[3].

فهذه عشر آيات اقتصرت عليها، وأما الأحاديث والأخبار، ففي صحيح البخاري، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله : **(مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا، فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، ومَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أحَبَّ إِلَيَّ من أَدَاءِ مَا افترضْتُهُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ [عَبْدِي][4] يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ اَلّذِي يَسْمَعُ به، وَبَصَرَه اَلَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ اَلَّتِي[5]يُبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ التي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِينَّهُ[6]، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَ بِي لَأعيذَنَّه)**[7]. روى استعاذ بي واستعاذني بالنون، وآذَنْتُهُ بالحرب أعلمته بأني محارب له.

---

[1] سورة آل عمران، الآية: 113-114.

[2] سورة الكهف، الآية :28.

[3] سورة البقرة، الآية :273

[4] سقط ما بين معقوفتين من النسختين (ج) و(د).

[5] في النسخة (ح): "الذي".

[6] في النسخة (ج): "أعطيته".

[7] البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الرقاق، باب التواضع، ح: 6502، ج 192/4.

"الحديث الثاني: في صحيح مسلم عن أبي هريرة، قال: "قال رسول الله: **(رُبَّ أَشْعَثَ مَدْفُوعٍ بِالأَبْوابِ، لَوْ أَقْسَمَ على اللهِ لأبرَّهُ)**"[1].

الحديث الثالث: في الصحيحين عن سهل بن سعد الساعدي[2]، قال: **(مَرَّ رَجُلٌ على النّبي، فَقَال لِرَجُلٍ جَالِسٍ عِنْدَهُ: مَا رَأيكَ في هَذَا؟ فقال: رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِ النَّاسِ، هَذَا، وَاَللهِ حَرِيٌّ إن خَطَبَ أَنْ يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ يُشَفَّعَ، فَسَكَتَ رسول اَللهِ ﷺ، ثُمَّ مَرَّ رَجُلٌ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ : مَا رَأيكَ فِي هَذَا؟ فقال: يا رسول اَلله، هَذَا رَجُلٌ من فقراء المسلمين، هَذَا حَرِيٌّ إِنْ خَطَب [أَنْ][3] لاَ يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفعَ [أَنْ][4] لا يُشَفَّع، وإِنْ قال أن لاَ يُسْمَعَ لِقَوْلِهِ، فقال رسولُ اَلله ﷺ : هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلْءِ الأَرْضِ مِثلَ هذا)**[5].

وأنشدوا في المعنى:

---

[1] مسلم، صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون، والجنة يدخلها الضعفاء، ح: 2854، ج 2191/4.

[2] سهل بن سعد بن مالك بن خالد بن ثعلبة بن حارث بن عمرو بن الخزرج بن ساعدة الأنصاري الساعدي، من مشاهير الصحابة، يقال كان اسمه حزنا فسماه النبي سهلا. أخذ عنه جماعة منهم ابن عباس، وأبو حازم سلمة بن دينار، وابن شهاب الزهري. مات في المدينة سنة 91هـ، وهو آخر من مات بها من الصحابة. ترجمته في: ابن سعد، الطبقات الكبير، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1421هـ-2001م، ج375/5؛ وابن مخلوف، شجرة النور الزكية، ج68/1.

[3] سقط ما بين معقوفتين من النسخة (ج).

[4] سقط ما بين معقوفتين من النسخة (ج).

[5] البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الرقاق، باب فضل الفقر، ح: 6447، ج182/4.

[الطويل]

لَعَمْرُكَ مَا اَلْإِنْسَانُ إِلَّا ابْنُ يوْمِهِ فَلَا تَتْرُكِ التَّقْوَى اتِّكَالاً عَلَى النَّسَبْ

فقَدْ رَفَعَ الإِسْلَامُ سَلْمَانَ فَارِسٍ وَقَدْ وَضَعَ اَلْكُفْرُ الشَّرِيفَ أَبَا لَهَبْ[1]"

[وذكر بعض الفضلاء من الأئمة، أن التمثيل بأبي لهب فيه ما فيه، قال ولو قال:

"وقد وضع الكفر الرئيس أبا جهل[2]". لكان حسنا [وأظنه قال بعد أن يقول فلا تترك التقوى اتكالا على الأصل[3]].[4]

وأنشد آخر، ونسب لعلي بن أبي طالب[5]،:

[الطويل]

"دَلِيلُكَ أَنَّ الفَقْرَ خَيرٌ مِنَ اَلْغِنَى وَأَنَّ قَلِيلَ اَلْمَالِ خَيرٌ مِنَ اَلْمُثْرِى"[6] /9/

لِقَاؤُكَ عَبْدًا قَدْ عَصَى اللهَ بِالْغِنَى وَلَمْ تلْقَ عَبْداً قَدْ عَصَى اللهَ بِالْفَقْرِ[1].[2]

---

[1] وردت هذه الابيات بنفس اللفظ في: ديوان علي بن أبي طالب، جمع وترتيب عبد العزيز الكرم، الطبعة الأولى، 1409هـ -1988م، ص: 12.

[2] في النسخة (د): "أبي لهب".

[3] سقط ما بين معقوفتين من النسخة (ج).

[4] سقط ما بين معقوفتين من النسخة (د).

[5] أبو الحسن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي، ابن عم النبي محمد بن عبد الله وصهره، من آل بيته، وأحد أصحابه، هو رابع الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، ولد في مكة سنة 23 قبل الهجرة، وبويع بالخلافة بعد مقتل عثمان بن عفان سنة 35هـ، واشتهر بالفصاحة والحكمة والعدل والزهد، وعرف بشدته وبراعته في القتال، توفي سنة 40هـ ترجمته في: أبي نعيم الأصفهاني، حلية الأولياء، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1416هـ-1996م، ج1/61-87-؛ ابن الجوزي، صفة الصفوة، ج1/162-174؛ وابن مخلوف، شجرة النور الزكية، ج1/83-87.

[6] المثري من الثروة وهو كثير المال، ينظر: المجلسي، كتاب بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، تحقيق لجنة من العلماء، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة المصححة 1403هـ-1982م، ج 10/85.

الحديث الرابع: في الصحيحين أيضا عن أبي موسى الأشعري[3]، قال: قال رسول الله ﷺ: **(إِنَّمَا مَثَلُ اَلجَلِيسِ[4] الصَّالحِ، وَجَلِيسِ السُّوءِ، كَحَامِلِ اَلمِسْكِ، وَنَافِخِ اَلْكِيرِ، فَحَامِلُ اَلْمِسْكِ، إِمَّا أن يَجذُبَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنه، فَتَجِدَ مِنْهَ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ اَلْكِيرِ، إِمَّا أن يُحْرِقَ ثِيَّابكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا خبيثة)**[5]. قوله: يجذبك يعطيك، وأنشدوا:

[الطويل]

تَجَنَّبْ قَرِينَ السُّوءِ وَاصْرِمْ حِبَالَهُ ... وَإِنْ لَمْ تَجِدْ عَنْهُ مَحِيصًا فَدَارِهِ

وَأَحْبِبْ حَبِيبَ الصِّدْقِ وَاتْرُكْ مِرَاءَهُ ... تنَلْ مِنْهُ صَفْوَ اَلْوُدِّ مَا لَمْ تُمَارِه

وَلِلَّهِ فِي عَرْضِ السّمَاوَاتِ جَنَّةٌ ... وَلَكِنهَا مَحْفُوفَةٌ بِالْمَكَـــــارِه"[6]

الحديث الخامس: في الصحيحين عن أبي هريرة ، قال: إن رسول الله ﷺ، قال : **(سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اَللهُ بِظِلِّهِ، يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ، إِمَامٌ عَادِلٌ، وشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اَللهِ عَزَّ وَجَلَّ؛ ورجلٌ قَلْبُه متعلِّقٌ بِالْمَسَاجِدِ، وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي الله اِجْتَمَعَا عَلَيه، وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امرأةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمال فقال: إنّي أَخَافُ اَللهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ**

---

[1] وردت هذه الأبيات بنفس اللفظ في: أسعد اليافعي، روض الرياحين في حكايات الصالحين، ص: 7.

[2] ورد البيت الثاني بهذا الشكل في: المجلسي، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، ج 85/75

لقاؤك مخلوقا عصى الله بالغنى ... ولم تر مخلوقا عصى الله بالفقر.

[3] عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار التميمي، أبو موسى الأشعري، أسلم بمكة، وهاجر إلى الحبشة، وولي إمارة الكوفة لعمر، وإمارة البصرة. وقدم ليالي فتح خيبر، وغزا، وجاهد مع النبي، وحمل عنه علما كثيراً، وكان زاهداً عابدا، توفي سنة 44هـ، ترجمته في: ابن سعد، الطبقات الكبير، ج2/297-298؛ وأبي نعيم الأصفهاني، حلية الأولياء، ج1/256-264؛ وابن الجوزي، صفة الصفوة، ج1/284- 287؛ وشمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، 1402هـ-1982م، ج2/380-402.

[4] في النسخة (ج): "الجالس".

[5] البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الذبائح والصيد، باب المسك، ح: 5534، ج3/463؛ ومسلم، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب مجالسة الصالحين ومجانبة قرناء السوء، ح: 2628، ج 2026/4.

[6] وردت هذه الأبيات بنفس اللفظ في: أسعد اليافعي، روض الصالحين في حكايات الصالحين، ص: 7.

فَأَخْفَاهَا حَتىَّ لاَ تعلَمَ شِمَالُهُ مَا أَنْفَقَتْ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اَللهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ)[1]. فهذه خمسة أحاديث صحاح، وسيأتي إن شاء الله في هذا الفصل الأول، لذلك مزيد اتضاح. وأنشدوا:

[الطويل]

بِنَفْسِي قَومٌ عَظَّمَ اللهُ قَدْرَهُمْ ... وَأَكْرَمَهُم بَيْنَ الخَلِيقَةِ بِالسِّرِّ

مُلوكٌ عَلَى[2] وَجْهِ البَسِيطَةِ لَنْ تَرَى[3] ... بِأَحْسَنَ مِنْهُمْ فِي الجَلاَلَةِ وَالقَدْرِ

لَهُمْ صَوْلَةٌ فِي العَالَمِينَ وَنُورُهُمْ ... سَرَى سَيْرَ شَمْسِ الأُفْقِ فِي أَيِّ مَا قُطْرِ

هُمُ اَلْقَوْمُ لاَ يَشْقَى بِهِمْ مَنْ أَحَبَّهُمْ ... وَمَنْ كَانَ مِنْهُمْ لاَ يَخَافُ مِنَ الشَّرِّ

هُمُ اَلْأَوْلياءُ وَالصَّالحونَ أئِمَّةٌ ... كُنُوزُ الوَرَى غَوْثُ اَلْمُرِيدينَ بِالنَّصْرِ

إِذَا ذُكِرُوا بَيْنَ الأَنَامِ تَحَدَّرَتْ[4] ... دُمُوعُ جُفُونْ كَالْجُمانِ عَلَى النَّحْرِ

عَلَيْكَ بِهِمْ واسْلُكْ سَبِيلَ طَرِيقِهِم ... فَإِنَّكَ تَحْـــــظَى بِالهِبَاتِ وَبِالظَّفْـرِ

عَلَيْهِمْ صَلاَةُ اللّهِ مَا لاَحَ بَارِقٌ ... وَغَنىَّ حَمَامُ الأَيْكِ فِي الْقُضُبِ الخُضْرِ[5]

---

[1] البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الزكاة، باب الصدقة باليمين، ح: 1423، ج440/1؛ ومسلم، صحيح مسلم، كتاب الزكاة باب فضل إخفاء الصدقة، ح: 1031، ج715/2؛ الطبراني، المعجم الأوسط، باب الميم: من اسمه: محمد، ح: 6324، ج251/6.

[2] في النسخة (ج): "لهم".

[3] في النسختين (ب) و (د): لَمْ تَرَ.

[4] في النسختين (ب) و (د): تحرّرت.

[5] وردت هذه الأبيات في: أبي حامد محمد العربي الشرقي، الفتح الوهبي، ص:545 مع اختلاف طفيف في "عليهم سلام الله "عوض" عليهم صلاة الله".

فهذا بعض فضائلهم في الآيات القرآنية، والأحاديث الصحاح. وعن عبد الله بن المبارك[1]، قال: "كُنْتُ جَالِسًا في بيتِ المقدسِ بَعْدَ العَصْرِ، إذْ وَقَفَ بِي شخصان، فَجَلَس أحَدُهُمَا إلى جَانِبِي، فقلتُ له: مَنْ أَنْتَ يرحمكَ الله؟ قَال: أنَا اَلْخَضِرُ[2]، قلتُ: فَمَنْ رَفِيقُكَ؟ قال: إلْياسُ[3]، قال: فَأَخَذَنِي رُعْبٌ، فقال: لاَ بَأْسَ عَلَيْكَ، فَلَوْلاَ نُحِبُّكَ مَا جِئْنَاكَ، فقلتُ: أَنَّسَكَ اَللهُ بِرَحْمَتِهِ، كَمَا أَنَّستني، /10/ ثُمَّ قلتُ له: هَلْ تَعْرِفُ عَدَدَ الأولياءِ؟ قال: نَعَمْ، اِعلَمْ أَنَّهُ لَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اَللهِ، بَكَتِ الأَرْضُ عَلَيْهِ، وَتَوَحَّشَتْ مِنْهُ، وَقَالَتْ: إلَهِي وَسَيّدِي، بَقِيتُ بِلاَ نَبِيٍّ يَمْشِي عَلَى ظَهْرِي إلَى يَوْمِ القيامةِ، فَأَوحى اَللهُ عَزَّ وجَلَّ إلَيْهَا، إنّي سَأَجْعَلُ[4] عَلَى ظَهْرِكِ مِنْ هَذِهِ اَلْأُمَّةِ مَنْ قُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الأَنْبِياءِ، عليهم السّلامُ، لاَ أُخْلِيكِ

---

[1] أبو عبد الرحمان عبد الله بن المبارك بن واضح المروزي، ولد سنة 118هـ، جمع بين العلم والزهد، تفقه على سفيان الثوري ومالك بن أنس رضي الله عنهما، وروى عنه الموطأ. وكان كثير الانقطاع محبا للخلوة، ارتحل إلى الحرمين، والشام، ومصر، والعراق، والجزيرة، وخراسان، توفي سنة 181هـ، ترجمته في: أبي نعيم الأصفهاني، حلية الأولياء، ج8/162-190؛ وابن الجوزي، صفة الصفوة، ج3/32-34؛ وابن خلكان، وفيات الأعيان، ج3/32-34؛ وشمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج2/378-421؛ والشعراني، الطبقات الكبرى، ج1/109-112؛ ومحمد عبد الرؤوف المناوي، الكواكب الدرية، تحقيق محمد أديب الجادر، دار صادر، بيروت، ج1/350-354.

[2] الخضر ممن صفتهم عناية الله تعالى، كان من أنبياء الله، وممن أوتي علما لدنيا، وقصته مع نبي الله موسى عليه السلام مبسوطة في القرآن الكريم، وقد امتاز بإذن الله تعالى بطول الحياة، وسمي الخضر خضراً لحسنه وإشراق وجهه، وقيل إنما سمي الخضر خضراً لأنه صلى على فروة بيضاء فاهتزت خضراء، فقال الأكثرون من العلماء: هو حي موجود بين أظهرنا، وذلك متفق عليه عند الصوفية وأهل الصلاح والمعرفة، وحكاياتهم في رؤيته والاجتماع به والأخذ عنه ووجوده في المواضع الشريفة ومواطن الخير أكثر من أن تحصر وأشهر من أن تذكر، ترجمته في: ابن كثير، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، 1410هـ-1990م: ج1/325-327؛ وعبد القادر التليدي، المطرب بمشاهير أولياء المغرب، دار الأمان، الرباط، الطبعة الرابعة، 1424هـ-2003م، ص: 125.

[3] إلياس: قال علماء النسب هو إلياس النشبي، ويقال: ابنه ياسين بن فنحاص ابنه العيزار بن هرون. وقيل: إلياس بن العازر بن العيزار بن هارون بن عمران، قالوا: وكان إرساله إلى أهل بعلبك غربي دمشق فدعاهم إلى الله عز وجل وأن يتركوا عبادة صنم لهم كانوا يسمونه بعلاً، وأقام عليه السلام هاربا من قومه في كهف جبل عشرين ليلة أو قال أربعين ليلة تأتيه الغربان برزقه، ترجمته في: ابن كثير، البداية والنهاية، ج1/337.

[4] في النسخة (د): "جاعل".

مِنْهُمْ إِلَى يوم القِيّامَةِ، قُلْتُ: فَكَمْ هُمْ يَا وَلِيَّ اللهِ؟ قَال: ثَلاثمِائة، وَهُمْ الأولياءُ[1]، وَسَبْعُونَ وَهُمْ النُّجبَاءُ، وَأربَعُونَ وَهُمْ الأَوْتَادُ، وعشرة[2] وَهُمْ النّقباءُ، وَسَبْعَةٌ وَهُمْ العُرَفَاءُ، وَثَلاَثَةٌ وَهُمْ المُخْتَارُونَ، وَوَاحِدٌ وَهُوَ الغَوْثُ، فَإذا مَاتَ اَلْغَوْثُ نُقِلَ [و][3]احِدٌ من الثلاثة فَجُعِلَ غَوْثا وَنُقِلَ وَاحِدٌ مِن السَّبْعَةِ إِلَى الثَلاَثَةِ، وَوَاحِدٌ مِنَ اَلْعَشَرَةِ إِلَى السَّبْعَةِ، وَوَاحِدٌ من الأربعينَ إِلَى العَشَرَةِ، وَوَاحِدٌ مِنَ السَّبعِينَ إلى اَلْأَرْبَعِينَ، وَوَاحِدٌ من الثَّلاَثمائة إِلَى السَّبْعِين، ومن سَائِرِ الخلقِ وَاحِدٌ إلى الثلاثمائة فَهُمْ هَكَذَا إِلَى يَوْمِ اَلْقِيَامَةِ، فَمِنْهُم من قَلبُهُ مثل قلب نوح ومنهم من قلبه مثل قلب إبراهيم، ومنهم من قلبه مثل قلب داوود، ومنهم من قلبه مثل قلب سليمان، ومنهم من قلبه مثل قلب إدريس[4]، وعيسى عليه السلام".

أما سمعت قول الله عز وجل حيث قال: ﴿فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ﴾[5]، فما من نبي إلا وعلى طريقته قلب رجل من هذه الأمة، إلى يوم القيامة، فلو اطلع قلوب الأربعين على العشرة، لرأوا قتلهم حلالا، "[ولو اطلع السبعون على الأربعين لرأو قتلهم حلالا][6] فإذا أراد الله، عز وجل، هلاك الأرض أماتهم جميعا".

---

[1] الأولياء: هم أهل العلم بالله على نعت العيان من الولي، وهو القرب. وقيل: من توالت طاعتهم، وتحقق قربهم واتصل مددهم. ينظر: ابن عجيبة، معراج التشوف، ص: 79.

[2] في النسخة (ب): "عشرون".

[3] سقط ما بين معقوفتين من النسخة (د).

[4] في النسخة (ج): "موسى".

[5] سورة الأنعام، الآية: 91.

[6] ما بين المعقوفتين ساقط من النسخة (ب).

قلت: وفي "رياض الرياحين في حكاية الصالحين" للإمام اليافعي[1]، في الحكاية الحادية عشر بعد الأربعمائة [بعد][2] نحو ما تقدم مع مخالفة يسيرة نقله عن بعض الصالحين ثم قال بعده: "أما ترى من قصتي مع موسى عليه السلام، قلت: فما طعامك؟ قال: من الكُرْسُفِ[3] والكَمْأةِ[4]، وطعام إلياس، قال: رغيفان حوّارى كل ليلة، قلت: وأين مقامه؟ قال: في جزائر البحر، قلت: فهل تجتمعان؟ قال: نعم، إذا مات ولي صلينا عليه وإن كان موسم اجتمعنا فيأخذ من شعري وآخذ من شعره، قلت: فعرفني أسماء هؤلاء الذين سميتهم فأخرج درجا من كمِّه فيه أسماء القوم كلهم، ثم قام فقمت معه، قال: إلى أين؟ قلت: أمشي معك، قال: لا سبيل لك إلى ذلك، قلت: إلى أين تقصد؟ قال: وما تريد من ذلك؟ قلت" أصلي فيه أتبرك به[5]، قال: إني أصلي الغداة بمكة، ثم أجلس في الحجر عند الركن الشامي إلى أن تطلع الشمس، ثم أطوف بالبيت سبعا، ثم أصلي خلف

---

[1] أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان بن فلاح اليافعي، اليمني، ثم المكي، الشافعي صوفي، شاعر، مشارك في الفقه والعربية والحساب، ولد سنة 698هـ، في عدن ونشأ فيها، حج سنة 712هـ وعاد إلى اليمن، ثم رجع إلى مكة سنة 718هـ فأقام وتوفي فيها سنة 768هـ- وله تصانيف كثيرة منها: "مرآة الجنان" و"نشر المحاسن" و"روضة الرياحين" وغيرها، ترجمته في: ابن الملقن، طبقات الأولياء، ص: 555-556؛ وابن ثغري بردي الأتابكي، النجوم الزاهرة، في ملوك مصر والقاهرة، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب، وزارة الثقافة والارشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، ج93/11؛ وأبو علي الحسن بن قاسم الكوهن الفاسي، "طبقات الشاذلية الكبرى"، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، 2005م-1426هـ، ص: 108-109؛ وخير الدين الزركلي، الأعلام، ج72/4؛وعمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، مؤسسة الرسالة، سنة النشر1414هـ-1993م، ج34/6-35.

[2] سقط ما بين معقوفتين من النسخة: (ب).

[3] الكرسف: القطن وهو الكرسوف، واحدته كرسفة، ومنه كرسف الدواة، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة "كرسف".

[4] الكمأة: واحدها كمءٌ على غير قياس، وهو من النوادر. الكمء: نبات ينقض الأرض فيخرج كما يخرج الفطر والجمع أكمؤ، وكمأة. وفي الحديث: الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين، وأكمأت الأرض فهي مكمئة، كثرت كمأتها. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة "كمأ"

[5] في النسخة (ج): "التبرك به"، وفي (د): "تبركا به".

المقام ركعتين، ثم أصلي الظهر بالمدينة، والعصر ببيت المقدس، والمغرب بطور[1] سيناء، والعشاء على سد ذي القرنين[2]، ثم لا أزال أحرس إلى الغداة، عليه وعلى جميع المذكورين السلام"[3].

قلت: وفي قوله فإذا أراد الله عز وجل، هلاك الأرض أماتهم جميعا/11/إشارة لتقدم وفاتهم على النفخة، لأن الساعة لا تقوم إلا على شرار الناس، ولذلك، قال بعض الأئمة: "سمعت الشيخ نجم الدين الأصبهاني[4]، رحمه الله، خلف مقام إبراهيم عليه السلام، يذكر أن الخضر عليه السلام، يسأل الله أن يقبضه إليه عندما يرفع القرآن"[5].

قال بعض الأئمة بعده: "والظاهر والله أعلم، أن القطب والأولياء الموجودين في ذلك الوقت يطلبون الموت حينئذ، إذ ليس لهم بعد رفع القرآن طيب عيش ولا لأهل الخير، فما تقدم عن الخضر في الأولياء المعدودين أنهم لا يزالون يبدلون واحداً بعد

---

[1] الطور: الطور نسبة إلى بطور بن إسماعيل عليه السلام وأسقطت باؤه للاستثقال، وبالقرب من مصر جبل يسمى الطور، ولا يخلو من الصالحين وهو المعروف بطور سيناء، ينظر: ياقوت الحموي. معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ج47/4.

[2] سد ذي القرنين: يعرف كذلك باسم سد ياجوج وماجوج، وقد اختلفت الروايات في شأنه. ويقال: إن بينه وياجوج وماجوج شعوب كثيرة تركها الاسكندر خلف السد الذي بناه والذي يعرف باسم سد ذي القرنين وسمتها العرب لذلك تركا، ويتفق معظم المفسرين والعلماء على أن ذا القرنين المذكور في القرآن هو الاسكندر الأكبر (356-323ق.م ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 197/3-200.

[3] أسعد اليافعي، روض الرياحين في حكايات الصالحين، (الحكاية الحادية عشرة بعد الأربعمائة)، ص: 187، بنفس اللفظ.

[4] نجم الدين عبد الله بن محمد بن محمد الأصبهاني، تلميذ الشيخ أبي العباس المرسى جاور بمكة مدة، وتوفي بها في سنة 78هـ. ترجمته في: ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير بيروت-الطبعة الأولى، 1413هـ-1992، ج101/8.

[5] ورد هذا النص بنفس اللفظ في: أسعد اليافعي، روض الرياحين في حكاية الصالحين، (الحكاية الخمسمائة)، ص: 237.

واحد إلى يوم القيامة، وفي رواية إلى يوم ينفخ في الصور، فالمراد [قريب][1] من ذلك لأن الساعة لا تقوم على من يقول: لا إله إلا الله، كما جاء في الحديث"[2]، وبذلك أول حديث الذين لا يزالون على الحق حتى تقوم الساعة. وقد اختلف في سيدنا الخضر عليه السلام، هل هو نبي؟ أو ولي؟ والصحيح أنه ولي، لا نبي عند أهل العلم. كما أن الصحيح عند الجمهور منهم أنه الآن حيٌّ؛ وبهذا قطع الأولياء ورجحه الفقهاء والأصوليون وأكثر المحدثين.

"وممن حكى ذلك عن جميع المذكورين الشيخ الإمام أبو عمرو بن الصلاح[3]، رحمه الله، ونقله عن الشيخ الإمام محيي الدين النووي[4] رحمه الله، وقرره.

"وسأل جماعة من الفقهاء الشيخ الإمام عز الدين بن عبد السلام[5]، قالوا": ما تقول في الخضر عليه السلام: أهو حي؟ قال: فما تقولون لو أخبركم ابن دقيق العيد[1]،

---

[1] ما بين معقوفتين ساقط من الأصل.

[2] ورد هذا النص بنفس اللفظ في: أسعد اليافعي، روض الرياحين في حكايات الصالحين، (الحكاية الخمسمائة)، ص: 237.

[3] أبو عمرو تقي الدين عثمان بن عبد الرحمان بن عثمان المشهور بابن الصلاح الشهرزوري، المحدث الحجة، صاحب "علوم الحديث" المشهور بالمقدمة، ولد سنة 577هـ، كان ذا جلالة عجيبة، ووقار وهيبة، وفصاحة، وعلم نافع، تولى التدريس في الصلاحية ببيت المقدس، توفي بدمشق سنة 643هـ. ترجمته في: تاج الدين السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ومحمود الطناحي، دار احياء الكتب العربية. ج8/326-336؛ وشمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج23/140؛ والزركلي، الأعلام، ج4/207-208.

[4] أبو زكريا محي الدين يحيى بن شرف النووي الدمشقي الشافعي، فقيه، محدث، ولغوي، ولد في "نوى" من عمل دمشق سنة 631هـ، وإليها نسبته، له تصانيف منها، "شرح صحيح مسلم"، و"تهذيب الأسماء واللغات" وغيرها. توفي سنة 677هـ ترجمته في: أبي إسحاق الشيرازي، طبقات الفقهاء، ص: 268؛ وابن كثير، البداية والنهاية، ج13/278.

[5] أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي الدمشقي ثم المصري الملقب سلطان العلماء، كان عالما ورعا زاهدا، قرأ الفقه على ابن عساكر، والأصول على الشيخ الآمدي، وولي خطابة دمشق، انتقل إلى مصر، واستقر بتدريس الصالحية بالقاهرة، إلى أن مات سنة 660هـ، له مصنفات منها: "مجاز القرآن" و"القواعد الكبرى

أنه رآه بعينيه، أكنتم تصدقونه أم تكذبونه؟ قالوا[2]: بل نصدقه، قال: والله لقد أخبر عنه سبعون صديقا أنهم رأوه بأعينهم كل واحد منهم أفضل من ابن دقيق العيد. انتهى كلامه. قال بعض الأئمة: "وهذا هو الصحيح المختار عند المحققين من الموفقين من العلماء، إن العارفين بالله أفضل من العلماء بأحكام الله، وبهذا قال الشيخ عز الدين المذكور وغيره"[3].

وقال الشيخ تقي الدين بعد أن ذكر بعض الأولياء، ممن رآه هو عندي خير من القاضي، ومن كذا وكذا فقيه، وكذا بعض الأخيار من العلماء المكيين، وهو القاضي نجم الدين الطبري[4]، إنه جاء خبر إلى مكة أن الإمام العارف بالله تعالى إسماعيل بن محمد

واختصارها" و"التفسير" والأمالي في أدلة الأحكام" و"شجرة المعارف" ترجمته في: أبي اسحاق الشيرازي، طبقة الفقهاء، ص 267؛ ومحمد الحجوي، الفكر السامي، في تاريخ الفقه الإسلامي، ج169/4.

[1] أبو الفتح محمد بن علي بن وهب، تقي الدين القشيري، المعروف بابن دقيق العيد، ولد سنة 625هـ القاهرة، أحد أكابر العلماء بالحديث والأصول، درس على يد الشيخ عز الدين بن عبد السلام وحقق العلوم ووصل إلى درجة الاجتهاد، وانتهت إليه رئاسة العلم في زمنه، كما تولى قضاء الديار المصرية وألف عددا وافرا من المصنفات من بينها: "الإلمام"، و"إحكام الأحكام"، وغيرها، توفي سنة 702هـ، ترجمته في: عبد القادر السلوي، الكوكب الثاقب في أخبار الشعراء وغيرهم من ذوي المناقب، تحقيق عبد الله الياسمي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية، المملكة المغربية، 1427هـ-2006م، ج612/2-619؛ ومحمد الكتاني، الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة، تحقيق محمد المنتصر بن محمد الزمزمي بن محمد جعفر الكتاني دار البشائر الاسلامية، النشر، 1414هـ-1993م، ص: 180؛ والكوهن الفاسي، طبقات الشاذلية الكبرى، ص: 93-94؛ والزركلي، الأعلام، ج283/6؛ وكحالة، معجم المؤلفين، ج214/9.

[2] في النسخة (ج): "قال".

[3] ورد هذا النص بنفس اللفظ في: أسعد اليافعي، روض الرياحين في حكايات الصالحين، (الحكاية الخمسمائة)، ص: 236.

[4] محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله القاضي نجم الدين أبو حامد بن جمال الدين بن الشيخ محمد الدين الطبري، قاضي مكة شرفها الله، ولد سنة 658هـ، وله إجازة من الحافظ أبي بكر بن مسرى، وكان فقيها شاعرا، مات بمكة سنة 703هـ، ترجمته في: سراج الدين التكروري المعروف بابن الملقن، العقد المذهب في طبقات حملة المذهب، تحقيق أيمن نصر الأزهري وسيد مهنى، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1417هـ-1997م، ص: 422.

الحضرمي[1] توفى، فقال السيد الإمام أحمد بن موسى بن عجيل[2]، : وكان حينئذ بمكة، أرجو أن يفديه الله بمائة فقيه، ثم جاء الخبر الصحيح أنه حي، لم يمت إلا بعد مدة بعيدة"[3]. وروي عن أنس بن مالك،: إن النبي ﷺ، قال: "بدلاء أمتي أربعون رجلا، إثنان وعشرون بالشام، وثمانية عشر بالعراق، كلما مات منهم واحد أبدل الله مكانه آخر"[4]، فإذا جاء أمر الله قبضوا.

"وروي عن ابن مسعود، قال: قال رسول الله : إن لله في الأرض ثلاثمائة قلوبهم على قلب آدم، وله أربعون قلوبهم على قلب موسى، وله سبعة /12/قلوبهم على قلب إبراهيم، وله خمسة قلوبهم على قلب جبريل، وله ثلاثة قلوبهم على قلب ميكائيل، وله واحد قلبه على قلب إسرافيل، فإذا مات الواحد، أبدل الله مكانه من الثلاثة، وإذا مات من الثلاثة أبدل الله مكانه من الخمسة، وإذا مات من الخمسة أبدل الله مكانه من السبعة، إلى آخر ما سبق عن ابن المبارك، وذكر بعضهم عزرائيل، ولم يذكر موسى وجعل مكانه إبراهيم

---

[1] أبو العباس إسماعيل بن محمد الحضرمي اليمني الملقب قطب الدين الإمام الكبير العارف الشهير، كان إماما من أئمة المسلمين وعلما من أعلام الولاية، حضر أبوه من حضرموت إلى اليمن وتوطن قرية الضحى من أعمال مدينة المهجم، ترجمته في: يوسف النبهاني، جامع كرامات الأولياء، تحقيق إبراهيم عطوة عوض، مركز أهل سنة بركات رضا فور بندر غجرات (الهند)، الطبعة الأولى، 1322هـ-2001م، ج1/589.

[2] أبو العباس أحمد بن موسى بن علي بن عمر بن عجيل اليمني، كان إماما من أئمة المسلمين المنتفع بهم علما وعملا، وبركة، توفي سنة 690هـ، وله كرامات ومكاشفات، ترجمته في: سراج الدين التكروري المعروف بابن الملقن، العقد المذهب، ص: 204؛ والكوهن الفاسي، طبقات الشاذلية الكبرى، ص: 68؛ وعبد الحي الكتاني، فهرس الفهارس والإثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، ج1/852.

[3] ورد هذا النص في: أسعد اليافعي، روض الرياحين، (الحكاية الخمسمائة)، ص: 236، مع اختلاف في بعض الألفاظ، مثل: "المتمكنين" عوض "المكيين"، "مدة طويلة" عوض "مدة بعيدة".

[4] أبو عبد الله الحكيم الترمذي، نوادر الأصول في أحاديث الرسول ﷺ، المجلد 1، حقق أصوله وخرج أحاديثه، عبد الرحمن عميره، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، 1412هـ-ص:261.

[وجعل][1]، ومكان إبراهيم جبريل، ومكان جبريل ميكائيل، ومكان ميكائيل إسرافيل، [ومكان إسرافيل عزرائيل][2]، صلوات الله عليهم أجمعين، والواحد المذكور في هذا الحديث، هو القطب[3] وهو الغوث ومكانته من الأولياء كالنقطة من الدائرة التي هي مركزها به يقع صلاح العالم"[4]. ولسيدي محمد السنوسي[5]، جواب عن سؤال ورد فيهم. ونصه: النقباء هم الذين نقبوا الكون، وخرجوا إلى فضاء مشاهدة الكون. والنجباء هم السابقون إلى الله لنجابتهم، والبدلاء هم الذين استبدلوا صفاتهم بصفات محبوبهم. والأقطاب هم القائمون بحق الكون والمكون، قد تنزهوا عن أصالة الليل، والأوتاد هم الراسخون في معرفة الله تعالى، والرجال هم الذين لا يشغلهم عن الله شاغل أي عن ذكر الله، والغوث هو الذي يغيث[6] من حوله بمادة أستغيث به، والجرس هو الذي يتلقى الأمر جملة ثم يتبين له، فيوجهه إلى ما أريد به، مأخوذ من صلصلة الجرس.

قلت: وقد ألفوا في القطب تآليف، واستدلوا على وجوده بأدلة، وأن الزمان لا يخلو منه. وهو المتقدم على هؤلاء، فإن "عرضت حاجة إلى عامة الخلق، ابتهل فيها النقباء ثم النجباء، ثم الأبدال ثم الأخيار ثم العمد، فإن أجيبوا وإلا ابتهل الغوث، وهو القطب، فلا

---

[1] سقط ما بين معقوفتين من النسختين (ب) و (ج).

[2] سقط بين معقوفتين من النسخة (ب).

[3] القطب، وهو الغوث؛ عبارة عن الواحد الذي هو موضع نظر الله من العالم في كل زمان، وهو على قلب إسرافيل عليه السلام، ينظر: ابن عربي، اصطلاحات الصوفية، ص: 56؛ والقاشاني، اصطلاحات الصوفية، ص: 145.

[4] ورد هذا النص بنفس اللفظ في: أسعد اليافعي، روض الرياحين في حكايات الصالحين، ص: 8.

[5] أبو عبد الله بن محمد بن يوسف بن عمر شعيب السنوسي، وبه عرف الحسني نسبة للحسن بن علي التلمساني، كان من أكابر الأولياء، وأعلام العلماء، وكان آية في العلم والصلاح والهدى والزهد والورع، له أوفر حظ في العلوم، فروعها وأصولها، توفي سنة 895هـ، ودفن بتلمسان، من تآليفه "العقيدة الكبرى" و"الوسطى" "والصغرى". ترجمته في: ابن عسكر الشفشاوني، دوحة الناشر، ص: 563-572؛ وأحمد الحضيكي، طبقات الحضيكي، ج1/234-242؛ وعبد الحي الكتاني، فهرس الفهارس ج2/998-999.

[6] في النسخة (ح): "يغيث".

تتم مسألته حتى تجاب دعوته، وقد ستر الله حال الغوث عن العامة والخاصة غيرة من الحق عليه، ولا يعرفه إلا من رزقه الله فتح البصيرة والذوق وتنوير السريرة[1].

وقد حكى السمرقندي[2] بعد كلام له على ما تقدم من السادات، وردَّ على من أنكر وجودهم، عن أبي عبد الله الأنطاكي[3]، رحمه الله، أنه قال: "رأيت الغوث وهو القطب، واسمه أحمد بن عبد الله البلخي[4]، بمكة سنة خمس وثلاثمائة، وهو على عجلة من ذهب، والملائكة يجرون تلك العجلة في الهواء بسلاسل من ذهب، فقلت: إلى أين تمضي؟ قال" إلى أخ اشتقت إليه، قلت: ولو شاء الله عز وجل أن يسوقه إليك لفعل، فقال: نعم، ولكن أين ثواب الزيارة؟[5]. وكشفت أحوال الأوتاد للخاصة والعارفين، وسترت أحوال النجباء والنقباء عن الخاصة والعامة. وكشفت بعضهم لبعض، وكشفت أحوال

---

[1] ورد هذا النص بنفس اللفظ، في ابن مغيزل الشاذلي، الكواكب الزاهرة، في اجتماع الأولياء يقظة بسيدنا الدنيا والآخرة ﷺ، تحقيق أحمد عبد الرحيم السايح وتوفيق علي وهبة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الأولى،1431هـ-2010م، ص 176.

[2] أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمان بن بهرام الدارمي السمرقندي، حافظ، له كتاب السنة في الحديث والمسند. توفي سنة 255هـ. ترجمته في: شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج10/ 550- 551؛ سراج الدين التكروري المعروف بابن الملقن، العقد المذهب، ص: 280؛ ومحمد الكتاني، الرسالة المستطرفة، ص: 32؛ وعبد الحي الكتاني، فهرس الفهارس، ج998/2؛ والزركلي، الأعلام، ج4/95-96؛ وكحالة، معجم المؤلفين، ج71/6.

[3] أبو عبد الله أحمد بن عاصم الأنطاكي من أعلام التصوف السني في القرن الثالث الهجري، يلقب بجاسوس القلوب لحدة فراسته، وهو واعظ دمشق، من أقران بشر بن الحارث، والسري السقطي، والحارث المحاسي، ترجمته في: عبد الرحمن السلمى، طبقات الصوفية، ص: 137-140؛ وابن كثير، البداية النهاية، ج318/10؛ وأبي نعيم الأصفهاني، حلية الأولياء، ج9/280-297؛ وابن الجوزي، صفة الصفوة، ج4/231-233؛ وعبد الكريم القشيري، الرسالة القشيرية، ص: 394-395؛ وكحالة، معجم المؤلفين، ج257/1.

[4] أحمد بن عبد الله البلخي المتوفى سنة 319هـ، من مؤلفاته: "الانتقاء في العلوم الإلهية"، و"تجريد الجدل". ترجمته في: البغدادي، هدية العارفين، مؤسسة التاريخ العربي، مطبعة استانبول، 1951م، ج47/1؛ وكحالة، معجم المؤلفين، ج286/1.

[5] ورد هذا النص بنفس اللفظ في: أسعد اليافعي، روض الرياحين في حكايات الصالحين، (الحكاية الثالثة عشرة بعد الأربعمائة)، ص:187 وابن مغيزل الشاذلي، الكواكب الزاهرة، ص: 87؛ ويوسف النبهاني، جامع كرامات الأولياء، ج485/1..

الصالحين للعموم والخصوص ﴿لِيَقْضِيَ اللهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾[1] وعلى كل حال فنجزم بوجودهم، وبوجود قطبهم/13/ الذي عليه مدارهم وجميع أمورهم، فهم رحمة للعباد؟، وأمان للبلاد، ونفع للحاضر والباد، قد شوهد النفع بهم غير ما مرة، وجرب الدفع بهم عند حلول الأسوأ والمضرة، وأقيلت بهم العثرات، وفرجت بهم الكربات، وانقشعت بهم غياهب الظلمات، وأنيلت ببركاتهم الحكم والمواهب ورفع الدرجات.

وفي "الحكم"[2] لابن عطاء الله[3]: "سبحان من لم يجعل الدليل على أوليائه، إلا من حيث الدليل عليه، ولم يوصل لهم إلا من أراد أن يوصله إليه"[4]، ولله درُّ من قال:

[الطويل]

عَلَيكَ بِهِمْ مَا عِشْتَ إن كُنْتَ طَالِبًا ... نَجَاةً فَفِي مَغْنَاهُمْ كَنْزُ الذَّخَائِرِ

بِهِمْ تَنْجَلِي اَلْأَحْزَانُ عِنْدَ اشْتِدَادِهَا ... بِهِمْ يُرْتَجَى نَيْلُ الْمُنَى وَالمَيَاسِرِ

---

[1] سورة الأنفال، الآية: 45.

[2] المقصود بـ"الحكم"، حكم ابن عطاء الله السكندري، المعروفة بـ"الحكم العطائية". وهو كتاب يعد من المؤلفات الأساسية في التصوف والمواعظ الدينية، وتعددت طبعاته في كثير من البلدان العربية، كما تجددت الشروحات عليه، من أشهرها: شرح ابن عباد النفزي الرندي (ت. 792هـ) وسماه "غيث المواهب العلية بشرح الحكم العطائية"، وشرح أبي الطيب إبراهيم بن محمود الاقصرائي المواهبي الحنفي شرحها بمكة المكرمة سنة 903هـ، وسماه "أحكام الحكم في شرح الحكم"، وشرح أحمد زروق الفاسي (ت 899هـ)، وشرح أحمد ابن عجيبة التطواني (ت 1224هـ)، وغيرها، وهي شروح مطبوعة ومنشورة، ينظر: حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج1/ 675-676.

[3] أبو الفضل أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله السكندري، أحد أعلام التصوف، عالم مشارك، كان جامعا لأنواع العلوم من تفسير وحديث ونحو وأصول وفقه وغير ذلك، ينتسب للطريقة الشاذلية، ولد بالإسكندرية في "أواسط القرن 7هـ، وقد أخذ عن الشيخ أبي العباس المرسى، توفي بالقاهرة سنة 709هـ .. له مؤلفات جليلة منها: "لطائف المنن" و"الحكم" وغيرها، ترجمته في: ابن الملقن، طبقات الأولياء، ص: 421-422؛ والشعراني، الطبقات الكبرى، ج41/2؛ وابن القاضي المكناسي، درة الحجال في أسماء الرجال، ج15/2؛ وابن مخلوف، شجرة النور الزكية، ج292/1-293؛ والزركلي، الأعلام، ج221/1-222؛ وكحالة، معجم المؤلفين، ج121/2.

[4] ورد هذا النص بنفس اللفظ في: ابن عطاء الله السكندري، الحكم، شرح ابن عباد النفزي الرندي، الطبعة الأولى، 1408هـ-1988م، ص: 71.

بِهِمْ تُقْبِلُ الأَفْرَاحُ وَالضُرُّ قَدْ شُفِي ... بِهِمْ تَذْهَبُ اَلْأَسْوَأُ مِنْ قَلْبِ ضَامِرِ
بِهِمْ يَحْصُلُ اَلْأَمَانُ فِي الدَّهْرِ لِلْوَرَى ... بِهِمْ يَرْتَقِي لِلْفَضْلِ أُولُوا اَلْبَصَائِرِ
بِهِمْ يَسْتَضِي مِنْ قَلْبُهُ كَانَ مُظْلِمًا ... بِهِمْ يَحْسُنُ حَالُ الكَئِيبِ وَقَاصِرِ
بِهِمْ تَنْزِلُ اَلْأَمْطارُ بَعْدَ احتبَاسِهَا ... بِهِمْ يُقْطَفُ مِنْ كُلِّ رَوْضٍ وَزَاهِرِ
فَلاَ خَيْرَ إِلاَّ مِنْ رَفِيعِ جَنَابِهِمْ ... وَلاَ لَذَّ إِلاَّ باكتِسَابِ اَلْمَآثِرِ[1]

وأولياء الله عرائس حضرته، أسدل عليهم حجاب غيرته، وهم كنوزه الخبية[2]، عن الكثير من البرية، فارقوا هذا العالم بالأرواح، وخالطوهم بما ظهر من هياكل الأشباح. وقد قال سهل بن عبد الله[3]: "إنما صارت الأبدال أبدالا بأربعة: قلة الكلام؛ وقلة الطعام؛ وقلة المنام؛ واعتزال الأنام"[4].

قال بعضهم: "وهذه الأربعة هي كلية المريد، فإذا حصلها نال مقام الأولياء". وقد جمعها الشاعر في قوله:

---

[1] الأبيات مذكورة بنفس اللفظ والترتيب في: عبد الخالق العروسي، المرقي في بعض مناقب القطب سيدي محمد الشرقي، ج67/1.

[2] في النسخة (ج): "الخفية".

[3] أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن عيسى بن عبد الله بن رفيع التستري، ولد بتستر سنة 200هـ، صحب خاله محمد بن سوار، وشاهد ذا النون المصري، سنة خروجه إلى الحج بمكة. وتوفي سنة 283هـ، ترجمته في: عبد الرحمن السلمي، طبقات الصوفية، ص: 206؛ وابن خلكان، وفيات الأعيان، ج429/2؛ وابن مخلوف، شجرة النور الزكية، ج98/1.

[4] ورد هذا النص بنفس اللفظ في: جلال الدين السيوطي، الخبر الدال على وجود القطب والأوتاد والنجباء والأبدال، يليه القول الجلي في حديث الولي، اعتنى به عبد الهادي منصور، دار البيروتي، دمشق، الطبعة الاولى، 1426-2005م، ص: 76؛ والسيوطي، الحاوي للفتاوى في الفقه وعلوم التفسير والحديث والأصول والنحو والإعراب وسائر الفنون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1421هـ-2000م، ج241/2.

[الكامل]

يَا مَنْ يُرِيدُ مَنَازِلَ الأَبْدَالِ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ مِنْهُ لِلْأَعْمَالِ

لاَ تَطمَعَنَّ بِهَا فَلَسْتَ مِنَ أَهْلِهَا إِنْ لَمْ تُزَاحِمْهُمْ عَلَى اَلْأَحْوَالِ

بَيْتُ اَلْوِلاَيَةِ قُسِّمَتْ أَرْكَانُهُ سَادَاتُنَا فِيهِ مِنَ اَلْأَبْدَالِ

ما بين صُمْتٍ واعتزالٍ دَائِمٍ وَاَلْجُوعِ والسَّهَرِ اَلنَّزِيهِ اَلْعَالِ[1]

وعن معروف الكرخي[2]، قال: "من قال كل يوم عشر مرات: اللهم أصلح أمة محمد، اللهم فرج عن أمة محمد، اللهم ارحم أمة محمد، كتب من الأبدال"[3].

قال في كفاية المعتقد لليافعي: "إنما سمي الأبدال أبدالا، لأنهم إذا غابوا تبدل في مكانهم صور روحانية تخلفهم"[4].

وروي عن أبي الدرداء[5]، أنه قال: "إن لله عباداً يقال لهم الأبدال، لم يبلغوا ما بلغوا بكثرة الصوم والصلاة/14/ والتخشع وحسن الحلية، ولكن [بلغوا][1] بصدق الورع

---

[1] وردت هذه الأبيات في: ابن مغيزل الشاذلي، الكواكب الزاهرة، ص: 97، مع اختلاف في ترتيب الأبيات؛ والعباس بن ابراهيم المراكشي، الإعلام، ج341/10، بنفس الترتيب.

[2] أبو محفوظ معروف بن فيروز الكرخي، نسبة إلى كرخ، وهي قرية ببغداد، أحد أعلام الزهاد والمتصوفين، اشتهر بالصلاح، وتوفي سنة 200هـ، ترجمته في: عبد الرحمن السلمي، طبقات الصوفية، ص: 83-90؛ وأبي نعيم الأصفهاني، حلية الأولياء، ج360/8-368؛ وابن الجوزي، صفة الصفوة، ج210/22-214؛ والزركلي، الأعلام، ج269/7.

[3] ورد هذا النص بنفس اللفظ في: أبي نعيم الأصفهاني، حلية الأولياء، ج36/8؛ والسيوطي، الخبر الدال على وجود القطب والأوتاد والنجباء والأبدال، ص: 77؛ والسيوطي، الحاوي للفتاوي، ج241/2.

[4] ورد هذا النص بنفس اللفظ في: السيوطي، الخبر الدال على وجود القطب والأوتاد والنجباء والأبدال، ص: 77؛ والسيوطي، الحاوي للفتاوي، ج242/2

[5] أبو الدرداء عويمر بن مالك بن زيد الأنصاري، صحابي جليل، ولاه معاوية قضاء دمشق بأمر عمر بن الخطاب، وهو أول قاض بها، مات بالشام سنة 32هـ. ترجمته في: ابن سعد، الطبقات الكبير، ج395/9-397؛ وابن الجوزي، صفة الصفوة، ج318/1-326؛ وأبي نعيم الأصفهاني، حلية الأولياء، ج208/1-227.

[وحسن النية][2]، وسلامة الصدور، والرحمة لجميع المسلمين، اصطفاهم الله بعلمه، واستخلصهم لنفسه، وهم أربعون رجلا على مثل قلب إبراهيم، لا يموت الرجل منهم، حتى يكون الله قد أنشأ من يخلفه"[3].

وقد ألف الجلال السيوطي[4]، تأليفا سماه "الخبر الدال على وجود الأقطاب والأوتاد والأبدال". ورد على من أنكر وجودهم، واستدل بأحاديث كثيرة على ذلك، وذكر حكايات في ذلك.

وأما الكلام على الكرامة وأصلها وشرفها وفضلها. فاعلم أن الكرامة إنما هي من مواهب الله لأوليائه، ومن فتوحاته لأحظيائه وأصفيائه، تأييدا لهم ليزدادوا إيمانا بالقدرة الأزلية، ويقينا بالحكمة المولوية، لأنها كشف[5] للقدرة بخوارق العادات، والتصرف في الممكنات والمكونات، وهذا في غير أبي بكر ونظرائه، لقوله: لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا. قيل: "وأصلها من صفاء القلب إما أن يكون ذلك بجاذب إلهي، من نور يقذفه

---

[1] سقط ما بين معقوفتين من النسخة (د).

[2] سقط ما بين معقوفتين من النسخة (د).

[3] ورد هذا النص بنفس اللفظ في: أسعد اليافعي، روض الرياحين في حكايات الصالحين، ص: 8.

[4] أبو الفضل عبد الرحمان بن أبي بكر السيوطي جلال الدين إمام حافظ، وعالم محدث، شافعي المذهب، أعلم أهل زمانه بعلم الحديث وفنونه، ولد سنة 849هـ ونشأ في القاهرة، وكان سليل أسرة اشتهرت بالعلم والتدين. فاتجه إلى حفظ القرآن الكريم، ثم حفظ بعض الكتب "كالعمدة"، و"منهاج الفقه"، و"الأصول"، و"ألفية ابن مالك"، اشتهر في الحديث والتفسير وعلوم القرآن، توفي عام 911هـ، له مؤلفات عديدة، منها: "بغية الوعاة"، و"الأشباه والنظائر" و"الجامع الكبير" و"حسن المحاضرة" وغيرها، ترجمته في: عبد الرحمان السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج4/65-67؛ وابن القاضي، درة الحجال، ج3/92؛ ومحمد الكتاني، الرسالة المستطرفة، 63، البغدادي، هدية العارفين، ج1/539-544؛ والزركلي، الأعلام، ج3/301-302؛ وكحالة، معجم المؤلفين، ج5/128.

[5] الكشف: في اللفظ: رفع الحجاب، وفي الاصطلاح: هو الاطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية والأمور الحقيقية وجوداً وشهوداً، ينظر: الجرجاني، التعريفات، ص: 78.

الحق سبحانه في قلب من سبقت له عنايته، وغمرته هدايته، فيطهره ويصفيه ويجذبه إلى حضرته ويصطفيه، ويطلعه على مكنون غيبه، ويشاهد عجائب الملك[1] والملكوت[2] بسره[3] وليه، ولا يمنعه حجاب، ويستوي عنده القرب والبعد، وتنفى عنه الموانع والأسباب، وإما أن يكون يتجوهر القلب يتجوهر الذكر[4]، فيصير الذكر حينئذ عين الذات، وهو المشاهدة[5] والمعاينة[6] بالأسماء والصفات. فالقسم الأول من مواهب الحق سبحانه لأوليائه، والثاني من فتوحاته لأصفيائه. ويرحم الله القائل:

---

[1] الملك: عالم الشهادة، ينظر: ابن عربي، اصطلاحات الصوفية، ص: 73؛ والجرجاني، التعريفات، ص: 101.

[2] الملكوت: عالم الغيب، ينظر: ابن عربي، اصطلاحات الصوفية، ص: 73؛ وابن عجيبة، معراج التشوف، ص: 62.

[3] السر: يطلق لفظ السر على ما يكون مصوناً مكتوما بين العبد والحق سبحانه، في الأحوال، ينظر: عبد الكريم القشيري، الرسالة القشيرية، ص: 88.

[4] الذكر: ركن قوي في طريق الحق سبحانه وتعالى، بل هو العمدة في هذا الطريق، ولا يصل أحد إلى الله إلا بدوام الذكر، ينظر: عبد الكريم القشيري، الرسالة القشيرية، ص: 221؛ وحسن الشرقاوي، معجم الألفاظ الصوفية، ص: 143.

[5] المشاهدة: يطلق على رؤية الأشياء بدلائل التوحيد، ويطلق بإزاء رؤية الحق في الأشياء، ويطلق بإزاء حقيقة اليقين من غير شك. ينظر: ابن عربي، اصطلاحات الصوفية، ص: 64؛ والجرجاني، التعريفات، ص: 93؛ وابن عجيبة، معراج التشوف، ص: 33.

[6] المعاينة: عيان الحق ذاته بذاته بلا شبهة مع أعتاب تقصيه التلوين. ينظر: عبد الرزاق الكاشاني، معجم اصطلاحات الصوفية، تحقيق عبد العال شاهين، دار المنار، القاهرة، الطبعة الأولى، 1443هـ-1992م، ص: 348؛ وابن عجيبة، معراج التشوف، ص: 33.

[الكامل]

كَرِّرْ عَلَيَّ الذِّكْرَ مِنْ أَسْمَائِهِ ... وَاجْلُوا[1] اَلقُلوبَ بِنُورِهِ وَضِيَائِهِ
اسْمٌ بِهِ اَلْكَوْنُ استفَادَ ضِيَاءَهُ ... فِي أَرْضِهِ وَسَمَائِهِ وَفَضَائِهِ
لاَ يَحْصُرُ اَلْوُصَّافُ بَعْضَ صِفَاتِهِ ... كَلاَّ وَلَا يَدْرُونَ كُنْهَ سَنَائِهِ
حَارَتْ عُقُولُ اَلْقَومِ عِنْدَ صِفَاتِهِ ... ضَاقَتْ قُلُوبُ اَلْخَلْقِ من لَأْلاَئِهِ
أَعِدِ اسْمَهُ لِلْعَارِفِينَ تِلاَوَةً ... تَلْقَى بِهِ اَلْمَعْرُوفَ مِنْ آلاَئِهِ
يَا رَبّ باسْمِكَ أَرْتَجِي مِنْكَ اَلرِّضَا ... وَالْعَفْوَ عَنْ عَبْدٍ زَرَى بِخَطَائِهِ
يَارَبّ أسألك اَلْإِغَاثَةَ فِي غَدٍ ... بِعَظِيمِ اَسْمِكَ فَهْوَ عَيْنُ دَوَائِهِ
يَا رَبّ عبدُكَ قَدْ بَرَاهُ سَقَامُهُ ... قَدْ حَارَتِ اَلْأَفْكَارُ فِي أَدْوَائِهِ
يَا رَبّ باسْمِكَ أَرْتَجِي مِنْكَ اَلشِّفَا ... أَنْتَ اَلْمُرَجَّى دَائِمًا لِشِفَائِهِ
يَا رَبّ بِالْهَادِي اَلْبَشِيرِ مُحَمَّدٍ ... الصَّادِقِ اَلْمَصْدُوقِ فِي أَنْبَائِهِ/15/
ارْحَمْ غَرِيقًا فِي بِحَارِ ذُنُوبِهِ ... وَأَجِرْهُ حَقًّا[2] مِنْ قُيُودِ عَنَائِهِ
يَا رَبّ صَلّ على النّبيَّ مُحَمَّدٍ ... مَا لاَحَ بَرْقٌ[3] فِي دُجَى ظَلْمَآئِهِ[4]

والحكمة في صدورها تقوية المريدين، وتربية السالكين، وتكون كمالا للمحبوبين، ونصرة للمظلومين، وحماية للمنتسبين، وإلا فالمراد بها إنما هو حصول اليقين بالله. وليعلم العبد المجتهد أنه على بصيرة من مولاه، فيشمر عن ساق الجد في طلب تحصيل مقام الاستقامة[5]، الذي يوصله إلى قربه، ويزيده من كمال خصوصيته وحبه، فإنها

---

[1] في النسخة (ج): "واجلو".

[2] في النسختين (ج) و(د): "عنا".

[3] في النسخة (ج): "بارق".

[4] وردت هذه الأبيات بنفس اللفظ في: عبد الخالق العروسي، المرقي في بعض مناقب القطب سيدي محمد الشرقي، ج2/ 331-332.

[5] الاستقامة: درجة بها كمال الأمور وتمامها، وبوجودها حصول الخيرات ونظامها، ومن لم يكن مستقيما في حاله ضاع سعيه وخاب جهده، ومن لم يكن مستقيما في صفته لم يرتق من مقامه إلى غيره، ولم يبن سلوكه على

أشرف مقام، وأعظم مقصد ومرام، وأكمل منزلة عند مولانا الملك العلاّم. ويدل لذلك مخاطبته تعالى أكابر الرسل بها. وفي ذلك مزيد اعتناء بأمرها وشأنها. فقد أمر بها سيد البشر، والمعصوم الأكبر، سيدنا ومولانا محمد، الذي هو بالنسبة للبشر كالياقوت مع الحجر، فقال تعالى: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾[1]. قال في "الجواهر الحسان"[2]: "في الآية أمر بالاستقامة، وهو عليه السلام عليها إنما هو أمر بالدوام والثبوت وهو أمر لسائر الأمة، وروي أن بعض العلماء رأى النبي، في النوم، فقال: "يا رسول الله، بلغنا عنك، أنك، قلت: شيَّبَتْنِي هود وأخواتها، فما الذي شيبك من هود؟ أقصص الأنبياء، وهلاك الأمم؟ قال: لا. ولكن شيَّبَتْنِي قوله تعالى: ﴿فَاسْتَقِم كَمَا أُمِرْتَ﴾[3]. قال ابن عطية[4]: "والتأويل المشهود[5] في قوله عليه السلام: شيبتني هود وأخواتها، إنما هو إشارة

صحة، وفي اصطلاح أهل الحقيقة: هي الوفاء بالعهود كلها وملازمة الصراط المستقيم برعاية حد التوسط في كل الأمور من الطعام، والشراب، واللباس، وفي كل أمر ديني ودنيوي؛ فذلك هو الصراط المستقيم في الآخرة. ينظر: عبد الكريم القشيري، الرسالة القشيرية، ص: 205؛ وعبد الرزاق الكاشاني، معجم اصطلاحات الصوفية، ص: 236-237؛ وابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، ج2/ 103-111؛ والجرجاني، التعريفات، ص: 8؛ وابن عجيبة، معراج التشوف، ص: 33.

[1] سورة هود، الآية: 112.

[2] أبو زيد الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تحقيق، علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1418هـ-1997م.

[3] سورة هود، الآية: 112.

[4] أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن غالب بن عبد الرؤوف بن تمام بن عبد الله بن تمام بن عطية بن خالد بن عطية المحاربي الداخل، ولد سنة (480هـ)، واعتنى به والده ولحق به الكبار وطلب العلم. كان إماما في الفقه والتفسير وفي العربية قوي المشاركة، ذكيا فطنا مدركا من أوعية العلم. من مصنفاته "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز"، و"جامع البيان في تفسير القرآن للطبري" وغيرها، توفي سنة 546هـ، ترجمته في: ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 2001م، ص 26-29.

[5] في النسخة (ج): "(المشهور)".

إلى ما فيها مما حل بالأمم السالفة. فكان حذره على هذه الأمة، مثل ذلك شيبه عليه السلام"[1].

وقال تعالى مخاطبا لموسى وهارون عليهما السلام، قال: ﴿قَدْ أُجِيبَتْ دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا﴾[2]. والاستقامة كما قالوا ترجع إلى أمر[3] من صحة الإيمان به، عز وجل، واتباع ما جاء به رسول الله، ظاهرا وباطنا.

وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلي[4]،: "إنهما كرامتان جامعتان محيطتان، كرامة الإيمان بمزيد الإيقان، وشهود العيان، وكرامة العمل على الاقتداء والمتابعة ومجانبة الدعاوى والمخادعة، فمن أعطيهما، ثم جعل يشتاق إلى غيرهما، فهو عبد مفترٍ كذاب ذو

---

[1] أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز، في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1422هـ-2001م، ج211/3، بنفس اللفظ؛ وأبو زيد الثعالبي، الجواهر الحسان ج304/3، بنفس اللفظ.

[2] سورة يونس، الآية: 89.

[3] في النسخة (ج): "أمرين".

[4] أبو الحسن علي بن عبد الله عبد الجبار الشاذلي، ذلك القطب الكبير والغوث الشهير شيخ الطريقة الشاذلية وإمامها، ولد بغمارة سنة 571هـ، وببلدته نشأ وحفظ القرآن وطلب العلم، ورحل لفاس فقرأ على كبار علماء وقته، وأخذ التصوف عن عبد السلام بن مشيش بجبل العلم، انتقل إلى تونس بأمر من شيخه ابن مشيش، ومنها إلى مصر، وحج عدة مرات، تنسب إليه الطريقة الشاذلية، له أحزاب شهيرة "حزب البحر". توفي بصحراء عيذاب بمصر في طريقه للحج سنة 656هـ، ترجمته في: ابن عطاء الله السكندري، لطائف المنن، الطبعة الثالثة، 1425هـ/2004م، مكتبة القاهرة، ص: 47-60؛ وابن الملقن، طبقات الأولياء، ص: 458-459؛ وابن مغيزل الشاذلي، الكواكب الزاهرة، ص: 247-250؛ والشعراني، الطبقات الكبرى، ج2/8-26؛ والكوهن الفاسي؛ طبقات الشاذلية الكبرى، ص: 19-59؛ وابن مخلوف، شجرة النور الزكية، ج1/ 267268؛ وعبد القادر التليدي، المطرب، بمشاهير أولياء المغرب، ص: 122-126.

خطإ في العلم والعمل، كمن أكرم بشهود الملك على نعت الرضى، فجعل يشتاق إلى سياسة الدواب[1]، وإلى كون الكرامة الحقيقية هي الاستقامة".

أشار الإمام البوصيري[2] في داليته، بقوله:

[الكامل]

وَاَلْمُسْتَقِيم أَخُو اَلْكَرَامَةِ عِنْدَهُ لاكُلُّ[3] مِنْ رَكِبَ الْأَسُودَ يَسُودُ[4]

قوله: أخو الكرامة، أي: صاحب الكرامة الحقيقية هو المستقيم لا غيره، وقوله: "عنده"، أي: عند الشيخ أبي العباس المرسي[5]، ولهذا كان يقول: "ليس الشأن من تطوى له الأرض فإذا هو بمكة/16/ وغيرها من البلدان، وإنما الشأن أن[6] تطوى عنه أوصاف نفسه، فإذا هو عبد ربه"[7]. ولهذا قال شيخنا الإمام القدوة البركة الهمام، سيدنا المعطى[1]

---

[1] ابن عطاء الله السكندري، لطائف المنن في مناقب الشيخ أبي العباس المرسى وشيخه الشاذلي، ص: 40، بنفس اللفظ؛ وابن عطاء الله السكندري، الحكم، شرح زروق، تحقيق عبد الحليم محمود، دار الشعب، القاهرة، 1405هـ-1995م، ص: 215، بنفس اللفظ.

[2] أبو عبد الله شرف الدين محمد بن سعيد بن حماد الدلاصي الصنهاجي البوصيري، ولد بأبوصير سنة 608هـ نسبة إلى بوصير، وتوفي بالاسكندرية سنة 694هـ، واشتهر بقصيدته الكواكب الدرية في مدح خير البرية المعروفة بالبردة، ترجمته في: البغدادي، هدية العارفين، ج138/2؛ والكوهن الفاسي، طبقات الشاذلية الكبرى، ص: 79-81؛ والزركلي، الأعلام، ج139/6.

[3] في النسخة (ج): "ما كل".

[4] البوصيري، ديوان البوصيري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1416هـ-1995م، ص: 71، مع اختلاف في بعض الألفاظ، مثل: "فالمستقيم" عوض "المستقيم" و"بأسود" عوض "يسود".

[5] أبو العباس أحمد بن عمر بن محمد الأندلسي، المرسي، الأنصاري، الشيخ العارف الكبير، نزيل الاسكندرية، صحب الشاذلي، وتاج الدين بن عطاء الله، مات سنة 686هـ وقبره بالإسكندرية يزار، ترجمته في: ابن الملقن، طبقات الأولياء، ص: 418؛ وجلال الدين السيوطي، حسن المحاضرة، في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار احياء الكتب العربية، الطبعة الاولى،1387هـ-1967م، ج523/1؛ وابن القاضي، درة الحجال، ج9/1.

[6] في النسخة (د): "من".

[7] ابن عطاء الله السكندري، لطائف المنن، ص: 140.

في "ذخيرته"[2] ما نصه: "ودرجة الاستقامة بها كمال الأمور وتمامها، وبوجودها حصول الخيرات ونظامها، ومن لم يكن مستقيما في حالته ضاع سعيه، وخاب جهده، ومن لم يكن مستقيما في صفته، لم يرتق من مقامه إلى غيره، ولم يبن سلوكه على صحة. فمن أمارات استقامة أهل البداية أن لا تشوب معاملتهم فترة، ومن أمارات استقامة أهل الوسائط[3]، أن لا تصحب مناولتهم[4] وقفة، ومن أمارات استقامة أهل النهاية أن لا تداخل مواصلتهم حُجْبَةٌ. قال: وهي لا تطيقها إلا الأكابر، لأنها الخروج عن المعهودات، ومفارقة الرسوم والعادات، والقيام بين يدي الله تعالى على حقيقة الصدق، وتكمل[5] في الأقوال: بترك الغيبة، وفي الأفعال بنفي البدعة، وفي الأعمال بنفي الفترة، وفي الأقوال بنفي

---

[1] أبو عبد الله محمد المعطي بن محمد الصالح بن محمد المعطى بن عبد الخالق بن عبد القادر بن محمد الشرقي، صالح، ذائع الصيت، وعالم مشارك، وأديب بارع، اشتغل بالعلم في زاوية والده، تفقه في جميع العلوم حفظا وفهما على يد والده وعمه محمد بن المعطى والفقيه أحمد بن زاكور، ومحمد بن الطيب الفلالي، وغيرهما. خصه تلميذه محمد بن عبد الكريم العبدوني بترجمة حافلة في مؤلفه "يتيمة العقود الوسطى في مناقب الشيخ محمد المعطى". وترجع شهرته إلى كتابه الضخم "ذخيرة المحتاج" الذي بلغت أجزاؤه ستين سفرا. وقد عرفت الزاوية الشرقاوية في أيامه أوجها الروحي وغناها الاقتصادي حتى صارت هذه الأسرة تمثل أهم الأسر بتادلا. عاصر الفتنة الكبرى بعد وفاة السلطان مولاي إسماعيل، توفي سنة 1180هـ، ترجمته في: محمد العبدوني، يتيمة العقود الوسطى، في مناقب الشيخ المعطي؛ ومحمد القادري، نشر المثاني، تحقيق محمد حجي وأحمد التوفيق، مكتبة الطالب-الرباط، ج4/174-175؛ وأبي حامد محمد العربي الشرقي، الفتح الوهبي، ص: 398،407، ومحمد الأخضر، الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية، ص: 288-290، ص: 29-30؛ وأحمد بوكاري، الزاوية الشرقاوية دار علم وصلاح، ص: 74-75.

[2] أبو عبد الله محمد المعطى بن محمد الصالح الشرقاوي، "ذخيرة المحتاج في الصلاة على صاحب اللواء والتاج"، (ت. 1180هـ). ينظر فهرس مخطوطات التصوف، تقديم أحمد شوقي بنبين، الجزء الأول، المطبعة الوراقة الوطنية الداوديات، مراكش، الطبعة الأولى.

[3] في النسخة (د): "الوسط".

[4] في النسخة (د): "منازلتهم".

[5] في النسختين (ج) و(د): "من تكمل".

الحجبة، وهي توجب إدامة الكرامة"[1]. كما قال تعالى: ﴿وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا﴾[2]".

ولله درُّ من قال:

[البسيط]

لِلَّهِ قومٌ أَطَاعُوهُ وَمَا قَصَدُوا سِوَاهُ إِذْ نَظَرُوا اَلْأَكْوَانَ بِالْعِبَرِ
وَآمَنُوا وَاسْتَقَامُوا مِثْلَ مَا أُمِرُوا وَاسْتَعْذَبُوا وَقْتَهُمْ فِي القَوْمِ وَالسَّفَرِ
وَجَاهَدُوا وَانْتَهَوا عَمَّا يُبَاعِدُهُمْ عَنْ بَابِهِ وَاسْتَلاَنوا كُلَّ ذِي وَعَرِ
وَبَادَرُوا لِرِضَى مَوْلاَهُمُ وَسَعَوْا قَصْدَ السَّبيلِ إِلَيْهِ سَعْيَ مُؤْتَمَرِ
بِاَلْوَجْدِ[3] وَالشَّوْقِ وَاَلْأَذْكَارِ قُوتهمُ وَلاَزَمُوا اَلْجِدَّ وَاَلإِدْلاَجَ فِي اَلْبُكَر
جَنَّاتُ عَدْنٍ لَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ بِهَا فِي مَقْعَدِ الصِّدْق بَيْنَ اَلرَّوضِ وَالزَّهَرِ
لَهُمْ مِنَ اللهِ مَا لاَ شَيْءَ يَعْدِلُهُ سَمَاعُ تَسْلِيمِهِ وَاَلْفَوْزُ بِالنَّظَرِ[4]

انتهى ذكره في شجرة الاستقامة.

وفي الحكم لابن عطاء الله: "ربما رُزق الكرامة من لم تكمل له الاستقامة"[5]. وقد نقل عن سهل بن عبد الله، وقد ذكر عنده الكرامات، فقال: "وما الآيات ! وما الكرامات ! هي شيء تنقضي لوقتها، ولكن الكرامات أن تبدل خلقا مذموما من أخلاق نفسك بِخُلُقٍ

---

[1] ورد هذا النص في: عبد الكريم القشيري، الرسالة القشيرية، ص: 206، مع اختلاف في بعض العبارات، مثل: "الاستقامة في الأحوال"، عوض "ويكمل في الأحوال".

[2] سورة الجن، الآية: 16.

[3] في النسخة (د): "فالوجد".

[4] وردت هذه الأبيات في: شعيب بن عبد الكافي المصري، الروض الفائق في المواعظ والرقائق، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، ص: 139-140، مع اختلاف في ترتيب الأبيات.

[5] ابن عطاء الله السكندري، الحكم، شرح الشيخ زروق، ص: 215، بنفس اللفظ.

محمود"[1]. وقال بعض المشايخ: "لا تتعجبوا ممن لم يضع في جيبه شيئا، فيدخل يده في جيبه، فيخرج منه ما يريد، ولكن تعجبوا ممن يضع في جيبه شيئا، فيدخل يده في جيبه، فلا يجد شيئا ولا يتغير"[2]. وقيل لأبي محمد المرتعش[3]: "إن فلانا يمشي على الماء ! [فقال: عندي إن مكنه الله من مخالفة هواه، أعظم من المشي على الماء وفي الهواء][4]"[5].

وقال أبو زيد،: "لو أن رجلا بسط مصلاه على الماء، وترتفع في الهواء، فلا تَغْتَرُّوا به، حتى تنظروا كيف تجدونه في الأمر/17/والنهي"[6].

وقيل له: فلان؛ يقال: إنه يمر في ليلة إلى مكة[7]، فقال: الشيطان يمر في لحظة من المشرق إلى المغرب وهو في لعنة الله، وقيل له: فلان يمشي على الماء، فقال: الحيتان في الماء، والطير في الهواء، أعجب من ذلك"[8].

قال بعض العارفين: "ومن يطيق هذه المخاطبة بالاستقامة، إلا من أيد بتأييد من المشاهدات القوية، والأنوار الساطعة السّنية، ولما خوطب بذلك سيد الأنام والرسل

---

[1] ورد هذا النص بنفس اللفظ في: أبي السراج الطوسي، اللمع في التصوف، ص: 400.

[2] نفسه، ص: 402.

[3] أبو محمد عبد الله بن محمد المرتعش النيسابوري، صحب أبا حفص الحداد، وأبا عثمان الحداد، ولقي الجنيد وصحبه، وكان يقيم في مسجد الشونيزيه، مات ببغداد، سنة 328هـ، ترجمته في: عبد الرحمن السلمى، طبقات الصوفية، ص: 349-353؛ وأبي نعيم الأصفهاني، حلية الأولياء، ج10/355-356؛ وعبد الكريم القشيري، الرسالة القشيرية، ص: 431؛ وشمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج115/ 230-231؛ وابن الملقن، طبقات الأولياء، ص: 141.

[4] سقط ما بين معقوفتين من النسخة (ج).

[5] ورد هذا النص بنفس اللفظ في: عبد الرحمن السلمى، طبقات الصوفية، ص: 351-352.

[6] ورد هذا النص بنفس اللفظ في: أبي السراج الطوسي، اللمع في التصوف، ص: 400.

[7] في النسخة (د): "الكعبة".

[8] ورد هذا النص بنفس اللفظ في: أبي السراج الطوسي، اللمع في التصوف، ص: 400.

الكرام، كان الأولياء العارفون، والعلماء العاملون أولى بالخطاب، والمبادرة بالامتثال والجواب".

وروي أنها أشرف مطلوب، وأكمل مرغوب، وقد يفتح لبعض الأولياء، فيكاشف بصرف اليقين[1]، ويرفع عن قلبه حجاب الغفلة والرَّيْن، ومن كوشف بذلك استغنى عن رؤية الكرامات، وخوارق العادات، لأن المراد حصول اليقين، وقد حصل فلو كوشف بشيء بعد ذلك ما ازداد يقينا، فمن خُصَّ بكمال اليقين، وصار من أهل الرسوخ والتمكين، وامتلأ قلبه بعظمة الرب، ومنح مواهب الرضى والقرب، ترك مراده لمراد مولاه، وقد حفظه سبحانه من نزغات نفسه وهواه، فلا تلتفت نفسه لشيء من الكرامات أصلاً. كما حكي عن الولي العارف، الغوثُ المكاشف، سيدي أبي مدين[2]، ونفعنا به، أنه دخل عليه بعض الأبدال من الصالحين لزيارته، فشاهد حاله، وإنه لا يظهر عليه [شيء][3] من خوارق العادات، فقال لخديمه: "قل لأبي مدين: ما له يتعاصى عليه أقل شيء، ونحن لا يتعاصى علينا شيء، ونحن نتمنى مقامه، وهو لا يتمنى مقامنا،

---

[1] اليقين: وهو سكون القلب إلى الله بعلم لا يتغير ولا يتحول، ولا يتقلب ولا يزول عند هيجان المحركات، أو ارتفاع الريب في مشاهدة الغيب، ينظر: عبد الكريم القشيري، الرسالة القشيرية، ص: 178-182؛ والكاشاني، معجم اصطلاحات الصوفية، ص274-275؛ وابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، ج2/374-381؛ والجرجاني، التعريفات، ص: 113؛ وابن عجيبة، معراج التشوف، ص: 42-43؛ وحسن الشرقاوي، معجم الألفاظ الصوفية، ص: 288.

[2] أبو مدين شعيب بن الحسن الأنصاري الأندلسي الأصل، ولد سنة 438هـ، شيخ المشايخ وسيد العارفين وقدوة السالكين شيخ الطريقة جمع الله له علم الشريعة والحقيقة، وسكن بجاية وكثر أتباعه، وأخذ عن أبي الحسن بن غالب والشيخ أبي يعزى يلنور، توفي عام 594هـ . ترجمته في: يوسف التادلي، التشوف إلى رجال التصوف، ص: 90-106؛ وأحمد التادلي الصومعي، المعزى في مناقب الشيخ أبي يعزى، تحقيق علي الجاوي، ص: 137-167؛ ومحمد القادري، الإكليل والتاج، ص: 540-545؛ وابن مخلوف، شجرة النور الزكية، ج 1/236؛ وعبد القادر التليدي، المطرب بمشاهير أولياء المغرب، ص: 64-81.

[3] سقط ما بين معقوفتين من النسخة (د).

فماله؟ فقال له الشيخ نفعنا الله به: قل له: نحن تركنا مرادنا لمراده انتهى. وقد أشار إلى أنه من أهل المقام الثاني وهو أعلى من الأول". ويرحم الله القائل:

[الطويل]

تَجَلَّى لَهُمْ سِرًّا فأَفْنَى وُجُودَهُمْ ... وَلَمْ يُبْقِ مِنْ أَجْسَامِهِم مَفْصِلاً أَصْلَا

وَأَضْحَوْا نَشَاوَى مِنْ مُدَامَةِ حُبِّهِ ... وَأَرْوَاحُهُمْ تَسْمُو إِلَى الملإِ الأَعْلى

تَفَانَوْا عَلَى دِينِ اَلغَرَامِ فَأَصْبَحُوا ... بِسَيْفِ اَلْهَوى فِي حُبِّ مَحْبُوبِهِمْ قَتْلى

سَقَاهُمْ كُؤوسَ اَلْحُبِّ صِرْفًا وَحَبَّذَا ... كُؤُوسُ اتصالِ اَلْوُدِّ عَنْ ذِكْرِهِ تُمْلى

وَنَادَاهُمْ وَاللَّيْلُ قَدْ مَدَّ ستره ... وَأَوْرَدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ اَلْمَوْرِدَ اَلْأَحْلى

وَأَشْهَدَهُمْ أَنْوَارَ حُسْنِ جَمَالِهِ ... وَبَوَّأَهُمْ مِنْ قُرْبِهِ اَلْفَضْلَ وَاَلْوَصْلاَ

فَهَامُوا بِهِ لَمَّا رَأَوْهُ صَبَابَةً ... وَقَدْ عَدِمُوا فِي حُبِّهِ الذِّهْنَ وَاَلْعَقْلاَ

وَقَالَ أَبْشِرُوا ثُمَّ أُنْظرُوا وَتَمتَّعُوا ... فَهَذَا جَمَالِي قَدْ بَدَا لَكُمْ يُجْلَى

فَيَا مَعْشَرَ اَلْأَحْبَابِ يُهْنِيكمْ الِّلقَا ... فَسَعْدُكُمْ وَافَى وَحُزْنُكُمْ وَلّى[1] /18/

وقد قال أبو علي الجرجاني[2]: "كن طالب الاستقامة، ولا تطلب الكرامة، فإن نفسك أبدا متحركة في طلب الكرامة، وربك يطلب منك الاستقامة"[3]. وهذا الذي ذكره

---

[1] وردت هذه الأبيات بنفس اللفظ في: عبد الخالق العروسي، المرقي، ج2/333-334.

[2] علي بن محمد بن علي الحنفي الشريف الجرجاني، فيلسوف من كبار العلماء بالعربية، ولد سنة 740هـ، ودرس في شيراز، كان علامة دهره، توفي بشيراز سنة 816هـ، وله تصانيف مفيدة، منها: "التعريفات" و"حاشية المختصر"، "وحاشية الكشاف" و"حاشية المطول"، ويقال إن مصنفاته زادت على خمسين مصنفا. ترجمته في: عبد الرحمان السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ص: 328- 330؛ وجلال الدين السيوطي، بغية الوعاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر عيسى البابي الحلبي، الطبعة الأولى، 1384هـ-1964م، ج2/196-197؛ والزركلي، الأعلام، ج5/7.

[3] نسب المعداني هذه القولة لأبي علي الجرجاني، (ت 816هـ)، وقد وجدناها بنصها منسوبة إلى أبي علي الجوجاني في كتاب الرسالة القشيرية، للقشيري، ص: 183، ومعلوم أن الجوجاني أسبق تاريخيا من الجرجاني وهذا ما يرجح

أصل كبير في هذا الباب، وسر غفل عن حقيقته كثير من أهل السلوك، وذوي العقول والألباب، وذلك أن كثيرا من المجتهدين والناسكين والمتعبدين[1]، لما سمعوا بسر الصالحين والعارفين الكاملين، وما منحوا من الكرامات وخوارق العادات، لم تزل نفوسهم تتطلع إلى ما هنالك، ويحبون أن يعطوا شيئا من ذلك، ولعل أخذهم يبقى منكسر القلب، ويرى أن ذلك من أسباب السعادة والقرب.

قال سيدي عبد الوهاب الشعراني[2]، في "جواهره"[3]، وسألته، يعني شيخه سيدي علي الخواص[4]، عن سبب ركون النفس إلى خرق العوائد.

فقال: "سببه الحجاب عن الله، إذ لو كشف الحجاب لرأى العبد جميع الأفعال خلقا لله تعالى، لا تعمد للعبد فيها، فإذا كان لا تعمد للعبد فيها، فمن أين تأتيه اللذة؟

نسبة القولة إلى الجوجاني ويؤكد هذا الترجيح ما جاء في الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية، لعبد الرؤوف المناوي، المجلد الأول، تحقيق عبد الحميد صالح حمدان، المكتبة الأزهرية للتراث، ص: 553.

[1] في النسخة (ج): "المستعبدين".

[2] أبو المواهب شرف الدين عبد الوهاب بن أحمد بن شهاب الدين علي الشعراني الأنصاري، ولد سنة 898هـ، فقيه، محدث، صوفي، مشارك في أنواع من العلوم، تفقه على شيخ الإسلام زكرياء الأنصاري، وعلى الشيخ الحافظ الجلال السيوطي، والشيخ أحمد بن حمزة الرملي، والشيخ عبد القادر الشاولي وغيرهم، وتوفي سنة 973هـ.. ترجمته في: الشعراني، لواقح الأنوار القدسية، في بيان العهود المحمدية ص:1-4-؛ وأحمد الحضيكي، طبقات الحضيكي، ج2/453-454؛ والكوهن الفاسي، طبقات الشاذلية الكبرى، ص: 130-134؛ والزركلي، الأعلام، ج4/180-181؛ وعبد الحي الكتاني، فهرس الفهارس، ص: 1079-1081.

[3] الجواهر والدرر، لإمام الواصلين وقدوة السالكين القطب العارف بالله تعالى سيدي عبد الوهاب الشعراني، مما استفاده من شيخه المحقق صاحب الكشوفات الربانية والمعارف اللدنية سيدي علي الخواص رضي الله تعالى عنهما، نسخة مصورة ومصنفة ضمن source gallica, bnf,fr/institut dominicain d'étude orientales القاهرة، طبع سنة (1276هـ)، تحت رقم – 20-751/16-9.

[4] علي الخواص أحد أكابر العارفين وأعيان الأولياء وأئمة الأصفياء، وهو شيخ الإمام الشعراني.، وكان له طب غريب يداوي به أهل الاستسقاء والجذام والفالج والأمراض المزمنة، فكل شيء أشار باستعماله يكون الشفاء فيه، وكراماته وعلومه كثيرة، ترجمته في: الشعراني، الطبقات الكبرى، ج2/266-299؛ ويوسف النبهاني، جامع كرامات الأولياء، ج2/371-373.

ثم قال لي من سوء الأدب أن يألف الإنسان النعمة، وينسى المنعم، لأنه تعالى ما أعطى العبد نعمة إلا ليرجع بها إليه عبدا ذليلا في نفسه، ليكون له ربا كفيلا، والحق لا يكون كفيلا، إلا لمن كان له عبدا خالصا، لا ميل له إلى شيء من حظوظ النفس، تعس عبد الدينار والدرهم. وقد تقتضي الحكمة الإلهية الجمع بين الكشف بصرف اليقين الذي هو أعلى المقامات والكشف بآثار القدرة الذي هو خرق العادات لبعض الكاملين والعارفين الواصلين، حتى صاروا قدوة للأنام، على مر الليالي والأيام، أبرزهم سبحانه لنفع عباده، وأهلهم لحماية خلقه وأرضه وبلاده، ومكنهم من التصرف في الوجود، وجعلهم وكلاء أمناء على خزائن الكرم والجود، فتجري على أيديهم الخوارق، ولطائف العلوم والرقائق، تربية للأصحاب، وحماية للذروة والجناب، ونصرة لمن استغاث بهم [وتوسل بهم إلى ربهم][1] ورزقنا الله محبتهم، وأسبغ علينا بركتهم... آمين، يا رب العالمين".

[الخفيف]

اِصْطَفَاهُمْ لِقُرْبِهِ وَاجْتَبَاهُمْ وَحَمَاهُمْ مِنْ فِتْنَةِ الشَّيْطَانِ

وَدَعَاهُمْ لِبَابِهِ وَسَقَاهُمْ بِكُؤُوسٍ مِنْ خَمْرَةِ اَلْعِرْفَانِ

وَجَزَاهُمْ بِجَنَّةٍ وَنَعِيمٍ وَقُصُورٍ وَالْحُورِ وَاَلْوِلْدَانِ/19/

فَهُمْ لاَ يَرَونَ هَذَا نَعِيمًا لاَ وَلاَ شَوْقَهُمْ لِحُورٍ حِسَانِ

إِنَّمَا قَصْدُهُمْ تَجَلِّي حبَيبٍ لِيَرَوْا ذَا اَلْجَلاَلِ رأيَ اَلْعِيَانِ

وَيُنَادِيهِمُ عِبَـــادِي هَلُمُّوا تَظفَرُوا بالْأَمَانِ وَاَلإِحْسَانِ

فَبِهَذَا النَّعِيمِ تَاهُوا دَلاَلاً وَتَبَاهَوْا بِهِ عَلَى اَلْأَكْوَانِ

فَبِهِمْ يُدْفَعُ اَلْبَلاَءُ عن النَّا سِ وَنَنْجُو من سَائِرِ اَلْحَدَثَانِ

وَبِهِمْ يَسْقِنَا الْإِلَهُ تَعَالَى غَيثَهُ عِنْدَ حَاجَةِ الظَّمْآنِ

---

[1] سقط ما بين معقوفتين من النسخة (د).

فَأَجِرْنَا بِحَقِّهِمْ يَا إِلَهِي مِنْ أَلِيمِ اَلْعَذَابِ وَالنِّيرَانِ
وَتَجَاوَزْ عَمَّا جَنَيْنَاهُ جَهْلاً مِنْ قَبِيحِ الذُّنُوبِ وَالعِصْيَانِ
وَاعْفُ عَنَّا فَإِنَّنَا قَدْ أَسَأْنَا ثُمَّ سَامِحْ بِالْعَفْوِ وَالْغُفْرَانِ[1]

وأما ثبوت الكرامة للأولياء، والأجلة الأحظياء، فإن ذلك من قبيل الجائز، إذ لا استحالة في ذلك عقلا، لأنها من قبيل الممكنات كظهور معجزة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، هذا مذهب أهل السنة من المشايخ العاملين، و[الفقهاء][2] والمحدثين والأصوليين، رضي الله عنهم أجمعين.

ممن قال بذلك إمام المتكلمين القاضي أبو بكر بن الطيب الباقلاني[3]، قال: "المعجزة تخص بالأنبياء، والكرامة للأولياء"[4].وقال إمام الحرمين[5] المرضي: "عندنا تجويز

---

[1] وردت هذه الأبيات بنفس اللفظ في: عبد الخالق العروسي، المرقي، ج583/2؛ وأبي حامد محمد العربي الشرقي، الفتح الوهبي، ص427.

[2] سقط ما بين معقوفتين من النسخة (د).

[3] أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن قاسم المعروف بالباقلاني، ولد سنة 338هـ، متكلم، أصولي، سكن بغداد، وانتهت إليه رئاسة مذهب الأشاعرة بها، لقب بشيخ السنة ولسان الأمة، له مصنفات عديدة منها: "تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل"، "مناقب الأئمة ونقض المطاعن على سلف الأمة"، وغيرها، مات سنة 403هـ، ترجمته في: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج269/4-270؛ وشمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج190/17-193؛ ومحمد الحجوي، الفكر السامي، ج126/3-127؛ والزركلي، الأعلام، ج175/6؛ وكحالة، معجم المؤلفين، ج109/10-110.

[4] ورد هذا النص بنفس اللفظ في: عبد الكريم القشيري، الرسالة القشيرية، ص: 354؛ ويوسف التادلي، التشوف إلى رجال التصوف، ص:54؛ وأبي العباس العزفي، دعامة اليقين في زعامة المتقين، تحقيق أحمد التوفيق، ص: 24.

[5] أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، الفقيه الشافعي الملقب بضياء الدين، المعروف بإمام الحرمين، متكلم، مفسر، أديب، ولد في جوين سنة 419هـ، رحل إلى بغداد، فمكة حيث جاور أربع سنين، وذهب إلى المدينة، فأفتى ودرس، ثم عاد إلى نيسابور ودرس في المدرسة النظامية وكان يحضر دروسه أكابر العلماء، له مصنفات كثيرة، منها "البرهان" و"الشامل" و"الإرشاد" وغيرها، توفي سنة 478هـ، ترجمته في: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج47/3-48؛ وشمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج468/18-477؛ وأحمد التادلي الصومعي، المعزى

فوارق العادات في معاريض الكرامات"[1] وذكره أبو حامد[2]،وقال بها الشهرستاني[3]، قال: "أما كرامات الأولياء فجائزة عقلا، وواردة سمعا"[4].

قال تاج الدين بن السبكي[5]: "وكرامات الأولياء حق ولا ينتهون إلى نحو ولد دون والد"[1]. ثم القول المختار أن كل ما كان للأنبياء من المعجزات جاز مثله للأولياء من

في مناقب الشيخ أبي يعزى، ص: 331-333؛ والزركلي، الأعلام، ج4/160-161؛ وكحالة، معجم المؤلفين، ج6/184-185.

[1] الجويني، الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، تحقيق محمد يوسف موسى وعلي عبد المنعم عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، 1369هـ-1950م، ص: 317، بنفس اللفظ؛ ويوسف التادلي، التشوف إلى رجال التصوف، ص: 54، بنفس اللفظ؛ وأبو العباس العزفي، دعامة اليقين في زعامة المتقين، ص: 28، بنفس اللفظ.

[2] أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، حجة الإسلام، وهو فقيه وفيلسوف ومتكلم وصوفي، ولد بمدينة طوس بخراسان سنة 450هـ، رحل إلى نيسابور ثم إلى بغداد فالحجاز فبلاد الشام فمصر. وكانت وفاته بطوس سنة 505هـ، ترك تصانيف كثيرة أشهرها كتاب "إحياء علوم الدين" وهو من أنفس الكتب وأجملها، "والمنقذ من الضلال" وغيرها، ترجمته في: أبي إسحاق الشيرازي، طبقات الفقهاء، ص: 248-249؛ وابن خلكان، وفيات الأعيان، ج4/216-219؛ وابن مخلوف، شجرة النور الزكية، ج1/201-204؛ والزركلي، الأعلام، ج7/22-23.

[3] أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستاني، ولد بشهرستان سنة 467هـ، كان إماما مبرزا فقيها متكلما على مذهب الأشعري، انتقل إلى بغداد سنة 510هـ، فأقام ثلاث سنين، وقرأ الأصول على أبي نصر بن القشيري، وعلى أبي القاسم الأنصاري، وتوفي بشهرستان سنة 548هـ، من تصانيفه: "الملل والنحل" و"نهاية الإقدام في علم الكلام" و"الإرشاد إلى عقائد العباد" وغيرها. ترجمته في: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج4/273-275؛ وشمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج20/286-288؛ والزركلي، الأعلام، ج6/215؛ وكحالة، معجم المؤلفين، ج10/187.

[4] أبو الفتح الشهرستاني، نهاية الإقدام، في علم الكلام، حرره وصححه الفريدجيوم، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ص: 494، بنفس اللفظ؛ ويوسف التادلي، التشوف إلى رجال التصوف، ص: 54، بنفس اللفظ.

[5] أبو نصر تاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي، الإمام الفقيه المحدث الحافظ المفسر الأصولي المتكلم، النحوي اللغوي، الأديب، ولد بقرية سبك، بمصر سنة 683هـ، صحب الشيخ تاج الدين بن عطاء الله، من مصنفاته: "طبقات الشافعية الكبرى"، و"جمع الجوامع" و"الابتهاج في شرح المنهاج" وغيرها، توفي سنة 683هـ، ترجمته في: ابن كثير، البداية والنهاية، ج14/252؛ وابن القاضي، درة الحجال، ج3/218؛ ومحمد القادري، الإكليل والتاج، ص: 454-456، ومحمد الكتاني، الرسالة المستطرفة، ص: 82؛ ومحمد الحجوي، الفكر السامي، ج4/173؛ وعبد الحي الكتاني، فهرس الفهارس، ج2/1033-1037؛ والزركلي، الأعلام، ج4/302؛ وكحالة، معجم المؤلفين، ج7/127.

الكرامات بشرط عدم التحدي، وقيل: إن ما وقع معجزة لنبي، لا يجوز تقدير وقوعه كرامة لولي. فيمتنع عند هؤلاء أن ينفلق البحر، وأن تنقلب العصا ثعبانا، وأن يحيى الموتى إلى غير ذلك من معجزات الأنبياء. وهذه الطريقة غير سديدة، والمرضيُّ [عندنا][2] ما سبق من تجويز [جملة][3] خوارق العادات في معرض الكرامات"[4].

والدليل عليها من السنة والكتاب، فمن الكتاب، قوله تعالى في مريم عليها السلام:

﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[5]. فقوله: أنَّى لك هذا متعجبا عليه السلام مما رأى من خرق العادة، وهو وجود الشيء في غير وقته المعهود، إذ كان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف، وفاكهة الصيف في الشتاء، وذلك كرامة لها ولم تكن نبية، قيل: بالإجماع.

وقوله تعالى: ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾[6]. وكان ذلك في غير أوان الرطب، كما قال المفسرون رضوان الله عليهم. ومن ذلك ما أمر الله به من العجائب على يد الخضر وموسى، ولم يكن نبيا على الصحيح، وكذلك قضية أصحاب الكهف وكلام الكلب معهم.

---

[1] السبكي، جمع الجوامع، في أصول الفقه، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، 1424هـ-2003م، ص: 127، بنفس اللفظ.

[2] سقط ما بين معقوفتين من النسختين (ج) و(د).

[3] سقط ما بين معقوفتين من الأصل، والإكمال من باقي النسخ.

[4] ورد هذا النص في: ابن مغيزل الشاذلي، الكواكب الزاهرة، ص: 131، مع اختلاف في بعض الألفاظ، مثل: "آيات" عوض "المعجزات" و "العوائد" عوض "العادات".

[5] سورة آل عمران، الآية: 37.

[6] سورة مريم، الآية: 24.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾[1] ففي الآية /20/ خرق للعادة من طي الأرض، والإتيان بعرش بلقيس من البلد البعيد في أسرع من لمح البصر، والذي عنده علم من الكتاب، هو آصف بن برخيا، وكان رجلا صالحا من بني إسرائيل، كان يعلم اسم الله الأعظم، وقيل: هو الخضر، وقيل: جبرائيل والأول أشهر، وقيل: هو سليمان. قال بعض المفسرين: وهو بعيد ولما كان ذلك من فرق العادة، قال: نبي الله سليمان: ﴿هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾[2].ولله درُّ القائل حيث يقول:

[البسيط]

لاَ يُنْكِرُ اَلْخرْقَ لِلْمُعْتَادِ ذُو بَصَرٍ ... بِالْعَقْلِ وَاَلشَّرْعِ لِلْأَبْدَالِ فِي الْبَشَرِ

وَالطَّيُّ لِلْأَرْضِ مَعْلُومٌ تَوَاتُرُهُ ... وَاَلنَّصُّ فِي ذَلِكَ فِي اَلْقُرْآنِ وَالْأَثَرِ

وَعَرشُ بلقيسَ بُرْهَانٌ يَدُلُّ بِهِ ... عَلَى سِوَاهُ رِجَالُ اَلْفِكْرِ وَالنَّظَرِ

هَذَا وحَالَةُ ذُي كُفْرٍ وَمَعْصِيَةٍ ... فَكَيْفَ حَالُ رِجَالِ اَلْجِدِّ وَاَلْحَذَرِ

فَسَلِّمِ اَلْأَمْرَ تَخْفَى عَنْكَ غَايَتُهُ ... مَنْ لَمْ يَرِدْ لَيْسَ يَدْرِي لَذَّةَ الصَّدَرِ

إِنْ لَمْ تُعَايِنْ مَقَالَةً سَمِعْتَ بِهَا ... فَلاَ أَقَلَّ مِنَ التَّصْدِيقِ بِالْخَبَرِ[3]

ولنذكر هنا حكاية سليمان مع آصف لتناسبها مع الأولى فنقول: "حكي إن الله أوحى إلى سليمان بن داوود، عليهما السلام، أن اخرج إلى ساحل البحر تبصر عجبا،

---

[1] سورة النمل، الآية: 41.

[2] سورة النحل، الآية: 41.

[3] الأبيات مذكورة بنفس اللفظ والترتيب في: يوسف التادلي، التشوف الى رجال التصوف، ص: 128؛ وأحمد التادلي الصومعي، المعزى، ص 217

فخرج سليمان ومعه من الجن والإنس، فلما وصل إلى الساحل التفت يمينا وشمالا، فقال لِعفْريتٍ: "غُصْ في هذا البحر، ثم ائتني بعلم ما تجد فيه، فغاص، ثم رجع بعد ساعة، وقال: يا نبي الله إني ذهبت في هذا البحر مسيرة كذا وكذا، فلم أصل إلى قعره، ولا نظرت فيه شيئا، وقال لعفريت آخر: غص في هذا البحر وائتني بعلم ما تجد فيه، فغاص ثم رجع بعد ساعة، وقال مثل قول الأول، إلا أنه غاص مثل الأول مرتين، فقال لآصف بن برخيا، وزيره الذي ذكره الله تعالى في القرآن، ﴿قال الذي عنده علم من الكتاب﴾[1]، قال: ائتني بعلم ما في هذا البحر، فجاءه بقبة من الكافور الأبيض، لها أربعة أبواب: باب من درٍّ، وباب من ياقوت، وباب من زَبَرَجَدٍ أخضر، وباب من جوهر، والأبواب كلها مفتحة ولا يدخل فيها قطرة من الماء، وهي في داخل البحر في مكان عميق مثل مسيرة ما غاص فيه العفريت الأول ثلاث مرات، فوضعها بين يدي سليمان، عليه السلام، وإذا في وسطها شاب حسن الشباب؛ نقي الثياب، وهو قائم يصلي، فدخل سليمان القبة وسلم على ذلك الشاب، وقال: ما أنزلك في قعر هذا البحر؟ قال: يا نبي الله إنه كان أبي رجلا مقعدا، وكانت أمي عمياء، فأقمت في خدمتهما سبعين سنة، فلما حضرت وفاة أمي، قالت: اللهم أطل حياة ابني في طاعتك، فلما حضرت وفاة أبي، قال: اللهم استخدم ولدي في مكان لا يكون للشيطان عليه سبيل،/21/ فخرجت إلى هذا الساحل بعدما دفنتهما فنظرت هذه القبة موضوعة فدخلت لأنظر حسنها، فجاء ملك من الملائكة فاحتمل القبة، وأنا فيها، وأنزلني في قعر هذا البحر، قال سليمان: في أي زمان كنت أتيت هذا الساحل؟ قال: في زمان إبراهيم الخليل، فنظر سليمان، عليه السلام في التاريخ فوجد له ألف سنة وأربعمائة سنة، وهو شاب لا شيب فيه، قال: فما

[1] سورة النمل، الآية 40.

كان طعامك وشرابك داخل البحر؟ قال: يا نبي الله يأتيني كل يوم طائر أخضر في منقاره شيء أصفر مثل رأس الإنسان، فأكله فأجد فيه طعم كل نعيم في دار الدنيا، فيذهب عني الجوع والعطش والحر والبرد والنوم والفترة والوحشة. فقال سليمان: أتحب أن تقف معنا؟ أو نردك إلى موضعك؟ قال: ردني يا نبي الله، قال يا آصف: رده، ثم التفت، فقال: انظروا كيف استجاب الله دعاء الوالدين. فأحذركم عقوق الوالدين، يرحمكم الله تعالى"[1].

وأما الآثار النبوية، والأخبار المصطفوية، فمن ذلك **حديث جريج** الراهب العابد، حين رمته المرأة بما هو بريء منه مع الله سبحانه، وقال **(إِنَّ اَلْوَلَدَ مِنْهُ[2] فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ، وَدَعَا الله تعَالى ثُمَّ طَعَنَ فِي بَطْنِ الصَّبِيِّ، وَقَالَ لَهُ: مَنْ أَبُوكَ؟ فَقَالَ: فُلانٌ الرَّاعِي)**[3]. مذكور في الصحيحين البخاري ومسلم وغيرهما، ففي ذلك كرامة له ولم يكن نبيا. ومن ذلك حديث **أصحاب الغار**[4] الذين أطبقت عليهم الصخرة، فدعوا الله متوسلين إليه بأعمالهم الصالحات، فانفرجت عنهم الصخرة، فخرجوا. أخرجه أئمة الصحيح البخاري وغيره وهو متفق على صحته. ومن ذلك **حديث البقرة** التي ركب عليها صاحبها على اختلاف الروايات، فالتفتت إليه وكلمته، وقالت: **(إنّي لَمْ أُخْلَقْ لِهذَا، إِنَّمَا خُلِقْتُ لِلْحَرْثِ، فقال النَّاسُ: سُبْحَانَ اللهَ بَقَرةٌ تَتَكَلَّمُ، فَقَالَ اَلنبيُّ: فَأَنَا أُومِنُ بِذَلِكَ، وأبو بكر**

---

[1] ورد هذا النص في: أسعد اليافعي، روض الرياحين في حكايات الصالحين، (الحكاية الرابعة والستون بعد المائتين)، ص: 126، مع اختلاف طفيف في بعض الألفاظ من ذلك: "غصت" عوض "ذهبت".

[2] في النسخة (ج): "معه".

[3] البخاري، الجامع الصحيح، كتاب المظالم والغصب، باب إذا هدم حائطا فليبن مثله، ح: 2482، ج202/2.

[4] البخاري، الجامع الصحيح، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، ح: 3465، ج495/2-496.

وَعُمرُ)[1]. وهو حديث صحيح مذكور في الصحيحين، وإن اختلفوا في بعض ألفاظ الحديث.

ومن ذلك حديث الذيب، **(بَيْنَمَا رَاعٍ فِي غَنَمِهِ، عَدَا عَلَيْهَا الذِّيبُ، فَانْتَزَعَ مِنْهَا شَاةً، فَطَلَبَهُ الرَّاعِي، حَتَّى اسْتَنْقَذَهَا مِنْهُ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ الذِّيبُ، وَقَالَ: مَنْ لَهَا يَوْمُ السَّبْعِ، لَيْسَ لَهَا رَاعٍ غَيْرِي)**[2]. الحديث إلى غير ذلك من الأحاديث النبوية.

ولنذكر بعض كرامات الصحابة الأجلة الأعلام، أقمار الدجى، ومصابيح الظلام، فمن ذلك ما وقع لأبي بكر الصديق، مع ضيفه، الذي قال فيه: **(وَأَيْمُ اللهِ مَا كُنَّا نَأْخُذُ مِنْ لُقْمَةٍ إِلَّا ربَا مِنْ أَسْفَلِ القَصْعَةِ أَكْثَرَ مِنْهَا، حَتَّى شَبِعُوا وَصَارَتْ أَكْثَرَ مِمَّا كَانَتْ قَبْلَ ذَلِكَ، فَنَظَرَ إِلَيْهَا أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: يَا أُخْتَ بَنِي فِرَاسٍ مَا هَذَا؟ قَالَتْ: لاَ وَقُرَّةِ عَيْنِي لَهِيَ الآنَ أَكْثَرَ مِمَّا كَانَتْ قَبْلَ بِثَلَاثِ مَرَّاتٍ)**[3]. ذكره في الصحيحين. ومن كراماته،: ما روي عن ابن عباس، رضي الله عنهما، قال: "قحط الناس على عهد /22/ أبي بكر الصديق، فاجتمع الناس إليه، وتشكّوا له ما هم فيه من الشدة، فقال : انصرفوا، واصبروا فإنكم لا تمسون حتى يفرج الله عنكم، فما أمسوا حتى جاءت مائة راحلة، لمولانا عثمان، من الشام، تحمل الطعام، فتصدق بها على فقراء المسلمين، يبتغي بذلك وجه الله تعالى".

---

[1] البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الحرث والمزارعة، باب استعمال البقر للحرث، ح: 2324، ج153/2؛ ومسلم، صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، رضي الله تعالى عنهم، باب من فضائل أبي بكر الصديق، ح: 2388، ج1857/4.

[2] البخاري، الجامع الصحيح، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشي العدوى، ح: 3690، ج16/3-17.

[3] البخاري، الجامع الصحيح، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ح: 3581، ج524/2.

في حديث طويل فكانت كرامة لأبي بكر، وكراماته كثيرة، ومناقبه جمة غزيرة. وأما كرامات الهمام الأوّاب، سيدنا ومولانا عمر بن الخطاب، ما صح عنه أنه قال في حال خطبته: "**يا سارية الجبل**"[1]، وكان ذلك في يوم الجمعة، فبلغ صوته إلى سارية في ذلك الوقت، فتحدّر من العدو في مكان من الجبل في تلك الساعة"[2]. فكان لسيدنا عمر، في ذلك كرامتان: "الأولى ما كشف له من حال سارية وأصحابه المسلمين، وحال العدو، والثانية: بلوغ صوته إلى سارية وهو في بلاد بعيدة"[3]. وقد سمع الصوت جميع الجيش الذي كان مع سارية، وقد ألهم في سره أنهم إذا آوَوْا إلى الجبل تمنعوا من العدوّ، وكان ذلك سبب الفتح والظفر، فكان الأمر كذلك، وتلك كرامة ثالثة. ومن كراماته: أن الأرض تزلزلت في خلافته، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على نبيه محمد، والأرض ترجف ثم ضربها بالدّرّة، وقال لها: قرّي ألم أعدل على ظهرك أو عليك؟ فاستقرت من حينها[4]. ومن كراماته: كلامه للميت وسماعه لكلام الميت. كما روي أن فتى كان [على][5]عهد عمر، مثلت له جارية وهو راجع من المسجد، وعرضت عليه نفسها، ففتن بها، فمضت وتبعها إلى أن وقف بباب دارها، فذكر الله تعالى، وقرأ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ الشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟﴾[6]، الآية، فغشي عليه، فنظرت المرأة إليه، فإذا هو كالميت فلم تزل هي وجارية لها يتعاونان عليه، حتى ألقوه على باب داره، فاحتمل وأدخل الدار حتى

---

[1] ابن كثير، البداية والنهاية، ج7/ 131-132.

[2] وردت هذه الكرامة مختصرة في: أبي السراج الطوسي، اللمع في التصوف، ص: 173.

[3] ورد هذا النص بنفس اللفظ، في: ابن مغيزل، الشاذلي، الكواكب الزاهرة، ص: 118.

[4] وردت هذه الكرامة مختصرة في: السبكي، طبقات الشافعية، ج324/2؛ وابن مغيزل الشاذلي، الكواكب الزاهرة، ص: 118.

[5] سقط ما بين معقوفتين من النسخة (ج).

[6] سورة الأعراف، الآية: 201.

أفاق، فسأله والده ما الذي أصابك؟ قال: يا أبت لا تسألني، فلم يزل به والده حتى أخبره بما ناله من المرأة، ثم قرأ الآية وشهق شهقةً ومات ودفن فأخبر به عمر، فقال: هلا أعلمتموني، ثم جاء إلى قبر الفتى، فقال: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾[1]، فأجابه الفتى، فقال: قد أعطانيهما ربي يا عمر، فسمعه عمر، ومن كراماته : القضية المشهورة في نيل مصر حين كتب له سيدنا عمرو بن العاص، وكان خليفة بها، وأخبره أن نيل مصر لم يجر في هذه السنة، وتأخر عن وقته المعتاد، وأن أهل البلد قد ذكروا لي أنه إذا تأخر جريه عمدوا إلى جارية من بنات أشرافهم، وزينوها بالحلي والحلل، ورموا بها فيه، فيجري لهم، وتلك عادتهم معه، وإن لم يفعلوا ذلك هلكوا، فقلت لهم: تلك سنة جاهلية، والإسلام يجُبُّ/23/ ما قبله، فأجابه سيدنا عمر، صدقت، الإسلام يهدم ما قبله وقد بعثت إليك بطاقة فألقها في نيل مصر، وفيها مكتوب: بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله أمير المؤمنين عمر إلى نيل مصر، سلام عليك، أما بعد، فإن كنت من قبلك فلا تجري، وإن كان الواحد القهار أن يجريك[2]. فلما وصل ذلك سيدنا عمرو بن العاص، ألقى البطاقة في النيل وقد تهيأ أهل مصر للجلاء والخروج من البلد بسبب تأخر جريه، فأصبح النيل وقد أجراه الله سبحانه، ستة عشر ذراعا في ليلة واحدة، وقطع الله ببركته تلك السنة السوء. فانظر، رحمك الله، ما أفخمها من كرامة لهذا الإمام، وما أعظمها منةً على الإسلام. ومن كراماته : موافقته لربه في آيات من القرآن، وقد أشار لذلك بقوله: **(وَافَقْتُ رَبِّي أَوْ وَافَقَنِي رَبِّي)**[3] وفي البخاري من ذلك مسائل

---

[1] سورة الرحمان، الآية: 45.

[2] وردت هذه الكرامة بإسهاب في: السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج326/2.

[3] البخاري، الجامع الصحيح، كتاب التفسير، باب واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى، ح:4483،ج:3 /192.

فليراجعها من أرادها. وقد جمع الجلال السيوطي من ذلك جملة من موافقته في كتاب سماه "قطف الثمر، في موافقة عمر". فقال:

[الرجز]

اَلْحَمْدُ للهِ وَصَلَّـــــى اللهُ عَلَى نَبِيّهِ اَلَّذِي اجْتَبَـــــاهُ
يَا سَائِلاً والْحَادِثَاتُ تَكْثُرُ عَنِ اَلَّذِي وَافَقَ فِيهَا عُمَرُ
وَمَا يُرَى أُنْزِلَ فِي الكِتَابِ مُوَافقاً لِرَأْيِهِ الصَّـــــوابِ
خُذْ مَا سَأَلْتَ عَنْهُ فِي أَبْيَاتٍ مَنْظُومَةٍ تَأْمَنُ مِنْ شَتَاتِ
فَفِي اَلْمَقَامِ وَأسَارَى بَدْرٍ وَآيتَـــــي تَظَاهُرا وَسِـــتْرٍ
وَذِكْرِ جِبْرِيلَ لِأَهْلِ اَلْعُذْرِ وَآيَتَيْنِ أُنْزِلاَ فِي اَلْخَمْرِ
وَآيةِ الصِّيَامِ فِي حَالِ الرَّفْثِ وَقَوْلِهِ: نِسَاؤكُمْ حَرْثٌ يُبَـــثّ
وَقَوْلِهِ لاَ يُؤْمِنُونَ حَـــتَّـــى يُحَكِّمُوكَ أَوْ بِقَتْلٍ أَفْـــــتَى
وَآيةٍ فِيهَا لبَدْرٍ أوْبَـــــه وَلاَ تُصَلِّ آيَةٌ فِي التَّوْبَـــه
وَآيَةٍ فِي النّورِ هَذا بُهْتَانُ وآيَةٍ فِيهَاالاسْتِيـــــــذَانُ
وَفِي خِتامِ آيةٍ لِلْمُؤمِنينَ تَبَارَكَ اللهُ بِحِفْظِ الْمُتَّقِينَ
وَثُلَّته مَنْ فِي صِفَاتِ السَّابِقِينَ وَفِي سَوَاءٍ آيةٌ لِلسَّائِليـــــنَ
وَعَدَّدُوا مِنْ ذَاكَ نَسْخَ الرَّسْمِ وَآيةً قَدْ نَزَلَتْ فِي اَلرَّجْـــــمِ
وَقَالَ قَوْلاً هُوَ فِي التّوْرَاةِ قَدْ نَبَّهَهُ كَعْبٌ عَلَيْهِ فَسَجَدْ
وَفِي اَلْآذَانِ الذِّكْرُ لِلرَّسُولِ رَأَيْتُهُ فِي خَبَرٍ مَوْصُـــــولِ
وَفِي اَلْفُرْقَان جَاءَ بِالتَّحقِيقِ مَا هُوَ مِنْ مُوَافِقِ الصّديقِ
كَقَوْلِهِ هُوَ الَّذي يُصَلِّـــــي عَلَيْكُمُ أَعْظِمْ بِهِ مِنْ فَضْلِ

وَقَوْلِهِ فِي آخِرِ اَلْمُجَادَلَـــــــــهْ لاَ تَجِدِ الآيَةَ فِي اَلْمُجَالَسَهْ

نَظَمْتُ مَا رَأَيْتُهُ مَنْقُـــــــــولاً وَاَلحَمْدُ للهِ عَلَى مَا أَوْلَى[1]

وكراماته: كثيرة شهيرة، أوضح من شمس الظهيرة.

وأما كرامات سيدنا الحي، القانت لله السخي، من استحيتْ منه ملائكة الرحمن، سيدنا ومولانا عثمان بن عفان، قد جلت وتكاثرت وتعاظمت وتفاخرت؛ فمن ذلك ما روي عن أنس بن مالك، قال: "دخلت على عثمان بن عفان، وكنت لقيت امرأة في الطريق، فنظرت إليها، وتأملت محاسنها، فلما دخلت عليه، قال لي: يدخل أحدكم عليّ، وأثر الزنى ظاهر في عينيه[2]، أما علمت أن زنى العين النظر؟ لتتوبنّ أو لأعذبنك، فقلت له: أوحي بعد رسول الله /24/، فقال: لا، ولكن بصيرة وبرهان وفراسة صادقة". فهذه كرامة له، لأن فيها علمه بالمغيّبات. ومن كراماته. وعلمه بالمغيبات، معرفته بمن يتولى قتله من الذين حصروا عليه، ومعرفته لليوم الذي يموت [فيه][3] حسبما هو مذكور في كتب السير، وقد استسلم للمقدور، ورضي بما عند الله سبحانه من التواب والأجور، مع عرض كثير من الصحابة عليه القتال، وذاك شأن أهل المعرفة والكمال، جعلنا الله في رعايته، وحشرنا في كفالته، ومناقبه لا تحصى، وكراماته لا تستقصى.

وأما كرامات هارون هذه الأمة، ومنفس الهموم والكروب، وكاشف الغمة، فتى بني غالب، سيدنا ومولانا علي بن أبي طالب: فمن ذلك ما روي عن بعض الصحابة رضوان

---

[1] أبو بكر السيوطي، الحاوي للفتاوي، ج1/ 364، بنفس اللفظ.

[2] وردت هذه الكرامة مختصرة في: السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج327/2؛ ويوسف النبهاني، جامع كرامات الأولياء، ج150/1.

[3] سقط ما بين معقوفتين من النسخة (د).

الله عليهم، أنه قال: "صلى بنا رسول الله الظهر أو العصر، فأقام في الركعة الأولى، حتى ظننا أنه لا يرفع رأسه، ثم رفع رأسه، ورفعنا بعده، فلما فرغ من الصلاة، نادى أين أخي وابن عمي علي بن أبي طالب؟ فأجابه من آخر الصفوف: لبيك لبيك يا رسول الله، فسأله عن سبب تأخره عن الصف الأول، والتكبيرة الأولى، فقال له، بعد كلام مذكور في محله: قد كبرت معك، فوسوسني شيء في الوضوء، فخرجت أطلب الماء، فناديت يا حسن يا حسين يا فاطمة فلم يجبني أحد، فاشتد طلبي، فسمعت هاتفا عن يميني: يا أبا الحسن، التفت عن يمينك، فالتفتت عن يميني، فإذا أنا بقدس[1] من الذهب الأحمر، مغطى بمنديل أخضر، فكشفت المنديل، فإذا فيه ماء أشد بياضا من اللبن، وأحلى من العسل، وأبرد من الثلج، فتوضأت للصلاة وتمندلت بالمنديل، ورددته على القدس[2]، وغاب فلم أدر من رفعه، ولا من وضعه، فتبسم رسول الله، وقال له: بَخٍ بَخٍ. أتدري يا أبا الحسن من أتاك بالمنديل والقدس؟ قال: الله ورسوله أعلم، قال: الذي أتاك بالقدس جبريل، والماء من حضرة العرش، والذي مندلك بالمنديل ميكائيل، والذي أمسك يدي على ركبتي حتى أدركتني في الركعة إسرافيل، يا أبا الحسن من أحبّك فقد أحبّ[3] الله، ومن أبغضك قفد خاب". فانظر رحمك الله هذه الكرامة العظيمة، والمنقبة القيمة من إغاثة الملائكة الكرام، وإتيانهم بالماء من الغيب ليدرك الصلاة مع سيد الأنام، عليه الصلاة والسلام.

ومن كراماته : مما يشبه الأولى، ما روي عن أنس بن مالك في حديث طويل: من إن مولانا عليّاً، أجنب في ليلة مظلمة، وطلب الماء فلم يجده بعد أن اشتد طلبه له، قال :

---

[1] في النسخة (ج): "بقدح".

[2] في النسخة (ج): "القدح".

[3] في النسختين (ج) و(د): "أحبه".

"فإذا سطل[1] موضوع مملوء ماء مغطى بمنديل عليه، فاغتسلت وتمسحت /25/ بالمنديل، ثم رددت المنديل فوق السطل، فارتفع السطل في الهواء، فقطرت منه قطرة على رأسي، فوجدت بردها على كبدي، وغاب عني فلم أره، فقال رسول الله: الله أكبر ثلاثا. أما السطل، فمن الجنة، وأما الماء فمن الكوثر"، وتقريره في القضيتين مما يزيد في المنقبتين. ومن كراماته: ما روي عن عاصم المهري، قال: بلغني بمهراة[2] عن ابن مسعود حديثا عظُم على أهل اليمن، فركبت ناقتي، فأتيت إلى مكة، وقضيت فريضة الحج، ثم عدلت إلى المدينة، ودخلت مسجد رسول الله، أريد عبد الله بن مسعود، فإذا برجل آدم اللون، مشوب بحمرة، وإذا الناس نحوه قد ركب بعضهم أعناق بعض، فدنوت منه لأنظر إليه، وقلت: من الرجل؟ فقال لي قائل: هذا علي بن أبي طالب، ابن عم رسول الله، بين جبينه والناس عن علمه يعجزون وإلى معرفته يرجعون، قال عاصم: فدنوت منه، وسلمت عليه، فرفع رأسه ورمقني، فكان أول ما بدأني به، أن قال: أيمانيٌّ؟ قلت: نعم، جعلت فداك، قال: أشجعيٌّ أنت؟، قلت: نعم، قال: أعاصم بن المهري؟ قلت: نعم، قال: رحلت من مهرة[3] إلى ابن مسعود في حديث كذا وكذا وسَمَّى لي الحديث، فقلت: إني والله، قال: [قم][4] يا عاصم وانهض إلى ابن مسعود". فهذه أخبار بمغيبات عن فراسة صادقة. ومن كراماته: ما أُثر عنه في قتله للخوارج وفي إخباره بأحوالهم، وما سيؤول إليه أمرهم، وأن مصارعهم دون النهر، وأقسم على ذلك بعد أن جاء الخبر المتواتر، وأنهم عبروا النهر ذاهبين، فقال: "مصارعهم دون النهر، وأقسم أنه لا ينجو منهم إلا عشرة، ولا يقتل من

---

[1] في النسخة (ب): "صطل".

[2] مَهَرات: بلد بنجد من أرض مهرة قرب حضرموت، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج232/5.

[3] مَهْرة: قبيلة وهي مهرة بن حيدان بن عمر بن الحاف بن قضاعة تنسب إليهم الإبل المهرية، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج234/5.

[4] سقط ما بين معقوفتين من النسخة (د).

أصحابه إلا تسعة، وكان فيهم ذو الثدي الذي كانت إحدى يديه جلدة بلا عظم، إذا مدت مثل اليد الأخرى، وإذا تركت رجعت ولصقت بالجنب، ففتشوا في آلاف من القتلى، حتى وجدوه على الوصف الذي ذكر، وكان أمرهم كله على ما أخبر به ". وله من مثل ذلك العجاب، مما لو تتبعنا بعضه لأفضى بنا إلى طول الكتاب.

وقد ذكرنا هذه النبذة من مناقب الخلفاء الأربعة[1] رضوان الله عليهم، تبركا بذكرهم، ورجاء لحصول خيرهم و[برهم][2]، ولله درُّ القائل:

[الكامل]

هَذِي اَلْفَضَائِلُ وَالمَكَارِمُ اَلَّتِي ... تُصْغِي إِلَيْهَا أُذْنُ السّمِيعِ وَنَاشِدِ

هَذِي المَنَاقِبُ وَالمَحامِدُ اَلّتِي ... تُتْلَى عَلَى مَرِّ الدُّهُورِ لِعَابِدِ

لَوْ أَنَّهَا تُعْطَى لبَاذِلِ رُوحِهِ ... هَانَتْ عَلَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ بِالزَّاهِدِ[3]

ولنذكر بعد الخلفاء الأربعة شيئا من كرامات غيرهم من صحابة الرسول، /26/ الذين تنال ببركاتهم المقاصد والسّول على سبيل الاختصار، للرّد على من أنكر أن تكون لهم كرامة أصلا فضلا عن الكثرة والانتشار، قال: "لأنهم قد أعطوا من صرف اليقين، وكمال الاستقامة والدين، مما يغنيهم عن خرق العادات، والتشوف للكرامات، ولذلك قال السُّهْرَوَرْدِيُّ[4]: "وخوارق العادات، إنما يكاشف به لموضع ضعف اليقين للمكاشف

---

[1] جاءت في الأصل: "الأربع"، فصححناها.

[2] سقط ما بين معقوفتين من النسخة (د).

[3] وردت هذه الأبيات الشعرية بنفس اللفظ في: عبد الخالق العروسي، المرقي، ج332/2.

[4] أبو الفتوح يحيى بن حبش بن أميرك السهروردي شهاب الدين، أحد كبار الصوفية في زمنه في علم الحقيقة وطريقة التصوف، ولد في سهرورد سنة 549هـ، تخرج عليه كثير من الصوفية، وكان جامعاً للفنون الفلسفية بارعا في الأصول الفقهية، من أشهر تصانيفه: "عوارف المعارف في التصوف"، و"التنقيحات في أصول الفقه" وغيرها.

رحمة من الله تعالى لعباده، وليس الأمر كما ذكر إذ ما يصدر عنهم من الكرامات، وخرق العادات هو كمال لهم رضوان الله عليهم، وليكونوا قدوة لمن بعدهم من أولياء هذه الأمة، الذين تنجلي بهم الكروب والغمة"، فإن قيلَ: "ما نقل عن أصحاب رسول الله من ذلك قليل. بالنسبة إلى ما نقل عن غيرهم من المشايخ من كل رهط وقبيل، والجواب أن أصحاب رسول الله، لبركة صحبته، ومشاهدته وخدمته، ومجاورة نزول الوحي، وتردد الملائكة، تطهرت بواطنهم، وتنورت بصائرهم، وعاينوا الآخرة، وزهدوا في الدنيا الفانية، واستغنوا بما أعطوا عن رؤية الكرامات، واستلماع أنوار القدرة وخرق العادات"[1].

فمما روي عن أبي ذرّ: "أنه بعثه رسول الله، يدعو علياً، فوجده في بيته، والرَّحى تطحن وحدها، وأخبر بذلك رسول الله"، فهي كرامة للبضعة النبوية، والسيادة المولوية، مولاتنا فاطمة الزهراء.

ومن كرامات الوزيرة العفيفة، الطاهرة النظيفة، مولاتنا خديجة زوج النبي عليه السلام، في رؤيتها لسيدنا جبريل، وتكرر ذلك منها. ومن ذلك ما روي في شطر الشعير الذي تركه النبي في بيت الصديقة مولاتنا عائشة، رضي الله عنها، فأكلت منه زمنا طويلا حتى كالته ففَنِي وكذلك أم سلمة[2]، رضي الله عنها، في رؤيتها لسيدنا أحمد الخضر، عليه

توفي سنة 586هـ. ترجمته في: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج6/268-274، أحمد التادلي الصومعي، المعزى، ص: 375-368؛ والزركلي، الأعلام، ج8/140؛ وكحالة، معجم المؤلفين، ج13/189-190.

[1] ورد هذا النص في: أسعد اليافعي، روض الرياحين في حكايات الصالحين، ص: 18، مع اختلاف في بعض العبارات، مثل: "خرق العادة" عوض "خوارق العادات".

[2] أم سلمة أم المؤمنين، هند بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة، المخزومية، وكانت تعد من فقهاء الصحابيات، وتزوجها الرسول سنة اثنين بعد غزوة بدر، توفيت سنة 59هـ . ترجمتها في: ابن الجوزي، صفة الصفوة، ج2/29-30؛ وشمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج2/201-210؛ والزركلي، الأعلام، ج8/97-98.

السلام، ودخوله بيتها، وسلامه عليها، فذكرت ذلك للنبي، فقال لها: "ذلك الخضر العبد الصالح".

ومن ذلك رؤية سيدي عبد الله بن عباس، لسيدنا جبريل، وقال له النبي؛ رأيته؟ ستفقد بصرك.

ومن ذلك الطائر الذي جاء وهو في النعش، فدخل في أكفانه فلم يظهر، يقال: إنه علمه".

ومن ذلك حديث سعد بن زيد بن عمر[1]، الذي قال فيه للتي ادّعت عليه، إنه أخذ شيئا من أرضها: **(اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ كَاذِبَةٌ، فَاعْمِ بَصَرَهَا)**[2] واقتلها في أرضها، فما ماتت حتى ذهب بصرها، وبينما هي تمشي في أرضها إذ وقعت في حفرة، فماتت.

ومن ذلك **حديث خُبَيْب**[3] الذي قالت فيه بنت الحارث بن عامر بن نوفل؛ **(وَالله مَا رَأَيْتُ أَسِيراً خَيْراً مِنْ خُبَيْبٍ، فَوَاللِه لَقَدْ وَجَدْتُهُ يَوْماً يَأْكُلُ قِطْفاً مِنْ عِنَبٍ فِي يَدِهِ، وَإِنَّهُ لَمُوثَقٌ بِالحَدِيدِ وَمَا يُمَكِّنُهُ مِنْ ثَمَرَة، إِنَّمَا هُوَ رِزْقٌ رَزَقَهُ/27/ الله خُبَيْباً[1])**.

---

[1] سعيد بن زيد بن عمرو بن الفيل العدوي القرشي، أبو الأعور: صحابي، من خيارهم، هاجر إلى المدينة، وشهد المشاهد كلها إلا بدرا بعثه رسول الله عليه السلام في مهمة أرسله بها، وهو أحد العشرة المبشرين وكان من ذوي الرأي والبسالة، وشهد اليرموك وحصار دمشق، مولده بمكة سنة 22 ق هـ، ووفاته بالمدينة، سنة 51هـ .. ترجمته في: ابن سعد، الطبقات الكبير، ج405/3؛ والزركلي، الأعلام، ج94/3.

[2] مسلم، صحيح مسلم، كتاب المساقاة، باب تحريم الظلم وغصب الارض وغيرها، ح :-1610،ج1230/3-1231.

[3] خبيب بن عدي بن مالك بن عامر بن مجدعة بن جحجبا الأنصاري، شهد أحدا مع رسول الله، وكان فيمن بعثه رسول الله، مع بني حيان، فلما صاروا بالرجيع، غدروا بهم، واستصرخوا عليهم، وقتلوا من قتلوا منهم وأسروا خبيب بن عدي وزيد بن الدثنة، فقدموا بهما مكة، فباعوهما من قريش فقتلوهما عن قتل رسول الله، من قومهم وصلبوهما بمكة. ترجمته في: ابن سعد، الطبقات الكبير، ج308/4-310؛ وابن الجوزي، صفة الصفوة، ج314/1-317؛ وشمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج246/1-249.

ومن ذلك الحديث الذي أخرجه البخاري وغيره في أسيد بن حُضَير[2]، وسيدي عبّاد بن بِشر[3]، رضي الله عنهما، الذي قال فيه: **(خَرَجَا مِنْ عِنْدِ النَّبِيِّ، فِي لَيْلَةٍ مُظْلِمَةٍ وَمَعَهُمَا مِثْلُ المِصْبَاحَيْنِ فِي أَيْدِيهِمَا، فَلَمَّا افْتَرْقَا صَارَ مَعَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا وَاحِدٌ حَتَّى أَتَى أَهْلَهُ)**[4].

ومن ذلك ما ورد أن ابن عمر، قال للأسد الذي منع الناس الطريق: "تنحَّ، فَبَصْبَصَ بِذَنَبِهِ، وذهب فمشى الناس، فقال ابن عمر: صدق رسول الله، **(مَنْ خَافَ مِنَ اللهِ خوَّف[5] مِنْهُ كُلَّ شيْءٍ)**[6].

ومن ذلك ما جاء أن رسول الله، بعث سيدي العلاءَ بن الحَضْرَمِي[1] في غزاة، فحال بينهم وبين الموضع الذي أرادها قطعة من البحر، فدعا الله باسمه الأعظم، ومشوا على الماء"[2].

---

[1] البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الجهاد والسير، باب هل يستأسر الرجل؟ ومن لم يستأسر، ومن ركع ركعتين عند القتل، ح:3045، ج2/371.

[2] أسيد بن الحضير بن سماك بن عتيك بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل الأنصاري، ويكنى أبا يحيى، وكان يكنى أيضا أبا الحضير، وشهد أسيد العقبة الآخرة مع السبعين من الأنصار في روايتهم جميعا، وكان أحد النقباء اثني عشر، فآخى رسول الله، بين أسيد الحضير وزيد بن حارثة، ولم يشهد أسيدا بدرا، وتخلف هو وغيره من أكابر أصحاب رسول الله، من النقباء وغيرهم عن بدر، ولم يظنوا أن رسول الله، يلقن بها كيدا ولا قتالا، مات سنة 20هـ ترجمته في: ابن سعد، الطبقات الكبير، ج3/558-561؛ وشمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج1/340-343؛ والزركلي، الأعلام، ج1/330.

[3] عباد بن بشر بن وقش بن زغبة بن زعوراء بن عبد الأشهل، كان يكنى أبا بشر، وشهد عباد بن بشر بدرا، وشهد أحدا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله، توفي سنة 12هـ . ترجمته في: ابن سعد، الطبقات الكبير، ج3/406-407؛ وشمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج1/337-340.

[4] البخاري، الجامع الصحيح، كتاب المناقب، باب سؤال المشركين أن يريهم النبي آية، فأراهم انشقاق القمر، ح: 3639، ج2/538.

[5] في النسختين (ج) و(د): "خاف".

[6] ابن شيرويه الديلمي أبو شجاع، الفردوس بمأثور الخطاب، تحقيق السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، سنة النشر ،1406هـ -1986م،ح: 5539،ج:3 ،ص: 496.

ومن ذلك ما روي "أن قصعةً من طعام، كانت بين سلمانَ وأبي الدَّرْدَاءِ أو أبي ذرّ، فسبَّحتْ، حتى سمعوا التسبيح"[3].

ومن ذلك قضية سيدي تميم الدّاري[4]، حين اشتعلت نار بالمدينة المشرّفة، فأقسم عليه سيدنا عمر، [أن يردّها، فاستصغر نفسه][5]، وقال: "ما عسى أن أكون أنا؟ فجعل يجوسها حتى أدخلها المكان الذي خرجت منه. فقال سيدنا عمر،: ما من شاهدٍ منكم لم يشاهد، وما من راء منكم، لم ير".

ومن ذلك ما يحكى عن سيدنا أنس بن مالك، أنه قحطت أرضه، فتوضأ، وخرج إلى البرية، وصلى ودعا الله تعالى، فالتأم السحاب، وجاء المطر، حتى ملأ كل شيء، فلما سكن المطر، قال: "اَنظروا فنظروه فوجدُوهُ لم يعد أرضه إلا قليلا.

---

[1] العلاء بن الحضرمي واسم الحضرمي عبد الله بن ضماد بن سلمى بن أكبر من حضر موت من اليمن، وكان حليفا لبني أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، وأسلم العلاء بن الحضرمي قديما. ولاّه رسول الله، البحرين ثم عزله، وبعث أبان بن سعيد عاملا عليها. مات سنة 21هـ . ترجمته في: ابن سعد، الطبقات الكبير، ج5/ 276-280؛ وابن الجوزي، صفة الصفوة، ج1/ 352-353؛ و ابن الأثير، المختار من مناقب الأخيار ،حققه وعلق عليه، مامون الصاغرجي وعدنان عبد ربه ومحمد أديب الجادر، مركز زيد للتراث والتاريخ، العين، دولة الامارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى، 1424هـ -2003م ،ج3/291-293؛ وشمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج1/262-266.

[2] وردت هذه الكرامة بنفس اللفظ في: عبد الكريم القشيري، الرسالة القشيرية، ص: 301؛ واليافعي، روض الرياحين في حكايات الصالحين، ص 17.

[3] وردت هذه الكرامة بنفس اللفظ في: أسعد اليافعي، روض الرياحين في حكايات الصالحين، ص: 17.

[4] أبو رقية تميم بن أوس بن خارجة، من بني عدّي بن الدار بن هانئ، بطن من لخم، وفد على رسول الله، في جماعة من الدارين، فأسلم. وكان من عباد الصحابة وخيارهم. مات سنة 40هـ .. ترجمته في: ابن سعد، الطبقات الكبير، ج6/254-258؛ وابن الجوزي، صفة الصفوة، ج1/374-375؛ وشمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج2/442-448.

[5] سقط ما بين معقوفتين من النسخة (د).

ومن ذلك قضية سيدي سفينة[1] مولى رسول الله، حين تكسرت بهم السفينة وخرج عليه الأسد في جزيرة، فقال: "أنا سفينة مولى رسول الله، فكان الأسد يدفع فيه برأسه ويدله على الطريق، وقد اختلف في اسم سفينة، فقيل: طهان، وقيل: كيسان، وقيل: مهران، وقيل: غير ذلك كما في المواهب".

وبالجملة، فكرامات صحابة رسول الله ﷺ، لا تحصى، ومزاياهم ومناقبهم لا تستقصى. ومن ذا الذي يطيق عدّ الرمال والحصى، لأن كتاب الله مملوء بذلك، ومن طالع الأحاديث النبوية، والسير المروية، يعلم ما لهم من الفضائل هنالك، مما لا تحمله الدواوين والأسفار، ولا تستوعبه المطولات الكبار، واقتصرت على هذا النّزر اليسير، لأن مناقبهم قد تعرض لها، والحمد لله من الأئمة الجم الغفير، لأن النظرة الواحدة من سيد الأنام يحصل بسببها من الخيرات ما لا تستوعبه الأقلام. اللهم يا رب الأرباب على الإطلاق، ويا من تفضل على المحبوبين على الشمول والاستغراق، نتوسل إليك بحق الصحابة الكرام، وبجاه سيدنا ومولانا محمد المفضل على جميع الأنام، أن توفقني لما فيه /28/ رضاك على الدوام، وتجعلني من عبيدك المحبين لرسولك، وتحشرني معه في دار السلام، بفضلك ورحمتك يا أرحم الراحمين، يا رب العالمين. وقال الضرير[2]، في باب إثبات الكرامة من منظومته :

---

[1] أبو عبد الرحمان مولى رسول الله، اسمه مهران، وقيل: عبس، وسفينة لقب له، واسمه مهران، وقيل: رومان، وقيل: قيس. ترجمته في: ابن سعد، الطبقات الكبير، ج5/100-101؛ وأبي نعيم الاصفهاني، حلية الأولياء،ج1/ 368-369؛ وابن الجوزي، صفة الصفوة، ج1/340-341؛ وابن الاثير، المختار من مناقب الأخيار، ج2/438-439؛ وشمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج3/172-173.

[2] أبو الحجاج يوسف بن موسى الكلبي، الضرير، كان من أهل التبحر في علم النحو والتوحيد والاعتقادات، انتقل في أعوامه الأخيرة إلى الأندلس، توفي سنة 520هـ بغرناطة. ترجمته في: ابن بشكوال، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس

[الرجز]

وَاللهُ يُبْدِي اَللُّطْفَ والكَرَامَةْ لِلطَّائِعيـــــنَ أَهْلِ الاسْتِقَامَـــهْ
كَرَامَةً خَارِقَـــــــةً لِلْعَـــــــادَهْ تُقْضَى لَهُمْ بِصِحَّةِ اَلْعِبَادَهْ
وَإِنَّمَا تُقْضَى لَهُمْ فِي اَلْحَالِ وَلاَ تَدُلُّهُمْ عَلَى الْمَـــــــــآلِ
فَإِنَّهُ انْسَلَخَ مِـــــنْ آيَاتِـــــــهْ مَنْ كَانَ قَدْ أَتَى لَهُ بِنِيَّتِـــــهْ
وَهِيَ مِنْ مجُوّزِ اَلْعُقُولِ لِبُعْدِهَا عَنْ كُلِّ مُسْتَحِيلِ
وَكَوْنُهَا عَنْ مُعْجِزٍ مُمَيَّزَهْ إِذِ التَّحَدِّي مِنْ شُرُوطِ اَلْمُعْجِزَهْ
وَفِي الْكَرَامَات دَلِيلٌ يَكْفِي نَبَأُ مَرْيَمَ وَأَهْلِ اَلْكَهْفِ
وَلَوِ تَتَبَّعْتَ حَدِيثَ اَلْمُصْطَفَى وَصَحْبِهِ وَجَدْتَ فِيهِ مَا كَفَى
كَشَأَنِ أَهْلِ اَلْغَارِ وَانْطِبَاقِهِ وَكَشْفِ مَا جَرَى مِنْ انْغِلاَقِهِ
وَنَبإِ اَلصَّبِيّ إِذْ أَنْطَقَهُ لِلْعَابِدِ الْبَرِيُّ مَـــــنْ خَلَقَهُ
وَنَبَإِ الطَّعَـــــــامِ لِلصَّدِّيـــقِ وَنَبَإِ فِي التَّمْـــــــرِ لِلْفَارُوقِ
وَحُمَلٍ لِسَائِـــــــرِ الصَّحَابَـــــهْ أَهْلِ اَلتُّقَى وَاَلْفَضْلِ وَاَلْمَهَابَهْ
وَجُمَلٍ كَثِيـــــرَةِ التَّفْصِيـــــلِ عَنِ الْأَفَاضِلِ لِكُلِّ جِيـــــلِ
مِمَّا اسْتَفَاضَ نَقْلُهُ فِي اَلْمَعْنَى عِلمَهُ مَنْ كَانَ بِهِ يُعَنَّـــــى[1]

ولنبتد هذا الفصل بذكر كرامات الأولياء الأعلام، ممن اتضحت خصوصيته للخاص والعام، ليزداد المؤمن بذلك إيماناً، ويعلم أن سرّ نبي هذه الأمة لم يزل فيها سرا وإعلانا.

وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم، ج331/2؛ ويوسف التادلي، التشوف الى رجال التصوف، ص: 105-108؛ والزركلي، الأعلام، ج254/8؛ وكحالة، معجم المؤلفين، ج337/13-338.

[1] وردت هذه الأبيات بنفس اللفظ في: أبي حامد محمد العربي الشرقي، الفتح الوهبي، ص: 211-212.

فمن ذلك ما حدث به سيدي إبراهيم الخُراساني[1]، قال: "احتجت يوما إلى الوضوء، فإذا أنا بكوز من جوهر وسواك من فضة ألين من الحرير، فاسْتَكْتُ وتوضأت وتركتهما وانصرفت، قال: وبقيت في بعض سياحتي أياماً لم أر فيها أحداً من الناس ولا طائراً والا ذا روح، وإذا أنا بشخص لا أدري من أين خرج؟ فقال لي: قل لهذه الشجرة: تحمل دنانير فقلت: احملي دنانير، فلم تحمل، فقال: اَحملي وإذا بالشماريخ دنانير معلقة، فاشتغلت أنظر إليها ثم اَلتفت، فلم أر الشخص وذهبت الدنانير من الشجرة[2]".

ومن ذلك ما حكي أن حبيبا العجمي[3]، كانت له زوجة سيئة الخلق، فقالت له يوما: "إذا لم يفتح الله عليك بشيء، فأجر نفسك فخرج إلى الجبانة، وصلى [إلى][4] العشاء ثم أتى بيته خجلا من توبيخها مشغول القلب من شرها، فقالت: أين أجرتك؟ فقال لها: إن الذي استأجرني كريم، استحييت[5] من استعجاله فمكث أياما كذلك يصلي في الجبانة

---

[1] ابراهيم بن علي الخرساني، صاحب الخوارق القاطعة، والكرامات الساطعة، عالم إخباري من الأمامية، لزم الجد والاجتهاد، في خدمة العباد، ما يوصله إلى دار الخلود. ترجمته في: ابن الجوزي، صفة الصفوة، ج4/119-120؛ وابن الاثير، المختار من مناقب الأخيار، ج1/266-267؛ ومحمد عبد الرؤوف المناوي، الكواكب الدرية، ج2/507-508؛ ويوسف النبهاني، جامع كرامات الأولياء، ج1/390؛ وكحالة، معجم المؤلفين، ج1/72.

[2] وردت هذه الكرامة في: ا بن الجوزي، صفة الصفوة، ج4/119 مع اختلاف في بعض الألفاظ والعبارات، مثل: "بينما أنا في بعض سياحتي" عوض "وبقيت في بعض سياحتي" فخرج علي شخص مع الخاطر لا أدري من أين خرج؟ عوض "وإذا أنا بشخص لا أدري من أين خرج؟"؛ واليافعي، روض الرياحين في حكايات الصالحين، (الحكاية التاسعة والخمسون بعد المائتين)، ص: 134، بنفس اللفظ؛ ويوسف النبهاني، جامع كرامات الأولياء، ج1/390، بنفس اللفظ.

[3] حبيب بن محمد الفارسي المعروف بالعجمي، أبو محمد البصري، زاهد أهل البصرة وعابدهم، كان صاحب الكرامات، مجاب الدعوات. توفي سنة 125هـ ... ترجمته في: أبي نعيم الاصفهاني، حلية الأولياء، ج6/149-155؛ وابن الجوزي، صفة الصفوة، ج3/213-216؛ وشمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج6/143-144؛ ومحمد عبد الرؤوف المناوي، الكواكب الدرية، ج1/263-264.

[4] سقط ما بين معقوفتين من النسختين (ج) و(د).

[5] في النسخة (د): "فخفت".

إلى الليل، وتقول له: أين أجرتك كل يوم؟ فيقول لها: استأجرني كريم فخفت من استعجاله، فلما طال عليها الحال، قالت [له][1]: اطلب أجرتك من هذا أو أجر نفسك من غيره، فوعدها أن يطلب الأجرة، وخرج على عادته فلما أمسى الليل عاد إلى المنزل خائفا منها، فرأى في بيته دخانا ومائدة منصوبة، وزوجته فرحة مستبشرة، فقالت له: قد بعث لنا الذي استأجرك ما تبعت الكرام، وقال رسوله لي: قولي لحبيب: يجد في العمل، وليعلم أنا لم نؤخر أجرته بخلا ولا عدما، فيقر عينا، ويطيب نفسا، ثم أرثه أكياسا مملوءة دنانير، فبكى حُبيب، وقال لزوجته: هذه الأجرة من كريم بيده خزائن السماوات /29/ والأرض فلما سمعت ذلك، تابت إلى الله تعالى، وأقسمت أن لا تعود إلى ما كانت عليه"[2].

ومن ذلك ما يحكى عن سيدي سعيد بن يحيى البصري، قال: "أتيت عبد الواحد بن زيد، وهو جالس في ظل، فقلت له: لو سألت الله أن يوسع عليك الرزق لرجوت أن يفعل، قال: ربي أعلم بمصالح عباده، ثم أخذ حصاة من الأرض، وقال: اللهم إن شئت أن تجعلها ذهبا فقلت فإذا هي في يده والله ذهب فألقاها، وقال: أنفقها أنت فلا خير في الدنيا إلا للآخرة"[3].

---

[1] سقط ما بين معقوفتين من النسخة (د).

[2] وردت هذه الحكاية بنفس اللفظ في: أسعد اليافعي، روض الرياحين في حكايات الصالحين، (الحكاية الرابعة والخمسون بعد المائتين)، ص: 123.

[3] نفسه، ص: 123.

ومن ذلك ما حكي عن بعض أصحاب أبي تراب[1]، قال: "كنا مع أبي تراب في طريق مكة، فعدل عن الطريق إلى ناحية، فقال له بعض أصحابه: أنا عطشان، فضرب برجله الأرض، فإذا عين ماء زلال، فقال الفتى: أحب أن أشربه في قدح، فضرب بيده الأرض، فناوله قدحا من زجاج أبيض، كأحسن ما رأيت، فشرب وسقانا، وما زال القدح معنا إلى مكة"[2].

وقال الأستاذ أبو علي الدقاق[3]: "ظهرت علة بيعقوب بن الليث، فأعيى الأطباء دواؤه، فقالوا له: في ولايتك رجل صالح، يسمى سهل بن عبد الله، فلو دعا لك لعل الله يستجيب له، فاستحضره، وقال: ادع الله لي، فقال سهل: كيف يستجاب دعائي فيك؟ وفي حبسك مظلومون؟ فأطلق كل من في حبسه، فقال سهل: اللهم كما أريته ذل المعصية، فأره عزَّ الطاعة، وفرج عنه، فعوفي، وعرض مالا على سهل، فأبى أن يقبله، فقيل له: هلا قبلته ودفعته إلى الفقراء، فنظر إلى الحصباء في الصحراء، فإذا هي جواهر، فقال: من يعطى مثل هذا يحتاج إلى مال يعقوب بن الليث"[4].

---

[1] أبو تراب بن حصين النخشبي، نسبة إلى نخشب، بلدة بما وراء النهر، صحب حاتما الأحمر وأبا حاتم العطار وهو من أجلة مشايخ خراسان وكبارهم المشهورين بالعلم، والفتوة، والزهد، والتوكل، والورع، مات سنة 245هـ .. ترجمته في: عبد الرحمن السلمي، طبقات الصوفية، ص: 146-151؛ وعبد الكريم القشيري، الرسالة القشيرية، ص: 436؛ وابن الجوزي، صفة الصفوة، ج4/150-151؛ وابن الملقن، طبقة الأولياء، 355-365؛ والشعراني، الطبقات الكبرى، ج1/151-152؛ والزركلي، الأعلام، ج4/233.

[2] وردت هذه الحكاية بنفس اللفظ في: أسعد اليافعي، روض الرياحين في حكايات الصالحين، (الحكاية الثالثة والخمسون بعد المائتين)، ص: 133.

[3] أبو علي الحسن بن علي بن محمد الدقاق النيسابوري، صوفي، فقيه، أصولي، توفي سنة 405هـ .. ترجمته في: يوسف النبهاني، جامع كرامات الأولياء، ج1/466-467؛ وأحمد التادلي الصومعي، المعزى في مناقب الشيخ أبي يعزى، ص: 365؛ وكحالة، معجم المؤلفين، ج3/261.

[4] وردت هذه الحكاية بنفس اللفظ في: أسعد اليافعي، روض الرياحين في حكايات الصالحين، (الحكاية الثالثة والخمسون بعد المائتين)، ص: 133.

ومن ذلك ما حكي عن بعضهم، قال: "خرجت في بعض حوائجي، فبينما أنا في فلاة من الأرض، إذا أنا برجل يدور بشجرة شوك، يأكل منها رُطَبًا، فسلمت عليه، فقال: وعليك السلام، تقدم وكل، فنزلت عن ناقتي، وتقدمت إلى الشجرة، فكلما أخذت منها رُطَبًا، عاد شوكا، فتبسم الرجل، وقال: هيهات لو أطعته في الخلوات، أطعمك الرطب في الفلوات"[1].

وقال بعضهم: "كنت مع ذي النون[2] في البادية، فنزلنا تحت شجرة "أم غيلان"، فقلنا: ما أطيب هذا الموضع، لو كان فيه رُطَبَ، فتبسم ذو النون، وقال: تشتهون الرُّطَبَ. وحرك شجرة، وقال: أقسمت عليك بالذي ابتدأك وخلقك شجرة إلا نثرت علينا رُطَبًا جنيا، ثم حركها، فنثرت رُطَبًا جنيا، فأكلنا وشبعنا، ثم نمنا وانتبهنا وحركنا الشجرة، فنثرت علينا شوكا[3]".

وقال محمد بن المبارك[4]: "كنت مع إبراهيم بن أدهم[1]، في طريق بيت المقدس، فنزلنا وقت القيلولة تحت شجرة رمان، فصلينا ركعات وسمعت صوتا من أصل تلك

---

[1] وردت هذه الحكاية بنفس اللفظ في: أسعد اليافعي، روض الرياحين في حكايات الصالحين، ص: 132.

[2] أبو الفيض ثوبان بن إبراهيم المصري، المعروف بذي النون، الصالح المشهور، أحد رجال الطريقة؛ كان عالما صالحا، زاهدا ورعا، مفتيا في العلوم، وكان أول من تكلم بمصر في ترتيب الأحوال، وفي مقامات الأولياء وفحول الرجال. توفي سنة 245هـ .. ترجمته في: عبد الرحمن السلمي، طبقات الصوفية، ص: 15-26؛ وأبي نعيم الأصفهاني، حلية الأولياء، ج9/331-395؛ وعبد الكريم القشيري، الرسالة القشيرية، ص: 433-434وابن الجوزي، صفة الصفوة، ج4/261-265؛ وابن الأثير، المختار من مناقب الأخيار، ج2/331-364؛ وابن خلكان، وفيات الأعيان، ج1/315-318؛ وشمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج11/532-536؛ ومحمد الحجوي، الفكر السامي، ج3/50؛ والزركلي، الأعلام، ج2/102.

[3] وردت هذه الحكاية بنفس اللفظ في: أسعد اليافعي، روض الرياحين في حكايات الصالحين، (الحكاية الحادية والخمسون بعد المائتين)، ص: 132.

[4] أبو عبد الله، محمد بن المبارك بن يعلى القرشي الصوري، سمع سعيد بن عبد العزيز، ومالك بن أنس، ومعاوية بن سلام، وسفيان بن عينه، ويحيى بن حمزة، حدث عنه، يحيى بن معين، ومحمد بن يحيى الذهلي، وأبو محمد

الشجرة، يقول: يا أبا إسحاق أكرمنا بأن تأكل منا شيئا، فطأطأ إبراهيم رأسه، فقالت: ثلاث مرات، ثم قالت: يا محمد، كن شفيعا إليه ليتناول منا شيئا، فقلت له: يا أبا إسحاق، لقد سمعت، فقام وأخذ رمانتين فأكل واحدة، وناولني الأخرى، فأكلتها وهي حامضة، وكانت شجرة قصيرة /30/، فلما رجعنا من زيارتنا إذا هي شجرة عالية، ورمانها حلو، وهي تثمر كل عام مرتين، وسموها رمانة العابدين، ويأوي إلى ظلها العابدون"[2].

ومن ذلك ما حكي أنه كان رجل يشرب مع جماعة من ندمائه، فدفع إلى غلامه أربعة دراهم، وأمره أن يشتري بها شيئا من الفاكهة للمجلس، فمر الغلام بمجلس منصور بن عمار[3]، وهو يسأل الفقير شيئا، ويقول: "من يدفع له أربعة دراهم، أدعو له أربع دعوات، فدفع الغلام الدراهم إليه، فقال منصور: ما الذي تريد أن أدعو، قال: لي سيد، فأريد أن أتخلص من ملكه، فدعا له، وقال: الأخرى، قال: أن يخلف الله عليّ

الدارسي، ومحمد بن عوف، توفي سنة 215هـ .. ترجمته في: أبي نعيم الاصفهاني، حلية الأولياء، ج9/298-310؛ وابن الاثير، المختار من مناقب الأخيار، ج4/435-436؛ وشمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج10/390-391.

[1] أبو إسحاق بن إبراهيم بن أدهم بن منصور التميمي البلخي، زاهد مشهور من أهل العراق، سيد أهل التصوف وزاهدهم، وكبير أهل الطريقة وعابدهم، وصحب سفيان الثوري، والفضيل بن عياض، وغيرهما من الأئمة والعلماء. توفي سنة 161هـ .. ترجمته في: عبد الرحمن السلمي، طبقات الصوفية، ص: 27-38؛ وأبي نعيم الاصفهاني، حلية الأولياء، ج7/367-395؛ وعبد الكريم القشيري، الرسالة القشيرية، ص: 391-392؛ وابن الجوزي، صفة الصفوة، ج4/ 134-138؛ وابن الاثير، المختار من مناقب الأخيار، ج1/212-248؛ وشمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج7/367-395؛ ومحمد عبد الرؤوف المناوي، الكواكب الدرية، ج1/195-206؛ والزركلي، الأعلام، ج1/31.

[2] وردت هذه الحكاية في: أسعد اليافعي، روض الرياحين في حكايات الصالحين، (الحكاية الحادية والخمسون بعد المائتين)، ص: 132 مع اختلاف في بعض الألفاظ، مثل: "الرمانة" عوض "الشجرة".

[3] أبو السري منصور بن عمار من أهل "مرو" من قرية يقال لها: يرانقان وكان من الواعظين الكبار، وتوفي سنة 225هـ . ترجمته في: عبد الرحمن السلمي، طبقات الصوفية، ص: 130-136؛ وأبي نعيم الاصفهاني، حلية الأولياء، ج9/325-331؛ وعبد الكريم القشيري، الرسالة القشيرية، ص: 423-424؛ وابن الملقن، طبقة الأولياء، ص: 286-287؛ وشمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج9/93-98؛ ومحمد عبد الرؤوف المناوي، الكواكب الدرية، ج1/720-722.

دراهمي، فدعا له، ثم قال: الأخرى، قال: أن يتوب الله على سيدي، فدعا له، ثم قال والأخرى، قال: أن يغفر الله لي ولسيدي وللقوم، فدعا منصور، فرجع الغلام إلى سيده، فقال: ما أبطأك؟ فقص عليه القصة، فقال: وبم دعا، قال: أن تعتقني، قال: أنت حرّ لوجه الله، وأيش الثانية، قال: أن يخلف الله علي دراهمي، قال: لك من مالي أربعة آلاف درهم، قال: وأيش الثالثة: قال: أن يتوب الله عليك، قال: تبت إلى الله. وأيش الرابعة، قال: أن يغفر الله لي ولك وللقوم، قال: هذه ليست إلي، فلما كان الليل رأى في المنام، كأن قائلا: يقول: أنت قد فعلت ما كان إليك أَفَتَرَانِي لا أفعل ما كان إليّ قد غفرت لك وللغلام ولمنصور بن عمّار، وللقوم الحاضرين"[1].

ومن ذلك ما حكي عن بعض أصحاب سهل بن عبد الله، قال: "خدمت سهلا ثلاثين سنة، فما رأيته وضع جنبه على الفراش ليلا ولا نهارا، وكان يصلي الصبح بوضوء العشاء، فهرب من الناس إلى جزيرة بين عبادان والبصرة، وإنما فر من الناس، لأن رجلا حجّ سنة من السنين، فلما رجع، قال لأخ له: رأيت سهل بن عبد الله، في الموقف بعرفة، قال له أخوه: نحن كنا عنده يوم التروية في رباط بباب تستر فحلف بالطلاق، إنه رآه في الموقف، فقال له أخوه: قم بنا حتى نسأله، فقاما ودخلا عليه، وذكرا له ما جرى بينهما من الاختلاف في هذا الحديث، وسألاه عن حكم اليمين الذي حلف، فقال سهل: ما لكم بهذا الكلام من حاجة، اشتغلوا بالله، وقال للحالف: أمسك عليك زوجك، ولا تخبر بهذا أحدا"[2].

---

[1] وردت هذه الحكاية بنفس اللفظ في: أسعد اليافعي، روض الرياحين في حكايات الصالحين، (الحكاية السادسة بعد المائتين)، ص: 106.

[2] وردت هذه الحكاية في: أسعد اليافعي، روض الرياحين في حكايات الصالحين، (الحكاية المائتان)، ص: 104-105، مع اختلاف في بعض العبارات، مثل، "بباب بشر الحافي" عوض "بباب تستر".

ومن ذلك ما حكي أن شابا من أهل الصلاح والخير أمر بمعروف ونهى عن منكر، شق فيه على هارون الرشيد، فأمر به فجعل في بيت، وسد عليه بابه ومنافذه ليهلك فيه، فلما كان بعد خمسة أيام، قال بعض الناس للرشيد: "إن الشاب الذي أمرت بسد الباب عليه يتفرج في البستان الفلاني، فأمر الرشيد بإحضاره، فلما حضر، قال: من أخرجك من البيت؟ قال: الذي أدخلني البستان، قال: ومن أدخلك البستان؟ قال: الذي أخرجني من البيت، فقال الرشيد: هذا عجب، قال الشاب: وإن أمر ربك ليس بعجب، فبكى الرشيد، وأمر بالإحسان إليه، وأمر أن يركب الفرس الخاص، وينادي بين يديه، هذا عبد أعزه الله، أراد هارون إهانته، فلم يقدر إلا على إكرامه /31/ واحترامه"[1].

وفي هذا المعنى، قيل:

[الطويل]

إِذَا أَكْرَمَ اَلرَّحْمَنُ عَبْداً بِعِزَّةٍ فَلَمْ يَقْدِرِ اَلمَخْلُوقُ يَوْماً يُهِينُهُ

وَمَنْ كَانَ مَوْلاَهُ اَلْعَزِيزُ أَهَانَهُ فَلاَ أَحَدٌ بِالْعِزِّ يَوْماً يُعِينُهُ[2]

ومن ذلك ما روي عن بعض الصالحين، قال: "كان لي ابن استشهد، فلم أره في المنام إلا ليلة توفى عمر بن عبد العزيز[3]، فقلت: يا بني، ألم تكن ميتا؟، قال: لا، ولكني

---

[1] وردت هذه الحكاية بنفس اللفظ في: أسعد اليافعي، روض الرياحين في حكايات الصالحين، (الحكاية السادسة والتسعون بعد المائة)، ص: 103.

[2] وردت هذه الأبيات الشعرية بنفس اللفظ في: أسعد اليافعي، روض الرياحين في حكايات الصالحين، (الحكاية السادسة والتسعون بعد المائة)، ص: 103.

[3] أبو حفص عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي القرشي، خامس الخلفاء بشهادة الأعلام الحنفاء، العالم الكامل، ولد سنة 61هـ، ولم تطل مدته حيث دسّ له السم فمات سنة 101هـ .. ترجمته في: ابن سعد، الطبقات الكبير، ج7/324-397؛ وأبي نعيم الأصفهاني، حلية الأولياء، ج5/253-353؛ وابن الجوزي، صفة الصفوة، ج2/80-89؛ وابن الأثير، المختار من مناقب الأخيار، ج4/83-115، وشمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج5/114-116؛ ومحمد عبد الرؤوف المناوي، الكواكب الدرية، ج1/379-385.

استشهدت وأنا حي عند الله، أرزق، فقلت: ما جاء بك؟، قال: نودي في السماء لا يبقى نبي ولا صديق ولا شهيد إلا ويحضر الصلاة على عمر بن عبد العزيز، فجئت لأشهد الصلاة، ثم جئت لأسلم عليكم"[1].

ومن ذلك ما حُكي عن سيدي إبراهيم الخواص[2]، قال: "كنت ببغداد وإذا جماعة من الفقراء، فأقبل شاب ظريف، طيب الرائحة، حسن الخلقة، فقلت لأصحابنا: يقع لي إنه يهودي، فكرة لأصحاب قولي، فخرجت وخرج الشاب، ثم رجع إليهم، وقال: ما الذي، قال الشيخ: فاحتشموا، فألح عليهم، فقالوا: قال الشيخ: إنك ليهودي، قال سيدي إبراهيم: فجاءني وأكبَّ على يدي وأسلم، فقيل له في ذلك: قال[3]: نحن في كتبنا أن الصدّيق لا تخطئ فراسته، فقلت في نفسي: أمتحن المسلمين، فتأملتهم، فقلت: إن كان فيهم صديق ففي هذه الطائفة يوجد، لأنهم يقولون بترك ما سوى الله، فلما اطلع هذا الشيخ علي، وتفرس فيّ، علمت أنه صديق، وصار الشاب من كبار الصوفية "[4].

ومن ذلك ما حكي عن بعضهم، قال: "رأيت ذا النون المصري، وقد تقاتل اثنان: أحدهما من أولياء السلطان، والآخر من الرعية، فعمد الذي من الرعية على الجندي

---

[1] وردت هذه الحكاية بنفس اللفظ في: أسعد اليافعي، روض الرياحين في حكايات الصالحين، (الحكاية الرابعة والثمانون بعد المائة)، ص: 100.

[2] أبو إسحاق إبراهيم بن إسماعيل الخواص، أوحد مشايخ وقته، وأجل أصحاب التوكل في سمته، وهو من أقران العارف الجنيد، وصحب أبا عبد الله المغربي، عارف كثرت فوائده، وحسنت أخلاقه ومقاصده، وانتفع به الطلاب. ترجمته في: عبد الرحمن السلمي، طبقات الصوفية، ص: 284-287؛ وعبد الكريم القشيري، الرسالة القشيرية، ص: 411؛ وابن الجوزي، صفة الصفوة، ج4/90-94؛ والشعراني، الطبقات الكبرى، ج1/176-178؛ ومحمد عبد الرؤوف المناوي، الكواكب الدرية، ج1/497-504.

[3] في النسختين (ج) و(د): "فقال".

[4] وردت هذه الحكاية بنفس اللفظ في: أسعد اليافعي، روض الرياحين في حكايات الصالحين، (الحكاية الثلاثون بعد المائة)، ص: 80.

فكسر ثنيته، فتعلق الجندي به، وقال: بيني وبينك الأمير، فجازوا بذي النون، فقال لهم الناس: اصعدوا إلى الشيخ، فصعدوا إليه، وعرّفوه بما جرى، فأخذ الثنية وبلّها بريقه، وردّها إلى فم الرجل في الموضع الذي كانت فيه، فحرّك شفتيه فتعلقت بإذن الله [تعالى][1] فبقي الرجل يفتش فاه، فلم يجد الأسنان الأسواء"[2].

ومن ذلك ما حكي عن بكير صاحب الشبلي[3]، قال: "وجد الشبلي في يوم جمعة خفة من وجع كان به، فنهض إلى الجامع، واتكأ على يدي حتى انتهينا إلى الوراقين، فتلقانا رجل من الرُّصافَةِ، فقال الشبلي: سيكون لي غدا مع هذا الرجل شغل، قال: فلما كان الليل مات الشبلي، فقيل لي: في درب السقائين شيخ[4] صالح يغسل الموتى فدلوني عليه، فنقرت الباب نقراً خفيفا، وقلت: سلام عليكم: فقال: مات الشبلي؟، فقلت[5]: نعم، فخرج فإذا هو الشيخ الذي أشار إليه الشبلي، فقلت: لا إله إلا الله ! فقال: لا إله إلا الله تعجبا، مماذا؟ قلت: قال لي الشبلي: أمس لما لقيناك: سيكون غداً لي مع هذا الشيخ شأن بحق معبودك. من أين لك أن الشبلي قد مات؟ قال: يا أبله ! فمن أين للشبلي أن يكون له معي شأن اليوم رضي الله عنهما، ولما حضر الشبلي الوفاة، قال: عليَّ درهم

---

[1] سقط ما بين معقوفتين من الأصل والإكمال من باقي النسخ.

[2] وردت هذه الحكاية بنفس اللفظ في: أسعد اليافعي، روض الرياحين في حكايات الصالحين، (الحكاية التاسعة والثمانون بعد المائتين)، ص: 136.

[3] أبو بكر دلف بن جحدر الشبلي، ولد سنة 247هـ، أصله من خراسان ونسبته إلى قرية شبلة، كان واليا بنهاوند بالبصرة، صحب الشيخ أبا القاسم الجنيد ومن في عصره من الصلحاء، وكان شيخ وقته، حالا، وظرفا، وعلما، مالكي المذهب، توفي سنة 334هـ .. ترجمته في: عبد الرحمن السلمي، طبقات الصوفية، ص: 337-348؛ وعبد الكريم القشيري، الرسالة القشيرية، ص: 419-420؛ وابن الجوزي، صفة الصفوة، ج2/366-368؛ وابن الملقن، طبقة الأولياء، ص: 353؛ وأحمد التادلي الصومعي، المعزى في مناقب الشيخ أبي يعزى، ص: 366-368؛ وابن مخلوف، شجرة النور الزكية، ج1/119.

[4] في النسخة (د): "رجل".

[5] في النسخة (د): "قلت".

مظلمة قد تصدقت /32/ عنه بألوفي، فما على قلبي أثقل منه[1]". ومن ذلك ما قال أبو القاسم الجنيد،: قال: "جئت مسجد الشونيزية[2]، فرأيت فيها جماعة من الفقراء يتكلمون في الكرامات، فقال فقير منهم: أعرف رجلا لو قال لتلك الأسطوانة كوني ذهبا وفضّة لكانت، فإذا الأسطوانة نصفها ذهب ونصفها فضة"[3].

وقال بعضهم: "كنت عند ذي النون المصري، فتذاكرنا طاعة الأشياء للأولياء، فقال ذو النون: من الطاعة أن أقول لهذا السرير يدور في أربع زوايا البيت، ثم يرجع إلى مكانه فيفعل، فدار السرير في أربع زوايا البيت وعاد إلى مكانه، وهناك شاب قاعد، فأخذ يبكي حتى مات في الوقت "[4].

وكان الفضيل[5]، على جبل من جبال منىً[1]، فقال: "لو أن وليا من أولياء الله تعالى، أمر هذا الجبل أن يَمِيدَ لمادَ، فتحرك الجبل، فقال: "اَسكن فلم أردك بهذا فسكن"[2].

---

[1] وردت هذه الحكاية في: أسعد اليافعي، روض الرياحين في حكايات الصالحين، (الحكاية الثالثة والتسعون بعد المائتين)، ص: 137، مع اختلاف في بعض الألفاظ، مثل: "أعظم" عوض "أثقل".

[2] الشونيزية: بضم الشين المعجمة وسكون الواو وكسر النون وسكون الياء المثناة من تحتها وفي آخرها زاي، أو لعلها (الشويترية) وهي مقبرة مشهورة ببغداد بها قبور جماعة كثيرة من الصالحين، منهم: الجنيد، وجعفر الخلدي، ورويم، وسمنون المحبّ، وهناك خانقاه للصوفية؛ ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج374/3؛ وابن خلكان، وفيات الأعيان، ج1/ 375.

[3] وردت هذه الحكاية بنفس اللفظ في: أسعد اليافعي، روض الرياحين في حكايات الصالحين، (الحكاية الرابعة عشرة بعد الثلاثمائة)، ص: 146.

[4] وردت هذه الحكاية بنفس اللفظ في: أسعد اليافعي، روض الرياحين في حكاية الصالحين، (الحكاية الرابعة عشرة بعد الثلاثمائة)، ص: 146.

[5] أبو علي الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمي الإمام، القدوة شيخ الإسلام، اليربوعي، الخرساني، المجاور بحرم الله، ولد بسمرقند، ونشأ بأبيورد، وارتحل في طلب العلم، وانتقل إلى مكة، ونزلها، إلى أن مات بها في سنة 187هـ . ترجمته في: عبد الرحمن السلمي، طبقات الصوفية، ص: 6-14؛ وعبد الكريم القشيري، الرسالة القشيرية، ص: 424-425؛ وابن الجوزي، صفة الصفوة، ج159/2-164؛ وشمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج421/8-442؛ والشعراني، طبقات الكبرى، ج126/1-128.

ومن ذلك ما روي عن بعض السلف، قال: "غاب عني ابني محمد، فوجدنا عليه وجدا شديدا، فأتيت معروفا الكرخي، فقلت: يا أبا محفوظ، إنه غاب ابني، وأمه واجدة عليه، فقال: ما تشاء؟ قلت: اَدع الله أن يردّه عليها، فقال: اللهم إن السماء سماؤك، والأرض أرضك، وما بينهما لك إيت بمحمد، قال أبوه: أتيت باب الشام، فإذا هو واقف، فقلت: يا محمد، قال: يا أبت كنت الساعة بالأنبار، وكان سيدي معروفا، مجاب الدعوة معروفا بالإجابة، وقد ذكروا أن الدعاء مستجاب عند قبره، وأهل بغداد يسمونه الترياق المجرّب"[3].

ومن ذلك ما روي عن سيدي حبيب العجمي،: وذلك أنه أصاب الناس مجاعة، فاشترى حُبيب طعاما، وفرقه على المساكين، ثم خاط أكيسة، وجعلها تحت رأسه، ثم دعا الله، فجاء أصحاب الطعام يتقاضونه، فأخرج تلك الأكيسة، فإذا هي مملوءة دراهم، فوزنها فإذا هي قدر حقوقهم، فدفعها إليهم.

وروي أنه أتاه يوما سائل، وقد عجنت امرأته عجينا، وذهبت لتخبزه، فقال للسائل: "خذ العجين، فأخذه، فجاءته امرأته، فقالت: أين العجين؟ قال: ذهبوا به يخبزونه، فلما أكثرت عليه، أخبرها، فقالت: سبحان الله، إنه لابد لنا من شيء نأكله، وإذا برجل قد جاء بجفنة عظيمة، مملوءة خبزا ولحما، فقالت: ما أسرع ما ردوه عليك، قد خبزوه وجعلوا عليه لحما رضي الله عنهم.

---

[1] منى: بالكسر، والتنوين، في درج الوادي الذي ينزله الحاجّ ويرمي فيه الجمار من الحرم، سمي بذلك لما يُمنى به من الدماء أي يُراق، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج198/5.

[2] وردت هذه الحكاية بنفس اللفظ في: أسعد اليافعي، روض الرياحين في حكايات الصالحين، (الحكاية الرابعة عشرة بعد الثلاثمائة)، ص: 146.

[3] وردت هذه الكرامة في: ابن الجوزي، صفة الصفوة، ج322/2، مع اختلاف في بعض العبارات، مثل: "غاب ابني إلى الأنبار فوجدت أمه وجدا شديدا" عوض "غاب عني ابني محمد، فوجدنا عليه وجدا شديدا".

ومن ذلك ما روي عن بعضهم، قال: "خرج جماعة من الفقراء، فذهبوا يزورون رجلا أسود، كان ناطورا، يقال له: مُقبل، فمضيت معهم، فدخلنا إلى مكان فيه باذنجان كثير، وفيه أسود قائم يصلي، فسلمنا، وجلسنا إلى أن سلم، فأخرج كيسا وفيه كسر يابسة، وملح جريش، وقال: كلوا، فأكلنا، وأخذ الجماعة يذكرون كرامات الأولياء، وهو ساكت، فقال له بعض الجماعة: يا مُقبل، قد زرناك فما تحدثنا بشيء، قال: أي شيء أخبركم به؟ أنا أعرف رجلا، لو سأل الله تعالى، أن يجعل هذا الباذنجان ذهبا لفعل، فوالله ما استتم الكلام حتى رأينا الباذنجان يتَّقد ذهبا، فقال له بعضهم /33/: يا مُقبل هل لأحد سبيل أن يأخذ، فأخذ أصلا قلعه بعروقه، وجميع ما فيه ذهب، فوقعت من الأصل باذنجانة صغيرة، وشيء من الورق فأخذته وبقاياه معي إلى يومي هذا، ثم صلى مُقبل ركعتين سأل الله أن يعيده كما كان، ففعل وعاد مكان الأصل المقطوع أصل آخر باذنجان "[1].

ومن ذلك ما روي عن بعض الصالحين، قال: "كان لي صديق ابتلاه الله بالجذام حتى ذهبت يداه وعيناه، فأتيت به إلى المجذومين، وجعلته معهم، وكنت أتعاهده، فغفلت عنه أياما، ثم فكرته وأتيته، وقلت: إني[2] غفلت عنك، فقال: إن لي من لا يغفل عني، فقلت: والله ما ذكرتك، قال[3]: إن لي من يذكرني، ثم قال: إليك عني فقد شغلتني عن ذكر الله تعالى، فما لبثت غير أيام يسيرة وتوفي، فأخرجت كفنا فيه طول، وقطعت ما فضل عنه، وكفنته ودفنته، فبينما أنا نائم إذا برجل قد وقف عليّ، لم أر أحسن منه

---

[1] وردت هذه الحكاية بنفس اللفظ في: أسعد اليافعي، روض الرياحين في حكاية الصالحين، (الحكاية السبعون بعد الثلاثمائة)، ص: 167.

[2] في النسخة (ج): "إذا".

[3] في النسخة (د): "فقال".

صورة، فقال: بخلت علينا بكفن طويل دونك، فكفنك فقد رددناه عليك، وقد كفناه بالسندس والاستبرق، فاستيقظت من منامي وإذا بالكفن عند رأسي "[1].

ولنقتصر على القدر اليسير، ليحسن الردّ على منكر كرامات الأولياء، ومن طعن في مراتب الأصفياء، فإن الدلائل قامت عليها، قال في المعيار[2]: "ولا يعلم من اشتهر عنه إنكارها إلا أبو محمد بن أبي زيد"[3]. وقد تأوّل[4] أبو الطيب كلامه. والإجماع على أن الكرامة لا تقع إلا ممن تمسك بطاعة الله، كما أجمعوا على أنها لا تقع من فاسق"[5]. ولله درُّ من قال، وأجاد في المقال:

[البسيط]

لاَ تَسْتَرِبْ فِي كَرَامَاتٍ يُخَصُّ بِهَا ... مَن شَاءَهُ اللهُ فِي سِرٍّ وَإِعْلاَنِ

وَاصْغَ سَمَاعاً لِمَا يَرْوِي أَئِمَّتُنَـــــا ... عَمَّنْ مَضَى مِنْ أُولِي اَلقدْرِ[3]وَالشَّأْنِ

وَأَمْرُ مَرْيَمَ يَكْفِي اَلمُسْتَدِلَّ بِـــــهِ ... فِي شَأْنِ مِحْرَابِهَا فِي آلِ عِمْرَانِ

تُؤْتَى اَلفَوَاكِهَ أَنْوَاعـــاً مُنَوَّعَـــةً ... بِلاَ مُحَاوَلَةٍ بِغَيْرِ إِبَّـــــــانِ

وَفِتْيَةُ اَلْكَهْفِ فِي إِيقَاظِهِمْ عَجَبٌ ... بَعْدَ اَلْمِئِينَ كَمَا تَتْلُو بِحُسْبَانِ

وَعَرْشُ بَلْقِيسَ فِي إِيصَالِهِ عَجَبٌ ... مَا بَيْنَ سُرْعَةِ جِنِّيٍّ وَإِنْسَـــانِ

جَاءَتْ بِهِ قُدْرَةُ الرَّحْمَانِ فِي زَمَنٍ ... حَتَّى اسْتَقَرَّ بِمَرْأَى مِنْ سُلَيمَانِ

عِلْمُ اَلْكِتَابِ وَأَعْمَالٌ بِمُوجِبِهِ ... أَعَادَ آصِفَ ذَا قَوْلٍ وَإِيقَـــانِ

كَانَتْ مُسَارَعَةُ اَلجِنِّيِّ سَابِقَةً ... فَأَحْرَزَ اَلسَّبْقَ هَذَا اَلْعَالِمُ الثَّانِ

---

[1] وردت هذه الحكاية بنفس اللفظ في: أسعد اليافعي، روض الرياحين في حكايات الصالحين، (الحكاية السادسة والسبعون بعد الثلاثمائة)، ص: 169.

[2] أحمد الونشريسي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل أفريقية والأندلس والمغرب، بإشراف، محمد حجي، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1401هـ-1981م.

[3] نفسه، ج388/2، بنفس اللفظ.

[4] في النسخة (ج): "تأمل".

[5] أحمد الونشريسي، المعيار المعرب والجامع المغرب، ج389/2، بنفس اللفظ.

وَكَمْ دَلِيلٍ بِأَقْوَالِ الرَّسُولِ لَهُ ... فِيهَا وَكَمْ حُجَّةٍ فِيهَا وَبُرْهَانِ

ثُمَّ اَلْكَرَامَاتُ أَنْوَاعٌ إِذَا نُظِرَتْ ... كَالزَّهْرِ فِي حُسْنِ أَنْفَاسٍ وَأَلْوَانِ/34/

مَشْيٌ عَلَى اَلْمَاءِ أَوْ فِي اَلجَوِّ قَدْ نُقِلاَ ... وَشِبْعُ ذِي سَغَبٍ أَوْ رَيُّ ظَمْآنِ

وَكَمْ أُجِيبَ وَلِيٌّ عِنْدَ دَعْوَتِهِ ... وَكَمْ أُغِيثَ وَلِيٌّ عِنْدَ إِذْعَانِ

وَفِيهِمْ مَنْ يُجِيبُهُ اَلجَمادُ وَمَنْ ... يَغيبُ عَنْ دَرْكِ أَسْمَاعٍ وَأَجْفَانِ

وَمِنْهُمُ[1] مَنْ يَرَى اَلْمُحْتَارَ مِنْ مَلَكٍ ... وَمَنْ يُجَالِسُهُمْ فِي حَالِ إِخْوَانِ

وَكَمْ لَهُمْ مِنْ مَقَامَاتٍ مُكَرَّمَةٍ ... هَذَا اَلَّذِي قُلْتُهُ مِنْهَا كَعُنْوَانِ

صَافَوْا فَصُوفُوا وَنَالُوا ضِعْفَ سَعْيِهِمُ ... وَاَلمَرْءُ يَكْسِبُ إِحْسَاناً بِإِحْسَانِ

فِي عَيْشِ أَرْوَاحِهِمْ مَاتَتْ نُفُوسُهُمْ ... وَقَدْ تَمُوتُ نُفُوسٌ دونَ أَبْدَانِ

فَافْعَلْ كَفِعْلِهِمُ تَقْرُبْ كَقُرْبِهِمُ[2] ... فَالْفَضْلُ عُمِّمَ فِي اَلْقَاصِي وَفِي الدَّانِ

وَإِنْ عَجَزْتَ عَنِ اَلْجِدِّ اَلَّذِي لَهُمْ ... فَاصْمُتْ فَلَيْسَ مُجِدُّ اَلْقَوْمِ كَالْوَانِ[4]

---

[1] في النسخة (ج): "المقدار".

[2] في النسخة (د): "وفيهم.

[3] في النسخة (ج): "قربهم".

[4] وردت هذه الأبيات في: يوسف التادلي، التشوف إلى رجال التصوف، ص: 75-77، بنفس الترتيب مع اختلاف في بعض الألفاظ، مثل: "من اتقى الله" عوض "من شاء الله"؛ وأبي حامد محمد العربي الشرقي، الفتح الوهبي، مع اختلاف طفيف في بعض الألفاظ مثل: "مسابقة" عوض "مسارعة" ص: 210-211؛ والعباس بن ابراهيم المراكشي، الإعلام بمن حلّ مراكش وأغمات من الأعلام، ج338/10، بنفس اللفظ.

فصل في الفرق بين المعجزة والكرامة والسحر وحدودها

اعلم أن المعجزة، هي فعل الله تعالى، الخارق للعادة، المقارن لدعوى الرسالة متحديا به قبل وقوعه، غير مكذب، قوله: "فعل احترز به من فعل الله القديم"، فلا يكون معجزة لعدم اختصاص المتحدين به دون بعض، ويشمل ما تعلقت به القدرة الحادثة كالمشي على الماء، وما لم تتعلق به كانفجار الماء من بين الأصابع، وإحياء الموتى، إذ الكل أفعال[1] الله تعالى. [وإيراد بعضهم على الحدِّ عدم إحراق النار لسيدنا ابراهيم، عليه السلام، فإنه معجزة، وليست بفعل، بل عدم فعل، فيكون الحدُّ غير جامع. فالجوابُ: إن العدم كفّ، والكفُّ فعل، فيصدق على عدم الإحراق أنه فعل، فالحدُّ جامع، ومن أراد الخروج من هذا الاعتراض، يقول بدل قوله فعل: أمر، فيشمل ما ذكر.

والكرامة كما قال بعضهم: "أمر خارق للعادة، غير متحد به لا مقارن لدعوى النبوءة، ظهر على يد من عرفت ديانته، واشتهرت ولايته باتباع نبيه في جميع ما جاء به"[2]؛ لأن من شرط التابع أن يكون على قدم المتبوع، فإن جاء القدم عن القدم، فهو مدحور ومدفوع. وقال إمام الحرمين: "فإن قيل: فما الفرق بين الكرامة والمعجزة؟ قلت: لا يفترقان في جواز العقل إلا بوقوع المعجزة على حسب دعوى النبوءة، ووقوع الكرامة دون دعوى النبوءة.

وقال في موضع آخر: وليس في وقوع الكرامة ما يقدح في المعجزة، فإن المعجزة لا تدل لعينها، وإنما تدل لتعلقها بدعوى النبي ونزولها منزلة التصديق بالقول، والملك الذي

---

[1] في النسختين (ج) و(د): "فعل".

[2] ورد هذا النص بنفس اللفظ في: ابن حجر الهيثمي، المنح المكية، في شرح الهمزية، تحقيق أحمد جاسم المحمد وبوجمعة مكري، دار المنهاج، بيروت، الطبعة الثانية، 1426هـ-2005م، ص: 671.

يصدق مدّعي[1] الرسالة، بما يوافقه ويطابق دعواه، لا يمنع منه أن يصدر مثله إكراما لبعض الأولياء"[2].

وقال سيف السنة القاضي أبو بكر بن الطيب الباقلاني: "المعجزات تختص بالأنبياء، والكرامات تكون للأولياء ولا تكون للأولياء معجزة، لأن من شرط دعوى المعجزة اقتران دعوى النبوءة، ولم تكن المعجزة معجزة لعينها وإنما كانت][3]/34مكرر1/[معجزة لحصولها على أوصاف كثيرة، فمتى اختل شرط من تلك الشروط لا تكون معجزة، وأحد تلك الشروط دعوى النبوءة. والولي لا يدّعي النبوءة، فالذي يظهر عليه لا يكون معجزة، وحكاه الأستاذ أبو القاسم بن هوازن[4]، قال: وهذا الذي نعتمده ونقول به"[5]، قلت: وهو أعمّ من الذي قبله.

---

[1] في النسخة (ج): "دعوى".

[2] امام الحرمين الجويني، الإرشاد الى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، ص: 319؛ وينظر أيضا في: أبي العباس العزفي، دعامة اليقين في زعامة المتقين، ص: 25، بنفس اللفظ.

[3] سقط ما بين معقوفتين من النسخة (د).

[4] أبو القاسم عبد الكريم بن هوزان القشيري النيسابوري، ولد سنة 376هـ، من أكابر الشيوخ بخراسان في عصره، كان علامة في الفقه والتفسير، والحديث، والأصول، والأدب، وعلم التصوف، توفي سنة 465هـ، له عدة كتب منها "الرسالة القشيرية" في التصوف، و"لطائف الإشارات في التفسير". ترجمته في: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج3/205-208؛ وابن الملقن، طبقات الأولياء، ص: 257-261؛ وأحمد التادلي الصومعي، المعزى، ص:333-335؛ والزركلي، الأعلام، ج4/ 57.

[5] ورد هذا النص بنفس اللفظ في: عبد الكريم القشيري، الرسالة القشيرية، ص: 354؛ ويوسف التادلي، التشوف إلى رجال التصوف، ص: 54؛ وأبي العباس العزفي، دعامة اليقين في زعامة المتقين، ص: 24-25.

قال ابن حجر[1]: "وظهور الخوارق على يد غير الأنبياء، لا يخل بقدرهم، بل يزيد في جلالة قدرهم والرغبة في اتباعهم، حيث نالت أمتهم وأتباعهم مثل هذه الدّرجة، ببركة الاقتداء بشريعتهم والاستقامة على طريقتهم. انتهى"[2].

قلت: ولأن كل كرامة، وقعت لكل ولي فهي معجزة لنبيه عليه السلام، لأن الولي في معاملاته تابع لنبيه، فكل ما ظهر على يديه من الخوارق فهو دليل على صدق صاحب الشريعة، بل هي مؤيدة لها، دالة عليها، عائدة إليها، لأن مددهم [هو][3] السائر في الأرواح، وعلى أقدامهم الشريفة تتصرف الذّوات والأشباح؛ ولذا قال بعضهم: "وما يظهر على يد الأولياء فهو منخرط في سلك معجزات الأنبياء، شاهد بصدقهم، فأول مراتب الأنبياء، آخر مراتب الأولياء"[4] نقله في المعيار".

تنبيه: "ضابط الولي أنه المداوم على فعل الطاعات، واجتناب المعاصي، المعرض عن الانهماك في اللذات، قيل: وهذا ضابط الولي الكامل، وأما أصل الولاية فيحصل لمن وُجدت فيه صفة العدالة الباطنية بالشروط المذكورة عند الفقهاء[5]، واختلف في وزنه، فقيل: هو على وزن فعيل بمعنى فاعل، لأنه وَالَى اللهَ ورسولهُ. فلم يخرج عن أمرهما ونهيهما إلى ما يغضبهما. وقيل: على وزن مفعول لأن الله والاه بخوارق نعمه، ورسوله والاه

---

[1] أبو العباس أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، فقيه شافعي ومتكلم على طريقة أهل السنة من الأشاعرة، ولد سنة 909هـ، في محلة أبي الهيثم من إقليم الغربية في مصر، وبرع في علوم كثيرة منها التفسير والحديث والكلام والفقه والمنطق والتصوف، قدم إلى مكة سنة 933هـ، فحج وجاور بها، توفي سنة 973هـ. ترجمته في: محمد القادري، الإكليل والتاج، ص140؛ وعبد الحي الكتاني، فهرس الفهارس، ج1/337-340؛ والزركلي، الأعلام، ج1/234-235؛ وكحالة، معجم المؤلفين ج2/152.

[2] ابن حجر الهيثمي، المنح المكية، في شرح الهمزية، ص: 672، بنفس اللفظ.

[3] سقط ما بين معقوفتين من الأصل، وما أثبته هو من باقي النسخ الأخرى.

[4] أحمد الونشريسي، المعيار المعرب والجامع المغرب، ج2/390، بنفس اللفظ.

[5] ابن حجر الهيثمي، المنح المكية في شرح الهمزية، ص: 670، بنفس اللفظ.

بمزيد أمداده وكرمه. جعلنا الله تعالى، ممن أمده بإنعامه، وأمنه من سطواته وانتقامه، بجاه سيد الأنبياء والأرسال والأصحاب والأتباع والآل، أمين يا رب العالمين".

وأما السحر فقد حدّه ابن زكري[1] في محصل المقاصد بقوله:

[الرجز]

وَخَارِقٌ مُرتَبِطٌ بِسَبَبِ مُطَّرِدٍ يَخُصُّهُ فِي مَطْلَبِ

يَأْتِي بِهَا الْخَبِيثُ ذَاكَ السِّحْرُ يُمْكِنُ عِلْمُهُ وَفِيهِ اَلْكُفْرُ

[ورسمه ابن عرفة[2] بأنه أمر خارق للعادة، مطّرد الارتباط، بسبب خاص][3] به][4]. قال المنجور: "وهو مقصود المؤلف، فيخرج بقوله مطّرد الارتباط، المعجزة والكرامة". قال: وزعم القرافي أنه غير خارق للعادة، وغرابته إنما هي بجهل أسبابه بعيد".

---

[1] أحمد بن محمد بن زكري التلمساني، المفسر، الناظم الناثر البارع، أخذ عن أبي الفضل محمد بن مرزوق، وقاسم العقباني، وأحمد بن زاغوا، ومحمد بن العباس، وغيرهما. له منظومة كبرى في علم الكلام، وله فتاوى كثيرة منقولة في المعيار وغيره. توفي سنة 899هـ .. ترجمته في: أحمد الونشريسي، وفيات الونشريسي، تحقيق، محمد بن يوسف القاضي، شركة نوابغ الفكر، ص: 111؛ وابن عسكر الشفشاوني، دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، ص: 108-109؛ وابن القاضي، درة الحجال في أسماء الرجال، ج90/1؛ وأحمد الحضيكي، طبقات الحضيكي، ج27/1-28؛ وابن مخلوف، شجرة النور الزكية، ج386/1.

[2] أبو عبد الله محمد بن محمد بن عرفة الورغمي التونسي ولد سنة 716هـ، فقيه تونس وعالمها وخطيبها، تقدم في النحو والفقه والتفسير، وتولى إمامة الجامع الأعظم سنة 750هـ، من مؤلفاته: "المبسوط في الفقه المالكي" و"المختصر الشامل في أصول الدين"، توفي سنة 303هـ، ترجمته في: أحمد الونشريسي، وفيات الونشريسي، ص: 74-؛ وابن القاضي، درة الحجال في أسماء الرجال، ج280/2-283؛ وأحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، عناية وتقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة ، منشورات دار الكتاب، طرابلس، الطبعة الثانية، 2000م، ص: 463-471؛ وأحمد بابا التنبكتي، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، ج99/2-108،و محمد الكتاني، سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، ج117/2-118.

[3] سقط ما بين معقوفتين من النسخة (د).

[4] ورد هذا النص بنفس اللفظ في: أبي العباس البسيلي التونسي، نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد، وبذيله تكملة النكت لابن غازي العثماني المكناسي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1429هـ-2000م، ج314/2-315.

وحده البسيلي[1] في "نُكَتِهِ" في قوله تعالى: ﴿بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ﴾[2] حاكيا عن شيخه بقوله: "هو أمر ينشأ عنه باعتبار قصد فاعله، على أوضاع مخصوصة – أثر خارق للعادة، بذاته أو بنسبة إليه. فقوله[3] بذاته كالطيران في الهواء، والمشي على الماء، فإنه خارق للعادة بذاته. وقوله[4] أو بنسبة إليه فكالتمريض، فإن المرض بذاته أمر معهود، وإنما هو خارق بالنسبة إلى حدوثه عن أفعال فعلها الساحر"[5]. قال القسطلاني[6] في "حاشيته" على الشفا حاكيا عن سعد /34مكرر2/ الدين[7] التفتازاني في حاشيته على الكشاف: "السحر من أدلة خبيثة لأقوال وأفعال يترتب عليها أمر خارق للعادة. واختلفوا هل له حقيقة أم لا، والصحيح الذي قطع به الجمهور، وعليه عامة العلماء، أن له حقيقة ويدل له الكتاب والسنة. والحق أن تعلمه للعمل حرام، وليتوقاه ولا يغتر به مباح كما قيل:

---

[1] أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد البسيلي، الإمام الفقيه العامل الكامل الشيخ الفاضل، أخذ عن ابن عرفة، وابن خلدون، وأبي مهدي عيسى الغُبْرِيني. له تقييد في التفسير قيده عن ابن عرفة فيه فوائد مهمة ونكت وله فيه قصة مذكورة في نيل الابتهاج، وتوفي سنة 830هـ .. ترجمته في: أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج، ص: 115-116؛ وأحمد بابا التنبكتي، كفاية المحتاج، ج1/108-109؛ وابن مخلوف، شجرة النور الزكية، ج1/361؛ والزركلي، الأعلام، ج1/227؛ وكحالة، معجم المؤلفين، ج2/85.

[2] سورة طه، الآية: 57.

[3] في النسخة (د): "فقولنا".

[4] في النسخة (ج) و(د): "وقولنا".

[5] أبو العباس البسيلي، نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد، ج2/314-315.

[6] أبو العباس أحمد بن محمد شهاب الدين، القسطلاني، من علماء الحديث، له تصانيف شهيرة، منها "إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري"، "المواهب اللدنية" وغيرها، توفي سنة 923هـ .. ترجمته في: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج1/190-191؛ ومحمد القادري، الإكليل والتاج، ص: 137-138؛ ومحمد الكتاني، الرسالة المستطرفة، ص: 200؛ وعبد الحي الكتاني، فهرس الفهارس، ج2/967-970؛ والزركلي، الأعلام، ج1/232.

[7] سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني من أئمة اللغة العربية والبيان والمنطق، ولد بتفتازان سنة 712هـ، وتوفي بسمرقند سنة 793هـ، ترجمته في: ابن القاضي، درة الحجال، ج3/13-14؛ ومحمد القادري، الإكليل والتاج، ص: 379-380؛ والزركلي، الأعلام، ج7/219؛ وكحالة، معجم المؤلفين، ج12/228-229.

عرفت الشرَّ لا للشرِّ لكن لتـــــــوقّيـــــهِ[1].

وفعله من الكبائر، واعتقاد حلّه كفر".

[وقد نظم بعض الأئمة الخوارق السبعة، فقال:

[الرجز]

مُعجزةٌ كَرَامَةٌ مَعُونَةٌ إرْهَاصٌ اسْتِدْرَاجٌ مَعَ إهَانة

ثُمَّ ابتلاءٌ سَابِعُ اَلخَوَارِقْ فَافهَمْ وَقِيتَ سَيّءَ الطَّوارِقْ

وبيان ذلك، أن المعجزة ما يظهر على يد الرسول. والكرامة ما يظهر على يد الولي، والمعونة ما يظهر على يد مومن، لم يبلغ درجة الأولياء، والإرهاص[2] ما يظهر على يد الرسول قبل الرسالة، والاستدراج[3] ما يظهر على يد مبتدع، والابتلاء[4] ما يظهر على يد الدجال. انتهى. وتأمل عدّ ما ذكر.

---

[1] ينظر ديوان أبي فراس الحمداني، شرح خليل الدويهي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، 1414هـ-1994م، ص: 352، بنفس الترتيب واللفظ.

[2] الارهاص: شرعا قسم من الخوارق، وهو الخارق الذي يظهر من النبي قبل البعثة، سمي به لأن الارهاص في اللغة بناء البيت، فكأنه بناء بيت إثبات النبوة، كذا في حواشي شرح العقائد. ينظر: محمد علي التهانوي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق، علي دحروج، مكتبة لبنان، الطبعة الاولى، 1996، ج141/1.

[3] الاستدراج: هو الخارق الذي يظهر من الكفار وأهل الأهواء والفساق. والمشهور هو أنه أمر خارق للعادة يقع من مدعي الرسالة. فان كان موافقا للدعوى والإرادة يسمى معجزة، وان كان مخالفا لدعواه وقصده فهو إهانة. ينظر: محمد علي التهانوي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ج1/ 149.

[4] الابتلاء: عند أهل الشرع هو الخارق الذي يظهر من المتأله. كذا في الشمائل المحمدية في فصل معجزاته ﷺ. والابتلاء يأتي في القرآن إحدى وتلاثين مرة، ومعناه الاختيار، ليعرف المؤمن من الكافر؛ والابتلاء يكون بالمرض والجوع، وبالخير والشر، ويمحص به الله الصابرين. ينظر: عبد المنعم الحفني، الموسوعة الصوفية، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الخامسة، 2005م، ص:762؛ ومحمد علي التهانوي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ج1 /84.

وفي تأليف للفقيه السيد عبد الرحمن الدلائي منشأ الترجي، ثم التلمساني العبد الوادي أصلا ما نصه: والسحر محرم بالكتاب والسنة، وفاعله يُقتل. بل قيل: إنه كفر، قلت: قال الله تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾[1] قيل: بتعليمه.

وفي الحديث: **(مَنْ عَقَدَ عُقْدَةً ثمَّ نَفثَ فِيهَا، فقد سَحَر، ومن سَحَرَ فقد أَشْرَكَ)**[2] انتهى. وهو لا ينتج إلا على يد فاسق من نفسه خبيثة شريرة.

وقال بعضهم: "لا يتأتى إلا لمن يعتقد أنه يقدر به على تغيير الأجرام، والجزم بذلك كفر. فهذا معنى قولهم السحر كفر، أي: دليل الكفر، لا أنه كفر في نفسه".

قال الشهاب القرافي[3]: "وهذه المسألة في غاية الإشكال؛ يعني إطلاق القول بتكفير السحرة على أصولنا، قال: فإن السحرة يفعلون أشياء، ويعتقدون أن الآثار تحدث عندها ما يريدونه من الأمور بالتجربة، وهذه الأمور لا يمكن تكفيرهم بها لأنها كاعتقاد الأطباء حصول النفع عند شرب العقاقير. والذي يستقيم في هذه المسألة ما حكاه الطرطوشي[4] عن قدماء الأصحاب أنّا لا نكفره حتى يثبت أنه من السحر الذي كفر الله تعالى به، أو يكون مشتملا على الكفر كما قاله الشافعي[1]".

---

[1] سورة البقرة، الآية: 101.

[2] أحمد الطبراني، المعجم الأوسط، ح:1469، ج2/127-128.

[3] أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي (684-626هـ) فقيه أصولي من علماء المالكية بمصر، له عدة مصنفات أشهرها الذخيرة في الفقه، ترجمته في: ابن القاضي، درة الحجال في أسماء الرجال، ج1/8-9؛ وكحالة، معجم المؤلفين، ج1/158-159.

[4] أبو بكر محمد بن الوليد بن محمد بن خلف بن سليمان بن أيوب القرشي الفهري الأندلسي الطرطوشي، الفقيه المالكي الزاهد، قرأ الأدب على أبي محمد ابن حزم بمدينة اشبيلية، ورحل إلى المشرق سنة 476هـ، وحج ودخل بغداد والبصرة، وكان إماما عالما عاملا زاهداً ورعاً دينا. وله من التصانيف "سراج الملوك" وكتاب "بر الوالدين"،

وأما قول مالك: "[و][2] تعلمه وتعليمه كفر، فهو في غاية الإشكال، وقد أوله بعضهم. انتهى"][3].[4]

والفرق بين السحر والكرامة والمعجزة: إن السحر مطرد الارتباط، ويتوقف على تلك الأفعال التي يفعلها الساحر، ليتم له مراده، وليست الكرامة والمعجزة كذلك، قال الضرير:

[الرجز]

وَلَيْسَ هَكَذَا سَبِيلُ الْمُعْجِزَهْ لِأَنَّهَا بِشَرْطِهَـــا مُمَيّـــــزَهْ

وقد أشار لذلك المنجور فيما سبق، وقد اختُلف في الكرامة هل تظهر من الولي اختيارا، أو لا تأتي إلا اضطرارا، كما اختلفوا في التحدي بها.

[وقد][5] قال سيدي عبد الوهاب الشعراني في "جواهره": "قلت له - يعني شيخه سيدي عليّ الخواص، نفعنا الله بهما-: فهل يجب على الأولياء ستر كراماتهم؟ فقال: هم في ذلك /35/ بحسب مشاهدتهم وما يترتب على إظهارها وإخفائها من المنافع، لأن الخلق في حجر الأولياء، كالأطفال في يد وليّهم، يخوفهم تارة، ويفرحهم أخرى، ويبعدهم تارة،

وكتاب "الفتن" وغير ذلك، ترجمته في: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج4/262- 265؛ و ابن القاضي، درة الحجال، ج1/8-9؛ والزركلي، الأعلام، ج4/133؛ وكحالة، معجم المؤلفين، ج1/158-159.

[1] ورد هذا النص بتفصيل في: أحمد القرافي، كتاب الفروق، أنوار البروق في أنواء الفروق، دراسة وتحقيق محمد أحمد سراج وعلي جمعة محمد، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، الطبعة الأولى 1421هـ-2001م، المسألة رقمها: 3179، ج 4/1300-1302.

[2] سقط ما بين معقوفتين من النسخة الأصلية.

[3] سقط ما بين معقوفتين من النسختين (ج) و(د).

[4] ورد هذا النص بنفس العبارة في: أحمد القرافي، كتاب الفروق، المسألة رقمها: 3182، ج4/1302.

[5] سقط ما بين معقوفتين من النسخة (د).

ويقربهم أخرى، ومع هذه المنافع فلابد من إذن إلهي في إظهار الكرامات"[1]، فإن الوليّ إنما يدعو إلى الله من باطن شريعة نبيه ﷺ، الثابتة، فلا يحتاج إلى إظهار كرامة، بخلاف الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، قلت له: فهل يقدح طلب المريد الكرامة في إخلاصه؟ فقال: نعم، لأن الدنيا ليست موطن النتيجة والثواب، وإنما هي موطن العمل، وهي المحل، فكما أن الدار الآخرة ليست بدار عمل، فكذلك الدنيا ليست بدار نتائج، فمن طلب نتيجة في دار الدنيا انقطع عن الله تعالى، وربما كانت الكرامة حظه من الله تعالى، فليعمل المريد على حصول الإخلاص في العمل، وأما النتائج فهي أمامه في الدار[2] الآخرة. ثم إنه لابد لكل سالك من كشف جميع الأمور التي حُجب عنها قبل خروج روحه، فلا يخرج من الدنيا حتى يُكشف له عن جميع ما يطلبه؛ إنما هو تقديم وتأخير. والسلام.

وقال: "وسمعته يقول: إذا زلّ الولي فلم يرجع من وقته إلى الله، عوقب بالحجاب، وهو أن يحبب إليه إظهار خوارق العادات، المسماة في لسان العامة بالكرامة، فيظهر بها، ويقول: لو كنت مؤاخذا بهذه الزّلّة لقبض الحق عني الكرامة، وغاب عنه أن ذلك استدراج"[3]. نسأل الله اللطف في الدّارين. انتهى".

وأما فضل الأولياء والصالحين والزهاد [والعابدين][4] والعارفين، فاعلم أن الله سبحانه قد اصطفاهم لحضرته، وجعلهم من بين خلقه محل نظرته، وطهرهم من شوائب الأغيار، وأهلهم لتنزلات المواهب القدسيّة والشوارق والأنوار، فانقادت جوارحهم لخدمته، وتعلقت هممهم بمشاهدة جماله وطلعته، وبذلوا النفوس في مرضاته،

---

[1] عبد الوهاب الشعراني، الجواهر والدرر، ص: 68، بنفس اللفظ.

[2] في النسخة (د): الدنيا.

[3] عبد الوهاب الشعراني، الجواهر والدرر، ص: 68، بنفس اللفظ.

[4] سقط ما بين معقوفتين من الأصل والنسخة (ب)، وما أثبته هو من النسختين (ج) و(د).

واستغرقوا الأفكار في تدبّر حكمه وآياته، ﴿وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾[1].

ولقد أجاد من قال:

[الكامل]

بَذَلُوا النفُوسَ رِضَىً لَهُ فَأَثَابَهُمْ نَيْلَ اَلمُنَى وكَرائمَ الْأَوْطَارِ

وَكَسَاهُمُ حُلَلَ اَلْمَعَارِفِ وَالتُّقَى وَرَقَى بِهِمْ عِزّاً عَنِ الْأَغْيَارِ

وَسَقَاهُمُ كَأْسَ الصَّفَا وَبِفَضْلِهِ قَدْ خَصَّهُمْ بِمَوَاهِبِ اَلْأَسْرَارِ

وَأَحَلَّهُمْ دَارَ اَلمُقَامَةِ وَالْعُلَى تُجْلَى عَلَيْهِمْ عَرَائِسُ اَلْأَنْوَارِ

وفي بعض الآثار: أوحى الله تعالى، إلى آدم عليه السلام: "يا آدم، أنا الله لا إله إلا أنا فمن رجا غير فضلي، وخاف غير عدلي، لم يعرفني، يا آدم إن لي صفوة وضنائن أودعتهم صلبك، أقربهم من وصلي، وأمنحهم فضلي، وأبيح لهم كرامتي، وأسترهم برحمتي، وجعلت قلوبهم خزائن كنتي، ومستودع /36/ سري، وجعلتهم أمانا بين ظهراني عبادي، فبهم أحيي وأميت، إلى أن قال في آخر الأثر: "فطوبى لهم، ثم طوبى لهم، ثم طوبى لهم، فهم الذين إذا نظرت إليهم، هان علي غفران ذنوب المذنبين لكرامتهم عليّ". وفي بعض الأخبار: أولئك الذين إذا أردت بأهل الأرض عقوبة، أو عذابا ذكرتهم فصرفته عنهم، قد جعلهم الله أمانا لأهل الأرض ما دامت[2]، كما أن النجوم أمان لأهل السماء ما دامت، فإذا ذهب الصالحون أتى أهل الأرض ما يوعدون".

---

[1] سورة الإنسان، الآية: 13.

[2] في النسختين (ج) و(د): "ما داموا".

وعن الإمام الجليل السيد المبارك الحفيل عبد الله بن المبارك، أنه سئل من الناس؟ قال: "العلماء، قيل: من الملوك؟ قال: الزهاد، قيل: فمن السفلة؟ قال: الذي يأكل الدنيا بدينه"[1]. وعن إبراهيم بن أدهم[2]،[قال][3]: "طلب أبناء الدنيا الراحة في الدنيا فأخطأوا، ولو علموا أن الملك ما نحن عليه، لقاتلونا عليه بالسيف[4].

وعن ذي النون المصري، قال: "الزهاد ملوك الآخرة، وهم فقراء العارفين"[5]. وعن سيدي أبي مدين، قال: "الملك ملكان: ملك البلاد، وملك قلوب العباد، والملوك في الحقيقة هم الزهاد"[6].

وعن أبي القاسم، قال: "رأيت إبليس، نعوذ بالله منه، في المنام، وهو عريان، فقلت له: أما تستحي من الناس؟ فقال: هؤلاء عندك من الناس؟ قلت: نعم، قال: لو كانوا من الناس ما تلاعبت بهم تلاعب الصبيان، ولكن الناس غير هؤلاء، قلت: من هم؟ قال: ناس في مسجد الشويرية، قد أضنوا جسدي، وأحرقوا كبدي كلما هممت بهم، أشاروا إليّ فأكاد أحترق، قال الجنيد: فلما استيقظت من النوم، أتيت ذلك المسجد، فإذا أنا بثلاثة

---

[1] ورد هذا النص بنفس اللفظ: أسعد اليافعي. في روض الرياحين في حكايات الصالحين، ص: 11.

[2] أبو إسحاق إبراهيم بن أدهم بن منصور التيمي البلخي زاهد مشهور أخذ عن أبي عمران موسى وصحب سفيان الثوري، والفضيل بن عياض، تفقه ورحل إلى بغداد. توفي سنة 159هـ . ترجمته في: عبد الرحمن السلمي، طبقات الصوفية، ص: 27-28؛ وأبي نعيم الأصفهاني، حلية الأولياء، ج7/367-394؛ وعبد الكريم القشيري، الرسالة القشيرية، ص: 391-392؛ وابن الجوزي، صفة الصفوة، ج4/134-138؛ وابن الملقن، طبقات الأولياء، ص: 5-14؛و الشعراني، الطبقات الكبرى، ج1/128-129.

[3] سقط من النسختين (ج) و(د).

[4] ورد هذا النص بنفس اللفظ في: أسعد اليافعي، روض الرياحين في حكايات الصالحين، ص: 11.

[5] نفسه، ص: 11.

[6] نفسه، ص: 11.

رجال رؤوسهم في مرقعاتهم، فلما رأوني أخرج أحدهم رأسه، وقال يا أبا القاسم: لا يغرنك حديث الخبيث، رضي الله عنهم أجمعين"[1].

وقال بعض العارفين لبعض الخواص: "اعلم أن الله قد افترض على خلقه فريضتين في آية واحدة، والخلق عنها غافلون، قال: فقلت: ما هي يرحمك الله؟، قال لي: تقدم فتقدمت، وقال لي: يا بني قال الجليل جلّ جلاله: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾[2] فوصفه بالعداوة لنا، وهذا أمر منه لنا أن نتخذه عدوا، فقلت: وكيف نتحصن منه؟ فقال: اعلم رحمك الله، أن الله جل جلاله جعل لكل مومن سبعة[3] حصون، قلت: وما هذه الحصون؟ قال: الحصن الأول من ذهب، وهو معرفة الله تعالى، وحوله حصن من فضة، وهو الإيمان بالله تعالى، وحوله حصن من حديد، وهو التوكل على الله تعالى، وحوله حصن من حجارة، وهو الشكر والرضى عن الله تعالى، وحوله حصن من فخار، وهو الأمر والنهي والقيام بهما، وحوله حصن من زمرد، وهو الصدق والإخلاص في جميع الأحوال، وحوله حصن من لؤلؤ رطب، وهو أدب النفس، فالمومن إذا حل هذه الحصون وإبليس من ورائها ينبح، كما ينبح الكلب، والمومن لا يبالي لأنه قد تحصن بهذه الحصون، فينبغي للمؤمن أن لا يترك هذه الحصون، آداب النفس في أحواله ولا ما يأتيه، فإن من ترك آداب النفس، وتهاون بها يأتيه الخذلان /37/ من فوق، لتركه الأدب، ولا يزال إبليس نعوذ بالله منه، يعالجه، ويطمع فيه حتى يأخذ منه الحصن الأول، ثم لا يزال يأخذ منه حصنا بعد حصن بتركه حسن الأدب ويأتيه الخذلان من الله

---

[1] ورد هذا النص بنفس اللفظ في: أسعد اليافعي، روض الرياحين في حكايات الصالحين، ص: 11.

[2] سورة فاطر، الآية: 6.

[3] جاء في الأصل: "سبع". وقمنا بتصحيحه.

تعالى، حتى يأخذ منه جميع الحصون ويرده إلى الكفر فيخلد في النار. نعوذ بالله من ذلك، ونسأله التوفيق وحسن الأدب، قال: قلت له: أوصني بوصية، قال: اجتهد في رضا خالقك، بقدر ما تجتهد في رضى نفسك، واعمل في دنياك بقدر مقامك فيها، واعمل لربك بقدر حاجتك إليه، وأطع إبليس بقدر نصيحته لك، وارتكب [من][1]المعاصي بقدر طاقتك على النار، واحفظ لسانك عما لا ترجو فيه ثوابا، كما تحفظ نفسك من سلعة لا ترجو فيها ربحا، واترك أربعا لأربع، ثم لا تبالي متى متّ، اترك الشهوات إلى الجنة، والنوم إلى القبر، والراحة إلى الصراط، والفرح إلى الميزان، ثم قام فمشى. انتهى".[2]

وفي بعض الآثار: أوحى الله تعالى إلى داوود، عليه السلام، يا داوود، إذا رأيت لي طالبا فكن له خادما، فانظر رحمك الله إلى هذه المنزلة العظيمة، والمكانة الفخيمة، وإلى هذا التنويه الجليل الذي نوه سبحانه بقدر أوليائه، وإلى هذا الفضل الجزيل الذي خص به كرائم أصفيائه، وإلى هذا الثناء الجميل، الذي أثنى به على خواص أحبائه، وإلى هذا الصيت العظيم، الذي رفع لهم في أرضه وسمائه، تعلم بذلك قدر منزلتهم، وعلو رتبتهم، عند مولاهم سبحانه.

فقد اتضح من هذا أن أولياء الله لهم مقام عند الله عزيز، وجناب معظم حريز، لأن قلوبهم مشارق الأنوار، وصدورهم معادن الأسرار، وجوارحهم مظاهر تصرفات الأقدار، هممهم موافقة للقدر، وأفعالهم وأقوالهم كلها جارية على مراد الله سبحانه في كل ورد وصدر، تتصرف جوارحهم بسير القدرة الباهرة، من غير مخالفة للأحكام

---

[1] سقط ما بين معقوفتين من النسخة (د).

[2] أسعد اليافعي، روض الرياحين في حكايات الصالحين، (الحكاية الثالثة والخمسون بعد المائتين)، ص: 134، بنفس اللفظ.

القاهرة، ولذلك تصدر على أيديهم أمور من العطاء والمنح، والحفظ والرفع، والضرر والنفع، والتولية والعِزّ، والذُّلّ، والقرب والبعد، والقبول والطرد. ولذلك قال سيدي عبد القادر الجيلالي: "وأمري بأمر الله، إن قلت: كن يكن إلى آخره".

فينبغي للمؤمن أن يُحسن ظنه بجميع المومنين، مخافة أن يقع في بعض الخواص الصالحين، ولا يحتقر أحدا من المسلمين، لأنه لو كشف عن نور المومن العاصي لطبقت ما بين السماء والأرض. فقد أخفاهم الله سبحانه على العباد، وصرفهم في الأقطار والبلاد، فإن الإنسان قد لا يعلم ما في نفسه، فكيف يعلم ما عند غيره، إلا من كشف الله له عن العيوب، ومنحه من سره الموهوب، وأطلعه على غوامض الأسرار، وجعله من عباده المصطفين الأخيار".

فقد قال عليه السلام، في التحذير من الازدراء بجميع الأنام: ربَّ أشعث أغبر مدفوع بالأبواب، لو أقسم على الله لأبرَّه. الحديث. أخفاه المولى سبحانه غيرة منه عليه، وأفرده منه إليه. ويرحم الله القائل: /38/

[الطويل]

فَلاَ تَحْقِرَنْ خَلْقاً منَ النَّاسِ عَلَّهُ وَلِيُّ إلَهِ اَلْعَالمينَ وَمَا تَدْرِي

فَذُوا اَلْقَدْرِ عِنْدَ اللهِ يَخْفَى عَلَى اَلْوَرَى كَمَا خَفِيَتْ عَنْ عَلمِهِم لَيْلَةُ اَلْقَدْرِ[1]

قلت: وإنما شبهه بليلة القدر، لأنها من الأربعة التي أخفاها الله سبحانه، وقد جمعها بعضهم في قوله:

---

[1] وردت هذه الأبيات بنفس اللفظ في: جلال الدين السيوطي، بغية الوعاة، في طبقات اللغويين والنحاة، ج277/2..

[الطويل]

وَأُخْفِيتِ اَلْوُسْطَى كَسَاعَةِ جُمْعَةِ كَذَا أَعْظَمُ اَلْأَسْمَاءِ مَعْ لَيلَةِ القدرِ

وكم من وليّ أرخى عليه الخمول ذيلا، فصار نهاره في أعين الناس ليلا، فأصبح بستر من الله بين أوليائه، يلعب بالدهر كما يلعب الدهر بأبنائه. وأنشدوا:

[الطويل]

تَغَطَّيْتُ مِنْ دَهْرِي بِظِلِّ جَنَاحِهِ فَعيْنِي تَرَى دَهْرِي وَلَيْسَ يَرَانِي

فَلَوْ تَسْأَلِ الأَيَّامَ عَنِّي لمَا دَرَتْ وَأَيْنَ مَكَانِي مَا عَرَفْنَ مَكَانِي[1]

وقال آخر: [البسيط]

للهِ تَحْتَ قِبَابِ اَلْعِزِّ طَائِفَةٌ أَخْفَاهُمُ فِي رِدَاءِ اَلْعِزِّ إِجْلاَلاَ[2]

هُمُ السَّلاَطِينُ فِي أَطْمَارِ مَسْكَنَةٍ اسْتَعْبَدوا مِنْ مُلُوكِ اَلْأَرْضِ أَقْيَالاَ

شُعْثٌ مُرَافِقُهُمْ غُبْرٌ مَلاَبِسُهُمْ جَرُّوا عَلَى مُلُوكِ اَلْخَضْرَاءِ أَذْيَالاَ

هَذِي المَكَارِمُ لاَ قَعْبَانِ مِنْ لَبَنٍ شِيبَ بِمَاءٍ فَعَادَتْ بَعْدُ أَبْوَالاَ

هَذِي اَلمَنَاقِبُ لاَ ثَوْبَانِ مِنْ عَدَنٍ خِيطاَ قَمِيصاً فَعَادَ بَعْدُ أَسْمَالاَ[3]

---

[1] وردت هذه الأبيات بنفس اللفظ في: ديوان أبي نواس، برواية الصولي، تحقيق بهجت عبد الغفور، الحديثي، دار الكتب الوطنية، أبو ظبي، الطبعة الأولى ،1431هـ-2010م، ص: 362. وهو أبو علي الحسن بن هانئ بن عبد الأول بن الصباح المعروف بأبي نواس الحكمي الشاعر المشهور، ولد بالبصرة ونشأ بها، ثم خرج إلى الكوفة مع والبة بن الحباب، ثم صار إلى بغداد. وهو في الطبقة الأولى من المولدين، وكان قوي البديهة والارتجال، وقد اعتنى بجمع شعره جماعة من الفضلاء: منهم أبو بكر الصولي، وتوفي سنة 198هـ . . ترجمته في: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج1/171-182؛ والزركلي، الأعلام، ج225/2؛ وكحالة، معجم المؤلفين، ج300/3.

[2] ورد هذا البيت بنفس اللفظ في: الحسن اليوسي، المحاضرات، ص: 129.

[3] وردت هذه الأبيات في: الحسن اليوسي، رسائل أبي علي الحسن بن مسعود اليوسي جمع وتحقيق ودراسة، فاطمة القبلي، ج385/2، مع اختلاف في بعض الألفاظ مثل: في "رداء الفقر" عوض "في رداء العز"، "ومفارقهم "عوض ومرافقهم"..

ورب مجهول عند أهل البسيطة، معروف عند أهل السماء، مخالط لأهل الأرض بصورته، ورجله تجول في الملكوت الأسنى، والعالم الأعلى، قد طوى الأرض بسيره، والسماء بسره، لم يبال بجهل الناس له وعدم اكثراتهم به.

وأنشدوا:

[الرجز]

مَاضَرَّنِي إِنْ كُنْتُ فِيهِ خَامِلاً وَالْبَدرُ بَدْرٌ إِنْ بَدَا وَإِنْ خَفَا

وكم من ولي يرفُلُ في حلل الأنس والإدلال، ويرتضع كؤوس الجمال والجلال، هائما بمحبوبه، فانيا في شهوده، فائزا بقربه، منعما بحبه، قد أحرق الشوق كبده، وأقلقه الشوق وجذبه، لم يبال على أي شق كان في الله مصرعه، قلاه طعامه وشرابه ومضجعه، لم يسكن فؤاده أبدا، حرم النوم سرمدا، لم يطمئن لغير لقاء الحبيب، ولم يشك داءه إلى طبيب، ولله درّ من قال:

[الطويل]

أَهِيمُ بِهِ حَتَّى أَمُوتَ بِحُبِّهِ وَحَوْلِي مِنَ الشَّوْقِ الْمُبَرِّحِ خَنْدَقُ

وَفَوْقِي سَحَابٌ يُمْطِرُ الشَّوقَ والأَسَى وَتَحْتِي بِحَارٌ بِالْهَوى تَتَدَفَّـــــقُ

وَكَمْ لَيْلَةٍ قد بِتُّ أَرْعَى نُجُومَهَا كَأَنَّ فُؤَادِي بالثُّرَيا مُعَلَّـــــــقُ

وَكَمْ مَجْلِسٍ لِي قد جَلَسْتُ بِذِكْرِهِ فَمَا قُمْتُ حَتَّى كِدْتُ بالدَّمْعِ أَغْرَقُ

إِذَا حَنَّ طَرْفِي لِلْكَرَى صَاحَ صَائِحٌ أَفِقْ لاَ تَنَمْ إِنْ كُنْتَ فِي اَلْحُبِّ تَصْدُقُ[1]

[1] وردت هذه الأبيات في: عبد الخالق العروسي، المرقي، ج669/1، مع اختلاف في الترتيب بين (البيتين الثالث والرابع).

/39/ ولله در من قال: [الطويل]

لَيْسَ اَلتّصَوفُ لَبْسَ الصُّوفِ تُرقِعُهُ وَلاَ بُكَاؤكَ إِنْ غَنَّى المغَنُّـــــونَا
وَلاَ صِيَاحٌ وَلاَ رَقْصٌ وَلاَ طَرَبٌ ولا ارتعاش[1] كَأن قَدْ صِرْتَ مَجْنُونَا
بَلِ التَّصَوُّفُ أَنْ تَصْفُو بِلاَ كَدَرٍ وَتَتْبع الحقَّ وَالْقرآن وَالدّينَا
وَأَنْ تُرَى خاشِعاً للهِ مُكْتَئِباً عَلَى ذنوبِكَ طَولَ اَلدَّهْرِ مَحْزُونَا[2]

وللقوم في المحبة الإلهية كلام طويل، تركته خوف السآمة والتطويل، وعن أبي بكر الكناني، قال: "جرت مسألة بمكة، أيام الموسم في المحبة، فتكلم الشيوخ فيها، وكان الجنيد أصغرهم، فقالوا: هات ما عندك يا عراقي؟ فأطرق رأسه، وذرفت عيناه، وقال: عبد ذاهب عن نفسه، متصل بذكر ربه، قائم بأداء حقوقه، ناظر إليه بقلبه، أحرق قلبه أنوار هيبته، وصفا شربه من كأس ودّه، وانكشف له الجبار من أستار غيبه، فإن تكلم فبالله، وإن نطق فمن الله، وإن تحرك فبأمر الله، وإن سكت فمع الله، فهو بالله، ولله ومع الله، فبكى الشيوخ، وقالوا: ما مع هذا مزيد، جبرك الله يا تاج العارفين". وأنشدوا:

[الطويل]

أهِيمُ بِمَحْبُوبِي وَمَا يَعْرِفُونَهُ وَلَوْ أَنَّهُمْ ذَاقُوا اَلْغَرَامَ لَهَامُوا
هَلِ اَلْحُبُّ إِلاَّ لَوْعَةٌ مُسْتَكِنَّةٌ تَنِمُّ عَلَيْهَا زَفْرَةٌ وَغَـــــرَامُ
أَحِنُّ إِذَا فَاحَتْ مِنَ الغَوْرِ نَفْحَةٌ وَنَاحَتْ بِأَعْلَى الدَّوْحَتَيْنِ حَمَامُ

---

[1] في النسخة (د): "لا تعاش". وفي: الحسن اليوسي، رسائل أبي علي الحسن بن مسعود اليوسي، جمع وتحقيق ودراسة، فاطمة خليل القبلي، "لا تغاش"، ينظر: ج334/2.

[2] وردت هذه الأبيات في: الحسن اليوسي، رسائل أبي علي الحسن بن مسعود اليوسي، جمع وتحقيق ودراسة، فاطمة خليل القبلي ،:ج334/2،مع اختلاف في لفظ واحد مثل : "ولا صياح" عوض "ولا قيام".

وَجَنَّ الدُّجَى ثُمَّ اسْتَمَرَّ ظَلاَمُهُ وَفَضَّ عَلَيْهَا لِلنَّسِيمِ خِتَامُ
وَنَامَ أُنَاسٌ لاَ مَحَبَّة عِنْدَهُمْ وَقَامَ مُحِبُّكُمْ فَلَيْسَ يَنَامُ
قَضَى اللهُ لِلْعُشَّاقِ أَنْ يَهْجُرُوا اَلْكَرَى كَأَنَّ مَنَامَ اَلْعَاشِقِينَ حَرَامُ
أَذَابَ الهَوَى أَجْسَادَهُمْ وَقُلُوبَهُمْ وَلَمْ يَبْقَ إِلاَّ جِلْدَةٌ وَعِظَامُ
مَرَرْتُ بِنَادِيهِمْ فَنَادَيتُ رَبْعَهُمْ وَقَدْ مَيَّلَتْنِي نَشْوَةٌ وَهُيَامُ
عَلَى عَذَبَاتِ اَلأَبْرقَينَ خِيَامُهُمْ عَلَيْهِنَ مِنِّي مَا حَييتُ سَلاَمُ[1]

قلت: وقد كاد علماء هذه الأمة، وأولياؤها، وصلحاؤها، وأصفياؤها، أن يكونوا أنبياء، وليسوا بأنبياء لما ظهر على أيديهم من الكرامات العظام، والخوارق الجسام، وما لهم من الأسرار والمناقب، والعلوم اللدنية والمواهب، وكمال المعرفة بالله وحسن التفاريع والمذاهب، وكل ذلك من بركة نبيها عليه الصلاة والسلام، ومن سره المستمر على الدّوام ومن فيض جماله الذي لا يناظره جمال، ومن عز جلاله الذي لا يضاهيه جلال، لأنه أعلى الأنبياء درجة ومكانة، وأوفاهم عدالة وأمانة، وأعظمهم حرمة، وأشرفهم أمة، وأوفرهم قسمة، وأعمهم نعمة؛ ولأن جميع الأنبياء والمرسلين خلقوا من نوره، وهو سبب /40/ وجود كل شيء وظهوره، ولذا قال سيدي علي بن وفا[2]، :

---

[1] وردت هذه الأبيات بنفس اللفظ في: عبد الخالق العروسي، المرقي، ج1/69-70.

[2] أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن وفا، القرشي، من كبار المتصوفة بمصر في زمنه، وفقيه على مذهب المالكية، شاذلي الطريقة، ولد سنة 759هـ، بالقاهرة، كان فقيها عارفا بفنون من العلم بارعا في التصوف حسن الكلام، له نظم جيد في الشعر وموشحات، وتوفي سنة 807هـ، ترجمته في: عبد الرحمان السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج6/21-22؛ والشعراني، الطبقات الكبرى، ج2/42-44؛ ومحمد الداودي، طبقات المفسرين، دار الكتب العلمية، بيروت، ج1/437؛ وابن مخلوف، شجرة النور الزكية، ج1/345؛ والزركلي، الأعلام، ج5/7؛ وكحالة، معجم المؤلفين، ج7/231-232.

[الكامل]

إنْسَانُ عَيْنِ اَلكُلِّ سِرُّ وُجُودِه لَوْلاَهُ مَا تَمَّ الْوُجُودُ لمنَ وُجِدْ[1]

والجميع مستمد من ذاته، ومقتبس من بهاء صفاته، فجميع الأنبياء والمرسلين، والعلماء والأولياء والصالحين صور تفضيل ذاته عليه السلام، ومظاهر تعيناته عند جميع الأئمة الأعلام.

ولسيدي ابن وفا:

[الكامل]

عِيسَى وآدَمُ والصُّدورُ جَمِيعُهُمْ هُمْ أَعْيُنٌ هُوَ نُورُهَا لَمَّا وَرَدْ[2]

فما منهم من أحد إلا وهو سابح في أنواره، مغترف من بحور مواهبه، وأسراره، ويرحم الله الإمام البوصيري في قوله:

[البسيط]

فَاقَ النَّبِيئينَ فِي خَلْقٍ وَفِي خُلُقٍ وَلَمْ يُدَانُوهُ فِي عِلْمٍ وَلاَ كَرَمِ

وَكُلُّهُمْ مِنْ رَسُولِ اللهِ مُلْتَمِسٌ غَرْفاً مِنَ البَحْرِ أَوْ رَشْفاً مِنَ الدِّيَمِ

وَوَاقِفُونَ لَدَيْهِ عِنْدَ حَدِّهِمُ مِنْ نُقْطَةِ اَلْعِلْمِ أَوْ من شَكْلَةِ اَلْحِكَمِ[3]

---

[1] ورد هذا البيت في المهدي الفاسي، مطالع المسرات بجلاء دلائل الخيرات، طبعة 1289هـ، ص ،223، مع اختلاف في الشطر الاول من البيت، مثل: "روح الوجود حياة من هو واجد "، عوض "انسان عين الكل سر وجوده ".

[2] ورد هذا البيت بنفس اللفظ في محمد المهدي الفاسي، مطالع المسرات بجلائل دلائل الخيرات، ص: 224.

[3] ديوان البوصيري، ص: 167، بنفس اللفظ.

وقوله :

[البسيط]

وَكُلٌّ إن أتى الرُّسْلُ اَلْكِرَامُ بِهَا فَإِنّمَا اتَّصَلَتْ مِنْ نُورِهِ بِهِمِ

فَإِنَّهُ شَمْسُ فَضلٍ هُمْ كَوَاكِبُهَا يُظْهِرْنَ أَنْوَارَهَا للنَّاسِ فِي اَلظُّلَمِ[1]

وقوله:

[الخفيف]

أَنْتَ مِصْبَاحُ كلِّ فضلٍ فمَا تصدرُ إلا عن ضَوْئِكَ الأضواءُ[2].

وروي أن الملائكة قالت لجبريل: لم سجدت لآدم؟ فقال لهم: تعظيما وتشريفا لمولود من أولاده في صلبه يسمى محمداً ﷺ، ولما عمي إبليس اللعين عن ذلك النّور الملقى في صلب آدم، بعد[3] سابق المشيئة، ضل وامتنع من السجود، ولو أبصره لكان أوّل الساجدين، كما قال سيدي ابن وفا، ونفعنا ببركاته آمين.

[الكامل]

لَوْ أَبْصَرَ الشَّيْطَانُ طَلْعَةَ نُورِهِ فِي وَجْهِ آدَمَ كَانَ أَوَّلَ مَنْ سَجَدْ[4]

وقال أيضا:

---

[1] ديوان البوصيري، ص: 168؛ بنفس اللفظ، ومحمد المهدي الفاسي، مطالع المسرات بجلاء دلائل الخيرات، ص: 90، بنفس اللفظ؛ ومحمد بن يوسف الصالحي، سبل الهدى والرشاد، في مسيرة خير العباد، تحقيق مصطفى عبد الواحد، القاهرة 1418هـ-1997م، لجنة احياء التراث الاسلامي، جمهورية مصر العربية، ج111/1، بنفس اللفظ.

[2] ديوان البوصيري، ص: 9؛ ومحمد المهدي الفاسي، مطالع المسرات بجلاء دلائل الخيرات، ص: 235، بنفس اللفظ.

[3] في النسخة رقم 61 (بغير).

[4] أحمد القسطلاني، المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، ص: 84، بنفس اللفظ.

[الكامل]

أَوْ لَوْ رَأَى النَّمرُودُ نُورَ جماله عَبَدَ اَلجَلِيلَ مَعَ اَلْخَلِيلِ وَمَا عَنَدْ

لكِنْ جَمَالَ اَلْحَقِّ جَلَّ فَلاَ يُرَى إلاَّ بِتَخْصِيصٍ من اللهِ اَلصَّمَدْ[1]

ولكونه عليه السلام رسول الكلّ، وأب[2] الجميع، وكل الأنبياء، والرسل نواب عنه، كان شفيعا لسائر الخلائق في يوم المحشر، ومريحا من تلك الشدائد والهول الأكبر، وكانت أكابر الرسل والأنبياء والخواصّ والأولياء تحت لوائه يوم القيامة. كما قال ابن الخطيب[3]، :

[الكامل]

وَالْأَنْبِيَّاءُ وَكُلُّ خَلْقٍ فِي اَلْـــــــوَرَى والرُّسْلُ وَالْأَمْلاَكُ تَحْتَ لِوَاكَـــــــا[4]

ولله درّ من قال:

[الطويل]

عَلَيْكَ صَلاَةُ اللهِ يَا مَلْجَأَ اَلْوَرَى إِذَا أَقْبَلَتْ يَوْمَ اَلْحِسَابِ جَهَنَّمُ

وَرَامُوا شَفِيعاً يُستَغَاثُ بِجَاهِهِ لَهُ شَرَفُ اَلْعَلْيَا وَوَجْهٌ مُكَرَّمُ

وَقَالُوا لِأَهْلِ اَلْعَزْمِ فِي الرُّسْلِ مَنْ لَهَا فَلَيْسَ سِوَاكُمْ يَا أَهْلَ اَلْعَزْمِ يَعْزِمُ/41/

---

[1] أحمد القسطلاني، المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، ص:84، مع اختلاف في بعض الألفاظ، مثل: "جمال الله" عوض "جمال الحق"، (الشطر الاول من البيت الثاني).

[2] في الأصل: "أبو". وقد صححناه.

[3] أبو عبد الله لسان الدين محمد بن الخطيب الغرناطي، ولد 713هـ، كان شاعرا وكاتبا وفقيها مالكيا ومؤرخا، درس الأدب والطب والفلسفة، بجامعة القرويين بمدينة فاس، ونشأ في أسرة عرفت بالعلم والفضل والجاه، وتأدب في غرناطة على شيوخها، فأخذ عنهم القرآن، والفقه، والتفسير، واللغة والرواية، والطب، وتوفي سنة 776هـ، ترجمته في: لسان الدين بن الخطيب، "الإحاطة في أخبار غرناطة"، شركة طبع الكتب العربية، مصر، الطبعة الاولى، ج 1/ 5-11.

[4] محمد الأبشيهى، المستطرف في كل فن مستظرف، تحقيق محمد خير طعمه الحلبي، دار المعرفة، بيروت الطبعة الخامسة 1429هـ- 2008م، ص: 326، بنفس اللفظ.

فَعَنْهَا خَلِيلٌ وَالْكَلِيمُ تَأَخَّرُوا وَعِيسَى وَقَبْلَ اَلْقَوْمِ نُوحٌ وَآدَمُ
فحِينَ الكرامُ الرُّسْلُ عَنْهَا تَأَخَّرُوا أَتَيْتَ إِلَيْهَا بالنَّدا تَتَقَدَّمُ
أَغَثتَ جَميعَ اَلخَلْقِ إِذْ كُنْتَ رَحْمَةً بُعِثْتَ لكلِّ اَلْعَالمِينَ لِيُرْحَمُوا
فَأَنْتَ اَلَّذي فِي اَلْحَشْرِ تَحْتَ لِوَائِهِ جَمِيعُ البَرَايَا لِلأَنَامِ مُقَدَّمُ[1]

وقد قيل في قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾[2]. وهو دُعاؤه بالنبي "ويشهد لذلك ما روي عنه، في مقالته لعمر: أتدري من أنا يا عمر؟ أنا الذي قبل الله بي توبة آدم، وأنجى نوحاً في السفينة، وبي استجاب دعاء صالح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، وما من نبي [إلا][3] دعا بي، فلم تردّ له دعوة.

وقال ابن الخطيب في ذلك:

[الكامل]

وَبِكَ اَلْخَلِيلُ دَعَا فَعَادَتْ نَارُهُ بَرْداً وَقَدْ خَمَدَتْ بِنُورِ سَنَاكَا
وَدَعَاكَ أَيُّوبٌ لِضُرٍّ مَسَّهُ فَأُزِيلَ عَنْهُ اَلضُّرُّ حِينَ دَعَاكَا
وَبِكَ اَلمَسِيحُ أَتَى بَشِيراً مُنْبِئاً بِصِفَاتِ حُسْنِكَ مَادِحاً لِعُلاَكَا
وَكَذَاك مُوسَى لَمْ يَزَلْ مُتَوَسِّلاً بِكَ فِي اَلْقِيامَةِ فَاحْتَمَى بِحِمَاكَا
هُودٌ وَيُونُسُ مِنْ بَهَاكَ تَجَمَّلُوا وَجَمَالُ يوسُفَ مِنْ ضِيَاءِ سَناكَا[4]

---

[1] وردت هذه الابيات بنفس اللفظ في: أسعد اليافعي، روض الرياحين في حكايات الصالحين، (الحكاية الثامنة والثمانون)، ص: 62-63.

[2] سورة البقرة، الآية: 37.

[3] ما بين معقوفتين ساقط من النسخة (ب).

[4] ينظر: الفتح الأبشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، ص: 326-327.بنفس اللفظ، وبعد رجوعنا الى ديوان ابن الخطيب لم نعثر عليها.

وهو ﷺ، أصل المكوَّنَات، وأبو الموجودات، ومراد الله المعبود، والمعنيُّ والمقصود، ولا يعلم حقيقته إلا مولاه. ولذلك قال عليه السلام: "لا يعلم حقيقتي إلا ربي، قد قصرت عن ذلك عقول البشر، ولا تحيط به الأذهان والفكر غاية ما تتوصل إليه العقول أنه بشر لا كالبشر، وأنه كالياقوت بين الحجر، وما ظهر من فضائله إنما هو كلمح البصر"، ولله درّ الإمام البوصيري في قوله:

[البسيط]

دَعْ ما ادَّعَتْهُ النَّصَارَى فِي نبيِهِمُ وَاحْكُمْ بِمَا شِئْتَ مَدْحاً فِيهِ وَاحْتَكِمِ

فَمَبْلَغُ اَلْعِلْمِ فِيهِ أَنَّهُ بَشَرٌ وَأَنَّهُ خَيْرُ خَلْقِ اللهِ كُلِّهِمِ[1]

وقال أيضا:

[الخفيف]

إِنَّمَا مَثَّلُوا صِفَاتِكِ لِلنَّا سِ كَمَا مَثَّلَ اَلنُّجُومَ المَاءُ[2]

لأنه لو ظهر لهم في هيأته الحقيقية التي خلقه الله عليها، وبرزت كمالاته المصطفويّة، لما أطاقوا مشاهدته، وما استطاعوا مجالسته، فهو ملكيّ الباطن، بشريُّ الظاهر، فجمع الله له بين الضدين، وأكرمه بكلا الوصفين، خرقا للعادة، ليعلم ما له من كمال السيادة والمجادة، كيف وقد أثنى عليه مولانا الكريم في محكم كتابه الحكيم، بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[3].

---

[1] ديوان البوصيري، ص: 167-168؛ وابن حجر الهيثمي، المنح المكية، في شرح الهمزية، ص: 69، بنفس اللفظ.

[2] ديوان البوصيري، ص: 9؛ ومحمد المهدي الفاسي، مطالع المسرات بجلاء دلائل الخيرات، ص: 235، بنفس اللفظ.

[3] سورة القلم، الآية: 4.

ولله درّ من قال، وينسب لابن الخطيب:

[الكامل]

يَا مُصْطَفَى مِنْ قَبْلِ نَشْأَةِ آدَمٍ وَاَلْكَوْنُ لَمْ تُفْتَحْ لَهُ أَغْلاَقُ

/42/أَيَرُومُ مَخْلُوقٌ ثَنَاءَكَ بَعْدَمَا أَثْنَى عَلَى أَخْلاَقِكَ الخَلاَّقُ[1]

فانظر رحمك الله هذا القسم الحفيل من الرب الجليل، في حق سيد المرسلين، وتنزيهه في الآية [في قوله: ﴿ن وَالقَلمِ﴾ الآية][2][3] عما غمصته به الكفرة مع الملحدين، وللعارف البسكري[4]، رحمه الله في نحو هذا:

[الكامل]

إِنِّي اهْتَدَيْتُ مِنَ اَلْكِتَابِ بِآيَةٍ فَعَلِمْتُ أَنَّ عُلاَهُ لَيْسَ يُضَاهَى

وَرَأَيتُ فَضْلَ اَلْعَالِمِينَ مُحَدِّدًا وَفَضَائِلَ اَلْمُخْتَارِ لاَ تَتَنَاهَى

كَيْفَ السَّبِيلُ إِلَى تَقَصِّي مَدِيحِ مَنْ قَالَ الإِلَهُ فِيهِ وَحَسْبُكَ جَاهَا

إِنَّ اَلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا فِيمَا يَقُولُ يُبَايِعُون اَللهَ[5]

وجميع ما يذكرون له من الصفات والكمالات، والشمائل والمعجزات، إنما هو كنقطة من بحر، ولم يصلوا في ذلك بالنسبة لأوصافه الجليلة لقلامة ظفر. ولذلك قال

---

[1] ديوان لسان الدين بن الخطيب، تحقيق محمد مفتاح، دار الثقافة، الطبعة الأولى ،1409هـ-1989م، ج715/2، بنفس اللفظ.

[2] سورة القلم، الآية: 1.

[3] سقط ما بين معقوفتين من النسخة (د).

[4] أبو محمد عبد الله بن عمران بن موسى البسكري المغربي كان رجلا صالحا، مقصود الزيارة وله نظم وكلام حسن، وله مدائح نبوية، مات سنة 713هـ بالمدينة ودفن بالبقيع، ترجمته في: ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، الناشر دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، سنة النشر، 1349هـ، ج280/2.

[5] عبد الخالق العروسي، المرقي، ج38/1.

ابن حجر، في شرح "الهمزية"، قال البدر الزركشي[1]: "بعد نحو هذا؛ فلذا لم يتعاط فحول الشعراء المتقدمين كأبي تمام[2]والبحتري[3] وابن الرومي[4] مدحه عليه السلام، وكان ذلك عندهم أصعب ما يحاولونه على الدوام، لأن المعاني وإن جلت دون مرتبته، [والأوصاف وإن كملت دون منزلته][5]، وكل غلو في حقه تقصير، وكل معنى رائق في حقه حقير، فيضيق على البليغ النظم"[6]، بالنسبة إلى تلك الأوصاف الجسام.

ولابن جُزي[7] المفسر،:

---

[1] أبو عبد الله محمد بن بهاذر بن عبد الله بدر الدين الزركشي، فقيه، أصولي، محدث، أديب، تركي الأصل، مصري المولد، ولد سنة 745هـ وتوفي سنة 794هـ، له مصنفات منها: "شرح جمع الجوامع للسبكي"؛ "شرح الحديث لابن الصلاح" وغيرها، ترجمته في: محمد القادري، الإكليل والتاج، ص: 272؛ ومحمد الكتاني، الرسالة المستطرفة، ص: 190؛ والزركلي، الأعلام، ج6/60-61؛ وكحالة، معجم المؤلفين، ج9/121-122.

[2] أبو تمام حبيب بن أوس الطائي، الشاعر، الأديب، أحد أمراء البيان، ولد سنة 188هـ بسوريا، ورحل إلى مصر، واستقدمه المعتصم إلى بغداد، كان فصيحا، حلو الكلام، له تصانيف منها: "فحول الشعراء" و"ديوان الحماسة" وغيرها، توفي سنة 231هـ، ترجمته في: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج2/11-26؛ وشمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج11/63-69؛ وعبد القادر السلوي، الكوكب الثاقب، ج1/275-285؛ والزركلي، الأعلام، ج2/165؛ وكحالة، معجم المؤلفين، ج3/183-184.

[3] أبو عبادة الوليد بن عبيد الطائي البحتري الشاعر، ولد بمنبج سنة 206هـ، ونشأ وتخرج بها، ثم خرج إلى العراق، ومدح جماعة من الخلفاء أولهم المتوكل العباسي، وأقام ببغداد دهرا طويلا، ثم عاد إلى الشام، وله أشعار كثيرة ذكر فيها حلب وضواحيها، وكان يتغزل بها، وتوفي سنة 284هـ، ترجمته في: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج6/21-31؛ وشمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج13/486-487؛ والزركلي، الأعلام، ج8/121؛ وكحالة، معجم المؤلفين، ج13/170.

[4] أبو الحسن علي بن العباس بن جريج، المعروف بابن الرومي، ولد ببغداد سنة 221هـ شاعر رومي الأصل، مات مسموما سنة 283هـ، ترجمته في: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج3/358-362؛ وشمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج13/495-496؛ والزركلي، الأعلام، ج4/297؛ وكحالة، معجم المؤلفين، ج7/114-115.

[5] سقط ما بين معقوفتين من النسخة (د).

[6] ورد هذا النص بنفس اللفظ في: ابن حجر الهيثمي، المنح المكية، في شرح الهمزية، ص: 69.

[7] أبو القاسم محمد بن محمد بن عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمان بن يوسف بن جزي الكلبي الغرناطي، ولد سنة 693هـ كان فقيها جليلا أستاذا مقرئا خطيبا عالما مصنفا، ذا خلق فاضل وديانة وعفة، وتوفي سنة 741هـ، من مؤلفاته: "السهيل لعلوم التنزيل" و"المختصر البارع، في قراءة نافع"، وغيرها. ترجمته في: أحمد التنبكتي، نيل

[الطويل]

أرُومُ امتِدَاحَ اَلْمُصْطَفَى فَيَصُدُّنِي قُصُورِي عَنْ إِدْرَاكِ تِلْكَ اَلمَنَاقِبِ
وَمَنْ لِي بِحَصْرِ اَلْبَحْرِ وَاَلْبَحْرُ زَاخِرٌ وَمَنْ لِي بِإِحْصَاءِ اَلْحَصَى وَاَلكَواكِبِ
وَلَوْ أَنَّ أعْضَائِي غَدَتْ أَلْسُناً إِذًا لَمَا بَلَغَتْ فِي المَدْحِ بَعْضَ الْمَآرِبِ
وَلَوْ أَنَّ كُلَّ اَلْعَالَمِينَ تَأَلَّفُوا عَلَى مَدْحِهِ لَم يَبْلُغُوا بَعْضَ وَاجِبِ
فَأَمْسَكَتُ إِجْلاَلاً لَهُ وَمَهَابَةً وَخَوْفاً وَإِعْظَاماً لِأَرْفَعِ جَانِبِ
وَرُبَّ سُكُوتٍ كَانَ فِيهِ بَلاَغَةٌ وَرُبَّ كَلاَمٍ فِيهِ عَتْبٌ لِعَاتِبِ[1]

قال: "وقد رئي ابن الفارض[2] العارف بالله المحقق في النوم، فقيل له: لم لا مدحت النبي؟ يعني بالتصريح، وإلا فنظمه في الحقيقة إما في الحضرة الربانية، أو في المجادة المولوية السلطانية.

فأنشد: [الطويل]

أرَى كُلَّ مَدْحٍ فِي النَّبِيِّ مُقَصِّراً وَإِنْ بَالَغَ اَلْمُثْنِي عَلَيْهِ وَأَكْثَرا
إِذَا اللهُ أَثْنَى بِالَّذِي هُوَ أَهْلُهُ عَلَيْهِ فَمَا مِقْدَارُ مَا يَمْدَحُ الْوَرَى[1]

الابتهاج، ص: 228-229؛ وأحمد التنبكتي، كفاية المحتاج، ج41/2؛ ومحمد القادري، الإكليل والتاج، ص: 263-264؛ عبد الحي الكتاني، فهرس الفهارس، ج306/1؛ والزركلي، الأعلام، ج325/5؛ وكحالة، معجم المؤلفين، ج11/9.

[1] وردت هذه الأبيات في: أحمد المقري، نفح الطيب، من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1388هـ-1968م، ج515/5-516، مع اختلاف في بعض الألفاظ، مثل: "فيردني"، عوض "فيصدني"؛ و"هيبة" عوض "إجلالا" و"عجزا" عوض "وخوفا".

[2] أبو حفص شرف الدين عمر بن علي بن مرشد الحموي، أحد أشهر المتصوفين، وكانت أشعاره غالبها في العشق الإلهي حتى أنه لقب بـ"سلطان العاشقين"، ولد بمصر سنة 576 وتوفي سنة 632هـ .

ترجمته في: محمد مصطفى حلمي، ابن الفارض والحب الإلهي، دار المعارف، كورنيش النيل، القاهرة، الطبعة الثانية؛ والزركلي، الأعلام، ج55/5-56.

وقال ابن الخطيب السلماني:

[الكامل]

مَاذَا يَقولُ اَلْمَادِحُونَ وَمَا عَسَى أَنْ يَجْمَعَ اَلْكُتَّابُ مِنْ مَعْنَاكَ

وَاَللهِ لَوْ أَنَّ اَلْبِحَارَ مِدَادُهُمْ وَالْعُشْبُ أقلاماً جُعِلنَ لِذَاكَ

لَمْ تَقْدِرِ الثَّقَلانِ تَجمَعُ مَا لَهُ كَلاَّ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ إِدْرَاكَا[2] /45/

وإنما مدح من مدح لأحد أمرين: أحدهما: ابتغاء الثواب، وطلب رضا مولانا الملك الوهاب، لأن الهدية على قدر مهديها، والتعرض للنفحات ينيلها ويسديها، الثاني: امتثال أمر الله، قال تعالى: ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾[3]، ولا وسيلة أعظم وأجل من وسيلته لذي الجلال، وإلا فما عسى أن يصل إليه الإنسان، مما أعطاه سبحانه من المزايا والخصال.

ولابن الخطيب أيضا:

[الكامل]

مَدَحتْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ فَمَا عَسَى يُثْنِي عَلَى عَلْياكَ نَظْمُ مَدِيحِي

وَإِذَا كِتَابُ اَللهِ أَثْنَى مُفْصِحاً كَانَ اَلْقُصُورُ قُصَارَى كُلّ فَصِيحِ[4]

فهو سر الله الجامع، والرسول المقرب، الذي نسخ بشريعته جميع الشرائع، فلا ترى على الحقيقة معجزة لنبي، ولا كرامة لولي إلا ومنه أخذت، وبواسطة روحانيته صدرت، فهو الواسطة بين الخلق وربهم في إيصال النعم والخيرات، ودفع جميع الأسواء والشدائد والأزمات، وجلب المواهب الربانية والرحمات، ويرحم الله الإمام البكري[5] في قوله:

---

[1] وردت هذه الأبيات بنفس اللفظ في: ابن حجر الهيثمي، المنح المكية، ص: 69.

[2] وردت هذه الأبيات بنفس اللفظ في: محمد الأبشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، ص: 327.

[3] سورة المائدة، الآية: 37.

[4] وردت هذه الأبيات بنفس اللفظ في: ابن حجر الهيثمي، المنح المكية، ص: 69.

[5] أبو الحسن محمد بن محمد بن عبد الرحمان البكري الصديقي، عالم مسلم مصري، مفسر ومحدث ومتصوف وناظم، ولد بالقاهرة سنة 899هـ، ونشأ بها، من علماء الشافعية في عصره، له تصانيف، منها: "تسهيل السبيل في

[السريع]

مَا أَرْسَلَ الرَّحْمَانُ أَوْ يُرْسِلُ مِنْ رَحْمَةٍ تَصْعَدُ أَوْ تَنْزِلُ
فِي مَلَكُوتِ اللهِ أَوْ مُلْكِهِ مِنْ كُلِّ مَا يَخْتَصُّ أَوْ يَشْمَلُ
إلاَّ وَطَهَ اَلمُصْطَفَى عَبْدُهُ نَبيُّهُ مُخْتَارُهُ اَلْمُرْسَـــــــلُ
وَاسِطَةٌ فِيهَا وَأَصْلٌ لَهَا يَعْلَمُ هَذَا كُلُّ مَنْ يَعْقِلُ[1]

قلت: ولكثرة فيضان سره في العوالم كلها، وقوة ظهور نوره المشرق في العوالم بأسرها، وما له من الآيات الكبار والمعجزات التي لا يشملها انحصار، كثرت في أمته الشريفة العلماء والأولياء والصلحاء والأصفياء، وكانوا دعاة الخلق إلى الله ليوضحوا لهم السبيل، وصاروا ورثة الأنبياء على الجملة والتفصيل، رضي الله عنهم وأرضاهم، ورزقنا ببركاتهم رضي الله والرسول ورضاهم. وله مع ذلك من الهمم الشامخة ما يحصى ولا يعد، بل لا غاية له ولا أمد. كما قال من جاء فأنشد:

[الطويل]

لَهُ هِمَمٌ لاَ مُنْتَهَى لِكِبَارِهَا وَهِمَّتُهُ اَلصُّغْرَى أَجَلُّ مِنَ الدَّهْرِ[2]

وكفى في ذلك ثناء الله القديم، في قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[1] ولله در من قال:

تفسير القرآن" وغيرها، وتوفي في القاهرة سنة 952هـ ترجمته في: حاجي خليفة، كشف الظنون، ج376/1؛ ويوسف النبهاني، جامع كرامات الأولياء، ج181/1؛ والزركلي، الأعلام، ج57/7.

[1] وردت هذه الأبيات بنفس اللفظ في: محمد المهدي الفاسي، مطالع المسرات بجلاء دلائل الخيرات، ص: 222.

[2] وردت هذه الأبيات في: شعر بكر بن النطاح، صنعة: حاتم صالح الضامن، مطبعة المعارف، بغداد، 1395هـ-1975م، ص: 21. وهو بكر بن النطاح الحنفي شاعر من شعراء العصر العباسي، يكنى أبا وائل وكان من أهل اليمامة، انتقل إلى بغداد في زمن الرشيد واتصل بأبي دلف العجلي فجعل له رزقا سلطانيا، وكان شجاعا بطلا فارسا شاعرا حسن الشعر والتصرف فيه، كثير الوصف لوصفه بالشجاعة والإقدام، وتوفي سنة 192هـ، ترجمته في: شعر بكر بن النطاح، صنعة، حاتم صالح، الضامن، مطبعة المعارف- بغداد- 1395هـ-1975م؛ والخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، 1422هـ - 2001م، ج576/7-577.

[الطويل]

لِأَحْمَدَ فَضْلٌ لاَ يُعَدُّ وَلاَ يُحْصَى فَمَنْ ذَا يَعُدُّ الْقَطْرَ أَوْ يُحْصِي الرَّمل

وأما التعرض لأفضليته عليه السلام على جميع الأنبياء والمرسلين، والملائكة المقربين، وأفضلية أمته المعظمة على الأمم السابقين، فقد تعرض له غير واحد من العلماء العاملين. قال الشيخ أبو عبد الله البكي[2]: "أما أفضليته على الملائكة فبالإجماع، وأما على الأنبياء والرسل فلوجوه: الأول منها قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ /44/لِلنَّاسِ﴾[3]، دلت هذه الآية على أن هذه الأمة [خير الأمم، وخيرة الأمة][4] بخيرة نبيها، فيكون أفضل الأنبياء، وهو المطلوب. وقوله عليه السلام: **(أَنَا سَيّدُ وَلَدِ آدمَ وَلاَ فَخْرَ)**[5]. لا يقال: يخرج آدم؛ إذ لم تكن له سيادة عليه من الحديث؛ لأنا نقول: ترك آدم تأدبا، والمقصود التعميم، إذ المقصود من بني آدم هذا الجنس الإنساني. أو نقول: ثبتت سيادته على إبراهيم وموسى وعيسى، وليس هو[6] بأقوى سيادة منهم، فهو سيد الجميع وهو المطلوب"[7].

الثاني: ما وقع من النهي عن التفضيل بين الأنبياء في الأحاديث، كقوله عليه السلام: لا تفضلوني على يونس. الحديث ونحوه حديث سيدنا موسى أجيب عنه بأجوبة،

---

[1] سورة القلم، الآية: 4.

[2] أبو عبد الله محمد بن أبي الفضل قاسم البكي الكومي التونسي، تولى قضاء الجماعة بالدولة الحفصية، له شرح على عقيدة ابن الحاجب، سماه " مقدمة تحرير المطالب لما تضمنته عقيدة ابن حاجب"، توفي سنة 916هـ، ترجمته في: أبو عبد الله بن قاسم البكي الكومي، مقدمة تحرير المطالب، لما تضمنته عقيدة ابن حاجب"، تحقيق نزار حمادي، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت، ص: 13-21.

[3] سورة آل عمران، الآية: 110.

[4] سقط ما بين معقوفتين من النسخة (د).

[5] محمد الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، 1422هـ-2002م، كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين، ذكر أخبار سيد المرسلين وخاتم النبيين، ح: 4189، ج661/2.

[6] في النسخة (د): "هذا".

[7] ورد هذا النص بنفس اللفظ في: محمد قاسم البكي، مقدمة تحرير المطالب لما تضمنته عقيدة ابن الحاجب، ص: 257.

الأول: أن النهي قبل أن يعلم بأفضليته، الثاني: إن النهي في التخيير المؤدي إلى نقص في المفضول، الثالث: إن النهي عن الإقدام على ذلك بالآراء والأهواء، بل بما ورد عن الله، الرابع: إن ذلك بالنظر إلى النبوءة والرسالة، فإن شأنهما لا يختلف باختلاف الأشخاص، بل كلهم في ذلك سواء، وإن اختلفت مراتبهم؛ الخامس: إن التفضيل المنهي عنه التفضيل بالخصائص والأقيسة، لأن المزايا لا تقتضي التفضيل، بل هو محض اصطفاء من الله تعالى بحكم المشيئة السابقة، وإلا فالتفضيل واقع بنص القرآن. قال تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ﴾[1]، وهو موسى عليه السلام، ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾[2] وهو محمد ومجد وعظم. اللهم يا رب نتوسل إليك بأشرف المخلوقات لديك، وأقربهم مكانة إليك، سيدنا ومولانا محمد، كمل مقصودنا، ووفّ مرغوبنا، واختم لنا بكلمة الشهادة، واجعلنا من أهل الفوز والسعادة، واحشرنا مع الذين أنعمت عليهم من النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين، بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين، يا رب العالمين.

[1] سورة البقرة، الآية: 251.

[2] سورة البقرة، الآية: 251.

الفصل الثاني: في التعريف بهذا الشيخ الموضوع فيه الكتاب

وماله من الحظوة والمكانة بين العلماء، وأرباب القلوب وذوي الألباب، وفي بيان محبته في الله والرسول عليه السلام، وزهده في الدنيا ومستلذاتها على ممر الليالي والأيام، ورغبته فيما عند الله والدار الآخرة، وتعلق قلبه بذلك على الدوام، فأقول: وبالله أرجو التوفيق وبلوغ المنى والسول، هو العالم العلامة، الدراكة الفهامة، ذو المجد الراسخ، والشرف الشامخ، طود المواهب والعرفان، وينبوع الفضائل ونخبة الزمان، الورع الزاهد، المكاشف العابد، أعجوبة عصره، وفريد دهره، مركز المصالح، ومنبع المرابح، الولي الصالح، التقى النقي الناصح، سيدنا ومولانا أبو عبد الله سيدي محمد المدعو بالصالح، كان، عالما عارفا، سالكا مجذوبا، مهابا معظما، مقربا محبوبا، شيخا كاملا، مُوَصِّلا واصلا، سيدا رحمانيا، وإماما ربانيا، قدوة /45/ للشيوخ الكاملين، وبركة العلماء العاملين، عظيم القدر والشأن بين أرباب القلوب في كل موطن ومكان، كان ممن طابت نشأته، وعظمت عند الخاص والعام حرمته، وكملت مروءته وديانته، وحفظت عفته وصيانته في صغره وصباه وثبتت أمانته، سبقت له من الله العناية الربانية، وحُفظ من النزغات الشيطانية، لم تحفظ له في صغره هفوة، ولم تحل له في مجالس غير الجد حبوة، طابت عناصره، وعظمت مزاياه ومفاخره. ولا غرو أن من طابت أصوله ومناسبه جلت مآثره ومناقبه، لأن المناسب الكريمة مدرجة الشرف، وفيها فضيلة للسلف، وبركة عائدة على الخلق تحمل على الأفعال الجليلة، والشيم الطاهرة الجميلة التي تورث علو الهمة، وعز الجناب الكفيل بعظيم الحرمة، لأن شرف النسب مظنة

لكمال المروءة والحسب، ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾[1] ولأن شرف الآباء والأجداد وصف محمود، ومجد معهود، وكانت العرب تعد مفاخر الآباء والأجداد، ويكون ذلك عندهم من أفضل ما يؤخذ للأبناء والأحفاد، وذلك المراد بالحسب في لسانهم فكل واحد عندهم حسبه ما يعد من مفاخر آبائه ومن ليس له ما يعد فلا حسب له، فكرم النسب فضيلة ومجادة حفيلة، قال تعالى: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾[2] وقال في بنت حاتم: **(إِنَّ أَبَاهَا كَانَ يُحِبُّ مَكَارِمَ الأَخْلَاقِ)**[3]. وقد أكثر الشعراء في مدح النسب والافتخار به، وتعداد مناقبه، وبعضهم لا يلتفت إليه ولا يقيم للمفتخر به وزنا.

وقال أبو علي سيدي الحسن اليوسي،: "والحق إنه فضيلة لكن وصف الإنسان وسعيه المحمود هو الشأن، فإلغاء النسب أصلا جور، والاقتصار عليه عجزٌ"[4].

وقد قال بعض العلماء: "فالاغترار بفخر الأنساب من قبل الآباء والأجداد والاتكال عليهم في ترك طاعة رب العباد، جهل عظيم، وميل عن المنهاج القويم.

[الرجز]

سَوْفَ تَرَى إِذَا انْجَلَى الغُبَارُ أَفَرَساً[5] رَكِبْتَ أَمْ حِمَـــــارُ[6]

---

[1] سورة الأعراف، الآية: 57.

[2] سورة الكهف، الآية: 81

[3] ورد هذا الحديث في: ابن كثير، السيرة النبوية، تحقيق مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، 1976م، ص 109.

[4] ورد هذا النص بنفس اللفظ في: الحسن اليوسي، المحاضرات في الأدب واللغة، ج64/1.

[5] في الأصل: "أفرسٌ". وقد صححناه.

[6] ورد هذا البيت بنفس اللفظ في: الحسن اليوسي، رسائل الحسن اليوسي، جمع وتحقيق ودراسة، فاطمة خليل القبلي، ج 1/ 447.

فكيف والعبد يؤتى به يوم القيامة وقد انقطعت به الأسباب، ولم ينفعه الاعتماد على الأنساب، إلا إذا قدم ما يرضي رب الأرباب. قال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾[1].وقال عليه السلام: **(مِنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُه)**[2]. وقال عليه السلام: **(إِذَا كَانَ يَوْمُ اَلقِيَامَةِ أَمَرَ اللهُ تَعَالَى مُنَادِياً يُنَادِي أَلاَ إِنِّي جَعَلْتُ نَسَباً، وَجَعلْتُمْ نَسَباً، فَجَعَلْتُ أَكْرَمَكُمْ أَتْقَاكُمْ، وَأَبَيْتُمْ إِلاَّ أَنْ تَقُولوا: فُلاَن بن فلان فاليوم أَرْفَعُ نَسَبِي، وَأَضَعُ نَسَبَكَم أَيْنَ المتَّقُونَ؟)**[3].

وقال بعضهم: "وأما الفخر بالآباء، كما هو شأن بعض الجهلة الأغبياء، فمن جهل[4] الجاهلية وغيباتها".

قال: **(إِنَّ اللهَ أَذْهَبَ عَنْكُمْ حَمِيَّة[5] الجاهليةِ وَفَخْرَهَا بالآبَاءِ، النَّاسُ بَنُو آدم وآدمُ مِنْ تُرَابٍ مُومِنٌ تَقِيٌّ وفَاجِرٌ شَقِيٌّ، لينتهِينَّ أَقْوام يَفْتَخِرونَ بِرِجَالٍ وَإِنَّمَا هُمْ فَحْمٌ من فَحْم جَهَنَّمَ أَوْ ليَكُونُنَّ أَهْوَنَ عِنْدَ اللهِ من الجعلانِ/46/التي ترفع النَّتن بأنفها)**[6]. قال مولانا علي، : "ما لِابْنِ آدَمَ والفَخْرِ أَوَّلُهُ نُطْفَة، وآخره جِيفَة"، ولله درُّ من قال: وهو مولانا عليّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ. والله أعلم.

---

[1] سورة المؤمنون، الآية: 102.

[2] مسلم، صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن، وعلى الذكر، ح: 2699، ج2074/4.

[3] أحمد الطبراني، المعجم الأوسط، باب منه إسمه: عبد الله، ح: 4511، ج388/4.

[4] في النسخة (د): "شأن".

[5] في النسختين (ج) و(د): "غيبة".

[6] أبو القاسم الشافعي المعروف بابن عساكر، معجم الشيوخ، تحقيق وفاء تقي الدين، الطبعة الأولى، 1421هـ-2000م، دار البشائر، للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سورية، باب ذكر من اسمه أحمد، ح: 55، ج 59/1-60.

[البسيط]

النَّاسُ من جِهَةِ التَّمْثيلِ أَكْفَاءُ أَبُوهُمُ آدَمٌ والأُمُّ حَوَّاءُ[1]

فإن أُتِيتَ بِفَخْرٍ مِنْ ذَوِي نَسَبٍ فَإِنَّ نِسْبَتَهُ لِلطِّينِ والماءُ

ما الفَخْرُ إلاَّ لِأَهْلِ العِلْمِ إِنَّهُمُ عَلَى الهُدَى لِمَنْ اسْتَهْدَى أَدِلاَّءُ

وقِيمَةُ المَرْءِ مَا قَدْ كَانَ يُحْسِنُهُ والْجَاهِلُونَ لِأَهْلِ العِلْمِ أَعْدَاءُ

فاطْلُبْ لِنَفْسِكَ عِلْماً واكْتَسِبْ أَدَباً فالنَّاسُ مَوْتَى وأَهْلُ العِلْمِ أَحْيَاءُ

وقال غيره:

[الطويل]

لَعمْرُكَ ما يُغْنِي الفَتَى طِيبُ أَصْلِهِ وقَدْ خَالَفَ الآبَاءَ فِي القَوْلِ والفِعْلِ

فَقَدْ صَحَّ أنَّ الخَمْرَ رِجْسٌ مُحَرَّمٌ وما شَكَّ خَلْقٌ أَنَّهُ طَيِّبُ الأصْلِ

قُلْتُ: "والاِفْتِخَارُ بِذَلِكَ عَمَّتْ بِهِ البَلْوَى عِنْدَ الجَهَلَةِ والجَبَابِرَة، وعولت عليه الغوغاء المتكاثرة. وقد كفى عن ذلك زجرا أنه عليه السلام أجاب حين سئل: أي الناس أفضل؟ قال: قال تعالى ذكره: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾[2]. جعلنا الله من المتقين بجاه سيدنا محمد.

---

[1] وردت هذه الأبيات في: ديوان علي بن أبي طالب، اعتنى به عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، 1426هـ-2005م، ص: 13 مع اختلاف في بعض الألفاظ والعبارات: الشطر الأول من البيت الثالث "ما الفضل إلا لأهل العلم إنهم" عوض "ما الفخر إلا لأهل العلم إنهم" وأيضا الشطر الأول من البيت الخامس "ففز بعلم ولا تطلب به بدلا" عوض "فاطلب لنفسك علما واكتسب أدبا".

[2] سورة الحجرات، الآية: 13.

وقد سئل ولي الله طيفور بن عيسى الشهير بأبي يزيد البسطامي[1]، أفاض الله علينا من بركته عن التواضع، فقال: "ما دام العبد يعلم إن في الخلق شرا منه فهو متكبر"[2].

وأنشد:

[الطويل]

ولاَ تَمْشِ فَوْقَ الأَرْضِ إلاَّ تَوَاضُعاً فَكَمْ تَحْتَهَا مِنْ قَوْمِ هُمْ مِنْكَ أَرْفَعُ

وَإِنْ كُنْتَ فِي حِرزٍ وعِز ومَنْعَةٍ فَكَمْ مَاتَ مِنْ قَوْمِ هُمُ مِنْكَ أَمْنَعُ[3]

وفي الحديث[4]: **(منْ يَتَوَاضَعْ لله دَرَجَةً يرفَعْهُ اللهُ دَرَجَةً حَتَّى يَجْعَلَهُ فِي عِلِّيينَ، ومَنْ يَتَكَبّرُ عَلَى اللهِ دَرَجَةً يَضَعُهُ اللهُ دَرَجَةً حَتَّى يَجْعَلَهُ فِي أَسْفَلِ سَافِلِينَ)**[5]. وقال: **(من اقْتَصَدَ أَغْنَاهُ اللهُ، ومَنْ بَذَّرَ أَفْقَرَهُ اللهُ، ومَنْ تَوَاضَعَ رَفَعَهُ اللهُ، ومَنْ تَجَبَّرَ وَضَعَهُ اللهُ)**[6]، أَوْ كما قال. ويستثنى من التواضع، التواضع لغني لغناه لحديث: **(مَنْ تَوَاضَعَ**

---

[1] أبو يزيد طيفور بن عيس البسطامي، زاهد مشهور، أصله من بسطام بلدة بين خراسان والعراق، ولد سنة 188هـ، كان يقول بوحدة الوجود، مات سنة 262هـ .ترجمة في: عبد الرحمن السلمي، طبقات الصوفية، ص: 67-74؛ وأبي نعيم الأصفهاني، حلية الأولياء، ج 10/31-41؛ وعبد الكريم القشيري، الرسالة القشيرية، ص: 24-25؛ وابن الجوزي، صفة الصفوة، ج 4/98-103؛ وابن الملقن، طبقات الأولياء، ص 398-402؛ والشعراني، الطبقات الكبرى، ج1/140-142؛ ومحمد عبد الرؤوف المناوي، الكواكب الدرية، ج1/651-668؛ والزركلي، الأعلام، ج3/235.

[2] أبو يزيد البسطامي، سلطان العارفين، لعبد الحليم محمود، الطبعة الثانية، ص: 159.

[3] وردت هذه الأبيات بنفس اللفظ في: ابن حبان التميمي البستي، روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، تحقيق، محمد حامد الفقي، مكتبة السنة المحمدية ، ص: 53.

[4] في النسختين (ج) و(د): "قلت"

[5] ورد هذا الحديث بنفس اللفظ في: جلال السيوطي، الفتح الكبير في ضمن الزيادة إلى الجامع الصغير، رتبه يوسف النبهاني، دار الكتاب العربي، بيروت، ج3/246.

[6] ورد هذا الحديث في جلال الدين السيوطي، الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير المعجمة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة 6، 2012، حديث رقم: 8501، (البزار عن طلحة)، ص 517.

لِغَنِيٍّ لِغِنَاهُ فَقَدْ ذَهَبَ ثُلُثَا دِينِه)[1]، ومن التكبر التكبر على المتكبرين لما يذكر من أن التكبر على المتكبرين تواضع. ولله در من قال:

[البسيط]

لَمْ أَلْقَ مُسْتَكْبِراً إلاَّ تَحَوَّلَ لِي عِنْدَ اللِّقَاءِ مِنْ الكِبْرِ الَّذِي فِيهِ

وَمَا حَلاَ لِي مِنَ الدّنْيَا وَزُخْرُفِهَا إلاَّ مُقَابَلَتِي لِلتِّيهِ بالتِّيهِ

والصواب ما قال ابن عمرو بن الطفيل[2]:

[الطويل]

/47/فَإِنّي وَإِنْ قد كُنتُ [ابن][3] سيّد عَامِرٍ وَفِي السِرِّ مِنْهَا والصّريحِ المهذَّب

فَمَا سَوَّدتني عَامِرٌ عَنْ وِرَاثَةٍ أَبى اللهُ أَنْ أَسْمُو بِأُمٍّ وَلاَ أبٍ

ولَكِنَّنِي أحْمِي حِمَاهَا وأَتَّقِي أَذَاهَا وَأَرْمِي مِنْ رَمَاهَا بِمَنْكِبِ[4]

فقوله: "وإن قد كنت ابن سيد عامر" تعريض بالنسب ومكانته منه، وقوله: "أبى الله أن أسمو بأم ولا أب" أي "فقط دون شيء يكون مني ليوافق ما قبله، فمراده أني لا أكتفي بالنسب، وأخلو من استحصال الحمد والثناء وابتناء المجد"[5]. قال بعضهم:

---

[1] نجم الدين محمد الغزي، إتقان ما يحسن، ح : 1866، ج574/2.

[2] عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب العامري، وهو ابن عم لبيد الشاعر، وكنيته في الحرب أبو عقيل، وفي السلم أبو علي. كان من أشهر فرسان العرب بأسا ونجدة. ترجمته في: ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار المعارف، ص: 334؛ وابن كثير، البداية والنهاية، ج5/56-60؛ وعبد القادر البغدادي، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق، عبد السلام هارون، الطبعة الرابعة، 1418هـ-1997م، ج3/80-82.

[3] ساقط في الأصل.

[4] ديوان عامر بن الطفيل، دار صادر، بيروت، 1399هـ 1979م، ص: 13 مع اختلاف في بعض العبارات من ذلك: "وفارسها المندوب في كل موكب" عوض "وفي السر منها والصريح المهذب".

[5] ورد هذا النص بنفس اللفظ في: الحسن اليوسي، المحاضرات، ج 65/1.

وشرف النسب وفضيلته المذكوران لا ينفعان إذا لم يكن المنتسب جاريا عل مقتضى الشرع ونواهيه، ومقتفيا سنة النبي وشرائعه. فهذا نوح، على نبينا وعليه السلام، تبرأ من ابنه لما تبين أنه على خلاف المراد بعد أن قال: ﴿إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾[1]. قال تعالى: ﴿يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾[3]. وأشار أبو علي في داليته إلى هذه الآية بقوله[4]:

[الكامل]

ويَفِرُّ فِيهِ مِنَ الخَلِيلِ خَلِيلُهُ	وَيَوَدُّ فِيهِ المَرْءُ لَوْ لمْ يُولَدِ
وَيَوَدُّ لَوْ كَانَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِمَا	فِيهَا فَأَعْطَاهَا هُنَالِكَ فَافْتُدِي.

قلت: وهذا سيد الأولين والآخرين، ومن تلوذ به العصاة والملائكة والجن والإنس وسائر الخلق أجمعين. وقد أعطاه المولى سبحانه بفضله المقام المحمود، واللواء المحمود في اليوم المشهود، لما نزل عليه قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾[5]جعل يدعو قريشا

---

[1] سورة هود، الآية: 45.

[2] سورة هود، الآية: 47.

[3] سورة عبس، الآية: 37.

[4] الحسن اليوسي، نيل الأماني، في شرح التهاني، ص: 44.

[5] سورة الشعراء، الآية: 214.

بطنا بطنا، ويقول: **(يا صَفِيَّةُ عمّة محمدٍ، ويَا فاَطِمةُ ابنَة مُحَمَّدٍ اشْتَرِيَا أَنْفُسَكما لا أُغنِي عنكُمَا مِنَ اللهِ شَيْئاً)**[1]. إلى غير ذلك مما ورد في نحو هذا المعنى.

قال في كتاب "صفوة ما انتشر في أخبار صلحاء القرن الحادي عشر" للفقيه الأجل سيدي الصغير الإفراني المراكشي[2] داراً، لما تكلم على الإمام العالم العلامة النظار، أبو عبد الله محمد بن قاسم القصار الغرناطي[3] الأصل الفاسي النشأة والدار، قال في آخر الكلام عليه فائدة: وجد بخط صاحب الترجمة ما نصه، قول بعضهم كابن العربي

---

[1] البخاري، الجامع الصحيح، كتاب المناقب، باب من انتسب إلى آبائه في الإسلام والجاهلية ح: 3527، ج511/2؛ ومسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب في قوله تعالى: (وأنذر عشيرتك الاقربين)، ح: 206، ج 1/ 192-193.

[2] محمد الصغير بن محمد بن عبد الله الإفراني المراكشي، الفقيه، المحدث الحافظ النقادة، النحوي البياني الأديب، البليغ الفصيح الخطيب. مولده بمراكش سنة 1080هـ، وقرأ بمسقط رأسه بمراكش على جماعة من الأعيان، كالشيخ أحمد بن علي المداسي المراكشي، فقد لازمه كثيرا، وانتفع به غاية، وارتحل لطلب العلم بفاس في جامع القرويين حيث أخذ عن عدد من كبار العلماء أمثال أحمد بن عبد الحي الحلبي، ومحمد بن عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي، وهما عمدته. توفي حوالي 1156هـ. وله تقاييد مفيدة، ومحاورات ورسائل ومقطعات شعرية، منها مؤلفاته: «نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي»، و«روضة التعريف مفاخر مولانا إسماعيل الشريف»، و«صفوة من انتشر في أخبار صلحاء القرن الحادي عشر»، و«المسلك السهل في شرح توشيح ابن سهل»، و«الإفادات والإنشادات» وغيرها، ترجمته في: محمد الإفراني، صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر، ص: 13-21؛ والحسن المعداني، الروض اليانع الفاتح، مخطوط بالخزانة الوطنية بالرباط، رقم 2260ك، ص: 135-136؛ وابن مخلوف، شجرة النور الزكية، ج 483/1؛ والعباس بن إبراهيم، الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، ج50/6-58؛ ومحمد الأخضر، الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية، ص: 229-236؛ وأحمد بوكاري، الزاوية الشرقاوية، ج 202/1-205؛ وعبد الله كنون، النبوغ المغربي في الأدب العربي، ج 288/1.

[3] أبو عبد الله محمد بن قاسم بن محمد بن علي القيسي، الغرناطي الأصل، الفاسي المولد والدار، ولد سنة 938هـ. مفتي فاس وخطيب جامع القرويين بها، ومحدث المغرب في وقته. كان أحد العلماء الأعلام. وإماما متبحرا في العلوم الشرعية وما والاها، منفردا بالتحقيق عن أهل عصره، وتميز بالحديث، والفقه، والبيان، والمنطق، والتفسير. وتوفي سنة 1012هـ. ترجمته في: أبي حامد محمد الفاسي، مرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبي المحاسن، ص: 274-275؛ وعبد الله بن محمد الفاسي، الإعلام بمن غبر من أهل القرن الحادي عشر، تحقيق فاطمة نافع، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، 1429هـ-2008م، ص: 38-52؛ ومحمد الإفراني، صفوة من انتشر، ص: 61-68؛ ومحمد القادري، نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، ج 88/1-89؛ ومحمد الكتاني، سلوة الأنفاس، ج 71/2؛ وابن مخلوف، شجرة النور الزكية، ج 427/1.

الحاتمي[1] فيما نقل عنه الشيخ زروق[2] في النصيحة" نعتقد أن الله لا يعاقب أهل البيت إن أراد تغليب الرجاء في حق من علم الله أنه منهم على الخوف فحق، وإن أراد الاعتقاد والجزم المطابق بأنهم لا يعاقبون فقد ابتدع وخالف أهل السنة. فإن قيل: وردت به ظواهر، قيل: ورد أكثر وأوضح في حق فاعلي طاعات كثيرة". قال المبتدعة والمرجئة[3]: "لا يعاقب مومن، وأبى أهل السنة ذلك وأعدى عدو لأهل السنة من يوهمهم ذلك، بل يذكر لهم نحو يضاعف لها العذاب، وإن كثيرا من تلك الظواهر لا تشهد، كما قال كثير منهم فإن من اعتقد ذلك منهم أو من غيرهم مبتدع مخالف مذهب أهل السنة، أنهم في المشيئة انتهى بنصه، انتهى من الكتاب/48/ المذكور من خط مؤلفه.

---

[1] أبو بكر محمد بن عبد الله العربي المعافري الإشبيلي المالكي، قاض من حفاظ الحديث ولد سنة 468هـ بإشبيلية ورحل إلى المشرق وبرع في الأدب. وبلغ رتبة الاجتهاد في علوم الدين. وصنف كتبا عديدة في عدة فنون منها "العواصم والقواصم" جزآن؛ و"عارضة الأحوذي في شرح الترمذي"؛ و"أحكام القرآن" مجلدان؛ و"القبس في شرح موطأ ابن أنس"؛ و"الناسخ والمنسوخ"؛ و"المسالك على موطأ مالك" وغيرها، توفي سنة 543هـ. ترجمته في: ابن خلكان، وفيات الأعيان ج 4/296-297؛ وأحمد التادلي الصومعي، المعزى في مناقب الشيخ أبي يعزى، ص: 323-324؛ وابن مخلوف، شجرة النور الزكية، ج 1/199-204؛ والعباس بن إبراهيم، الإعلام، ج4/94-105؛ والزركلي، الأعلام، ج 6/230؛ وكحالة، معجم المؤلفين، ج 10/242-243.

[2] أبو العباس أحمد بن أحمد بن محمد البرنسي الفاسي الشهير بزروق، فقيه محدث صوفي، صاحب الطريقة الصوفية المعروفة بالزروقية. ولد عام 846هـ. فحفظ القرآن، ثم رحل إلى المشرق وأخذ به عن جماعة من العلماء الأكابر، واشتهر بميله إلى التصوف وغلب عليه فتجرد وساح وأخذ عنه أكابر عصره كالقسطلاني، وناصر الدين اللقاني، والقطب الشعراني، والعارف ابن الحسن البكري وغيرهم، ومن مؤلفاته "قواعد التصوف"، و"شرح الحكم العطائية"، والنصيحة الكافية". توفي عام 899هـ، ترجم له كثيرون منهم: ابن عسكر الشفشاوني، دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، ص: 48-51؛ وأحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج، ص 130-134؛ وأحمد التادلي الصومعي، المعزى في مناقب الشيخ أبي يعزى، ص: 280-283؛ وعبد الله كنون، النبوغ المغربي، ص: 207- 208؛ وعبد القادر التليدي، المطرب بمشاهير أولياء المغرب، ص: 147-153.

[3] المرجئة: قوم يقولون لا يضر مع الإيمان معصية، كما لا ينفع مع الكفر طاعة، ينظر: الجرجاني، التعريفات ص: 89.

وقد ورد أنه عليه السلام، لما نزل عليه قوله: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ﴾[1]الآية صعد على الصفا ثم نادى يا صباحاه فاجتمعت قريش، وأخذ ينذرهم إلى أن قال:**(يَا بَنِي عَبْدَ المُطَّلِبِ، يا صَفيَّةُ، يا فَاطِمَةُ سَلُونِي مِنْ مَالِي مَا شِئتُمْ، واعْلَمُوا أَنَّ أَوْلِيَائِي يَوْمَ القِيَّامَةِ المُتَّقُون)**[2]. قال بعض العلماء: "ومع هذا الأمرية في ما لساداتنا الشرفاء على غيرهم من الاحترام التام، والتوقير المستدام".

قال تعالى: ﴿قُل لاَّ أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ المَوَدَّةَ فِي القُرْبَى﴾[3]يعني: إلا مودة قرابتي. قاله ابن عباس. وقال عليه السلام: **(مَنْ يُرِيدُ هَوَانَ قُرَيْشَ أَهَانَهُ الله)**[4]. وقال: **(لاَ تُؤْذِيني في عَائِشَة)**[5]. وقال عليه السلام: **(مَنْ آذَانِي في عِتْرَتِي لَمْ تَنَلْهُ شَفَاعَتِي)**[6]. وقال تعالى: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحاً﴾[7]فما ظنك بمن كان جده رسول الله . وقال عليه السلام:**(قَدِّمُوا قُرَيْشاً وَلاَ تَقَدَّمُوهَا، وتَعَلَّمُوا مِنْ قُرَيْشٍ وَلاَ تُعَلِّمُوهَا، وَلَوْلاَ أَنْ تَبْطِرَ قُرَيشٌ لأَخْبَرْتُهَا ما لِخِيَارِهَا عِنْدَ الله)**[8]. وقال عليه السلام: قُرَيشٌ صَلاَحُ النَّاسِ، وَلاَ

---

[1] سورة الشعراء، الآية: 214.

[2] مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب في قوله تعالى: وأنذر عشيرتك الأقربين، ح: 205، ج 205/1.

[3] سورة الشورى، الآية: 21.

[4] أحمد الطبراني، المعجم الأوسط، باب من اسمه: بكر، ح: 3200، ج 295/3.

[5] البخاري الجامع الصحيح، كتاب الهبة، باب من أهدى إلى صاحبه، وتحرى بعض نسائه دون بعض، ح: 2581، ج 231/2-232.

[6] أبو الحسن الكناني، تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، وعبد الله محمد الصديق، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، 1401هـ-1981م، كتاب المناقب والمثالب، الفصل الأول.

[7] سورة الكهف، ص: 82.

[8] ابن الجوزي، كتاب الموضوعات من الأحاديث المرفوعات، تحقيق نورالدين بن علي بويا جيلار، أضواء السلف، الرياض، الطبعة الأولى 1418هـ-1997م، كتاب الفضائل والمثالب، باب في فضل الحسين، حديث 763، ج208/2.

يَصْلُحُ النَّاسُ إلاَّ بِهِمْ، وقال: الأئمة من قريش إلى غير ذلك من الفضل الظاهر الجليل، الذي لا يحتاج إلى برهان ودليل.

[الوافر]

إذْ لاَ يَصِحُّ فِي الأَذْهَانِ شيءٌ إذَا احتَاجَ النَّهَارُ إلى دَلِيلِ"[1]

وكذا لا يُنفى ما لهم من الدرجة العلية، والمزية الرفيعة السنية، والحقوق العظيمة الأحمدية، المؤكدة على هذه الأمة المحمدية، كما أن لها الشرف والمزية الفائقة الرفيعة على سائر الأمم السابقة.

قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[2]. وقال جل ذكره: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾[3]. وأيضا الأمة تشرف على غيرها من الأمم بشرف نبيها على سائر الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين. وكذا لا ينفى ما لهم من الشفاعة والكرامة، وأنهم أولى الناس بها يوم القيامة، وأن نسبهم الكريم ينتفعون به أي انتفاع، بحيث ينتظمون في سلكه الكريم من غير انقطاع، إلى أن يلحقوا على التمام بجدهم عليه الصلاة والسلام.

---

[1] ينظر شرح ديوان المتنبي، لعبد الرحمن البرقوقي، ص: 920 مع اختلاف في بعض الألفاظ، من ذلك: "ليس" عوض "إذ"؛ و "الأفهام" عوض في "الأذهان". والمتنبي، هو أبو الطيب أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكندي الكوفي ولد بالكوفة سنة 303هـ، وقدم الشام في صباه وجال في أقطاره، واشتغل بفنون الأدب ومهر فيها، وكان من المكثرين من نقل اللغة والمطلعين على غريبها وحوشيها، ولا يسأل عن شيء إلا واستشهد فيه بكلام العرب من النظم والنثر. ترجمته في: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج 1/ 120-125؛ وشمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج16/199-201؛ والزركلي، الأعلام، ج1/115؛ وكحالة، معجم المؤلفين، ج1/201-202.

[2] سورة آل عمران، الآية: 110.

[3] سورة البقرة، الآية: 143.

وقد ورد أن من أبغضهم أدخله الله النار، وأن من صنع في أحدهم برا كافاه الله يوم القيامة.

قلت: وإنما يظهر شرف النَّسب وفضله، وفروعه وأصله فيمن كان تقيا طاهرا نقيا جاريا عل نهج السنة المحمدية، مقتفيا الآثار المصطفوية. وهو الذي اعتبر ﷺ، لَمَّا سُئِلَ: مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ؟ فَأَجَابَ بِقَوْلِهِ: **(الكَرِيمُ ابْنُ الكَرِيمِ ابْنُ الكريمِ بن الكريم، يُوسُفُ بنُ يَعْقُوبَ بْن إِسْحَاقَ بْن إِبْرَاهِيمَ، نَبِيٌّ ابْنُ نَبِيٍّ)**[1]. وهو موافق لقوله تعالى: ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ**﴾[2]، فمن كان تقيا يحصل له المجد الراسخ، والشرف الباذخ، بنيته إلى آبائه الأتقياء، السادات الأولياء، ويحصل له أيضا شرف التقوى المنجية من كل تهلكة وبلوى، وشرف الخصائل الحميدة، والمزايا الضخيمة العديدة، كالعلم والحلم والصبر والنجابة والفهم والجود والتقوى والصلاح والتبري من الدعوى، والخوف من الله تعالى في جميع /49/ الأحوال، ومراقبته سبحانه في الأقوال والأفعال. ويرحم الله القائل حيث يقول:

[الطويل]

لَعَمرك مَا الإِنْسَانُ إلاَّ ابن دِينِهِ ... فَلاَ تترك التَّقْوَى اتكالاً عَلَى النَّسَبْ

فَقَد رَفَعَ الإِسْلاَمُ سَلْمَانَ فَارِسٍ ... وَقَدْ وَضَعَ الكُفْرُ الشَّرِيفَ أَبَا لَهَبْ.

---

[1] البخاري، الجامع الصحيح، كتاب أحاديث الأنبياء، باب أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت، إلى قوله ونحن له مسلمون، ح: 3374، ج 468/2؛ وعبد الله الحاكم، المستدرك على الصحيحين، كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين، ذكر يوسف بن يعقوب، صلوات الله عليهما، ح: 4083، ج 2/ 623.

[2] سورة الحجرات، الآية: 13.

فإذا علمت اعتبار شرف النسب وفضيلته علمت فضل هذا الشيخ الكبير، والعلم الشهير لجمعه لشرف النسبة وكمال العناية وطيب العنصر والتربة. كما سيأتي بيان ذلك إن شاء الله في الكلام على ذلك في خاتمة الكتاب وللصبر والعلم والجود والحلم والفلاح وكمال التَّقوى[1] والنجاح وغيبته في الله عن الأكوان، وما أعطي من المشاهدة والعيان، فقد أعطاه الله شرف النسبة والمناقب الباهرة، والمزايا الفاخرة، والمكانة العالية، والمنزلة السامية، فله المجد الأتم، والفخر الأعم، فلا ينكره إلا معاند، ومن له اعتقاد في الصالحين سيء وفاسد، بما ليس له فيه دليل، بل بمجرد هواه انحرف عن السبيل. قال الله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ﴾[2] لكن الجاهل ينكر ما ليس له به علم ولا خبرة ولا فهم، لأن من جهل شيئا عاداه، ولم يدر إن المواهب كلها من الله. قال تعالى: ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾[3]. ولله درُّ القائل في قوله:

[البسيط]

قَد تُنْكِرُ العَيْنُ ضَوْءَ الشَّمْسِ مِنْ رَمَدٍ وَيُنْكِرُ الفَمُ طَعْمَ الماءِ مِنْ سَقَمِ[4]

وقال أبو علي في داليته:

[الكامل]

والماءُ يُنْكِرُهُ السَّقِيمُ وَقَدْ حَلاَ وَيمُرُّ فِيهِ الطَّعَامُ وَقَدْ وقَد[1]

---

[1] في النسختين (ج) و(د): "التنوير"

[2] سورة القصص، الآية: 50.

[3] سورة الأحقاق، الآية: 10.

[4] ديوان البوصيري، ص: 170، بنفس اللفظ.

وقال الآخر:

[الطويل]

وَقَدْ يَزْدَرِي بِالشَّمْسِ وهْي مُضِيئَةٌ عَلَى حُسْنِهَا أَعْمَى البَصِيرَةِ والبَصَـــرْ

وقال الآخر:

[البسيط]

مَا ضَرَّ شَمْسَ الضُّحَى في الأُفْقِ طَالِعَةً أَنْ لاَ يَرَى ضَوْءَهَا مَنْ لَيْسَ ذَا بَصَرِ[2]

لم يعلم المسكين أن الصواب له في ذلك هو التسليم، وأن يأخذ في الأسباب الموصلة لرضا الرب الكريم.

قال الشيخ العارف أبو الفوارس شاه بن شجاع الكرماني[3]؛ "ما تَعَبَّدَ مُتَعَبّدٌ بأكثر من التَحَبُّبِ إلى أَوْلِيَاءِ اللهِ تَعَالى، لِأَنَّ محبَّة أولياء اللهِ دليل على محبَّةِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ"[4].

---

[1] الحسن اليوسي، نيل الأماني، في شرح التهاني، ص: 88.

[2] ورد هذا البيت في: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج290/5، مع اختلاف في بعض الألفاظ مثل: "والشمس" عوض، "في الأفق"؛ وإسحاق الشيرازي، طبقات الفقهاء، ص: 108 مع اختلاف في بعض الألفاظ، "والشمس" عوض" في الأفق".

[3] أبو الفوارس شاه بن شجاع الكرماني الخرساني، أديب وحافظ للقرآن، صحب أبا تراب النخشبي، وأبا عبد الله بن الدراع البصري، وأبا عبيد البسري. وله ديوان شعر، كما أنه عاصر حافظ الشيرازي ومدحه في شعره. ترجمته في: عبد الرحمن السلمي، طبقات الصوفية، ص: 192-194؛ وأبي نعيم الأصفهاني، حلية الأولياء، ج 237/10-238؛ وعبد الكريم القشيري، الرسالة القشيرية، ص: 41-42؛ وابن الجوزي، صفة الصفوة، ج 62/4؛ والشعراني، الطبقات الكبرى، ج 164/1.

[4] ورد هذا النص بنفس اللفظ في: أبي نعيم الأصفهاني، حلية الأولياء، ج 237/10؛ وعبد الرحمن السلمي، طبقات الصوفية ص: 193؛ والشعراني، الطبقات الكبرى، ج164/1.

وقال الشيخ العارف أبو تراب النَّخشي،: "إذا أَلِفَ القَلْبُ الإعْرَاضَ عَنِ اللهِ صَحِبَتْهُ الوقيعة في أولياء اللهِ"[1]. وقال الشيوخ: "أقلُّ عقوبة المنكر على الصالحين أن يحرم بركتهم، قالوا: ويخشى عليه سوء الخاتمة، نعوذ بالله من سوء القضاء".

قال في "صفوة ما انتشر في صلحاء أهل القرن الحادي عشر" الإمام سيدي الصغير الإفراني: "وحدَّثنا شيخنا الفقيه الصوفي أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن، قال: حدثنا أبو سالم العياشي، عن أبي العباس الأبار، عن ابن القاضي، عن أبي زكرياء، عن والده محمد بن عبد الرحمن الحطاب[2]، شارح خليل، عن الشيخ العارف بالله أبي العباس /50/ سيدي أحمد زروق، قال: حدثنا الشيخ أبو العباس أحمد بن عُقْبَةَ الحَضْرَمي[3]، أنه أو بعض الصالحين رأى النبي ﷺ في المنام، فقال: يا رسول الله، ما أدركناك حتى نسألك عن أفضل الأعمال؟، فقال عليه السلام: أفضل الأعمال وقوفك

---

[1] ورد هذا النص بنفس اللفظ في: ابن الجوزي، صفة الصفوة، ج 150/4؛ وابن الملقن، طبقات الأولياء، ص: 356.

[2] أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمان بن حسين المعروف بالحطاب الرعيني شمس الدين أصله من المغرب، ولد سنة 902هـ. كان عالما عاملا، محققا حافظا، حجة ثقة، ورعا صالحا متعبدا، عارفا بالتفسير ووجوهه، محققا في الفقه وأصوله، حافظا للحديث وعلومه، عالما بالنحو واللغة، آخر أئمة المالكية. له تآليف بارعة تدل على إمامته وسعة علمه وحفظه وسيلان ذهنه، منها "شرحه على مختصر خليل" سماه بـ"مواهب الجليل في شرح مختصر خليل"؛ و"شرح قرة العين"؛ و"هداية السالك المحتاج" وغيرها، وتوفي سنة 954هـ. ترجمته في: أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج، ص: 592-594، وأحمد بابا التنبكتي، كفاية المحتاج، ج2/ 227-228؛ وأحمد الحضيكي، طبقات الحضيكي ج279/1-281؛وابن مخلوف، شجرة النور الزكية، ج 389/1-390؛والزركلي،الأعلام، ج58/7؛وكحالة، معجم المؤلفين، ج 230/11-231.

[3] أبو العباس أحمد بن عبد القادر بن عقبة اليمني الحضرمي، ولد في سنة 824هـ، أحد أقطاب الصوفية المشهورين، وهو أستاذ الشيخ أحمد زروق البرنسي الفاسي. كان آية في المعارف والحقائق، وتآليفه في ذلك كثيرة، منها "صدور المراتب ونيل الراغب"؛ و"بداية القول ونهاية القول". توفي سنة 895هـ ودفن بالقاهرة. ترجمته في: أحمد التادلي الصومعي، المعزى في مناقب الشيخ أبي يعزى، ص: 283؛ وأبي حامد الفاسي، مرآة المحاسن، ص: 292-293؛ ومحمد الغماري، البرهان الجلي في تحقيق انتساب الصوفية إلى علي، تحقيق، الطبعة الأولى، 1389هـ 1969م من ص: 18-21.

بين يدي ولي من أولياء الله، قدر حلب شاة أو ساعة، قلت: يا رسول الله حيا كان أو ميتا؟ قال: حيا كان أو ميتا[1]". انتهى بلفظه، وقد أجاد من قال:

[مجزوء الكامل]

صَدِّقْ بِأَحْوَالِ الرّجَـــــا لِ وما تلَقَّوْا مِنْ فَوَائِدْ
وإذَا هَويْـــــتَ شُهُودَهُمْ فاسْلُكْ سَبِيلَهُمُ وَجَاهِدْ
فوَرَاءَ ذَلِـــــــكَ لَذّةٌ يعْبَأُ بِهَا مَنْ لَمْ يُشَاهِدْ
صَحَّتْ كَرَامـــــــاتُ الرّجا لِ بِنقْلِ أَرْبَابِ المسَانِدْ
مَا نَائِمٌ مِلْءَ الجُفُو نِ كَقَائِمٍ للهِ سَاجِدْ
هَلْ يَسْتوي هَذَا وَذَا مَا نَاقِصُ حَالٍ كَزَائِدْ[2]

واعلم أن صدور ذلك إنما هو عن الكبر والحسد اللذين هما من الكبائر عند أرباب القلوب والبصائر. وقد أحسن من قال:

[الكامل]

حَسَدُوا الفَتَى إذْ لمْ يَنَالُوا سَعْيَهُ فَالقَوْمُ أَعْدَاءٌ لَهُ وَخُصُومُ
كَضَرَائِرِ الحَسْنَاءِ قلْنَ لِوجْهِهَا حَسَداً وبُغْضاً إنّهُ لَذمِيمُ[3]

---

[1] ورد هذا النص بنفس اللفظ في: محمد الإفراني، صفوة من انتشر ص: 39-40؛ وعبد الخالق العروسي، المرقي، ج 409/2.

[2] الأبيات مذكورة بنفس اللفظ في: يوسف التادلي، التشوف إلى رجال التصوف، ص :114-115؛ وأبي حامد محمد العربي الشرقي، الفتح الوهبي، ص: 559.

[3] ينظر: أبو سعيد الحسن السكري، ديوان أبي الأسود الدؤلي، تحقيق محمد حسن آل ياسين، منشورات دار ومكتبة الهلال، الطبعة الثانية، 1418هـ-1998، ص: 69، بنفس اللفظ.

وقال الآخر:

[البسيط]

إِنْ يَحْسُدُونِي فإِنّي غَيْرُ لائِمِهِمْ قبْلي مِنَ النَّاسِ أَهْلِ الفَضْلِ قَدْ حُسِدُوا
فَدَامَ لِي وَلَهُمْ مَا بِي وَمَا بِهِمُ ومَاتَ أَكْثرُنَا غَيْظاً بما يَجِدُ
أَنَا الَّذِي يَجِدُونِي فِي صُدورِهِمُ لاَ أَرْتَقِي صَدَراً مِنْها وَلاَ أَرِدُ[1]

وقال الآخر:

[المتقارب]

ألاَ قُلْ لِمَنْ بَاتَ لي حَاسِداً أَتدْرِي عَلَى مَنْ أَسَأْتَ الأدَبْ
أَسَأْتَ عَلَى اللهِ فِي مُلْكِهِ لِأَنَّكَ لَمْ ترْضَ لِي مَا وَهَبْ
فَجَازَاكَ عَنّي بأنْ زَادَنِي وَسَدَّ عَلَيْكَ وُجُوهَ الطَّلَبْ[2]

ولسيدي إبراهيم بن محمد بن إبراهيم التَّنُوخي[3] الأندلسي، علامة الأولياء المجمع على زهده وفضله، وعلو رتبته، أبيات في ذلك من قصيدة له يذكر فيها حاله، وحال حسدته الطاعنين عليه، وهي هذه.

---

[1] وردت هذه الأبيات في: ديوان الكميت بن زيد الأسدي، تحقيق محمد نبيل طريفي، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، 2000، ص: 403 مع اختلاف في بعض الألفاظ والعبارات، من ذلك: "فإني لا ألومهم" عوض "فإني غير لائمهم".

"فدام بي وبهم ما لي وما لهم" عوض "فدام لي ولهم ما بي وما بهم"

"في خلوقهم" عوض "في صدورهم"؛ وينظر أيضا ديوان بشار بن برد، ج95/1، بنفس اللفظ؛ والحسن اليوسي، المحاضرات، ج 219/1، بنفس اللفظ.

[2] وردت هذه الأبيات بنفس اللفظ في: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج 222/5.

[3] أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم التنوخي الأندلسي علامة الأولياء بالأندلس في وقته. ولي الخطابة بجامع قرطبة. وجمع بين القراءة والتدريس، فكان مقرئا للقرآن مبرزا في تجويده، مدرسا للعربية والفقه، آخذا في

[البسيط]

سَلاَمَةُ الصَدْرِ مِنْ خَيْرِ الخِلاَلِ فمن ... أَتَى بقَلْبٍ سَلِيمٍ رَبَّهُ سَعِدَا

وَالحِقْدُ طَبْعٌ ذَمِيمٌ عَدّ عَنْهُ وَعُذْ ... باللهِ رَبِّ العُلاَ مِنْ شَرِّ مَنْ حَقدَا

وَجَنّب[1] الحَسَدَ المَذْمُومَ صَاحِبُهُ ... مَارِيءَ قَطُّ الحَسُودُ سَادَ أَوْ مَجُدَا

نَعُوذُ باللهِ مِنْ شَرِّ الحَسُودِ فَما ... يُمْسِي وَيُصْبِحُ إلاَّ سَاخِطا أَبَدا

عَادَى مَوَاهِبَ ذِي الفَضْلِ العَظِيمِ فعا ... دَاهُ السّرُورُ [فَمَا هُمْ مَنْ][2] يَرَى أَبَدَا[3]

ولغيره:

[الكامل]

إنّي لأَرْحَمُ حَاسِدِيَّ لِفَرْطِ مَا ... ضَمَّتْ صُدُورُهُمْ من الأَوْغَـــــارِ /51/

نَظَرُوا صَنِيعَ اللهِ لِي فَعُيونُهُمْ ... في جَنَّةٍ وَقُلُوبُهُمْ فِي نَـــــــــارِ[4]

الأدب، متكلما في التفسير، ثبتا محققا لما ينقله، بلغ من ذلك مبلغا عظيما، وتوفي عام 727هـ. ترجمته في: لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تعليق، بوزياني الدراجي، دار الأمل للدراسات والنشر والتوزيع، الجزائر، القسم الأول، ص: 743-749؛ وأحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج، ص: 39-40؛ وأحمد بابا التنبكتي، كفاية المحتاج، ج 145/1.

[1] جنب الحسد: أي أبعد عنه، أو أبعده عنك.

[2] لعلها فَمَهْمُومًا.

[3] وردت هذه الأبيات بنفس اللفظ في: أبي جعفر البلوي، ثبت، ص: 353-354.

[4] وردت هذه الأبيات في: ديوان أبي الحسن على التهامي، تحقيق محمد بن عبد الرحمن الربيع، مكتبة المعارف الرياض، الطبعة الأولى، 1402هـ-1982م، ص: 316 مع اختلاف في لفظ واحد فقط، مثل: "لحر ما" عوض "لفرط ما". وهو أبو الحسن علي بن محمد التهامي شاعر من أهل تمامة، زار الشام والعراق، ثم رحل إلى مصر، متخفيا. ومعه كتب من حسان بن مفرج الطائي إلى بني قرة فعلمت به حكومة مصر، فاعتقل وحبس في دار البؤر بالقاهرة ثم قتل سرا في سجنه سنة 416هـ. ترجمته في: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج3/378-381؛ والزركلي، الأعلام،ج327/4؛ وكحالة، معجم المؤلفين، ج 278/3.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾[1].

وقد ورد أن بعض الناس كتب على منبر الحجاج بن يوسف[2]، ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾[3]، فرأى ذلك الحجاج يوما، فكتب أسفلها: ﴿قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ﴾[4]. ويذكر أن ذلك من الأجوبة المسكتة، وأما الكبر فقد كفى فيه ترهيبا، إن العظمة والكبرياء من أوصاف الملك الجبار، ومالك الملوك والجبابرة، العظيم القهار، فمن نازعه في واحد منهما قصمه في النار، حسبما ورد في حديث النبي المختار. وقال عليه الصلاة والسلام: **(لاَ يَدْخُلُ الجَنَّةَ إِنْسَانٌ فِي قَلْبِهِ مثقال ذَرَّةٍ من خَرْذَلٍ مِنْ كِبْرٍ)**[5]. وورد لا يدخل الجنة مِسْكِينٌ مُتَكَبِّرٌ.

وفي الحديث عن عبد الله بن سلام، أنه مر بالسوق وعليه حزمة من حطب، فقيل له: **(ما يَحْمِلُكَ عَلَى هَذَا وَقَدْ أَغْنَاكَ الله تعالى عنه، قال: أردتُ أَنْ أَدْفَعَ الكِبْرَ، سمِعْتُ رَسُول الله يقول: لاَ يدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ في قَلْبِهِ مِثْقَالُ خَرْذلَةٌ منْ كِبْرٍ)**[6].

قال بعض الفضلاء بعد هذا: "وها هُنَا سؤال وهو أن يقال: هل يتعين بهذا الحديث أن يكون المراد بالكبر في هذا الحديث الكبر الحقيقي الذي هو الرضى عن

---

[1] سورة آل عمران، الآية: 119.

[2] الحجاج بن يوسف بن أبي عقيل بن مسعود بن عامر بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف، وهو قسي بن منبه بن بكر بن هوازن، أبو محمد الثقفي. وروى عنه أنس بن مالك، وثابت البناني، وحميد الطويل، ومالك بن دينار، وغيرهم. وتوفي عام 95هـ. ترجمته في: ابن كثير، البداية والنهاية، ج 9/117-139.

[3] سورة الزمر، الآية 8.

[4] سورة آل عمران، الآية 119.

[5] مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لأبي الحسن علي بن أبي بكر سليمان الشافعي نور الدين الهيثمي، تحقيق، حسين سليم أسد الداراني، دار المنهاج، لبنان، الطبعة الأولى، 1436هـ-2015م، كتاب الإيمان، باب ما جاء في الكبر، ح: 355، ج2_ص112.

[6] مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، كتاب الإيمان، باب ما جاء في الكبر، ج:362، ج2-118

النفس، أو رؤية النفس بعين العز والاستعظام، ونظره إلى غيره بعين الاحتقار لا الكفر[1]، كما قال بعض الفضلاء، لأن فعل عبد الله بن سلام[2] من رفع الحزمة تواضعا يدل على أنه إنما فهم من الحديث هذا المعنى، لأن إظهار التواضع إنما يدل على نفي الكبر لا الكُفر[3] والله أعلم، فإذا كان ذلك كذلك، فهل يحتمل أن يكون المراد من الحديث لا يدخل الجنة ابتداء مع أهل الجنة، بل يدخل النار ثم يخرج منها بشفاعة أو مجرد رحمة ثم يدخل الجنة.

وورد أيضا في الحديث: **(يُحْشَرُ المتَكَبِّرُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ أَمْثَال الذَّرِّ في صُوَرِ الرِّجَالِ يَغْشَاهُمْ الذُلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ يُسَاقُونَ إلى سِجْنٍ في جَهَنَّمَ يُقَالُ لَهُ: بُولَسُ تَعْلُوهُمْ نَارُ الأَنْيَارِ يُسْقَوْنَ مِنْ عُصارة أَهْلِ النَّارِ طينةَ الخَبَالِ)**[4]وغير ذلك من الترهيب مما هو كثير.

ومن أحق ما ينشد في هذا المقام قول بعض الأدباء، ولله دره:

[الكامل]

ما لِابْنِ آدَمَ والتَّكَبُّرُ وَيْحَهُ ... هَـــــلاَّ تَفَكَّر أو تذكّر فاَعْتَبِرْ

أَوَ لَيْسَ مَبْدَأُ نَشْئه[5] من نُطْفَةٍ ... أَمْشَاجٍ اجتمعتْ بِأَخْبَثِ مُسْتَقَرْ

---

[1] في النسختين (ج) و(د): "الكبر"

[2] أبو يوسف عبد الله بن سلام بن الحارث الإسرائيلي، ثم الأنصاري، وكان اسمه في الجاهلية الحصين، فسماه رسول الله حين أسلم عبد الله. وكان إسلامه لما قدم النبي المدينة مهاجرا، وتوفي سنة 43هـ. ترجمته في: إبن سعد، الطبقات الكبير، ج 2/304-205؛ وابن الأثير، أسد الغابة، في معرفة الصحابة، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، 1433هـ-2012م، ص: 680؛ وشمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج2/413-426-، وابن حجر العسقلاني، الإصابة؛ في تمييز الصحابة، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1415هـ-1995م، ج4/102-104.

[3] في النسختين (ج) و(د): "الكبر".

[4] الترمذي، جامع الترمذي، كتاب صفة القيامة، باب رقم: 47، ح: 2492، ص: 406.

[5] في النسخة (د): "خلقه".

ودَمُ المَحِيضِ غِذاؤه مُتَلوثاً فيما يُعَافُ سَمَاعُهُ مَهْمَا أتذكرْ
كَمُلتْ نَقَائِصُهُ فَكَيْفَ كمَالُهُ بِكَمَالِهَا فِيهِ وَإِنْ ذُكِرَتْ ضَجَرْ
الأَخْبَثان وما يَسِيلُ من أَنْفِهِ وَلُعَابُهُ والأنف والدَّرنُ الدُّبُرْ/52/
والتفُّ والرَّمسُ الرَّمِيمُ[1] وغَيْرُهُ مِنْ نَوْعِهَا ومِثَالُهُ لاَ يَنْحَصِرْ
فإذا انتهى[2] أَمَدُ الحياةِ فَجِيفةٌ مِنْ بَعْدِ ثَالِثَةٍ لَهَا ريحٌ قَذِرْ
وَيَعُودُ قيحاً والهوامُ تَنُوشُهُ وتَمَزَّقَتْ أَوْصَالُهُ لَمَّا غَبَرْ
يَفْنَى وَيَفْنَى ذِكْرُهُ مِنْ بَعْدِهِ فَكَأَنَّهُ مَا كَانَ قَطُّ وَلاَ اتذَكَرْ
مَعَ مَا أُعِدَّ مِنَ الهَوَانِ لِمِثْلِه وَمِنَ المَذَلَّةِ والصّغارِ إذا انحشرْ
وَوَرَاء ذاك حِسَابُهُ وَمَصِيرُهُ[3] إن لم يَكُن عَفْوٌ فَنَارٌ تُسْتَعَرْ
فَدَعِ التَكبُّرَ والفخارَ واتَّضِعْ مَنْ هَذِهِ حَالاَتُهُ لاَ يَفْتَخِرْ

قلت: وهذا الشيخ نشأ بين أسلاف صالحين، وولده القطب الكامل، وحبل الله الموصل الواصل، الشيخ الشرقي مرتين. وقد كان أبوه العارف الكبير، والعلم الطود الشهير، سيدي محمد الملقب بالمعطى رضي الله عنه وأرضاه، وجعل فراديس الجنان قراره ومثواه. لما ظهر نجله بين يديه، وثبتت فضيلته لديه، وصارت ألوية السعادة تروح عليه، وتفرس فيه النجابة والمجادة، نظر إليه نظرة عطفة واستفادة، وصار يلاحظه بهمته، ويمده بنظرته، حتى ظهرت عليه من صفات الباطن سَنِيُّ الأخلاق الكريمة والأحوال، ومن صفات الظاهر الطاعات الجميلة والتأييد في الأقوال والأفعال، فكان

[1] في النسختين (ج) و(د): "الذميم".
[2] في النسختين (ج) و(د): "انفظا".
[3] في النسختين (ج) (د): "عقابه"

يغلب عليه الوجد ويصيح، وينطق بالأمور المغيبة بلسانه الفصيح، ظهرت له الكرامات، وخوارق العادات في حال الصغر، وفشت وتواترت في حال الكبر، رَضَعَ ثَدْيَ المواهب الربانية في مهده، وجمع الله له من ميراث أبيه الكريم على الله وجده، فهو شاب نشأ في عبادة مولاه، وخطبته مخدرات المعالم[1] في صغره وصباه، وهبت عليه نسيم السعادة والرضى والقبول ببلوغ القصد والمنى والسول. وقرأ علوم الإسلام على كل نحرير وإمام ممن يحل قدره بين الأنام، ويحسن الاقتداء به في الشرائع والأحكام من نحو ومنطق وبيان، ولغة وتصريف وأصول وفقه تقر به الأعيان وعروض وتوقيت وحديث وعلم معالجة النفوس والأبدان، وغير ذلك من العلوم، حتى صار قدوة لحلّ مُعْوِصَاتِه من كل منطوق ومفهوم، واستغرق أوقاته في تدريسه، وجلب جواهره ونفيسه. وكانت مجالسه مجالس علم وفوائد، وإشارات صوفية وخرق عوائد، وحكم وهبية ولطائف رقائق وفوائد، وحكايات حسنة تفيض القلوب وتقويها، وتجدد بواعث النية الصالحة وتنميها، فلا يفترق أهل مجلسه إلا عن ذواق من حسن عبارته، ولطيف إشارته، وسني الأطعمة والأرزاق، علمه يخرج من قلب نقي، وصدر تقي، فيقع في القلوب فيبريها، كما يقع الدواء النافع على الأمراض فيشفيها، مع تحقيق العبارة وتحريرها، وتلخيص العبارة وتيسيرها، فكان الانتفاع بعلمه أكثر وأقوى وأغزر، لأن العلم النافع هو الناشئ /53/ عن مزيد التقوى، والسلامة من الدعوى، وعن الإخلاص الذي هو سر الإيمان، لا عن كثرة الرواية وفصاحته اللسان، كما قال إمامنا مالك : "لَيْسَ العِلمُ بكثرة الروايات، وإنَّمَا العلمُ نورٌ يضعه الله في قلبِ مِنْ يشاء"[2]. وقال سيدي عبد الله بن مسعود: "لَيْسَ العلم بكثرة

---

[1] في النسختين (ج) و(د): "المعالي"

[2] ورد هذا النص في: أبي نعيم الأصفهاني، حلية الأولياء، ج319/6 مع اختلاف في بعض الألفاظ، مثل: "يجعله" عوض "يضعه".

الروايات، وإنما العلم الخشية"[1]. وقال سيدي الحسن البصري[2]: "إن الله لا يعبأ بذي علم ورواية، وإنما يعبأ بذي دراية؛ فعلوم الوراثة[3] مستخرجة من علوم الدراسة، لأن علوم الدراسة كاللبن، وعلوم الوراثة كالزبد الخارج منه"[4]. وقد قال سيدي سفيان بن عُيينة[5]: "أَجْهلُ الناس من تَرَكَ العَمَلَ بِمَا يَعلمُ، وأَعْلَمُ النَّاسِ مَنْ عَمِلَ بِمَا يعلمُ وأَفْضَلُ النَّاسِ أَخْشعُهُم لله. قال بعض الأئمة: وهذا قول صحيح. وقد كان الشيخ سيدنا الصالح من علماء الآخرة الزَّاهدين في الدنيا الراغبين فيما عند الله تعالى حتى أدرك من ذلك المرتبة العليا، شمر عن ساق الجدِّ في العلم حتى عرفه، وأقام الأمر والنّهي كما به مولاه أمره، ففضيلة الإنسان إنما هي بالعلم والعمل، والخشية من الله والوَجَل. وقد ورد فضل العالم على العابد كفضلي على أمتي، وفي بعض الروايات: فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب.

---

[1] ورد هذا النص بنفس اللفظ في: أبي نعيم الأصفهاني، حلية الأولياء، ج 131/1.

[2] أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار البصري، ولد بالمدينة سنة 21هـ. نشأ في الحجاز بين الصحابة، مما دفعه إلى التعلم منهم، والرواية عنهم. قال ابن سعد في طبقاته: "كان جامعا، عالما، رفيعا، فقيها، حجة، مأمونا عابدا، ناسكا، كثير العلم فصيحا". توفي سنة 110هـ، ترجمته في: أبي نعيم الأصفهاني، حلية الأولياء، ج 2/ 131-169، وابن الجوزي، صفة الصفوة، ج10/4؛ وابن خلكان، وفيات الأعيان، ج 69/2-73؛ وشمس الدين الذهبي، أعلام النبلاء، ج563/4-588؛ ويوسف بن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج267268/1، والشعراني، الطبقات الكبرى، ج 56/1-58؛ وأحمد التادلي الصومعي، المعزى، ص: 101-107؛ ومحمد عبد الرؤوف المناوي، الكواكب الدرية، ج 254/1-261.

[3] في النسختين (ج)و(د): "الرواية".

[4] في الأصل: "منها". وقد صححناها.

[5] أبو محمد سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون الهلالي، ولد بالكوفة سنة 107هـ. ونقله أبوه إلى مكة، حفظ القرآن، وكتب الحديث صار أوحد زمانه علما وزهدا وورعا، وكان عالما ناقدا، حجة. وتوفي سنة 198هـ ترجمته في: أبي نعيم الأصفهاني، حلية الأولياء، ج 270/7-315؛ وابن الجوزي، الصفة الصفوة، ج 154/2-15؛ وابن خلكان، وفيات الأعيان، ج 2/ 391-393؛ والشعراني، الطبقات الكبرى، ج 104/1- 105؛ ومحمد عبد الرؤوف المناوي، الكواكب الدرية، ج1/ 309-312؛ ومحمد الكتاني، الرسالة المستطرفة، ص: 31-32؛ والزركلي، الأعلام، ج105/3.

قال بعض الأئمة: "والإشارة في ذلك إلى العلم بالله تعالى وقوة اليقين، لا إلى علم البيع والشراء والطلاق وغير ذلك، من مسائل الفقه عند أهل الرّسوخ والتمكين".

وروي أن ابن السَّمَّاك[1]، وعظ يوما فأعجبه وعظه؛ فلما انصرف إلى منزله ونام، سمع قائلا يقول:

[الكامل]

يا أَيُّهَا الرَّجُلُ المُعَلِّمُ غَيْرَهُ ... هَلاَّ لِنَفْسِكَ كَانَ ذا التَعليمُ

تَصِفُ الدَّواءَ لِذِي السَّقامِ وذي الضَّنَى ... وَمنَ الضَّنَى والدَّاءِ أنت سقيمُ

وأراك تُلْقِحُ بالرَّشادِ عُقُولَنَا ... صِفَةً وأنْتَ مِنَ الرَّشادِ عَدِيمُ

ابْدَأْ بِنَفْسِكَ فانْهَها عَنْ غَيِّهَا ... فإذا انتهتْ عَنْهُ فأنت حَكِيمُ

لاَ تَنْهَ عَنْ خُلُقٍ وَتأْتِيَ مِثْلَهُ ... عَارٌ عَلَيْكَ إذا فَعَلْتَ عَظِيمُ[2]

---

[1] أبو عمر عثمان بن أحمد بن عبد الله بن يزيد البغدادي الدقاق الشهير بابن السماك، درس ببغداد، من تصانيفه، "الديباج" و"الأمالي" و"وفيات الشيوخ". توفي في بغداد سنة 344هـ ترجمته في: أبي نعيم الأصفهاني، حلية الأولياء، ج 8/203-217؛ وشمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج15/444-445.

[2] وردت هذه الأبيات في: الطرطوشي، سراج الملوك، تحقيق محمد فتحي أبو بكر، تقديم شوقي ضيف، المجلد الثاني، الطبعة الأولى، 1414هـ-1994م، ج2/473-474 مع اختلاف في بعض الألفاظ والعبارات، مثل: "كما يصح به" عوض "ومن الظنا والداء"، و"أبدا" عوض "عظة"؛ ومحمد الأبشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، ص: 34-33م ،مع اختلاف في بعض الألفاظ والعبارات؛ مثل: "كما يصح به" عوض "ومن الظنا والداء"، و"أبدا" عوض "صفة"؛ واليافعي، روض الرياحين، في حكايات الصالحين، (الحكاية الحادية والاربعون بعد المائتين) ص: 119، بنفس اللفظ.

فلما استيقظ حلف أن لا يعظ الناس شهرا. وقيل: "إنه اجتمع الفضيل بن عياض ومحمد بن السماك. فقال الفضيل: العالم طبيب الدّين، والمال داء الدين. فإذا جر الطبيب الدّاء إلى نفسه فكيف يداوي غيره"[1] وفي هذا المعنى أنشد بعض الفضلاء:

[البسيط]

إنْ زَادَ مَالُكَ لَمْ تَزْدَدْ بِهِ قَنَعاً أَوْ زَادَ عِلْمُكَ لَمْ تَزْدَدْ بِهِ وَجَعَا

بَاشَرْتَ دُنْيَاكَ مَسْرُوراً بِلَذَّتِهَا وَقَدْ تَرَكْتَ التُّقَى والزُّهْدَ والورَعَا

وكيفَ يَنفَعُ عِلمٌ مِنْكَ سَامِعَهُ وَلاَ يَرَاك بِذَاكَ العِلْمِ مُنْتَفِعَا[2]

/54/وحُكي عن الحسن البصري أنه أفتى في مسألة، فقال له إنسان: "إن الفقهاء خالفوك في هذا. فقال له: ويحك! وهل رأيت فقيها قط؟ إنما الفقيه من زهد في الدنيا. وقال: الناس في هذه الدنيا على خمسة أصناف: العلماء وهم ورثة الأنبياء، والزهاد وهم الأدلاء، والغزاة وهم سيوف الله تعالى، والتجار وهم أمناء الله تعالى، والملوك وهم رعاة الخلق. فإذا أصبح العالم طامعا وللمال جامعا، فبمن يُقتدى؟ وإذا أصبح الزاهد راغبا فبمن يستدل ويهتدى؟ وإذا أصبح الغازي مرائيا، والمرائي لا عمل له، فمن يظفر بالعدو؟ وإذا كان التاجر خائنا فمن يؤمَن ويرتضى؟ وإذا أصبح الملك ذيبا، فمن يحفظ الغنم

[1] ورد هذا النص بنفس اللفظ في: أسعد اليافعي، روض الرياحين في حكايات الصالحين، (الحكاية الحادية والأربعون بعد المائتين) ص: 119.

[2] هذه الأبيات مذكورة بنفس اللفظ في: أسعد اليافعي، روض الرياحين في حكايات الصالحين، (الحكاية الحادية الأربعون بعد المائتين) ص: 119.

ويرعى؟ والله ما أهلك الناس إلا العلماء المداهنون، والزهاد الراغبون، والغزاة المراؤون والتجار الخائنون، والملوك الظالمون"[1]. ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾[2].

وأنشد عبد العزيز الديريني[3] رحمه الله تعالى:

[الوافر]

إذَا مَا مَاتَ ذو علـــــــمٍ وَهِمَّهْ ... فقد ثُلِمَتْ منَ الإِسْلاَمِ ثُلْمَـــــــهْ[5]

وموتُ العَابِدِ[4] المَرضـــــيِّ نَقْصٌ ... ففي مرآة للأسْـــــــرَارِ نَسْمَهْ

وَمَوتُ العَادِلِ الملكِ المَوْلَى ... بِحُكْمِ الحَقِّ مَنْقَصَةٌ وَقَصْمَهْ

وَموتُ الفَارِسِ الضِّرْغَامِ هَدْمٌ ... فكَمْ شَهِدَتْ لَهُ بالنَّصْرِ عَزْمَهْ

وموتُ فَتًى كثيرِ الجُودِ مَحْلٌ ... فإن بَقَاءه خِصْبٌ وَنِعْمَهْ

فَحَسْبُكَ خَمْسَةٌ يُبْكَى عَلَيْهِمْ ... وَمَوتُ الغَير تَخْفِيفٌ وَرَحْمَهْ[6]

---

[1] ورد هذا النص بنفس اللفظ في: أسعد اليافعي، روض الرياحين في حكايات الصالحين، (الحكاية الثانية والأربعون بعد المائتين)، ص: 119.

[2] سورة الشعراء، الآية: 226.

[3] عبد العزيز بن أحمد بن سعيد الدميري الديريني الزاهد، القدوة، العارف، صاحب الأحوال، والكرامات والمصنفات الكثيرة في التفسير والفقه واللغة والتصوف، ولد سنة 612هـ من كتبه "التيسير في علم التفسير"، و"الدرر الملتقطة في المسائل المختلطة"، و"طهارة القلوب، والخضوع لعلام الغيوب"، و"إرشاد الحيارى" وغير ذلك، ترجمته في: السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج 8/199-208؛ والشعراني، الطبقات الكبرى، ج 1/361-362؛ وعمر التكروري، العقد المذهب، ص: 381؛ وابن الملقن، طبقات الأولياء، ص: 447؛ وجلال الدين السيوطي، حسن المحاضرة، ج 1/421؛ والشعراني، طبقات الكبرى ج 1/361-362؛ والزركلي، الأعلام، ج 4/13.

[4] في النسخة (ب): "العالم".

[5] جاءت هذه الأبيات في الأصل منتهية بالتاء المربوطة. والصواب هو الهاء الساكنة، ليستقيم الوزن، وهو البحر الوافر.

[6] وردت هذه الأبيات في: أسعد اليافعي، روض الرياحين في حكايات الصالحين، (الحكاية الثانية والأربعون بعد المائتين) ص: 119، مع اختلاف في بعض الألفاظ، مثل: "ذو علم وتقوى" عوض "ذو علم وهمة"؛ والسبكي، طبقات الشافعية، ج 8/201، مع اختلاف في بعض الألفاظ، من ذلك: "ذو علم وتقوى" عوض "ذو علم وهمة".

كان صاحب الترجمة، مجبولا على محبة العلم وأهله، والتنويه بشريفه وفضله، حتى غمر أهله بإحسانه، وصار كل من ورد عليه من أهل العلم يتسلى به عن أهله وأولاده وأوطانه، واستغرق في محبته جميع الأوقات، بخالص النية وجميل المعتقدات، ليّن الجانب للمساكين، والعلماء والصالحين، شديد الشكيمة على الظلمة والمتكبرين والمتجبرين، كثير الحب في الله، شديد الاستغراق في جمال رسول الله، لا يخاف في الله لومة لائم على الإطلاق، والشمول والاستغراق، من رآه بديهة هابه، ومن خالطه ملأ من جواهر حكمه أوطابه، مقربا لأهل الدين والخير والعلم والتصديق، ولا يتخذ من غيرهم أنيسا ولا رفيقا ولا صديقا[1]. وله في مدح[2] العلم الشريف، والاستظلال بظله الوريف. ما نصه:

[الطويل]

تَعَلَّمْ فَما لِلمَرْء كَالعِلْمِ مُقْتَنىً ... وَلَيْس أَخُو عِلْمٍ بِكُفْءٍ لِجاهِلِ[3]

فَذُو العِلْمِ مَحْبُوبٌ عَلَى كُلِّ حَالَةٍ ... وَذُو الجَهْلِ مَحْمُولٌ عَلَى غَيْرِ طَائِلِ/55/

وإِنَّ امْرَءاً قد آثَرَ الجَهْلَ والغِنَى ... عَلَى العِلْمِ فهْو أَخْرَقٌ غيرُ عَاقِلِ

وما العِزُّ كُلُّ العِزِّ إلاَّ لِعَالِمٍ ... بِهِ الحُسْنُ يَبْدُو في صُدُورِ المحَافِلِ

أَلاَ إنَّ أَهْلَ العِلْمِ قَوْمٌ أَجِلَّةٌ ... وَنُورُ ذَوِيهِ بَازِغٌ غَيْرُ آفِلِ

فَكُنْ مُعْتَنٍ بِالعِلْمِ لاَ تَنْسَ دَرْسَهُ ... نَهَاراً وَلَيْلاً وَالْزَمْ سَيْرَ الأَفَاضِلِ

وَدَعْ عَنْكَ مَا يُلْهِيكَ عَنْهُ وَلاَ تَكُنْ ... نَؤُوماً فما اختارَ الكَرَى غَيرُ سَافِلِ

---

[1] في الأصل: "صديق". وقد صححناها.

[2] في النسخة (د): "فضل".

[3] ورد هذا البيت بنفس اللفظ في: محمد العبدوني، يتيمة العقود الوسطى، ص: 11 (ب).

وَسامِرْ دَوَاوينَ العُلُومِ فإنَّها أَلَذُّ نَدِيمٍ وَاقِعٍ بِالبَلاَبِلِ
تُفِيدكَ عِلْماً لا يُنَالُ بِدُونِهَا وَتُعْرِبُ عَنْ شَأْنِ القُرونِ الأَوَائِلِ
فَوَاظِبْ عَلَيْهَا فَهْيَ أُنْسٌ بِوَحْدَةٍ وَخَيْرُ جَلِيسٍ كَاتِمِ السِّرِّ كَامِلِ
وَمِنْهَا اكْتِسَابُ المَرْءِ ظُرْفاً وَحِكْمَةً يُجَلُّ بِهَا بَلْ رِقَّةٍ وَشَمَائِلِ[1]

ولله درُّ الإمام السُّبْكِي، حيث يقول في الحظ على العلم أيضا.

[الطويل]

كَمَالُ الفَتَى بِالعِلْمِ لاَ بِالمَنَاصِبِ وَرُتْبَةُ أَهْلِ العِلْمِ أَسْنَى المَنَاصِبِ
هُمُ وَرِثُوا عِلْمَ النَّبيئينَ فَاقْتَدَى بِهُمْ كُلُّ سَارٍ في الظَّلاَمِ وَسَارِبِ
فَلاَ فَخْرَ إِلاَّ إِرْثُ شِرْعَةِ أَحْمَدٍ وَلاَ فَضْلَ إِلاَّ في اكْتِسَابِ المَنَاقِبِ
وَبَحْثٍ وَتَحْقِيقٍ وإيضَاحِ مُشْكِلٍ وَتَحْرِيرِ بُرْهَانٍ وَقَمْعِ مُغَالِبِ
وَإِحْكَامِ آيَاتِ الكِتَابِ وَسُنَّةٍ أَتَتْ عَنْ رَسُولٍ مِنْ لُؤَيِّ بْنِ غَالِبِ
إِذَا المَرءُ أَمْسَى لِلْعُلُومِ مُحَالِفاً أَضَاءَ لَهُ مِنْهَا جَمِيعُ الغَيَاهِبِ
وَيَنْزَاحُ عَنْهُ كُلُّ شَكٍّ وَشُبْهَةٍ وَتَبْدُو لَهُ الأَنْوَارُ منْ كُلِّ جَانِبِ
هِيَ الرُّتْبَةُ العُلْيَا تَسَامَى بِأَهْلِهَا إلى مُسْتَقَرٍّ فَوْقَ مَتْنِ الكَوَاكِبِ
فَدُونَكَهَا إن كُنْتَ لِلرُّشْدِ طَالِباً تَنَلْ خَيْرَ مَرْجُوٍّ الدُّنَا والعَوَاقِبِ[2]

---

[1] عبد الخالق العروسي، المرقي، ج 154/1-155، بنفس اللفظ؛ ومحمد العبدوني، يتيمة العقود الوسطى، ص: 22(ب)، بنفس اللفظ.

[2] السبكي، طبقات الشافعي الكبرى، ج 180/10، بنفس اللفظ.

فائدة عن الإمام مالك: الناس بالنسبة إلى العلم على أربعة أصناف: رجل علم علما، فعمل به وعلّمه، فمثله في كتاب الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[1]، ورجل علم علما فعمل به ولم يعلمه، فمثله في كتاب الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا﴾[2]، ورجل علم علما فعلمه ولم يعمل به، فمثله في القرآن: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾[3]، ورجل لم يعلم ولم يعمل، فمثله قوله تعالى: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ﴾[4] انتهى.

وكان السيد عبد الله بن المبارك، يقول: "أول العِلْمِ النِّيَّةُ، ثمَّ الاستماع، ثمَّ الفهم، ثم العمل، ثم الحفظ، ثم النشر"[5]. قلت "وهذا كله في العلم النافع الذي يسلم صاحبه من الكبر والعجب والفخر والحسد والرياء وغير ذلك من أمراض القلوب".

قال /56/ حجة الإسلام[6]: "فتأمل أيها الراغب في العلم في هذه الخصال، إن أعظم الأسباب في رسوخ هذه الخبائث في القلب: طلب العلم لأجل المباهاة[7] والمنافسة، فالعامي بمعزل عن هذه الخصال، والمتفقه متهرب لها، وهو متعرض للهلاك بسببها، فانظر أي

---

[1] سورة فاطر، الآية: 28.

[2] سورة البقرة، الآية: 158.

[3] سورة البقرة، الآية: 43

[4] سورة الفرقان، الآية: 44.

[5] ورد هذا النص بنفس اللفظ في: ابن عبد البر القرطبي، جامع بيان العلم وفضله، تحقيق مسعد عبد الحميد محمد السعدني، دار الكتب العلمية، بيروت، ص: 162.

[6] أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي حجة الإسلام ولد بطوس سنة 450هـ. أخذ عن إمام الحرمين الجويني بنيسابور، برع في جميع العلوم، وعلى رأسها المنطق والفلسفة، له تآليف كثيرة، منها "إحياء علوم الدين"، و"المنقذ من الضلال" وغيرها، توفي سنة 505هـ . ترجمته في: محمد الحجوي، الفكر السامي ج4/ 394؛ والزركلي، الأعلام، ج 7/22-23.

[7] في النسخة (ج): "المهابة".

أمورك أهم أن تتعلم كيفية الحذر من هذه المهلكات، وتشتغل بإصلاح قلبك، وعمارة آخرتك؟ أم الأهم أن تخوض مع الخائضين وتطلب من العلم ما هو سبب زيادة الكبر والرياء والحسد والعجب حتى تكون من الهالكين"[1]. ومن أحق ما ينشد في هذا المقام قول من قال:

[الوافر]

إِذَا مَا لَمْ يُفِدْكَ العِلمُ خَيْراً فَخَيْرٌ مِنْهُ أنْ لَوْ قَدْ جَهِلْتَ
وَإِنْ أُعْطِيتَ فِيهِ طُولَ بَاعٍ وَقَالَ النَّاسُ إِنَّكَ قَدْ سَبَقْتَ
فَلاَ تَأَمَنْ سُؤَالَ اللهِ عَنْهُ بِتَوْبِيخٍ: عَلِمْتَ فَهلْ عَمِلْتَ[2]

وقد كان مجاب الدعوات، كثير التفريج للشدائد والأزمات، تجري المواهب على لسانه في حل المعوصات، والنوازل المعضلات، وكشف حوادث الدهر والكربات، معظما في أعين الناظرين، عظيم الشفقة والرأفة على الضعفاء والمساكين، فجزاه الله عنا وعن نفسه وعن المسلمين خيرا، وضاعف له مثوبة وأجرا، وأفاض علينا من سَيْبِ بركته ونداه، بحرمة خير نبي شرفه ربه واصطفاه.

وكانت ولادة الشيخ سيدنا الصالح بن المعطى بمراكش سنة 1069هـ، وتوفي يوم الأربعاء الثاني عشر من صفر الخير عام تسعة وثلاثين ومائة وألف، كذا وجد مقيدا. وفي تقييد، آخر الثاني عشر من صفر أو السابع عشر منه عام تسعة وثلاثين ومائة وألف.

---

[1] ورد هذا النص في: الغزالي، بداية الهداية، تحقيق محمد زينهم محمد غرب، الطبعة الأولى، 1413هـ-1993م، ص: 48-49.

[2] وردت هذه الأبيات في: ديوان أبي إسحاق الإيبيري الأندلسي المتوفى سنة 460هـ. تحقيق محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت، الطبعة الأولى، 1411هـ-1999م ص: 26-27، مع اختلاف في ترتيب الأبيات.

الفصل الثالث: في ذكر أشياخه المشهورين ممن أخذ عنهم الطريقة

في ذكر أشياخه المشهورين من أهل الجلالة والمكانة والرسوخ والتمكين، وإرشاد المريدين لاتباع سنة سيد المرسلين ممن أخذ عنهم الطريقة، وقد جمع الله لهم بين الشريعة والحقيقة، وذكر بعض إخوانه في الله من العلماء الأعلام، وأهل الخصوصية من الإسلام، الذين شهدوا له بأنواع الكرامات، وأعلى المقامات، وإجابة الدعوات، وتفريج الشدائد والكربات، وبعض ما كان بينه وبينهم من المكاتبات، وحسن التودد في الله والمواصلات. أخذ، على سبيل التحقيق بطريق القوم وسلب الإرادة، وملاحظة الهمة العلية في الاستفادة والإفادة، المصافحة[1] التي رويت عن سيد المرسلين، وتبرك بها غير واحد من أئمة العلم والدين، عن والده بحر المعارف والعرفان، وينبوع الفضائل والمواهب والإحسان، صاحب الفتوحات الربانية، والأسرار النورانية، صوفي الفقهاء والأولياء، وقدوة الزهاد والأتقياء، علامة الزمان، ومن خضعت له الفحول والأعيان، وارث العناية الشرقاوية على الكمال، ومن شهدت بكماله الأكابر من الرجال، من لازال بمواهب إمداداته ينيل ويعطي /57/، أبو المواهب سيدي محمد المعطى، كان ممن أحيى الله به رسوم الإسلام، وجدد لهذه الأمة المحمدية الأسوار بعد نبيها عليه الصلاة والسلام، أحواله جميلة، ومناقبه جليلة، حسبما يأتي بعضها إنشاء الله، في التعريف به

---

[1] المصافحة: الأخذ باليد، والتصافح مثله. والرجل يصافح الرجل إذا وضع صفح كفه في صفح كفه؛ وصفحا كفيهما: وجهاهما؛ ومنه حديث المصافحة عند اللقاء، وهي مفاعلة من إلصاق صفح الكف بالكف وإقبال الوجه على الوجه. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة "صفح"

وصفة المصافحة ثلاث: الأولى: يضع باطن كفه اليمنى ويشبك الإبهام من غير عقد الأصابع كل واحد على صاحبه. الثانية: أن يعقد المصافح يده فقط على المصافح ويشد عليه إعلاما بالتوثق من الدين، وفي كل هذه الصفات إشارة إلى ذلك وبالله التوفيق. ينظر: مصطفى عربوش، أحمد بن أبي القاسم شيخ زاوية الصومعة ومعه زوايا المنطقة، ص: 249.

في الفصل الثاني من الخاتمة. وله في طريق المصافحة، سند عال قليل الوجود، مشتمل على نحو العشرين من أهل المراقبة والشهود، الأجلة الأعلام، الذين يحسن بهم الاقتداء والائتمام.

ونص ما وجدت بخطه الكريم: من منة الله تعالى علي له الحمد وله الشكر أن بين كفي وكف المصطفى نبيبنا وسيدنا ومولانا محمد ﷺ عشرين كفا لا غير؛ وذلك أني صافحني السَّنِيُّ السُّنِيُّ الشيخ الصوفي أبو محمد سيدي محمد بن سعيد المِرَغْثِي بحضرة مراكش. قال: "صافحني الإمام الحافظ شيخنا أبو محمد عبد الله بن علي بن طاهر الحسني قال صافحني الشيخ أبو العباس المنجور الفاسي، قال: صافحني الإمام شيخنا زين الدين أبو زيد عبد الرحمن بن علي بن سُقّين[1]، قال: صافحني شيخ الإسلام أبو يحيى زكرياء الأنصاري الشافعي، قال: صافحني الإمام شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر[2]،

---

[1] أبو زيد عبد الرحمان بن علي بن أحمد العاصمي السفياني القصري، ثم الفاسي عرف بسقين. ولد سنة 873هـ . وكان فقيها، محدثا، محققا مشاركا في الفنون من طب وأدب، وعربية وتصوف...ارتحل إلى المشرق، ودخل بلاد السودان، وحج وأخذ علم الحديث بمصر عن القلقشندي وزكريا الأنصاري، والسخاوي، فحصلت له رواية واسعة، ثم رجع إلى فاس، فخطب بجامع الأندلس، وتولى الفتيا. وتوفي بفاس سنة 956هـ . ترجمته في: فهرسة المنجور، تحقيق محمد حجي، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر الرباط،1396هـ-1976م، سلسلة الفهارس (1)، ص: 59؛ وابن القاضي، جذوة الاقتباس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1973م، ص: 407؛ وأحمد بابا التنبكتي، كفاية المحتاج، ج1/283-284؛ ومحمد الكتاني، سلوة الأنفاس، ج2/180-182؛ ومحمد الحجوي، الفكر السامي، ج4/102 وعبد الحي الكتاني، فهرس الفهارس، ج 2/ 987-988.

[2] أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، المصري ثم القاهري الشافعي المعروف بابن حجر. ولد في سنة 773هـ . بمصر ونشأ بها. فقد كان رأسا في علوم الحديث بأنواعها متفننا فيها حافظا لمتونها ورجالها، وولع بالأدب والشعر. أما تصانيفه جليلة، منها: "الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة" و"لسان الميزان" و"الإصابة في تمييز أسماء الصحابة" و"فتح الباري" و"الإحكام لبيان ما في القرآن من الأحكام". وغيرها، وتوفي سنة 852هـ ..ترجمته في: عبد الرحمان السخاوي، الضوء اللامع، ج 2/36-40؛ وشمس الدين السخاوي، الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر، تحقيق إبراهيم باجس عبد المجيد، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، 1419هـ-1999م، ج 1/9-33؛ ومحمد الشوكاني، البدر الطالع، ج1/87-92؛ محمد الحجوي، الفكر السامي ج 4/ 177-178؛ وشاكر محمود عبد المنعم، ابن حجر العسقلاني مصنفاته ودراسة في منهجه وموارده في كتابه الإصابة،

قال: صافحني الزين العراقي، وصافحني الشيخ رضوان المُسْتَمْلي، قال: صافحنا الشريف أبو الطاهر الربعي، قال: صافحني أبو إسحاق القَطّي وأنا في الرّبعة، قال: صافحني النجيب أبو عبد الله الخولي، قال: صافحني أبو المجد القزويني، قال: صافحني القاضي أبو الحسن علي بن محمد بن إسماعيل بن أبي زرعة، قال: صافحني أبو منصور عبد الرحمن بن عبد الله البزار، قال: صافحني أبو محمد عبد الملك بن محمد بن نجيد بن عبد الكريم البغوي بها، قال: صافحني أبو القاسم عبدان بن حُمَيْد بن عَبْدَان المنجبي بحلب، قال: صافحني محمد بن سعيد بن سنان المنجبي، قال: صافحني أحمد بن دهقان، قال: صافحني خلف بن تميم، قال: "دخلنا على هرمز نعوده، فصافحنا، وقال: صافحت بكفِّي هذه كَفَّ رسول الله، فما مسست خزّاً ولا حريراً ألين من كفِّهِ "[1]. والحمد لله رب العالمين، وكتب محمد بن عبد الخالق الشرقي، عفا الله عنه.

وقد أجازه والده فيها، ونص ما أجازه به بعد السند المذكور أعلاه: وقد أجزت ولدنا محمدا الصالح في المصافحة، وصافحته فليروها عني بهذا السند، وليحمد الله تعالى الذي منّ علينا وعليه بذلك، وليدع لنا بخير والله تعالى، أسأل أن يرزقني وإياه اتباع نبينا الكريم، بجاهه عند الله العظيم. والسلام/58/، وكتب محمد بن عبد الخالق عفا الله تعالى عنه، انتهى من خط يده من غير زيادة ولا نقصان. والمراد بمحمد بن عبد الخالق هذا هو والده سيدي محمد الملقب بالمعطى، لأن والده هو سيدي عبد الخالق رحمه الله تعالى.

مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، 1417هـ-1997م؛ ومحمد القادري، الإكليل والتاج، ص: 131-133؛ والزركلي، الأعلام ج 1/178-179.

[1] ورد هذا النص في: أبي حامد الفاسي، مرآة المحاسن، ص: 300-301.

وأخذ أيضا عن والده، قدس الله روحه، طريق المشابكة بسندها. ولم نقف عليه الآن، ولم يحضرني في الوقت. وأخذ عنه أيضا عقيدة الشيخ الجليل العارف بالله تعالى السيد الأصيل، شيخ والده سيدي محمد بن إبراهيم نفعنا الله به، عن شيخه المذكور بسنده المعلوم حسبما يأتي عند التعريف به، فقد كان، نفعنا الله به، شيخا إماما، عالما هماما، صاحب الأسرار والفيض الغزير، والمواهب الجمة والفضل الشائع الكثير.

وأخذ أيضا قدس الله روحه، الطريق الخضِرية، عن والده المذكور عن شيخه المذكور أعلاه بطريق خاصة، بأعيان الخاصة، عن صفي الأولياء، ورئيس الأصفياء، وإنسان عين الخاصة والأحظياء، إمام الصديقين، وروح أهل المعرفة واليقين، أبي العباس سيدي أحمد الخضر عليه السلام، وأخذها سيدي أحمد، عن سيد المرسلين، وخاتم النبيئين، وأفضل خلق الله أجمعين، سيدنا ومولانا محمد، وعلى آله الطيبين، وأصحابه الطاهرين. فهذه طريقة عالية السند، غزيرة المدد، عزيزة الوجود، كثيرة الفضل والجود، لا ينكر فضلها، وقلما يوجد مثلها.

وكان الشيخ سيدي الصالح، يلقن ورد[1] أبيه، ويلقن حفيظة شيخ والده الشيخ العارف، والولي المكاشف، سيدي محمد بن إبراهيم التاملي، دفين باب الدباغ من مدينة مراكش، المتقدم، وكان يعطي المصافحة بالسند السابق، ويعطي المشابكة بالطريقتين السابقتين.

---

[1] الورد: اسم لوقت من ليل أو نهار، يرد على العبد مكررا فيقطعه في قربة إلى الله، ويورد فيه محبوبا يرد عليه في الآخرة. والورد يكون صلاة أو قراءة قرآن. أو ذكرا، ينظر تفصيل ذلك في: أبي طالب مكي، قوت القلوب، في معاملة المحبوب، تحقيق محمود إبراهيم محمد الرضواني، مكتبة دار التراث، القاهرة، الطبعة الأولى، 1422هـ-2001م، ج240/1.

وأخذ أيضا رضي الله عنه طريق جده العارف الصمداني، والقطب الكامل النوراني، شهير الصيت والذكر، وعظيم الجاه والقدر، الطود الكبير، الولي الشهير، مربي المريدين، ونخبة المجذوبين والسالكين، أستاذ الطريقة، وسلطان أهل الحقيقة، أبو عبد الله المرقي، سيدي محمد الشهير بالشرقي[1]، وأرضاه، وأسكنه من الجنان فسيحه وأعلاه، ونفعنا ببركته، وجعلنا ممن تعرض بكمال الصدق والمحبة لنفحاته ورضاه، عن (.....)[2]/59/.

وأما طريقة[3] الشيخ سيدي محمد الشرقي، تباعية جزولية، وطريقة الشيخ سيدي محمد بن سليمان الجزولي[4] شاذلية، وهي الشائعة بالمغرب. وسند الشيخ سيدي محمد

---

[1] أبو عبد الله محمد الشرقي الشهير بـ "بوعبيد الشرقي" ابن الشيخ أبي القاسم المعروف بالزعري الجابري، ثم الرتبي. وينتسبون إلى عمر بن الخطاب، ولد سنة 923هـ. تلقى تعليمه الأولي على والده في مدرسة زاويته قرب القصبة التادلية. بعد ذلك أرسله والده ليتم تكوينه الديني والعلمي في زاوية الصومعة على يد شيخها سيدي عثمان أمسناو، وأخذ عنه مجموعة من العلوم الدينية مثل التفسير والقراءات والحديث والفقه بالإضافة إلى علم التصوف وبعد وفاة شيخه، رجع إلى زاوية والده ليأخذ عنه عهد وسند الطريقة الجزولية الشاذلية، توفي سنة 1010هـ. ترجمته في: أبي حامد الفاسي، مرآة المحاسن، ص: 294-295؛والحسن اليوسي، المحاضرات في الأدب واللغة، ج1/194-195؛ ومحمد الافراني، صفوة من انتشر، من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر، ص: 75-77؛ ومحمد القادري، الإكليل والتاج، ص: 303-304؛ومحمد العبدوني، يتيمة العقود الوسطى، في مناقب الشيخ أبي عبد الله محمد المعطى، ص: 33[أ] إلى 38[؛ وأحمد بوكاري، الزاوية الشرقاوية، زاوية أبي الجعد، اشعاعها الديني والعلمي، ج1/39-64؛وأحمد بوكاري، الزاوية الشرقاوية، دار علم ودين وصلاح، ص: 27-29.

[2] بياض في الأصل بمقدار قدره ثلاثة أسطر وقد أشير إلى ذلك طيه "وجدت في الأصل المستنسخ منه ما نصه هذا البياض تركته لمن أخذ عنه سيدي محمد المعطي طريقة محمد الشرقي إلى أن يصل إليه فإني ما وجدته الآن به كذا وجد". ينظر: الروض اليانع الفائح، النسخة (ب)، رقم 1835/د؛ ص: 53.

[3] في الأصل: "طريق". وقد صححناها.

[4] أبو عبد الله محمد بن سليمان بن عبد الرحمان الجزولي السملالي، فقيه صوفي مشهور، من أكابر مشايخ الصوفية بالمغرب، تفقه بفاس وحفظ المدونة في فقه مالك وغيرها. توفي مسموما بأفوغال سنة 870هـ . من أهم مؤلفاته: "دلائل الخيرات" و"حزب الفلاح"، و"حزب سبحان الدائم لا يزول"، وإليه تنسب الطريقة الشاذلية. ترجمته في: أحمد التادلي الصومعي، المعزى، ص: 271-275؛ وابن القاضي، درة الحجال، ج 2/297؛ وأحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج، ص: 538؛ وأحمد بابا التنبكتي، كفاية المحتاج، ج 2/181؛ وأبي حامد الفاسي، مرآة

الشرقي نفعنا الله به. أخذ عن والده الشيخ الجليل سيدي أبي القاسم، عن الشيخ سيدي عبد العزيز التباع[1]، وأخذ أيضا عن الشيخ أبي محمد سيدي عبد الله بن ساسي[2] عن الشيخ أبي محمد عبد الله الغزواني[3]، عن الشيخ أبي محمد عبد العزيز التباع. وأخذ أيضا، نفعنا الله به، عن الشيخ أبي عبد الله محمد بن عمر المختاري"[4]. انتهى من

المحاسن، ص: 272-273؛ والمهدي الفاسي، ممتع الأسماع، ص: 1-34؛ وأحمد الحضيكي، طبقات الحضيكي، ج 1/234-233؛ والكوهن الفاسي، طبقات الشاذلية الكبرى، ص: 115-117؛ ومحمد بن الموقت، السعادة الأبدية، 144-137؛ وعبد القادر التليدي، المطرب بمشاهير أولياء المغرب ص: 143-146؛ وكحالة، معجم المؤلفين، ج10/52.

[1] أبو فارس عبد العزيز التباع المراكشي المعروف بالحرار، نسبة إلى صناعته لأنه كان حرارا في بداية أمره. صحب القطب أبا عبد الله محمد بن سليمان الجزولي وأبا عبد الله محمدا الصغير السهلي. وتتلمذ عليه محمد الغزواني وعبد الكريم الفلاح وسعيد بن عبد المنعم وعبد الله بن داوود وغيرهم. ألف فيه المهدي الفاسي كتابا "ممتع الأسماع في ذكر الجزولي والتباع ومالهما من الأتباع" توفي بمراكش سنة 914هـ قبره مزارة عظيمة بمراكش على مقربة من جامع ابن يوسف. ترجمته في: ابن عسكر الشفشاوني، دوحة الناشر، ص: 122-123؛ وأبي حامد الفاسي، مرآة المحاسن، ص: 272؛ وأحمد بابا التنبكتي، الإكليل والتاج، ص: 417؛ ومحمد بن الموقت، السعادة الأبدية، ص: 161-1963.

[2] أبو محمد عبد الله بن ساسي البوسبعي، من أصحاب الشيخ عبد الله الغزواني ومن أكابر مشايخ الصوفية وأهل الخير والصلاح بمراكش. توفي سنة 961هـ، بزاويته على ضفة تانسيفت بأحواز مراكش، وقبره مزارة عظيمة مشهورة. ترجمتة في: ابن عسكر الشفشاوني، دوحة الناشر: 100؛ وأبي حامد الفاسي، مرآة المحاسن، ص: 81-82؛ والمهدي الفاسي، ممتع الأسماع، ص: 83-84؛ وأحمد بابا التنبكتي، الإكليل والتاج. ص: 391-392؛ والعباس بن إبراهيم، الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، ج 8/ 275.

[3] أبو محمد عبد الله بن محمد الغزواني، شيخ المشايخ بالمغرب، درس بفاس ثم انتقل إلى مراكش وصحب الشيخ عبد العزيز التباع. امتحن على يد بن وطاس سنة 919هـ . بأمر من السلطان محمد البرتغالي، فمكث بسجن فاس نحو سبع سنين قبل أن يعود إلى مراكش عام 927هـ توفي بمراكش سنة 935هـ ودفن بها. ترجمته في: ابن عسكر الشفشاوني، دوحة الناشر، ص: 88؛ وأبي حامد الفاسي، مرآة المحاسن، ص: 278-281؛ والمهدي الفاسي، ممتع الأسماع، ص: 235-237، ومحمد الكتاني، سلوة الأنفاس، ج 2/235-237؛ والكوهن الفاسي، طبقات الشاذلية الكبرى، ص: 127-128؛ والعباس بن إبراهيم، الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام ج 8/235-267؛ وعبد القادر التليدي، المطرب بمشاهير أولياء المغرب، ص: 154-159؛ وأحمد بوكاري، الزاوية الشرقاوية دار علم ودين وصلاح، ص: 28.

[4] أبو عبد الله محمد بن عمر بن داود المختاري من أحواز مكناسة، كان من الصالحين وكانت له أحوال من الجذب تغلب عليه فيكاشف بالغيب. لقيه ابن عسكر مرتين إحداهما بتامسنا في محلة الغالب بن سلطان محمد

"المرآة"[1] بواسطة. فظاهر كلام صاحب المرآة أن الشيخ سيدي محمد الشرقي نفعنا الله به، له أربعة أشياخ، الأول: والده سيدي أبو القاسم[2]، والثاني الشيخ أبو محمد سيدي عبد الله بن ساسي، والثالث أبو محمد الغزواني، والرابع أبو عبد الله محمد بن عمرو المختاري، والكل عن القطب سيدي عبد العزيز التباع. وزاد في صفوة ما انتشر في صلحاء القرن الحادي عشر، إنه أخذ عن سيدي محمد بن مبارك الزعري[3]، ولم يذكر له الغزواني. أما الشيخ سيدي أبو القاسم، فأخذ عنه بلا واسطة، وأما سيدي عبد الله

الشيخ، والثانية بفاس بمسجد القرويين. توفي سنة 970هـ . ترجمته في: ابن عسكر الشفشاوني، دوحة الناشر، ص: 77-78، والمهدي الفاسي، ممتع الأسماع، ص: 115-116؛ وأحمد بوكاري، الزاوية الشرقاوية دار علم ودين وصلاح، ص: 29.

[1] أبو حامد الفاسي، مرآة المحاسن، ص: 294، بالعبارة نفسها؛ وينظر أيضا: المهدي الفاسي، ممتع الأسماع، ص: 132-133 بالعبارة نفسها.

[2] أبو القاسم الزعري الجابر ثم الرتمي والد سيدي محمد الشرقي والزعري لقب له وهو المعروف بقصبة تادلة باسم سيدي بلكاسم. نشأ وترعرع في مطلع القرن 10/هـ/16م، تتلمذ على والده في البداية. وبعد وفاته رحل إلى مراكش لإتمام تكوينه العلمي والصوفي؛ حيث اتصل بالشيخ عبد العزيز التباع شيخ الطريقة الجزولية الشاذلية السنية في عصره. وهو الذي أشار عليه ببناء زاويته قرب مدينة "تادلا" على ضفة أم الربيع. وأخذ عن سيدي عثمان أمسناو وسيدي علي بن إبراهيم البوزيدي دفين زاويته "بأكرض". توفي حوالي سنة 930هـ .. ترجمته في: محمد المهدي الفاسي، ممتع الأسماع، ص: 53؛ وعبد الخالق العروسي، المرقي، ج 1/82-83؛ ومحمد العبدوني، يتيمة العقود الوسطى، ص: 38[ب] إلى 40[أ]، ومحمد القادري، التقاط الدرر، تحقيق هاشم العلوي، القاسمي، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الأولى، 1403هـ-1983م، ص: 37؛ وأحمد بوكاري، الزاوية الشرقاوية، ج1/52؛ ومصطفى عربوش، من أعلام منطقة إقليم تادلة وبني ملال، الطبعة الأولى، 1991م، ص: 246-249.

[3] أبو عبد الله محمد بن مبارك الزعري من مشاهير الأولياء بالقطر التادلي، دفين تساوت، أسس زاويته خلال النصف الثاني من القرن 10 هـ، بإذن من الشيخ أبي عَمْرُو القسطلي، توفي سنة 1006هـ . ترجمته في: المهدي الفاسي، ممتع الأسماع، ص: 147-148؛ ومحمد الإفراني، صفوة من انتشر، ص: 50-51؛ ومحمد الإفراني، نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، عبد اللطيف الشاذلي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الاولى، سنة 1419هـ – 1998م، ص: 299-300؛ ومحمد القادري، نشر المثاني، ج 1/66-67؛ ومحمد القادري، الإكليل والتاج، ص: 302-303؛ ومصطفى عربوش، من أعلام منطقة إقليم تادلة وبني ملال، الطبعة الأولى، 1991، ص: 249-253.

بن ساسي فبواسطة أبي محمد سيدي عبد الله الغزواني. وأما أبو محمد سيدي عبد الله الغزواني فهو ظاهر. وأما أبو عبد الله سيدي محمد بن عمر المختاري فكذلك. والشيخ سيدي عبد العزيز التباع، عن القطب سيدي محمد بن سليمان الجزولي. وهو الأصل بالمغرب، ومنه تفرعت طريقة الشاذلي، وباقي الأشياخ في السلسلة[1] هي أن الشيخ سيدي محمد بن سليمان الجزولي أخذ عن الشيخ أبي عبد الله أمغار[2]، عن الشيخ أبي عثمان سعيد الهرثاني[3]، عن الشيخ سيدي عبد الرحمن الرجراجي[4]، عن الشيخ أبي الفضل

---

[1] وردت هذه السلسلة في: ابن عسكر الشفشاوني، دوحة الناشر، ص: 13-14؛ وأبي حامد الفاسي، مرآة المحاسن، ص: 258-259.

[2] أبو عبد الله محمد أمغار الشريف الحسني الإدريسي الملقب بالصغير من الشرفاء الأمغاريين المستقر بقرية تيط نفطر حيث هي عين الفطر من بلاد أزمور قرية بساحل البحر. وبها كان مأوى سلفه المبارك أهل الخير والصلاح والولاية، وهو أحد رجال التصوف المشهورين في وقته. وأخذ عن الشيخ أبي عثمان سعيد الهرثاني عن الشيخ أبي زيد عبد الرحمن الرجراجي. وأخذ عنه محمد بن سليمان الجزولي وتخرج عليه. وضريحه ما يزال ببلاد أزمور، مزارة مشهورة ترجمته في: أحمد التادلي الصومعي، المعزى، ص: 272؛ وأبي حامد الفاسي، مرآة المحاسن، ص: 257-258.

[3] أبو عثمان سعيد الهرثاني. قال ابن عسكر في الدوحة في ترجمة يوسف الفجيجي. "أخذت هذا الطريق عن شيخي أبي عبد الله محمد بن عيسى الفهري المكناسي بالعهد والصحبة، وأخذها هو بمثل ذلك عن شيخه أبي العباس أحمد الحارثي وأخذ هو عن شيخه القطب محمد بن سليمان الجزولي المذكور عن شيخه أبي عبد الله محمد الصغير الشريف أمغار عن شيخه أبي عثمان سعيد الهرثاني عن شيخه أبي زيد عبد الرحمن الرجراجي، ترجمته في: ابن عسكر الشفشاوني، دوحة الناشر، ص: 12-13؛ وأحمد التادلي الصومعي، المعزى، ص: 274؛ وعبد الرحمن الصومعي، التشوف في رجال سادات التصوف، ص: 109.

[4] أبو زيد عبد الرحمن بن أحمد الرجراجي يعرف بأبي زيد، فقيه حافظ من أهل مدينة فاس. كان ممن يتكلم على المدونة (مدونة الفقيه سحنون في المذهب المالكي) بمسجد الصاغة بفاس. أقام بمكة مجاورا عشرين سنة. وقد انتهى مقامه إلى القطبانية. أخذ عن الشيخ أبي الفضل الهندي، وتوفي سنة 718هـ . وضريحه بوادي شيشاوة من حوز مراكش. ترجمته في: ابن عسكر الشفشاوني، دوحة الناشر، ص: 13؛ وابن القاضي، درة الحجال، ج 3/78-79؛ وأحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج، ص: 243؛ والعباس بن إبراهيم، الإعلام، ج 8/98-101.

الهندي[1]، عن الشيخ سيدي عنوس البدوي[2] عن الشيخ سيدي أحمد القرافي، عن الشيخ أبي عبد الله المغربي[3]، عن القطب سيدي أبي الحسن الشاذلي، عن القطب سيدي عبد السلام بن مشيش[4]، عن القطب سيدي عبد الرحمن المدني، عن القطب تقي الدين الفقير بالتصغير. كان يسمى نفسه بذلك احتقارا لها، فلذلك صغر لفظ تقي ولفظ الفقير، عن القطب فخر الدين، عن القطب تاج الدين، عن القطب شمس الدين، عن القطب زين الدين القزويني، عن القطب إبراهيم البصري، عن القطب أبي القاسم أحمد المرواني، عن القطب سعيد، عن القطب سعد، عن القطب فتح السعود، عن القطب سعيد الغزواني، عن القطب جابر، عن قطب الأقطاب سيدنا الحسن

---

[1] ذكر عبد الرحمن الصومعي الاسم الشخصي لهذا الشيخ فذهب إلى أن اسمه هو أبو الفضل محمد بن عبد الله الهندي، أخذ عن شيخه أبي الحسن علي بن أحمد عنوس البدوي راعي الإبل. أخذ عن شيخه أبي العباس أحمد بن محمد القرافي، ترجمته في: عبد الرحمن الصومعي، التشوف في رجال سادات التصوف، ص: 110.

[2] أبو الحسن علي بن أحمد عنوس البدوي، راعي الإبل ونسبه إلى البدوي وهذه النسبة إلى قبائل من المعافرة يعرفون ويتميزون منهم بالبدوي، لأن من شأنهم يرتحلون في براري بلاد برقة ولا يستقرون بموضع واحد، فصاروا يعرفون عند المعافرة بالبدويين لكثرة ارتحالهم في تلك البلاد، ومن شأن البدويين أنهم لا يكسبون إلا الإبل. وإن وصف هذا الشيخ براعي الإبل للتمييز لا تصغيرا به لفقره. ترجمته في: عبد الرحمان الصومعي، التشوف في رجال سادات التصوف، ص: 110.

[3] أبو عبد الله محمد بن إسماعيل المغربي أستاذ إبراهيم الخواص، وإبراهيم بن شيبان، صحب علي بن رزين، كان من المحققين، توفي سنة 299هـ، وقبره بجبل طور سيناء، عند قبر أستاذه علي بن رزين. له" النكت الوثيقة والاستغاثة على الطريقة". ترجمته في: عبد الرحمن السلمي، طبقات الصوفية، 242-243؛ وأبي نعيم الاصفهاني، حلية الأولياء، ج 3335/10؛ وعبد الكريم القشيري، الرسالة القشيرية، ص: 434؛ وابن الجوزي، صفة الصفوة، ج 276/4-277؛ وابن كثير، البداية والنهاية، ج 117/11؛ والشعراني، الطبقات الكبرى ج 169/2.

[4] أبو محمد عبد السلام بن مشيش بن أبي بكر الحسني الإدريسي، من أكابر المتصوفة بالمغرب في وقته، أخذ الطريقة الصوفية عن الشيخ عبد الرحمان المدني الشهير بالزيات، وعن أبي مدين الغوث، تخرج عليه الشيخ أبو الحسن الشاذلي، كما يعتبر ابن مشيش ممن أدخل التصوف إلى المغرب. توفي مقتولا بمؤامرة من محمد بن أبي الطواجن الكتامي سنة 622هـ. ترجمته في: أبي حامد الفاسي، مرآة المحاسن، ص: 260؛ والكوهن الفاسي، طبقات الشاذلية الكبرى، ص: 59-60؛ ويوسف النبهاني، جامع كرامات الأولياء، ج 69/2؛ وعبد الله كنون، النبوغ المغربي، ج 151/1-152؛ وعبد القادر التليدي، المطرب بمشاهير أولياء المغرب، ص: 90-106؛ والزركلي، الأعلام، ج 9/4.

السبطي[1]، عن أبيه سيدنا /60/ ومولانا علي بن أبي طالب، كرم الله وجهه، ورضي عنه، عن سيد الوجود سيدنا ومولانا محمد، عن جبريل عليه السلام. هكذا وجدت هذه السلسلة في غير ما موضع، وإليها أشار في المقصورة أبو العباس[2] بقوله:

[الرجز]

إِنْ كُنْتَ في هَمٍّ وَضَيْقِ شِدةٍ ... فَنَادِ يَا للشَّرْقِي يَا غَوْثَ النّدَا

فإنَّهُ المرءُ المرجَّى دَفْعُهُ ... لِسَطْوَةِ الدَّهْرِ وَصَدْمَةِ العِدَا

كَأَنَّ فَضْلِي عَلَمٌ في رَأْسِهِ ... نَارٌ أُعِدَّتْ لِلْهُدَاةِ وَالقِرَى

جَلَّتْ مَآثِري وَجَلَّتْ رُتْبَتِي ... عَنْ وَالِدِي نَرْوِي طَرِيقةَ الهُدى

رَوَيْتُ عَنْهُ مِنْ صَحِيحِ لَفْظِهِ ... وَهْوَ بَدِيلُ القَوْمِ نِعْمَ مَا رَوى

سَقَانِي مِنْ بَحْرِ المَعَانِي وِدُّهُ ... أَحْيَا فُؤَادِي وَظَفِرْتُ بِالمنَى

يا حَبَّذَا الجاهُ الفَسيحُ نِلْتُهُ ... عَنْ ابن سَاسِي الغَوْثِ كَامِلِ الحِجَا

وَهْوَ عَنِ الغَزْوَانِي القطبِ شيخهِ ... الكَامِلِ المَحْبُوبِ بَاذِلِ الشِّفَا

---

[1] أبو محمد الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي، ولد في المدينة سنة 3هـ، وتوفي سنة 50هـ، ترجمته في: أبي نعيم الأصفهاني، حلية الأولياء، ج 2/35-39؛ وابن الجوزي، صفة الصفوة، ج 1/385-386؛ وابن خلكان، وفيات الأعيان، ج 2/65-69.

[2] أبو العباس أحمد بن فتوح التازي، كان حيا أواسط القرن 12هـ . وهو أديب ومؤرخ، ألف كتابا وسماه "التعريف المفيد في مناقب الشيخ الصالح بن المعطي وجده القطب أبي عبيد". وقد كان من المتعلقين بالزاوية وشيخها محمد الصالح، ولذلك كثرت زياراته لها وإقامته بها، ويذكر صاحب اليتيمة ظروف اتصال هذه الشخصية لأول مرة بالزاوية، فقد كان في بداية حياته العلمية، واحدا من تلامذة العلامة سيدي سعيد بن أبي القاسم العميري بمكناس على عهد المولى إسماعيل، فصادف أن طلب الباشا عبد الكريم بن رحمون السوسي من سيدي سعيد العميري فقيها يصلى به ويعلم أولاده دينهم بقصبة تادلا. فأشار على ابن فتوح للقيام بهذه المهمة. وما إن وصل إلى مقر عمله الجديد، حتى أرسله الباشا بصحبة أبنائه لزيارة الشيخ محمد الشرقي وحفيده محمد الصالح شيخ الزاوية آنذاك؛ ترجمته في: أبي حامد محمد العربي الشرقي، الفتح الوهبي، ص: 79؛ أحمد بوكاري، الزاوية الشرقاوية، زاوية أبي الجعد إشعاعها الديني والعلمي، ج1/199-200.

وَنِلْتُ مِنْ بَحْرِ ابْنِ عَمْرٍو شَرْبَةً ... المُخْتَارِيّ اللَّيْثِ ذائِدِ الرَّدى

والكُلُّ قَدْ نَالَ كَمَالَ بُغْيَةٍ ... عَنِ التَّبَّاعِ القُطْبِ نِعْمَ المُقْتَفَى

وَهْوَ عَنِ القُطْبِ الشَّهِيرِ فَضْلُهُ ... الجَزُولِيّ الحَبْرِ نُخْبَةِ العُلاَ

وَقَدْ روَى مِنْ بَحْرِ شيخ هَاشِمٍ ... أبي عبد الله المَغَارِيّ المُرْتَضَى

عن شَيْخِهِ أبي عثمان فاسْتَغِثْ ... بِجاهِهِ تَنَالُ عِزّاً وَارْتِقَا

وهو عن الشَّيْخِ الإمَام الرَّجْرَاجِي ... عبد الرَّحمنِ اللَّيْثِ تَارِكِ الدُّنَا

عن شَيْخِهِ الهِنْدِيّ أبي الفَضْلِ الَّذي ... قَدْ فَاحَ مِنْ زَهْرِ رِيَاضِهِ شَذَا

عن شيخه البَدَوِي عَنّوسُ الَّذي ... فَاقَ وَسَادَ بِطَرِيقِ الاِقْتِدَا

وَهْوَ عن الشَّيْخِ القرَافي نِسْبَةً ... عبد الرَّحمن المقتَفي نَهْجَ التُّقَى

عَنْ شَيْخِهِ أبي عَبْدِ اللهِ الإمَامِ ... المَغْرِبِيّ الطَّوْدِ المُحَلَّى بِالوَفَا

عن شامخ المَجْدِ العَتيقِ شَيْخِهِ ... الشَّاذِلِّي القُطْبِ مَنَارِ الاِهْتِدَا

وَقَدْ كَسَاهُ ابْنُ مَشِيشَ حُلَّةً ... الهَاشِمِيّ القُطْبِ الَّذي قَدْراً سَمَا

عَنْ شَيْخِهِ القُطْبِ الزَّيَاتِي المَدَنِي ... عبد الرَّحمن العَلَوِيّ المُعْتَلَى

وَهْوَ عن القُطْبِ الفُقَيْرِ شَيْخِهِ عَنْ ... تَقِيّ الدّينِ المُرْتَقِي رَوْضَ المُنَى/61/

فَخْرِ الدِّينِ شَيْخِهِ القُطْبِ السّرِيّ ... المُقْتَفِي نَهْجَ مَعَالِمِ الهُدَى

عن نور الدين شَيْخِهِ القُطْبِ الشّهِيرْ ... السَّالِمِ الصَّدْرِ إمَامِ النُّقَبَا

عن تاج الدِّين شَيْخِهِ القُطْبِ الَّذي ... تَوَّجَهُ المَوْلَى بِتَاجِ السُّعَدَا

عَنْ شَمْسِ الدِّينِ شَيْخِهِ القُطْبِ الَّذِي ... قَدْ ارْتَقَى حَتَّى جَنَا ثَمْرَ النُّهَى

عَنْ زَيْنِ الدِّينِ شَيْخِهِ القُطْبِ الإمامْ ... القَزْوِيني المَاسِكِ أَوْثَقَ العُرَى

وَهْوَ عَنِ القُطْبِ الإمَامِ شَيْخِهِ ... إبراهيمَ البَصْرِي الَّذي يَشْفِي الظَّمَا

وعَنْ أبي القَاسِمِ الشَّيْخِ أَحْمَدٍ ... المَرْوَانِّي القُطْبِ استفَادَ وَرَوَى

عَنْ شَيْخِهِ القُطْبِ سَعِيدٍ الَّذي نالَ السَّعَادَةَ وَفَازَ بِالهَنَا
عَنْ شَيْخِهِ القُطْبِ الإمَامِ سَعْدِهِمْ فَاعْرِفْهُ حَقَّهُ وقُلْ يَا حَبَّذَا
وَهْوَ عَنِ القُطْبِ الإمَامِ شَيْخِهِ فَتْحِ السَّعُودِ السَّامِي فخراً وارْتِقَا
وَهْوَ عَنِ القُطْبِ سعيدٍ شيْخِهِ غَزْوَانِهِمْ بَحْرِ المَعَانِي والتُّقَى
عَنْ جَابِرِ القُطْبِ الإمَامِ التَّابِعِيّ أُسْتَاذِهِ ابْنِ زَيْدِ خَيْرِ مُقْتَفَا
وَهْوَ عَنِ الفَخرِ المُنِيرِ ضَوْؤُهُ بَحْرِ المعارِفِ وَمنبَعِ الصَّفَا
سِبْطِ الرَّسُولِ وَسَلِيلِ مَجْدِه ووَارِثِ الأَسْرَارِ قُطْبِ القُطَبَا
كَنْزِ المَوَاهِبِ مَوْلاَنَا الحَسَنِ نَجْلِ البَتُولِ بِنْتِ سَيِّدِ الوَرَى
عَنْ رَوْضَةِ العِلْمِ أَبِيهِ خَيْرِ مَنْ أَشَادَ لِلْمَجْدِ مَنَاراً وَسَمَا
أَخِي الرَّسُولِ وابْنِ عَمِّهِ الَّذي لَه المَزَاياَ فِي مَوَاطِنِ الوَغَى
أبي السِّبْطَيْنِ مُسْقِطِ الفَخْرِ عَلَى مَنْ حُبُّهُ الحِصْنُ الحَصِينُ المُقْتَنَى
رحبِ المكَارِمِ السِّنِيّ مَجْدُهُ شَمْسِ المَفَاخِرِ خِتَامِ الخُلَفَا
فإنَّهُ البَحْرُ الغَزِيرُ فَضْلُهُ الهَاشِمِيُّ السَّيْفُ الصَّقِيلُ المُنْتَضَا
وَهْوَ عَنِ البَدْرِ المُنِيرِ رَحْمَةً مُحَمَّدٍ شَمْسِ المعالِي وَالعُلاَ
الصَّادِقِ المَصْدُوقِ خَيْرِ شَافِعٍ عَيْنِ العِنَايَةِ الحَبِيب المُصْطَفَى
قُطب السُّعُودِ رَحْمَةِ الخَلْقِ الَّذِي قَدْ جَاءنَا بالبَيِّنَاتِ وَالهُدَى
المُصْطَفَى مِنْ قبْلِ كَوْنِ آدَمٍ رُوحِ الوُجُودِ المُجْتَبَى سِرِّ النُّهَى[1]

انتهى محل الحاجة من المقصورة.

---

[1] وردت هذه القصيدة بنفس اللفظ في: عبد الخالق العروسي، المرقى، ج 1/201-203؛ وأبي حامد محمد العربي الشرقي، الفتح الوهبي، ص: 281--283.

اللهم يا أرحم الراحمين، يا أكرم الأكرمين، يا رب العالمين، بحرمة سيد الوجود، ومفتاح خزائن الكرم والجود، سيدنا ومولانا محمد، وبحرمة هؤلاء الأشياخ الكرام، وصحابة نبيك وآله الأعلام، أسألك يا مولاي /62/ أن توفقني لصالح الأعمال، وتبلغني جميع المقصود والآمال، وتقيني[1] من جميع الزلازل والأهوال، وصلى الله على سيد الأولين والآخرين سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين.

أمَّا والده سيدي أبو القاسم، والشيخ أبو محمد عبد الله ابن ساسي والشيخ أبو عبد الله محمد بن عمرو المختاري فهم المذكورون في السلسلة وإليهم أشار صاحب المقصورة فأشار إلى والده بقوله: "عن والدي نروي طريقة الهدى"، وأشار إلى الشيخ بن ساسي بقوله:

[الرجز]

يا حَبَّذَا الجَاهُ الفَسِيحُ نِلْتُهُ عنِ ابن ساسي الغوثِ كاملِ الحِجَا

وأشار إلى الشيخ ابن عمرو بقوله:

[الرجز]

وَنِلْتُ مِنْ بَحْرِ ابن عَمْرو شَرْبَةً المُخْتَارِيّ اللّيثِ ذائِدِ الـــــــرَّدَا

وأما الشيخ أبو محمد عبد الله الغزواني أفاض الله علينا بركته، فلم يوجد في بعض التقاييد التي وجدت فيها هذه السلسلة، وقد عدَّه صاحب المرآة من أشياخه، والناقل أمين، ومَنْ حَفِظ حجة على من لم يحفظ. قال بعضهم: "وهو الأصح". ومما

[1] في النسختين (ج) و(د): "تؤمني".

ينبغي أن يتعرض له هنا تكميلا للفائدة، ورجاءً البركة العائدة. التعريف بأشياخه الكرام، وذكر شيء من مناقبهم التي ينبغي أن تُنْشَر بين المحبين على ممر الليالي والأيام، وذكر وفاتهم، جدد الله عليهم سحائب الرحمات على الدوام. فأقول: وبالله أستعين في بلوغ المنى والسول. أما والده، فهو الشيخ الفاضل، والعارف الواصل، الولي الزاهد، الناسك العابد، صاحب الخوارق العظام، والمناقب الجسام، والأسوار العرفانية، والمواهب الربانية، أبو محمد سيدي أبو القاسم بن محمد الزَّعْري، كان رحمه الله من الشيوخ المعتمدين، والأولياء المعتبرين، كان يتكلم بألطف الرقائق، وانتفع به الخلائق. أخذ عن الشيخ أبي محمد أو أبي فارس، عبد العزيز بن عبد الحق، المعروف بالتباع. قال صاحب "ممتع الأسماع"[1] فيه : "كان ظاهر الخصوصية، ذا زهد تام وانزواء عن الدنيا، وكان مواخيا لسيدي أبي عثمان أمسناو[2]، متعاهدا لزيارته، وقيل: إنه من أصحاب الشيخ أبي محمد الغزواني. والمعروف الأول"[3]. انتهى.

---

[1] أبو عبد الله محمد المهدي بن أحمد بن علي بن يوسف الفاسي، ولد بالقصر الكبير سنة 1033هـ. وقرأ على أبيه سنين، ثم ارتحل لفاس فسمع من أبي العباس بن جلال وأبي العباس الزموري، وأبي محمد عبد القادر الفاسي وغيرهما. وكان محبا لأخبار الصالحين لهجا بذكر كراماتهم، معتنيا بجمع محاسنهم، غواصا على دقائق علم التصوف، أخذ علم الطريقة عن العارف أبي عبد الله محمد بن عبد الله معن الأندلسي. له مصنفات كثيرة منها: "ممتع الأسماع في أخبار الجزولي والتباع ومالهما من الأتباع" و"تحفة أهل الصديقية بأسانيد الطائفتين الجزولية والزروقية" وغيرها. توفي سنة 1109هـ. ترجمته في: محمد الإفراني، صفوة من انتشر، ص: 352-353؛ ومحمد القادري، نشر المثاني، ج 3/80-83؛ ومحمد الكتاني، سلوة الأنفاس، ج 2/406-409؛ وعبد الحي الكتاني، فهرس الفهارس، ج 1/ 282-284.

[2] أبو عثمان سعيد أمسناو، نزيل أسردون من حوز تادلا، وهو من أصحاب الشيخ عبد العزيز التباع. كان فاضلا زاهدا، توفي في لعشرة الخامسة، ودفن بزاويته ولم يعقب. ترجمته في: ابن عسكر الشفشاوني، دوحة الناشر، ص: 87؛ ومحمد المهدي الفاسي، ممتع الأسماع، ص: 51-52؛ والعباس بن إبراهيم، الإعلام، بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، ج 10/139-140.

[3] محمد المهدي الفاسي، ممتع الأسماع، ص: 53، بنفس اللفظ.

وكانت حرفته، في ابتداء أمره رعاية الغنم، وكانت له جبة من الشعر يلبسها للعبادة، ولزهده في الفاني. وكان، يتعاهد زيارة شيخه سيدي عبد العزيز التباع بمراكش. وأما كراماته ومآثره ومناقبه ومفاخره فكثيرة جليلة خطيرة؛ من ذلك ما أخبر به بعض الفضلاء أن الشيخ سيدي أبا عمرو المراكشي[1]، /63/ ونفعنا به تزوج امرأة من قبيلة بني ملال من تادلة، القبيلة المعروفة بها، فلما وصل وقت تجهيزها، واشتغل أهلها بذلك، وفعلوا ما هو العادة أن يفعلوا بالعروس؛ وكان سيدي أبو القاسم جالسا مع جماعة من أصحابه، فسمع أصواتهم، فقال لأصحابه: "ماذا؟ قالوا له: يا سيدي، هذه زوجة سيدي أبي عمرو، بنت أبي الليل، وهو اسم أبيها. أرادوا أن يبعثوها إليه. فقال لهم: هي زوجة محمد الشرقي، ولدي، ثم قال لهم: ولولا التأدُّبُ مع الله، لقلت: يتزوجها محمد الشرقي، ويلد معها هؤلاء، وأشار إلى أصابعه، وقبض على ثلاثة منها. فلما وصلت لسيدي أبي عمرو، ووقع لها النشوز، ونفرت منه. وقيل: لما أراد أن يقرب منها، قالت: يا سيدي، بحرمة الشيب الذي في وجهك، إلا ما خَلَّيْتَ سبيلي وتركتني. فقال لها: اذهبي يتزوجك الزلال الذي يطلي الحنَّاء في الدَّرة[2]؛يعني به: سيدي محمد الشرقي. فرجعت إلى بلادها تادلة. وقدَّر الله أن يتزوجها سيدي محمد الشرقي، فتزوجها، وولد معها ثلاثة أولاد.

---

[1] أبو عمرو بن أحمد بن أبي القاسم القسطلي الأندلسي المراكشي، كانت له شهرة عظيمة بمراكش وبلاد المغرب، من أتباع عبد العزيز التباع، صحب محمد عبد الكريم الفلاح، ولقي أبا محمد الغزواني، ولد ونشأ بمراكش حيث أسس زاويته بها حوالي 952هـ . وتوفي بمراكش سنة 974هـ . ترجمته في: ابن عسكر الشفشاوني، دوحة الناشر، ص: 98-99؛ وأحمد التادلي الصومعي، المعزى، ص: 269؛ وأبي حامد الفاسي، مرآة المحاسن، ص: 291؛ ومحمد القادري، نشر المثاني، ج 1/67-69؛ ومحمد القادري، الإكليل والتاج، ص: 558-559؛ وأحمد الحضيكي، طبقات الحضيكي، ج1/167-168؛ والعباس بن إبراهيم، الإعلام، ج 1/330-344؛ ومحمد بن الموقت، السعادة الأبدية، 152-153.

[2] في النسختين (ج) و(د): "الرزة".

أحدهم سيدي عبد السلام، الولي العالم المشهور، والباقيان أختان له. فكان الأمر كما أخبر به سيدي أبو القاسم، نفعنا الله به، وشهرته، تغني عن التعريف به، توفي (....)[1]

وقبره مزارة عظيمة للناس، بضفة وادي أم الربيع، قرب قصبة تادلة. وأما الشيخ سيدي عبد الله بن ساسي الونسيفي، فقال فيه صاحب "الدوحة"[2]: "كان من أهل الفضل والخير والصلاح، له مآثر جمة، وأحوال سنية، وكانت النصارى أسرته بمدينة أزمور، وافتكه المسلمون". انتهى. وقال فيه صاحب "المرآة": "كان من أكابر المشايخ الأعيان، وجلة المشاهير من أهل هذا الشأن، صحب الشيخ أبا محمد عبد الله الغزواني، وعول عليه وانتسب إليه واختصم فيه الشيخان أبو محمد الغزواني وأبو الحسن علي بن إبراهيم البوزيدي[3]؛ فقال الشيخ أبو الحسن: "أنا أحق به، فقد عينته في بطن أمه!" فقال له الشيخ أبو محمد: "أنا أحق به فقد عينته وهو في صلب أبيه"[4]. انتهى.

---

[1] بياض في الأصل قدره سطر تقريبا، وكذا في بقية النسخ الأخرى.

[2] ابن عسكر الشفشاوني، دوحة الناشر، ص: 100، بنفس اللفظ، وهو أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسين بن مصباح الحسني، عرف بابن عسكر. ولد بقرية شفشاون من بلاد غمارة ببلاد الهبط، سنة 936هـ . وتولى القضاء والفتوى ببلده شفشاون وترغة وبلاد غمارة. وكان يدرس بها، ثم انتقل إلى فاس ومنها إلى مراكش، ورجع إلى القصر الكبير، وحضر وقعة وادي المخازن مع محمد بن عبد الله السعدي. فقتل فيها سنة 986هـ . من مؤلفاته "دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من القرن العاشر". ترجمته في: ابن عسكر الشفشاوني، دوحة الناشر، ص: 7-9؛ ومحمد القادري، الإكليل والتاج، ص: 294-300؛ وأحمد الناصري، الاستقصا، ج81/5؛ العباس بن ابراهيم، الإعلام، ج 5/ 154-156؛ والزركلي، الأعلام، ج 292/6؛ وكحالة، معجم المؤلفين، ج 31/11.

[3] أبو الحسن علي بن إبراهيم البوزيدي التادلي منشأ ودارا وقبرا ومزارا. أخذ عن الشيخ أبي فارس عبد العزيز التباع. وكان مشهورا بالخير والصلاح.، توفي سنة 957هـ . ترجمته في: ابن عسكر الشفشاوني، دوحة الناشر، ص: 87؛ وأحمد التادلي الصومعي، المعزى، ص: 268-269؛ ومحمد المهدي الفاسي، ممتع الأسماع، ص: 50؛ والعباس بن إبراهيم، الإعلام، بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، ج 184/9-186، عبد الرحمان الصومعي، التشوف في رجال سادات التصوف، ص: 184-186.

[4] أبو حامد الفاسي، مرآة المحاسن، ص: 81، بالعبارة نفسها؛ وينظر أيضا: محمد المهدي الفاسي، ممتع الأسماع، ص: 83-84، بالعبارة نفسها.

قال صاحب "ممتع الأسماع": "حدثني الثقة إن السيد العالم الصالح أبا العباس أحمد بن أبي القاسم الزمراني التادلي الصومعي[1]، ذكر أنه أخذ عن صاحب الترجمة، وإنه من أصحاب التباع بلا واسطة، وإن ذلك عنده بخط الشيخ أبي العباس المذكور"[2]. انتهى. قال في "المرآة": "توفى ليلة الجمعة السادس والعشرين من شعبان سنة إحدى وستين وتسعمائة. انتهى"[3]. وفي "الدوحة": "ودفن بزاويته على ضفة وادي تانسفت بالقرب من مراكش، وقبره مزارة عظيمة هنالك"[4]. انتهى. وعليه بناء حفيل /64/، ومقام جليل. وأما الشيخ أبو محمد عبد الله بن محمد بن ولي الله سيدي أوعجال الغزواني[5] فقال أبو العباس المرابي[6] في حقه: "هو الشيخ الإمام العالم الرباني، المحقق الصوفي، ذو

---

[1] أبو العباس أحمد بن أبي القاسم الصومعي التادلي الشعبي الهروي الفقيه الصوفي العارف الناسك الزاهد صاحب زاوية الصومعة بتادلة، ولد حوالي عام 980هـ، في بيت عابق بروحانية الصوفية، وأهله دار علم وديانة وصلاح. ويعد من شيوخ التصوف بالمغرب. وقد ازدهرت زاويته أيام ازدهار الزاوية الدلائية (القرن الحادي عشر الهجري = 17م). كما يعتبر من المنكبين على التأليف في تصوف الطريقة الجزولية الشاذلية وفي الحديث. من مصنفاته: "بداية المريد المقدام، ومقدمات الأحلام في تحقيق مبادئ الإسلام"؛ و"لباب اللباب في معاملة المالك الوهاب"؛ "وشمس المراسم، وياقوتة المعارف والمعالم"؛ و"نصيحة الضعيف الراغب في ذروة المنيف"، وغيرها. ترجمته في: محمد الإفراني، صفوة من انتشر، ص: 71-75؛ ومحمد القادري، نشر المثاني، ج 1/113-117؛ واحمد الحضيكي، طبقات الحضيكي، ج1/49-49؛ ومحمد القادري، التقاط الدرر، ص: 42-43؛ ومصطفى عربوش، أحمد بن أبي القاسم شيخ زاوية الصومعة ومعه زوايا المنطقة، طبعة 1419-1998.

[2] محمد المهدي الفاسي، ممتع الأسماع، ص: 51 بنفس اللفظ.

[3] أبو حامد الفاسي، مرآة المحاسن، ص: 81 بالعبارة نفسها.

[4] ابن عسكر الشفشاوني، دوحة الناشر، ص: 100 بالعبارة نفسها.

[5] عجال والد عبد الله الغزواني المراكشي، كان من عباد الله الصالحين. وله أتباع كثر. توفي أواسط العشرة الثانية بقصر كتامة، ودفن خارج باب الوادي بإزاء ضريح السيد عبد الله المظلوم، وله مآثر كثيرة. ترجمته في: ابن عسكر الشفشاوني، دوحة الناشر، ص: 91؛ والمراكشي، الإعلام، ج16/9.

[6] أبو العباس أحمد بن موسى المرابي الأندلسي، ولي صالح، فقيه صوفي شهير من أهل فاس، من أصحاب أبي النعيم رضوان بن عبد الله الجنوي، وألف فيه كتابه: "تحفة الإخوان ومواهب الامتنان في مناقب سيدي رضوان". ثم انتقل بعد موته لصحبة أبي المحاسن الفاسي، وله موشحات وأزجال. توفي عام 1034هـ. ترجمته في: محمد الإفراني، صفوة من انتشر، ص: 227؛ ومحمد القادري، نشر المثاني، ج 1/263؛ ومحمد القادري، الإكليل والتاج،

الأحوال السنية، والمقامات العلية، قطب زمانه، وفريد وقته وآوانه[1]". ثم قال: "كان من الأكابر، وكان في أحواله بحرا لا يجارى، وآية لا تبارى"[2]. ثم قال: "له الكرامات الكثيرة التي لا تحصى، والمنازلات التي لا تستقصى. بلغ بها التواتر في أقصى البلاد، ولم تزل متداولة بين العباد"[3]. ثم قال: "وبالجملة فقد كان من الأئمة في وقته في تربية المريدين، وممن له قدم راسخ في الطريق، وتخرج به جماعة من صدور المشايخ"[4]. انتهى.

وقال فيه ابن عسكر في "الدوحة": "هو شيخ المشايخ، العارف بجلال الله وجماله، الداعي إلى حضرة الربوبية بجميع أقواله وأفعاله"[5]. ثم قال: "هذا الرجل آية من آيات ربه في ملكه، وبهجته عند الأولياء وواسطة سلكه، عجز اللسان عن العبارة التي توفي بحقه، وما هو إلا الإيماء بالإشارة إلى علو مجده"[6]. ثم قال في آخر الترجمة: "وعلى الجملة فأخبار سيدي أبي محمد الغزواني أكثر من أن تحصى، ومناقبه لا تستقصى، ولو تتبعناها لكانت في مجلدات"[7]. قال: "وهو مما لا شك في ولايته، وبركته أشهر من أن تذكر"[8]. وقال قبل ذلك في أوائل الترجمة: "أصله من غزوان، قبيلة من العرب بالمغرب، ومن الناس من يجعل نسبه علويا. كان يتعلم العلم بفاس، فلما سمع بالشيخ علي بن

ص: 161-162؛ وأحمد الحضيكي، طبقات الحضيكي، ج 79/1؛ والزركلي، الأعلام، ج 262/1؛ وكحالة، معجم المؤلفين، ج 190/2.

[1] ورد هذا النص بنفس اللفظ في: محمد المهدي الفاسي، ممتع الأسماع، ص: 38-39.

[2] نفسه، ص: 39.

[3] نفسه، ص: 39.

[4] نفسه، ص: 39..

[5] ابن عسكر الشفشاوني، دوحة الناشر، ص: 88، بنفس اللفظ؛ ومحمد المهدي الفاسي، ممتع الأسماع، ص: 39، بنفس اللفظ.

[6] نفسه، ص: 39، بنفس اللفظ.

[7] نفسه، ص: 39، بنفس اللفظ.

[8] نفسه، ص: 39، بنفس اللفظ.

صالح الأندلسي[1]، ذهب إليه ولزمه أياما، فرأى من بركته ما حرك بلباله، وأنهض إلى حضرة القدس أحواله، فسأل منه أن يسلك به طريق التربية. فقال له: يا ولدي صاحب الوقت بمراكش، فاذهب إليه، وأمره بالرحلة إلى الشيخ أبي فارس عبد العزيز التباع المعروف بالحرار نسبة إلى صنعة الحرير، فرحل إليه ولازمه، فأمره الشيخ برفع الحطب إلى الزاوية ورعاية الدواب، فبقي على ذلك مدة، ثم استعمله على حِيَاطة بستانه وخدمته، فاستمر على ذلك الحال إلى أن قال الشيخ يوما لأصحابه: قوموا بنا إلى بستان الغزواني، ومهما وجدتم فيه غِرَّةً، فاضربوه وانهبوا ثمار البستان، فذهبوا إليه وهو (...)[2] والشيخ خلفهم، فلما وصلوا إلى البستان، وجدوه مصونا، وبابه عتيق، وسوره حصين. فلم يستطيعوا أن يتسوروا عليه، فكلموه أن يفتح لهم الباب، فقال: أمّا لكم، فلا! فوقفوا إلى أن وصل الشيخ، فقال لهم: ما منعكم من الدخول؟ فقالوا: لم نجد[3] سبيلا إليه. فقال: مثل الغزواني من يحمي حماه! ثم قال له: اذهب، فقد كمل حالك. ثم توجه إلى قبيلة بالهبط تسمى بني فزكار، فأقبل الناس إليه من كل جهة، وضجت الأرض بهيبته /65/، وشاعت وذاعت كرامته، فبلغ ذلك السلطان أبا عبد الله محمد بن الشيخ

---

[1] أبو الحسن علي بن محمد صالح الأندلسي شيخ عارف جليل، من أصحاب الشيخ عبد العزيز التباع، واتخذ له زاوية للفقراء في وادي الزيتون بفاس، وكثر أتباعه. توفي في حياة شيخه سنة 903هـ. ترجمته في: أبي حامد الفاسي، مرآة المحاسن، ص :195-196؛ ومحمد المهدي الفاسي، ممتع الأسماع، ص: 54؛ ابن عيشون الشراط، الروض العطر الأنفاس، بأخبار الصالحين، تحقيق زهراء النظام، الطبعة الأولى ،1997، ص :176-177؛ وأحمد الحضيكي، طبقات الحضيكي، ج 4971/2.

[2] بياض في الأصل قدره كلمة، وفي: ابن عسكر الشفشاوني، دوحة الناشر، ص: 88، ومحمد المهدي الفاسي، ممتع الأسماع، ص: 39 نجد كلمة : "مئون".

[3] في الأصل: " لم نجدوا". وقد صححناها.

المريني[1]، أنهاه إليه الفقيه ابن عبد الكبير[2]فوجه السلطان إلى الشيخ لما خشي منه على ملكه، فلما وصل إليه، أمر بسجنه، وجعله في سلسلة وبعثه إلى فاس، وأوصى به صاحب شرطته بقصبة فاس البالي. فلما قفل السلطان إلى فاس لقيه ابن شقرون صاحب شرطته وأخبره عن الشيخ بأمور عجيبة، منها أن أهل السجن أخبروه عنه أنه ينزع السلسلة من عنقه في أول الليل، ويخرج عنهم، حتى إذا طلع النهار دخل إلى موضعه، ورد السلسلة في عنقه، فأمر السلطان بسراحه، واعتذر إليه، وطلب منه الدعاء ورغب منه أن يكون سكناه بفاس، فأجابه إلى ذلك وبنى زاويته داخل باب الفتوح، وهي التي دفن بها تلميذه أبو عبد الله محمد بن علي الطالب[3]، وأقام هنالك مدة، ثم ارتحل إلى مراكش وقال: ارتحل الأمر عن بني مرين برحيلي عنهم. فكانت حركة السلطان المذكور

---

[1] أبو عبد الله محمد بن الشيخ الوطاسي، بويع بعد وفاة والده محمد الشيخ الوطاسي سنة 910هـ. عني بجهاد البرتغاليين، حتى شغل بذلك عن البلاد المراكشية وسواحلها. فكان ذلك سببا لظهور الدولة السعدية بها سنة 915هـ . حاصر مراكش لكن بني عمه قاموا عليه ونبذوا دعوته كان سببا في فك الحصار. امتحن الشيخ محمد عبد الله الغزواني بإيعاز من الفقيه ابن عبد الكبير الباديسي السفياني الأصل. توفي سنة 931هـ. ترجمته في: ابن القاضي، درة الحجال، ج 152/2؛ ومحمد الكنسوسي، الجيش العرمرم الخماسي، تقديم وتحقيق وتعليق أحمد الكنسوسي، ج80/1؛ وأحمد الناصري، الاستقصا، ج 4/ 140-148.

[2] ورد ذكره في الاستقصا، يقول أحمد الناصري: "...وأغراه به مع ذلك الفقيه ابن عبد الكبير الباديسي السفياني الأصل. وكان هذا الفقيه يصحب الولاة والعمال ويخرج في بعوثهم قاضيا. فكثرت سعايته بالشيخ حتى وقر ذلك في نفس السلطان فبعث إليه فحضر وأمر بالقبض عليه بالموضع المعروف بتاحناوت، وجعله في سلسلة وبعث به إلى فاس". الاستقصا، ج145/4

[3] أبو عبد الله محمد بن علي الهروي الزمراني المعروف بالطالب، عالم عارف كبير الشأن، من كبار تلامذة الشيخ الغزواني. تولى زاوية شيخه الغزواني الكائنة بباب الفتوح بفاس، وبها استقر إلى أن توفي سنة 964هـ، ودفن بها، له شرح على تائية عبد القادر الجيلاني. ترجمته في: ابن عسكر الشفشاوني، دوحة الناشر، ص: 59؛ ومحمد المهدي الفاسي، ممتع الأسماع، ص: 69-78؛ وابن عيشون الشراط، الروض العطر الأنفاس، ص: 266؛ ومحمد القادري، الإكليل والتاج. ص: 285-286.

وأخيه الناصر[1] إلى مراكش، وحصرا بها السلطان أبا العباس أحمد بن محمد الشريف[2] وأخاه أبا عبد الله محمد الشيخ[3]، ونصبت الأنفاظ على سور البلد، فقيل للشيخ: إن أهل البلد قد ضجروا وخشوا على أنفسهم، فركب مع أصحابه وخرج على باب مراكش المعروف بباب الشيخ أبي العباس السبتي[4]. فوجدوا رماة السلطان المريني يرمون، فوقف الشيخ يعتبر، فجاءت كرة رصاص من مدفع في صدره، ثقبت قشابة صوف، ووقفت على لحمه ولم تدخل فيه، على أنها صارت قرصة، كأنها ضربت في حجرة صماء، ثم قبض الشيخ عليها بيده، وقال: لا إله إلا الله. هذا خاتمة ضربهم، ثم رجع إلى البلد، فوردت الأنباء على المريني في تلك الليلة بأن أولاد عمه قاموا بفاس، ونبذوا دعوته،

---

[1] الناصر بن محمد الشيخ الوطاسي، المعروف عند عامة فاس بأبي علاقة وبالكديد. لقب بذلك لكثرة سفكه الدماء وإقدامه عليه. توفي سنة 930هـترجمته في: ابن القاضي، درة الحجال، ج 27/3؛ وأحمد الناصري، الاستقصا، ج 148/4.

[2] أبو العباس أحمد بن محمد الشريف الأعرج، بويع بولاية العهد لأبيه القائم بأمر الله سنة 918هـثاني مؤسس الدولة السعدية ببلاد سوس ومراكش. وظفر في حروبه مع البرتغاليين بأحواز (تيلمست) و(أسفي) وغيرهما. ثم قام عليه أخوه محمد الشيخ فقبض عليه مع جميع أولاده وسجنهم بمراكش سنة 946هـ . وتوفي سنة 964هـ .. ترجمته في: محمد القادري، نشر المثاني، ج150/1؛ ومحمد الكنسوسي، الجيش العرمرم الخماسي، ج 81/1؛ وأحمد الناصري، الاستقصا، ج 20/5-23؛ ومحمد المشرفي، الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية، دراسة وتحقيق إدريس بوهليلة، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ج261/1-262؛ والزركلي، الأعلام، ج 284/1.

[3]أبو عبد الله الشيخ الملقب بالمهدي، ولد سنة 893هـ أخو وزير أبي العباس الأعرج، اغتيل على يد جماعة من الأتراك بأكلكال قرب تارودانت في آخر سنة 964هـ ترجمته في: ابن القاضي، درة الحجال، ج 204/2-206؛ ومحمد القادري، نشر المثاني، ج110/1؛ ومحمد الكنسوسي، الجيش العرمرم الخماسي، ج82/1؛ وأحمد الناصري، الاستقصا،ج 27/3-42؛ ومحمد المشرفي، الحلل البهية، ج261/1-262؛ وإبراهيم حركات، المغرب عبد التاريخ، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، الطبعة، 1420هـ-2000م، ج 246/2-250.

[4] أبو العباس أحمد بن جعفر الخزرجي المعروف بالسبتي الفقيه الصوفي العالم العارف بالله. ولد بسبتة عام 524هـ . نزل مراكش، أخذ عن الشيخ أبي عبد الله الفخار. وصحب الفقيه أبا الفضل عياض بن موسى اليحصبي. توفي سنة 601هـ . ودفن بباب تاغزوت ترجمته في: يوسف التادلي، التشوف إلى رجال التصوف، ص: 451-477؛ وأحمد بابا التنبكتي نيل الابتهاج، ص: 69-77؛ وأحمد بابا التنبكتي، كفاية المحتاج، ص: 76؛ ومحمد بن الموقت، السعادة الأبدية، ص: 131-136.

فأصبح راحلا ولم تقم له ولا لأهل بيته قائمة من بعده، ولله الأمر من قبل ومن بعد. ثم استقر الشيخ بمراكش إلى أن توفي سنة خمس وثلاثين وتسعمائة، ودفن بزاويته بحومة القصور"[1] داخل مدينة مراكش، وهو مزارة عظيمة مشهورة. وذكر صاحب "التحفة" سبب موته، وأنه خرج يوما على عادته للبادية في صلح، وخرج معه أصحابه، فلما رجعوا وكان قريبا من البلد وهو راكب على فرسه سائرا في الطريق، إذ رأوه قد مال عن فرسه فأسرعوا إليه، فإذا هو ميت فحملوه إلى المدينة ودفنوه في زاويته نفعنا الله به. وقد ذكر أبو العباس ابن أبي محلي[2] وكذلك صاحب "المرآة" في سبب خروجه من القراءة إلى طريقة القوم قريبا مما سبق عن "الدوحة". وزاد صاحب "المرآة" "أنه كان يقرأ بمدرسة الوادي[3] بعدوة الأندلس من فاس /66/ أمنها الله تعالى"[4]. وقضيته مع إخوانه الأصفياء، والسادات الأحظياء، حيث أرادوا أن يعلموا الخليفة منهم بعد موت شيخهم سيدي عبد العزيز التباع، وقد أخبرهم الشيخ بأن الوارث منهم، وأن سره لا يخرج عنهم، وقد ظهرت

---

[1] ابن عسكر الشفشاوني، دوحة الناشر، ص: 88-89، بنفس اللفظ؛ ومحمد المهدي الفاسي، ممتع الأسماع، ص: 39-40، بنفس اللفظ.

[2] أبو العباس أحمد بن عبد الله بن أبي محلي السجلماسي، ولد بسجلماسة سنة 967هـ . ونشأ بها، أخذ عن والده، ثم انتقل إلى فاس، فأقام بها مدة وأخذ عن شيوخها، فتزعم حركة دينية سياسية ضد السلطان المأمون السعدي، عندما تنازل عن العرائش للإسبانيين سنة 1019هـ، فزحف إلى مراكش وطرد السلطان زيدان، غير أن السلطان استعان بالشيخ يحيى بن سعيد الحاحى الذي تمكن من القضاء عليه سنة 1022هـ. وله تآليف، منها: "الإصليت" و"الوضاح" و"القسطاس" وغيرها، ترجمته في: محمد القادري، الإكليل والتاج، ص: 154-155؛ والعباس بن إبراهيم؛ الإعلام، ج 286/2.

[3] مدرسة الوادي مسجد قريب من مسجد الأندلس بفاس؛ ينظر: محمد المهدي الفاسي، ممتع الأسماع: ص: 41.

[4] أبو حامد الفاسي، مرآة المحاسن، ص: 196، بنفس اللفظ.

بركته على جماعة من أصحابه، وجمعهم سيدي عبد الكريم الفلاح[1] لذلك وضع لهم طعاما مذكورة عند غير واحد ممن ذكر سيدي عبد العزيز وأصحابه نفعنا الله بهم آمين.

وأما الشيخ أبو عبد الله محمد بن عمر بن داوود المختاري، من أحواز مكناسة، فقال في حقه صاحب "الدوحة": "كان من الصالحين، وكانت أحوال من الجذب تغلب عليه، فيكاشف بالغيب. وكان كثيرا ما يذهب إلى الولوع بالصيد، وله مناقب كثيرة توفي في العشرة السابعة، ودفن بموضع يقال له: اجْروا بإزاء واد الكَلّ عل مرحلة من مكناسة رحمة[2] الله عليه"[3]. انتهى اختصار بعضه. قال صاحب "ممتع الأسماع": "قوله: في العشرة السابعة، صوابه: الثامنة؛ لأنه ذكر أنه لقيه سنة سبعين، وهذا يقع له كثيرا يعبر عن العشرة بالتي قبلها. ثم قال: ومن أخباره ومكاشفته أنه كان مارا مع أصحابه يوما بموضع، وكان به غنم ونعجة تنعر وتصيح، فقال لهم: ألا تسمعون ما تقول هذه النعجة؟ قالوا: فما تقول يا سيدي؟ قال: تقول: أسرعوا بهذا الموضع لتخلفوه، فإني بهذا الموضع أكل الذيب ولدي عام أول، فتخلّف رجل ممن كان معهم فسأل الراعي: هل

---

[1] أبو محمد عبد الكريم الفلاح من أهل مراكش ومن أصحاب الشيخ عبد العزيز التباع. كان معاصرا للشيخ أبي محمد الغزواني ومؤاخيا له، كبير الشأن. وكان السلطان أبو العباس أحمد بن محمد الشريف وأخوه أبو عبد الله محمد الشيخ يأتيان إلى زيارته بزاويته. توفي بمراكش سنة 933هـ، ودفن بقبة القاضي عياض ملاصقا له داخل باب أيلان. ترجمته في: ابن عسكر الشفشاوني، دوحة الناشر، ص: 91-92؛ وأبي حامد الفاسي، مرآة المحاسن، ص: 291؛ ومحمد المهدي الفاسي، ممتع الأسماع، ص: 48-49؛ ومحمد القادري، نشر المثاني، ج167/1؛ ومحمد القادري، الإكليل والتاج، ص: 445؛ وأحمد الحضيكي، طبقات الحضيكي، ج 433/2-434؛ والعباس بن إبراهيم، الإعلام، ج 170/8-180؛ ومحمد بن الموقت، السعادة الأبدية، ص: 57.

[2] في الأصل: "رحمت"، وقد صححناها.

[3] ابن عسكر الشفشاوني، دوحة الناشر، ص: 77-78، بنفس اللفظ.

رعى[1] بهذا الموضع عام أول، وهل أكل له الذيب شيئا، فقال له: نعم، هنا أكل الذيب عام أول ولد تلك النعجة وأشار إليها، فرجع وأخبر بذلك"[2].

قال في "الدوحة": "وسمعت القائد العباس أحمد بن غضيفة، يقول: والله ما رأيت مثل سيدي محمد بن عمر، كاشفني بأمور لم يطلع عليها إلا الله سبحانه، ولقد صنعت صنيعا لم يعلم به إنس ولا جان ثم جئته، وقلت في نفسي: إن كان من الأولياء يفضحني بما صنعت، فلما دخلت عليه أخذ بيدي ودخل بي إلى موضع خال، وقال لي: يا أخي النصيحة واجبة، والتوبة لازمة، وأنت لا تقبل الإشارة، ولكنك صنعت كذا وكذا وذكر لي القصة كأنه كان حاضرا معي. فقلت: أتوب إلى الله سبحانه، فقال: أُستر ما سمعت ولا تحدث به أحدا"[3].

فهؤلاء الأربعة هم أشياخ الشيخ الكبير، والعلَم الراسخ الشهير، قطب الأولياء، ورئيس الأصفياء، ومقدم حلبة الأتقياء، سيدي محمد الشرقي، نفعنا الله ببركاته، وأَنالَنا من فضله وخير دعواته، آمين، والحمد لله رب العالمين.

وقد علمت اجتماع شيوخه الأربعة في سيدي عبد العزيز التباع منهم بالواسطة، ومنهم بغير واسطة /67/، والشيخ[4] سيدي عبد العزيز التباع، هو الولي الصالح، القطب الناصح، علم الأعلام، وشمس الأنام، أستاذ الطريقة، ومعدن الشريعة والحقيقة، كنز العلماء العاملين، وطود المشايخ العارفين، مربي المربين، ونخبة السالكين، محيي الطريقة بالمغرب ومجدد رسومها، ومشيد بنائها، وناشر أعلام فهومها، صاحب الأحوال الربانية

---

[1] في الأصل: "رعا"، وقد صححناها.

[2] محمد المهدي الفاسي، ممتع الأسماع، ص: 115، بنفس اللفظ.

[3] ابن عسكر الشفشاوني، دوحة الناشر، ص: 77، بنفس اللفظ.

[4] في الأصل: "شيخ"، وقد صححناها.

والمواهب والأسرار العرفانية، قطب الأفاضل، ابن الأماجد الأماثل، سيدي مولاي أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن سليمان بن سعيد بن يعلى بن يخلف بن موسى بن علي بن يوسف بن عيسى بن عبد الله بن جندوز بن عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن حسان بن إسماعيل بن جعفر بن عبد الله الكامل بن حسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب. هكذا ذكر هذا النسب "صاحب المرآة"[1] و"صاحب الممتع"[2] وفيه اختلاف ذكراه. "ويعرف بالجزولي، لكونه في عد الاجزولية، وهي قبيلة من البربر بسوس الأقصى. ويقال: جزولة[3] وكزولة بالجيم والقاف المعقودة، ويكتب في نسبه السملالي أيضا، وسملالة قبيلة من جزولة وينسب إلى سليمان، فيقال: سيدي محمد بن سليمان. وهو جد أبيه كما تقدم. وكثيرا ما ينسب المرء وينتسب قديما وحادثا إلى من فوق والده المباشر، لشهرته أو لحصول التعريف به أكثر[4]. وهو المشار له في السلسلة عند أبي العباس في مقصورته بقوله:

[الرجز]

وَهْوَ عنِ القُطْبِ الشَّهِيرِ فَضْـــــلُهُ الجَـزُولِّي الحَبْـرِ نُخْبَـةِ العُـــــلاَ

---

[1] أبو حامد الفاسي، مرآة المحاسن، ص: 197، بنفس اللفظ.

[2] محمد المهدي الفاسي، ممتع الأسماع، ص: 1، بنفس اللفظ.

[3] جزولة، بالجنوب قبيلة تاريخية كبرى، تستوطن وتراقب سلسلة جبال الأطلس الصغير وبعضا من مسالك الصحراء المجاورة. تفيد كلمة، يكزولن الإنتاج وتربية الأغنام. أما صيغة ايكنولن فتفيد سكان سلسلة جبال الكست (الأطلس الصغير) التي تستمد بدورها تسميتها من جودة ووفرة أصواف أغنامها. أما صيغة إيكزولن فتعني صغار القامة المرتبطين عادة بسكنى الجبل. ولهذه الصيغة معنى رابع مستمد من مفهوم توركزة الذي يفيد معنى الشجاعة والرجولة. ينظر: مصطفى ناعمي، مادة" جزولة"، معلمة المغرب، ج 9/ 2999-3002.

[4] محمد المهدي الفاسي، ممتع الأسماع، ص: 1، بنفس اللفظ.

فطريق الشيخ سيدي محمد الشرقي تباعية جزولية، كما سبق. وطريق الشيخ الجزولي شاذلية، فهي طريقة فاضلة مفضلة. "وقد كان الشيخ الجزولي في ابتداء أمره بفاس بمدرسة الصَّفّارين، يطلب العلم، وبيته اليوم بها معروف"[1]، وبها ألف كتابه "دلائل الخيرات". ذكر ذلك أبو العباس في "كفاية المحتاج". "ويذكر أن سبب جمعه "لدلائل الخيرات"، أنه شاهد من امرأة أمرا عظيما[2]، قيل من جملته: "إنها كانت تطير في الهواء، فسألها بم بلغت ذلك، فقالت: بالصلاة على النبي ﷺ، فأخذ في جمع كتابه، ويقال: إنه جمعه من كتب خزانة القرويين، وقد كانت له مرتبة عظيمة، ومنزلة فخيمة في محبة المصطفى والإكثار من الصلاة عليه ﷺ".

قال الشيخ الإمام أبو عبد الله القصار: "كان سيدنا محمد بن سليمان الجزولي على محبة عظيمة له، فقد قيل له: فضلتك على أهل عصرك بكثرة صلاتك على حبيبي محمد، وسادتنا الشاذلية مخصوصون بزيادة محبة فيه، لأن طريقهم مبنية عل كثرة الصلاة /68/ عليه، وهي تفيد ذلك"[3].

وقال الشيخ أبو العباس أحمد بن موسى في "تحفة الإخوان، ومواهب الامتنان": "وكفاه هذا التأليف العظيم، يعني "دلائل الخيرات" شهادة على سمو قدره، ونمو مجده"[4].

قال "صاحب ممتع الأسماع": "وأثر كسوة قلب مؤلفه عليه ظاهر، ومنه لائح، وشدة شغفه بالنبي، وتهالكه في حبه منه واضح، قال: والكتاب المذكور قد نفع الله به

---

[1] ورد هذا النص بنفس اللفظ في: محمد المهدي الفاسي، ممتع الأسماع، ص: 5.

[2] نفسه، ص: 6، بنفس اللفظ.

[3] نفسه، ص: 7، بنفس اللفظ.

[4] نفسه، ص: 7، بنفس اللفظ.

العباد، وأقبل الناس عليه، وسار فيهم مسير الشمس والقمر، واشتهر في البدو والحضر، وأكبوا عليه في مشارق الأرض ومغاربها دون غيره منكتب الصلاة على النبي على كثرتها وسبقيتها، ويجدون له بركة ونورا"[1]. انتهى.

قال "صاحب" ممتع الأسماع: "قال سيدي محمد بن سليمان الجزولي، قيل لي: يا عبدي فضلتك عل جميع خلقي بكثرة صلاتك على نبيي، يا عبدي من تكبر عليك من أولياء الزمان سلبته من نوري"[2]. انتهى. ثم قال: "ثم وجدت فيما قيد عن الشيخ من الكلام، بلفظ يا عبدي فضلتك على جميع خلقي بكثرة صلاتك على نبيي، يا عبدي من أطاعك من الأولياء فقد أطاعني، ومن عصاك من الأولياء فقد عصاني، ومن تكبر عليك من أولياء الزمان سلبته من نوري"[3]. قال صاحب الممتع: "قوله على جميع خلقي الذين في عصره، ويحتمل أن يكون معنى فضلتك: خصصتك وآثرتك بكثرة الصلاة على نبيي، فلا يصلي أحد عليه من العدد ما تصلي عليه أنت، فالتفضيل واقع بنفس الإكثار من الصلاة، والله أعلم"[4]. ومن كلامه، قال: قيل لي: "يا عبدي تاهت العقول فيما أعطيتك، وما بقي لك عندي أكثر وأعظم من قبل أقدامك بالحب والشوق أتيته يوم القيامة بالعفو والصفح، يا عبدي تنافست الأولياء فيما أعطيتهم، ولا يبلغ أحد ما أعطيتك من كرامتي، يا عبدي لو كانت الملائكة كتابا، والأشجار أقلاما، والبحار مدادا، لا يكتبون من أحوالك السنية إلا مقدار ما يكتب الولد الصغير في اللوح من الأسطار، يا عبدي لا يبلغ أحد مقامك من أوليائي، سبق ذلك في علم الغيب عندي وعزتي وجلالي لأعطينك يوم

---

[1] محمد المهدي الفاسي، ممتع الأسماع، ص: 9، بنفس اللفظ.

[2] نفسه، ص: 8، بنفس اللفظ.

[3] نفسه، ص: 8، بنفس اللفظ.

[4] نفسه، ص: 8، بنفس اللفظ

القيامة حكما على أوليائي"[1]. انتهى. ومع هذا كله فإن جميع ما صدر منهم، رضي الله عنهم، من نحو هذا الكلام إنما هو من باب التحدث بالنعم مع الشكر عليها، من دون فخر ولا عجب، وإلا فالخوف من الله لا يزال معهم دائما. ومما ينسب إليه، وذلك يدل على شدة خوفه، قوله:

[الطويل]

إذَا شَهِدَتْ يَوْمَ العِقَابِ جَوَارِحِي ... فَكَيْفَ خَلاَصِي من ظهورِ قَبَائِحِي

إذَا قَالتِ العَيْنَانِ تَذْكُر سَاعَةً ... نَظَرْتَ بِهَا لِلْمُنْكَرَاتِ القَبَائِحِ/69/

وَقَالَ لِسَانِي كَم لَفَظْتَ بِبَاطِلٍ ... وَكُنْتَ إلى العِصْيَانِ أَوَّلَ رَائِحِ

وَقَالَتْ يَدَايَ كَمْ تنَاوَلْتَ مَأْثَماً ... فَوَا أَسَفَا إنْ كُنْتَ غَيْرَ مُسَامَحِ

وَقَالَتْ لِيَ الرِّجْلاَنِ مُحرَمُ مَا مَشَتْ ... إِلَيْهِ وَلَمْ تَسْمَعْ مَقَالَةَ نَاصِحِ

فإِنّي إلى نَارٍ تَلَظَّى وَقُودُهَا ... أُسَاقُ ذَلِيلاً خَاسراً غَيْرَ رَابِحِ

فـإِنْ مَـنَّ ذُو الإِحْسَـانِ بِالعَفْـوِ والـرِّضاَ ... نَجَـوتُ إلاَّ كُـنْـتُ رَهْـنَ قَـبَـائِـحِ[2]

وأيضا فإن شيخه وشيخهم من ذريته، فاجتمعت فيهما المحبة الدينية والطينية، فتضاعفت فيهما المحبة، فاستمد أصحابه من مادة قوته جدا.

---

[1] محمد المهدي الفاسي، ممتع الأسماع، ص: 5، بنفس اللفظ.

[2] وردت هذه القصيدة بنفس اللفظ في: عبد الخالق العروسي، المرقي، ج 216/1، وأبي حامد محمد العربي الشرقي، الفتح الوهبي، ص: 303؛ والإعلام، للمراكشي، ج 226/5؛ وابن الموقت، السعادة الأبدية، ص: 144.

وقد قال سيدي أبو العباس المرسي[1]: "لو حجب عني رسول الله ﷺ، طرفة عين ما عددت نفسي من المسلمين. وكان سيدنا ابن وفا[2] يراه في اليقظة[3]". والشيخ الجزولي شريف أيضا، وكذا شيخه سيدي محمد بن عبد الله أمغار، شريف أيضا، قاله في "الممتع"[4]ناقلا عن الشيخ القصار وتلميذه أبي العباس أحمد بن يوسف[5]، والشيخ سيدي العربي[6]، وصاحب الدوحة[7]، وكذا الشيخ عبد العظيم الزموري في تأليفه المعروف في أهل عين الفطر. ونقل أنهم رضي الله عنهم، دعوا على من طعن في نسبهم الشريف بقطع عقبه، فليحذر الإنسان من الوقوع في مثل ذلك. "وكذا الشيخ سيدي عبد السلام بن مشيش شريف أيضا، وكذا سيدي عبد الرحمن بن الحسين الشريف العطار المدني

---

[1] أبو العباس أحمد بن عمر المرسي الأنصاري، العارف بالله، أخذ عن الإمام أبي الحسن الشاذلي، ولازمه وانتفع بصحبته وورث سره، وكان الخليفة بعده. وصحبه تاج الدين بن عطاء الله. توفي سنة 686هـ، وقبره بالاسكندرية، يزار. ترجمته في: ابن عطاء الله السكندري، المنن في مناقب الشيخ أبي العباس المرسي وشيخه الشاذلي؛ وابن الملقن، طبقات الأولياء، ص: 418-420؛ وابن القاضي، درة الحجال، ج 9/1؛ وأحمد بابا التنبكتي، كفاية المحتاج، ج80/1.

[2] أبو الفضل محمد بن محمد السكندري المعروف بمحمد وفا الشاذلي، صوفي، ناظم، ولد ونشأ بالاسكندرية، وسلك طريق الشيخ أبي الحسن الشاذلي. وهو مؤسس الطريقة الوفائية الشاذلية. توفي سنة 765هـ. ترجمته في: الشعراني، الطبقات الكبرى، ج240/1-241؛ والكوهن الفاسي، طبقات الشاذلية الكبرى، ص: 100-101؛ والزركلي، الأعلام، ج 37/7-38؛ و كحالة، معجم المؤلفين، ج 279/11.

[3] أبو حامد الفاسي، مرآة المحاسن، ص 197؛ ومحمد المهدي الفاسي، ممتع الأسماع، ص: 7، بنفس اللفظ.

[4] محمد المهدي الفاسي، ممتع الأسماع، ص: 7، بنفس اللفظ.

[5] أبو العباس أحمد بن يوسف الفاسي ولد سنة 971هـ بالقصر الكبير، قرأ على والده أبي المحاسن كتبا في التصوف وغيره، فأخذ العربية عن أبي عبد الله الزياتي، وعن أحمد بن قاسم القدومي، والأصول والبيان عن أبي العباس المنصور، والفقه عن أبي زكرياء السراج، ولازم أبا مالك الحميدي. وأخذ المنطق عن أبي القاسم بن سودة، ولازم الشيخ القصار. توفي سنة 1021هـ . ترجمته في: أبي حامد الفاسي، مرآة المحاسن، ص: 289- 290؛ وعبد الله بن محمد الفاسي، الإعلام، بمن غبر من أهل القرن الحادي عشر، ص: 96؛ ومحمد الإفراني، صفوة من انتشر، ص: 105؛ ومحمد القادري، نشر المثاني، ج 161/1-163؛ ومحمد القادري، الإكليل والتاج، ص: 152-154؛ وأحمد الحضيكي، طبقات الحضيكي، ج 52/1-53؛ وعبد الله كنون، النبوغ المغربي، ج 247/1-248.

[6] أبو حامد الفاسي، مرآة المحاسن، ص: 197.

[7] ابن عسكر الشفشاوني، دوحة الناشر، ص:13.

الشهير بالزيات لسكناه بحارة الزياتين. فمن كان في هذه الطائفة الجزولية كان في سلسلة خمسة مشايخ شرفاء؛ أولهم سيدي محمد بن سليمان الجزولي، وثانيهم شيخه سيدي محمد بن عبد الله أمغار، وثالثهم شيخ الطريقة سيدي أبو الحسن الشاذلي، ورابعهم شيخه القطب أبو محمد عبد السلام بن مشيش، وخامسهم سيدي عبد الرحمن المدني"[1].

قال الشيخ أبو الحسن علي بن محمد صالح الأندلسي: "ليس في الوجود أعلى من طريقتين: طريقة الشيخ سيدي عبد القادر الجيلاني، وطريقة الشيخ سيدي أبي الحسن الشاذلي. تداركنا الله برضاهما"[2]، وكيفية اتصال الشيخ الجزولي بالشيخ الشاذلي، تقدم في المقصورة سنده. وقال الجلال السيوطي: "وطريق الشاذلي، أحسن الطرق في التصوف"[3].وما أحسن قول ابن وفا، رحمه الله تعال، حيث يقول:

[الطويل]

تَمَسَّكْ بِنَهْجِ الشَّاذِلِيَّةِ تَلْقَ مَا تَرُومُ وَحَقِّقْ ذَا الرَّجَاءَ وَحَصِّلِ

وَلاَ تَعْدُوَنْ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ فَإِنَّهُمْ شُمُوسُ هُدىً فِي أَعْيُنِ المُتَأَمِّلِ[4]

وقد أشار الإمام العالم سيدي محمد البوصيري، إلى مدح طريقة الشاذلي /70/ في داليته بقوله[1]:

---

[1] محمد المهدي الفاسي، ممتع الأسماع، ص: 7-8، بنفس اللفظ.

[2] نفسه، ص: 21، بنفس اللفظ.

[3] جلال الدين السيوطي، تنزيه الاعتقاد عن الحلول والاتحاد، ضمن الحاوي للفتاوي، ج 127/2، بنفس اللفظ.

[4] ينظر: جلال الدين السيوطي، تنزيه الاعتقاد، عن الحلول والاتحاد، ضمن الحاوي للفتاوى، ج 128/2، بنفس اللفظ؛ وأبي حامد الفاسي، مرآة المحاسن، ص: 274، بنفس اللفظ.

[الكامل]

إن الإمَامَ الشَّاذليَّ طَرِيقُهُ ... في القَوْلِ وَاضِحَةٌ لِعَيْنِ المُقْتَدِي

فَانْقُلْ وَلَوْ قَدَماً على آثَارِهِ ... فَإذا فَعَلْتَ فَذَاكَ أَخْذٌ بِاليَدِ

وَاسْلُكْ طَرِيقَ مُحَمَّدِيٍّ شِرْعَةً ... وَحَقِيقةً وَمُحمَّدِيَّ المَحْتِـــــــــدِ

مِنْ كُلِّ نَاحِيَّةٍ سَنَاهُ يَلُوحُ مِنْ ... مِصْبَاحِ نُورِ نُبُوَّةٍ مُتَوَقِّـــــــدِ

فَتْحٌ أَتَى طُوفَانُهُ بِمَعَارِفٍ ... تَنُّورُهَا جُودِيُّ كُلِّ مُوَحِّـــــــدِ

قَدْ نَالَ غَايَةَ مَا يرومُ المنْتَهِي ... مِنْ رَبِّهِ وَلَهُ اجْتِهَادُ المُبْتَـــــدِي

مُتَمكنٌ في كُلِّ مَشْهَدِ دَهْشَةٍ ... أَوْ وَقْفَةٍ مَا فَوْقَهَا مِنْ مَشْهَـــــدِ

مَنْ لاَ مَقَامَ لَهُ فَإِنَّ كَمَالَهُ ... للنَّاسِ يَرْجِعُهُ رُجُوعَ مُقَلِّـــــــدِ

قُلْ لِلْمُحَاوِلِ في الدُّنُوِّ مَقَامَهُ ... مَا العَبْدُ عِنْدَ اللهِ كَالمُتَعَبِّـــــدِ

والفَضْلُ لَيْسَ يَنَالُهُ مُتَوَسِّلٌ ... بِتَوَرّعٍ حَرِجٍ وَلاَ بِتَزَهُّـــــــدِ

إنْ قَالَ ذَاك هُوَ الدَّوَاءُ فقُل لَهُ ... كُحْلُ الصَّحِيحِ خِلاَفُ كُحْلِ الأَرْمَدِ/71/

يَمْشِي المُصرَّفُ حيثُ شاء وغَيْرُهُ ... يَمْشِي بِحكْمِ الحِجْرِ مَشْيَ مُصَفَّدِ

مَنْ كَانَ مِنْكَ بِمَبْصَرٍ وبِمَسْمَعٍ ... أَتَخَالُ مِنْهُ عَلَى حَدِيثٍ مُسْنَدِ

لِكِلَيْهِمَا الحُسْنَى وإن لَمْ يَسْتَوُوا ... في رُتْبَةٍ وَقَدْ اسْتَوَوْا في الموعِدِ

كُلٌّ بِمَا شَاءَ الإلاَهُ مُيَسَّرٌ ... فالنَّاسُ مَا بَيْنَ مُقَرَّبٍ وَمُبَعَّدِ

وإذا تحقَّقْتَ العِنَايَةَ فاسْتَرِحْ ... وإذا تحقَّقْتَ العِنَايَةَ فاجْهَدِ

أَفْدِي عَلِيًّا بِالوُجُودِ وَكُلُّهَا ... بِوُجُودِهِ مِنْ كُلِّ سوءٍ يَفْتَدِ

---

[1] وردت هذه الأبيات بنفس اللفظ في: ديوان البوصيري، ص: 68-69؛ والكوهن الفاسي، طبقات الشاذلية الكبرى، ص: 20-21؛ وعبد الخالق العروسي، المرقي، ج 2/243-244.

قُطْبُ الزَّمَانِ وغَوْثُهُ وإِمَامُهُ عَيْنُ الوُجُودِ لِسَانُ سِرِّ الموحِّدِ
سَادَ الرِّجَالَ فَقَصَّرَتْ عَنْ شَأوِهِ هِمَمُ المُؤَوِّبِ لِلْعُلاَ وَالمسجدِ
فَتَلَقَّ مَا يُلْقِي إِلَيْكَ بِنُطْقِهِ نُطْقٌ بِرُوحِ القُدْسِ أَيّ مُؤَيّدِ
فَإِذَا مَرَرْتَ عَلَى مَكَان ضَرِيحِهِ وَشَمِمْتَ رِيحَ النَّدِ مِنْ تُرْبٍ نَدِي
وَنَزَلْتَ أَرْضاً فِي العُلاَ مُخْضَرَّةً مُخَضَّلَةً مِنْهَا بِقَاعُ الفَرْقَدِ
وَالوَحْشُ آمنَةٌ لَدَيْهِ كَأَنَّهَا حُشِرَتْ إلى حَرَمٍ بأوَّلِ مَسْجِدِ
وَوَجدتَ تَعْظِيماً في قَلْبِكَ لَوْ سَرَى في جَلْمُدٍ سَجَدَ الوَرى للجَلْمُدِ
فقُلِ السَلاَّمُ عَلَيْكَ يَا بَحْرَ النَّدَى الطَّامِي وَيَا بَحْر العُلُومِ المَزبِدِ
يَا وارثاً بالفَرضِ عِلْمَ نَبِيِّهِ شَرَفاً وبالتَّعْصِيبِ غَيْرَ مُفَنَّدِ[1]

وقال رضي الله عنه: "أطلعني الله عز وجل، على اللوح المحفوظ، فلولا التأدب مع جدي رسول الله ﷺ، لقلت: هذا سعيد وهذا شقي"[2]. نقل ذلك صاحب "الكواكب الزاهرة"، ويكفيك أيضا في كماله ما شوهد في وارثه الولي الصالح، العارف الناصح، القطب الواضح، سراج الطريقة، ومصباح الشريعة والحقيقة، شمس القلوب، وصاحب العلم اللدني الموهوب، أبي[3] العباس المرسي، وإلى مدحه أشار الإمام البوصيري، بقوله.

[1] وردت هذه الأبيات بنفس اللفظ في: أبي حامد محمد العربي الشرقي، الفتح الوهبي، ص :316-317.
[2] ابن مغيزل الشاذلي، الكواكب الزاهرة، ص: 196، بنفس اللفظ.
[3] في الأصل: "أبو"، وقد صححناها.

[الكامل]

شَرَفاً لِمُرْسِيَةٍ رَسَتْ فَأَسَاسُهَا بِعُلاَ أبي العَبَّاسِ فَوْقَ الفَرقَدِ[1]

وقال أيضا:

[الكامل]

وَلَيْهَنِ أَحْمَدَ كِيمِيَاءُ سَعَادَةٍ صَحَّتْ فَلاَ نَارٌ عَلَيْهَا تَعْتَدِ

جَعَلَتْهُ لَمْ يَرَ لِلْحَقِيقَةِ طَالِباً إِلاَّ يَمُدُّ إِلَيْهِ رَاحَةَ مُجْتَدِ

أَلْفَاظُهُ مَبْذُولَةٌ بَذْلَ الحَيَا وَمُصونَةٌ صَوْنَ العَذَارَى الخُرَّد

كُلٌّ يَرُوحُ بِشُرْبِ رَاحِ عُلُومِهِ طَرَباً لَغُصْنِ البَانَةِ المُتَأَوِّدِ

ضَمِنَ الوَقَارَ لَهَا اعْتِدَالُ مِزَاجِهَا فَشَرابُهَا لاَ يَنْبَغِي لِمُعَرْبِدِ

فَضَحَتْ مَعَارِفُهَا مَعَارِفَ غَيْرِهَا وَالزَّيفُ مَفْضُوحٌ بِنَقْدِ الجيِّدِ

كَشَفَتْ لَهُ الأَسْمَاءُ عَنْ أَسْرَارِهَا فإذَا الوُجُودُ لِمُقْلَتَيْهِ بِمَرْصَدِ[2]

ونسب أبو الحسن الشاذلي إلى شاذلة، لأنه كان يتعبد بها، وليس منها كما توهم صاحب "القاموس"، ومولده بغمارة، وشيخه أبو محمد عبد السلام بن مشيش، نفعنا الله ببركتهما. وأشار إلى مدحه وشرف طريقته وذكر نسبه البوصيري رحمه الله بقوله:

[الكامل]

واسْمَعْ مَدَائِحَ آلِ بَيْتِ المُصْطَفَى مِنِّي وَدُونَكَ جَمْعُهَا في مُفْـــــــرَدِ

---

[1] ديوان البوصيري، ص: 113 مع اختلاف في الشطر الثاني من البيت، مثل: "لهما الرياسة من أجل رئيس" عوض "بعُلاَ أبي العباس فوق الفرقد".

[2] ديوان البوصيري، ص: 70-71، بنفس العبارة والترتيب.

صِنْوُ النَّبِيِّ أَخُو النَّبِيّ ووَزِيرُهُ ... وَوَلِيُّهُ فِي كُلِّ خَطْبٍ مُؤَيَّـــــــدِ

جَدُّ الإِمَام الشَّاذِلِي المُنْتَمِي ... شَرَفاً إِلَيْهِ بِسَيِّدٍ عَنْ سَيِّـــــــدِ

أَسْمَاؤُهُمْ عِشرونَ دُونَ ثَلاَثَةٍ ... جَاءَتْ عَلَى نَسَقٍ كَأَحْرُفِ أَبْجَـــــــدِ

لِعَلِّي الحَسَنُ انْتَمَى بِمُحَمَّدٍ ... عِيسى وَسِرُّ مُحَمَّدٍ فِي أَحْمَـــــــدِ

واخْتَارَ بطَّال لِوَرْدٍ يُوشَعـــــــاً ... وَلِيُوسُفٍ وَافَى قُصَيٌّ يَقْتَـــــــدِ

وَبِحَاتِمٍ خُتِمَتْ سِيَادَةُ هُرْمُـــــزٍ ... وَغَدَا تَمِيمٌ لِلْمَكَارِمِ يَهْتَـــــــدِ

وَبِعَبْدِ جَبَّارِ السَّمَوَاتِ اقْتَضَـــــى ... لِلْفَضْلِ عَبد اللهِ بْنَ مُهَنَّـــــــدِ

وأَتَى عَلِيٌّ فِي العُلاَ يَتْلُوهُمُ ... فاخْتِمْ بِهِ سُرُرَ العُلاَ والسُّؤْدُد

أعني أبا الحسن الإمام المجتبى ... ابن هاشم والشاذلي المولد[1]/72/

وفي قوله: والشاذلي المولد، تصريح بأن مولده بشاذلة، ولعله تبع صاحب "القاموس"[2]

وعن الشيخ أبي الحسن الشاذلي، قال: "رأيت النبي ﷺ، في ليلة القدر، وكانت ليلة سبعة وعشرين من رمضان، ليلة جمعة، فقال لي: يا عَلِيُّ طَهِّرْ ثِيَابَكَ مِنَ الدَّنَسِ، تَحْظَ بِمَدِدِ اللهِ فِي كُلِّ نَفْسٍ، فقلت: يا رَسُولَ الله، وَمَا ثِيَابِي؟ فقال: اعْلَمْ أَنَّ اللهَ قَدْ خَلَعَ عَلَيْكَ خَمْسَ خِلَعٍ: خِلْعَةَ المَحَبَّةِ، وَخِلْعَةَ المَعْرِفَةِ، وَخِلْعَةَ التَّوْحِيدِ، وخِلْعَةَ الإيمان،

---

[1] ديوان البوصيري، ص: 67، بنفس العبارة والترتيب.

[2] القاموس المحيط لمحمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم الشيرازي الفيروز أبادي العلامة مجد الدين أبي طاهر اللغوي الشافعي. ولد في سنة 729هـ بكازرون ونشأ بها وحفظ القرآن. انتقل إلى شيراز وسمع بها من محمد بن يوسف المدني الصحيح، ودخل الشام، فسمع بها من ابن الخباز وابن القيم والتقي السبكي والفرضي وابن نباتة، والشيخ خليل المالكي. وتوفي سنة 816هـ. ترجمته في: جلال الدين السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ج1/273-275؛ ومحمد القادري، الإكليل والتاج، ص: 272-277.

وخِلْعَةَ الإسلام، وَمَنْ أَحَبَّ اللهَ تعالى، هَانَ عليه كل شيء، ومن عرف الله تعالى صَغُرَ في عينيه كل شيء، ومن وحَدَّ الله تعالى لم يُشْرِكْ بِهِ شيئاً، ومن آمن بالله تعالى أمن من كل شيء، ومن أَسْلَمَ لله لم يقصِهِ، وَإِنْ عَصَاهُ اعتَذَرَ إِلَيْهِ، ومن اعتذر إِلَيْهِ قَبِلَ عُذْرَه، قال: ففَهِمْتُ عند ذَاكَ تَفْسِيرَ قَوْلِهِ ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾[1]"[2]. وقال: "قلتُ يوماً وأنا في مفازَةٍ في سياحتي: إلهي متى أكونُ لَكَ عَبْداً شَكَّاراً؟ فَسَمِعْتُ قائلاً يقول لي: إذا لم تر منعمًّا عليه غيرك. فقلت: إلهي كيف لا أرى منعما عليه غيري، وقد أنعمت على الأنبياء، وأنعمت على العُلماء، وأنعَمْتَ على المُلوك؟ فإذا أنا أَسمَعُ، يقال لي: لَوْلاَ الأنبياءُ ما اهْتَدَيت، ولولا العلماءُ ما اقتديت، ولولا الملوك لما أمِنْتَ، والكُلُّ نِعْمَةٌ مِنّي عليك"[3]. وقال : "كُنْتُ أَنَا وَصَاحِبٌ لي قد آوينا إلى مَغَارَةٍ لِطَلَبِ الوصول إلى الله تعالى، فكُنَّا نقول: غَداً يَفْتَحُ لَنَا، فَدَخَلَ علينا رَجُلٌ لَهُ هَيْبَةٌ، فقلنا له: مَنْ أنت؟ قال: أنا عبد الملك، فعلِمْنَا أَنَّهُ من أولياء الله تعالى، فقلنا له: كَيْفَ ذلك؟ قال: كَيْفَ حَالُ مَنْ يكون يقول: غَداً يفتح لي، بعد غد يفتح لي؟، فلاَ وِلاَيَةَ ولا فَلاَحَ، يا نَفْسُ، لِمَ لا تَعْبُدِينَ اللهَ ؟، فتيقظنا وعَلِمْنَا مِنْ أين دَخَلَ عَلَيْنَا، فَتُبْنَا إلى اللهِ واستغفرنا، فَفُتِحَ عَلَيْنَا "[4]. اللَّهُمَّ يا ربّ بِجَاهِهِ عِنْدَكَ، وبِجَاهِ جميع الأنبياء والصَّالحين والعلماء العاملين، والأنبياء والمرسلين، افْتح لنا بما فَتَحْتَ بِهِ على أولِيائك، واحْشُرنا في زُمْرَةِ أصفيائِكَ وأَحْظيائكَ، بِمَحْضِ فضلكَ وَكَرَمِكَ وآلاَئِكَ، يا أرحم الرَّاحمين يا ربَّ العالمين".

---

[1] سورة المدثر، الآية: 4.

[2] ورد هذا النص في: أسعد اليافعي، روض الرياحين في حكايات الصالحين، ص: 143، بالعبارة نفسها.

[3] لطائف المنن، ابن عطاء الله السكندري، ص: 56، واليافعي، روض الرياحين، (الحكاية الحادية والتسعون بعد الاربعمائة) ص: 227 بالعبارة نفسها.

[4] نفسه، ص: 227، نفس اللفظ.

قُلْتُ: ومددُ هذا الشيخ نفعنا الله به، هو السّاري في أرباب القلوب الصافيَّة، والمعارف والأسرار الساميَّة، تتوارثه الأفاضل عن الأكابر، وأهل المناصب والمفاخر، وإلى ذلك أشار صاحب الدالية بقوله:

[الكامل]

سِرٌّ تَهَادَتْهُ مَشَائِخُ قَادَةٌ ... كَطَوالِعِ الزُّهْرِ الدَّرَارِي الوُقَّدِ

أَعْظِمْ بِأَعْلاَمِ الهُدَى الطُلاَّعِ في ... سُبُلِ المَفَازِ المُرْشِدينَ الرُّشَّدِ

التَّائِبِينَ العَابِدِينَ لِرَبِّهِمْ ... وَالقانِتِينَ الرَّاكِعِينَ السُّجَّدِ/73/

وَالسَّائِحِينَ الحَافِظِينَ حُدُودَهُ ... والآمِرينَ بِهَا النُّهَاةِ العُبَّدِ

كُلٌّ لَهُ ضَرْبٌ بِقَدْحٍ فَائِحٍ ... فيها وَحَمْلٌ بالحَدِيثِ المُسْنَدِ

شَرَفٌ يُطَرَّزُ بالنُّجومِ ويستمى ... فَوْقَ السّمَاكِ عَلَى مُرُورِ المُسْنَدِ

يَهْدِي بِهَا هَادٍ رَشِيدٌ بَعْدَمَا ... هَادٍ وَيَحْمِلُ سَيّدٌ عن سَيِّدِ[1]

فالشيخ أبو الحسن الشاذلي فضله أعظم من أن يذكر، وأكثر من أن يحصر، تكلُّ عنه الألسنة والأقلام، وتضيق عنه بطون الدفاتر وصدور الأعلام، قد طرّزت بمناقبه الكتب والدفاتر، وزينت مواهبه وفضائله الصُّحف والمحابر، قد حاز من الطريقة قصب السبق، وصار كالشمس في الغرب والشرق. وانظر إلى تلميذه الشيخ الكامل، الموصل الواصل، الإمام، المحقق، والهمام المدقق، صاحب الإشارات، ولطائف العبارات، طبيب القلوب والمعالج لأمراضها بالسر الموهوب، عين الأكابر، ومشكاة الضمائر، أبي[2] الفضل تاج الدين أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله الإسكندري نفعنا الله به،

---

[1] الحسن اليوسي، نيل الأماني في شرح التهاني، ص: 86، مع اختلاف في بعض الألفاظ، مثل: "سنن" عوض" سرٌّ".

[2] في الأصل: "أبو"، وقد صححناها.

صاحب التآليف العديدة، والتقاييد المفيدة، التي وقع الانتفاع بها على الدوام، وممر الليالي والأيام، يكفيك هذا الإمام في شرفه العالي، وقدره المعظم الغالي، نفعنا الله بهما.

وبالجملة: إنَّ الشيخ أبا الحسن، لما قربت وفاته أوصى أصحابه، فكان من جملة وصيته لهم أن قال لهم: "عليكم بحزب البحر، وقال لهم: حفِّظوه لأولادكم، فإن فيه اسم الله الأعظم، وخلا[1] بالسيد أبي العباس المرسي وحده، وأوصاه بأشياء اختصه بها، مما خصه الله به من البركات، وقال لأصحابه: "إذا أنا مت فعليكم بأبي العباس، فإنه الخليفة من بعدي، وسيكون له بينكم مقام عظيم، وهو باب من أبواب الله سبحانه"[2]. والشيخ أبو العباس هو الذي غسل الشيخ أبا الحسن، وصلى عليه رضي الله عنهما، ونفعنا بهما[3]. توفي سنة ستٍّ وخمسين وستمائة، وهو ابن ثلاث وستين سنة، وكان من خبر موته فيما ذكر تلميذ أبو العباس ماضي، قال: "لما توجه الشيخ في سفره الذي توفي فيه، قال: احملوا معكم فأسا ومسحاة، فإن توفي منا أحد وارياه بالتراب. قال: ولم تكن له بذلك عادة متقدمة في جميع ما سافرت معه، فكان ذلك إشارة إلى وفاته"[4]. ويذكر أن الشيخ لما كان بالديار المصرية، قال: "يا رب أسكنتني ببلاد القبط أُدْفن بينهم حتى يختلط لحمي بلحمهم، وعظمي بعظمهم، فقيل لي: يا علي، بل تدفن في أرض ما عُصِيَ الله عليها قط، فرحل إلى حميرة، وبها توفي ومرض بالطريق"[5]. وقيل للشيخ أبي الحسن

---

[1] في الأصل: "وخلى"، وقد صححناها.

[2] ورد هذا النص بنفس اللفظ في: الحميري المعروف بابن الصباغ، درة الأسرار وتحفة الأبرار، الناشر المكتبة الأزهرية للتراث القاهرة، ص: 172؛ وأحمد بن عباد، المفاخر العلية في المآثر الشاذلية، طبعة السكة الجديدة بمصر، 1355هـ-1937م، ص: 36.

[3] ورد هذا النص في: الحميري، درة الأسرار، ص: 172.مع اختلاف طفيف في الرواية.

[4] نفسه، ص:171، بنفس اللفظ.

[5] نفسه، ص:171، بنفس اللفظ.

الشاذلي رحمه الله: "أعرشي أنت أم كرسي؟ فقال: الطينة أرضية، والنفس سماوية، والقلب عرشي، والروح كرسي، والسرُّ مع الله تعالى بلا أين. قال بعض الأئمة: وهذا القول صريح في نفي الجهة عن خالق الجهات /74/، المتعالي عن الحركات والسكنات، وسائر سمات المخلوقات"[1] وقال في ابتداء أمره: "جُعْتُ مَرَّةً ثَمَانِينَ يَوْماً، فخطر لي أني قد حصل لي شيء من هذا الأمر، وإذا امرأة خارجة من مغارة كأن وجهها ضياء الشمس حسنا، وهي تقول: منحوس منحوس جاع ثمانين يوما، فأخذ يدل على الله بعلمه وأنا لي ستة أشهر لم أذق فيها طعاما"[2].

ولنقتصر على هذا النزر اليسير، في حق هذا العارف الكبير، إذ المراد بذلك التبرك بذكره، والتعرض لنفحات سره، وأما مآثره، لا تحملها الأسفار، ولا المطولات الكبار.

[مجزوء الكامل]

صَدِّقْ بِأَحْـــــوَالِ الـــــرِّجَا ... لِ وَمَا تَلَقَّــوْا مِـــنْ فوائِـــدْ

وإذَا هَوِيـــــتَ شُهُودَهُـــــمْ ... فاسْلُـــكْ سَبِيلَهُـــــمْ وَجَاهِـــدْ

فَـــــوَرَاءَ ذَلِكَ لَـــــذَّةٌ ... يَعْبَـــا بِهَا مَنْ لَمْ يُشَاهِـــدْ

صَحَّـتْ كَرَامَـــاتُ الرِّجَـــا ... لِ بنَقْـــلِ أَرْبَـــابِ المَسَانِـــدْ

مَا نَائِمٌ مِلْءَ الجُفُـــو ... نِ كَقَائِـــمٍ للهِ سَاجِـــدْ

هَلْ يَسْتَوِي هَـــذَا وَذَا ... مَا نَاقِـــصٌ [حَالاً][3] كَزائِـــدْ[1]

---

[1] وردت هذه الحكاية بنفس اللفظ في: أسعد اليافعي، روض الرياحين في حكايات الصالحين، ص: 244.

[2] ابن عطاء الله السكندري، لطائف المنن في مناقب الشيخ أبي العباس المرسي وشيخه الشاذلي أبي الحسن، ص: 56، بنفس اللفظ.

[3] في النسخة (د): حَالِ.

وقد تقدمت هذه الأبيات، ولنرجع إلى ذكر بقية أشياخ الولي الصالح سيدنا ومولانا أبي عبد الله سيدي محمد المدعو بالصالح، نفعنا الله به. أخذ طريق المصافحة أيضا عن رئيس الجن المؤمن سيدي عبد المومن عن النبي ﷺ. وكان يلقنها لمن طلبها منه.

"وأخذ، عن شيخ المشائخ الأعيان، وغرة العصر والدهر والأوان، عالم الأعلام، وقدوة الأكابر الكرام، ومحيي مآثر السنة النبوية، على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، فيض مواهب الأسرار والمنة الإلهية، ومربي أرباب الجذب والسلوك بأسراره الفردانية، ناصر الدين، ونعم القائم به والناصر، أبي العباس سيدي أحمد بن محمد بن ناصر[2]، رضي الله عنهما وأرضاهما ورضي عنا برضاهما. كان هذا الشيخ الجليل القدر العظيم الخطر عالما عاملا، واصلا كاملا، آية الله في زمانه، ومنة من منن الله سبحانه على أهل عصره وأوانه، عظيم الشأن، غزير الإحسان، منتفعا بقوله وفعله، صدوعا بالحق في قوله، ينتسب إليه الخاصة من العلماء والأعيان. وتلمذ له خلق كثير ممن لا يحصى

---

[1] وردت هذه الأبيات بنفس اللفظ في: يوسف التادلي، التشوف إلى رجال التصوف، ص: 114-115؛ وعبد الخالق العروسي، المرقي، ج 409/2.

[2] أبو العباس أحمد بن أبي عبد الله محمد بن ناصر الدرعي التمكروتي، ولد سنة 1057هـ . أحد علماء المغرب وصلحائه. درس على يد والده الشيخ محمد بن ناصر الدرعي التفسير والحديث والعربية وأصول الدين وغيرها، وتخرج عليه واستخلفه من بعده على رأس الزاوية الناصرية، كما أخذ عن أبي سالم العياشي، وعن أبي عبد الله محمد بن فتوح التلمساني، ورحل للمشرق فأخذ عن الملا إبراهيم بن حسن الكوراني وأجازه، وبمصر عن الشيخ العناني، وأجازه أيضا الشيخ عبد الله بن سالم البصري وأشياخه بالإجازة من أهل الشام والحجاز. وممن أخذ عنه الشيخ سيدي محمد الصالح الشرقي وأخذ عنه أيضا ولده سيدي المعطى صاحب (الذخيرة) ألف كتبا منها "الأجوبة" و"الرحلة الناصرية"، وغيرهما. توفي سنة 1129هـ .. ترجمته في: محمد الإفراني، صفوة من انتشر، ص: 366-364؛ وأحمد الحضيكي، طبقات الحضيكي، ج1/85-87؛ ومحمد القادري، نشر المثاني، ج3/234-235؛ ومحمد القادري، الإكليل والتاج، ص: 184-185؛ وأحمد الناصري، الاستقصا، ج7/111-113؛ وليفي بروفنصال، مؤرخو الشرفاء، تعريب عبد القادر الخلادي، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، سلسلة التاريخ (6) دار المغرب، الرباط، 1397 هـ- 1977م، ص: 206-207؛ والعباس بن إبراهيم، الإعلام، ج 2/357-363؛ وعبد الحي الكتاني، فهرس الفهارس، ج2/680؛ ومحمد الأخضر، الحياة الأدبية، ص: 172-176.

عددهم، ممن سبقت لهم العناية من الرحيم الرحمن، لازال مدد مائه المعين جاريا[1]، وسره في قلوب المحبين والصديقين ساريا[2]، بسط الله له القبول في الأرض، وصرفه في الطول منها والعرض، بُسط له القبول في ذلك الجيل. ونادى بذلك الأمين جبريل، كثرت له الأتباع، وعظم به الانتفاع، اتسعت للوافدين في الله زاويته، وارتفع صيتة، وكملت سيادته. كان من العلماء الأكابر والفحول المشاهر، لا تأخذه في الله لومة لائم، ولا يلتفت لشوكة أرباب الولاية والمظالم، محافظا على اتباع السنة والكتاب. والراجح من أقوال الأئمة والصواب"[3]/75/.

قال "في صفوة ما نتشر": لما تكلم على الشيخ سيدي أحمد بن ناصر: "ولقد كان بعض أشياخ العلم بفاس، يقول في الحديث الشهير: **(لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي)**[4]، بالمغربِ ظَاهِرينَ علَى أَمرِ الله، لاَ يَضُرُّهُم من خَالفَهُم حَتَّى يَأْتِي أَمْرُ اللهِ إن لم تكن هذه الطائفة الآن بتمكروت[5]، فلست أدري من هم لإقامة السنة فيها على وجهها المألوف"[6]. انتهى. "لا يُذكر على منبره أمير ولا سلطان، ولا وزير ولا أعوان، وهذه حالة باهرة، وحماية

---

[1] في الأصل: "جاري". وقد صححناها.

[2] في الأصل: "ساري". وقد صححناها.

[3] ورد هذا النص بنفس اللفظ في: أحمد الناصري، طلعة المشتري في النسب الجعفري، المؤسسة الناصرية للثقافة والعلوم، ج2/99-100.

[4] مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب نزول عيسى بن مريم حاكما بشريعة نبينا محمد ﷺ، حديث 156، ج1/137.

[5] تامكروت أوتمكروت-جغرافيا-تجمع سكني يقع على الضفة اليسرى لوادي درعة وسط حوض واحة فزواطة التي تكونخمس واحات أخرى من العالية نحو السافلة. واحات (مزكيطة، تنزلين، ترناتة، فزواطة، اكتاوة، ومحاميد). شكل ما يسمى بدرعة الأوسط، وهي الواحات المشهورة المكونة لوادي درعة. تبعد تامكروت عن مدينة زاكورة بحوالي 18 كلم.. يمارسون التامكروتيون عدة أنشطة كالفلاحة والتجارة والحرف التقليدية وغيرها. ينظر: عبد الكبير باهي، مادة تامكروتً، معلمة المغرب، الجزء السابع ،2188.

[6] محمد الإفراني، صفوة من انتشر، ص: 364، بنفس اللفظ؛ وينظر أيضا أحمد الناصري، طلعة المشتري في النسب الجعفري، ج 2/98، بنفس اللفظ.

من الله قاهرة، لا يقدر عليها إلا من أيد بتأييد من الله. واعتمد في أموره كلها على مولاه. وشاهد الفعل منه في سره ونجواه، وغاب عن الخلق وشره وبلواه، لم يزل مُكبا على الحديث وتدريس العلوم، مواظبا عل قراءة سيدي البخاري وغيره من كتب الصحة؛ وذلك من شأنه مشهور ومعلوم، يحضر مجلسَه الجمَّ الغفيرُ من العلماء الأعلام، أهل الحفظ والذكاء ورؤساء الإسلام، منهم العالم المحقق، المتفنن في جميع العلوم المدقق، أبو عبد الله سيدي محمد الملقب بالصغير الورزازاتي الدرعي[1]، والفقيه الحافظ العلامة سيدي عبد الكريم أسكي السوسي[2]، والفقيه الإمام، العلامة الهمام، المشارك أبو العباس سيدي أحمد الهشتوكي السوسي[3] رحمه الله، والفقيه الصالح، الولي الناصح، أبو إسحاق سيدي إبراهيم الأستاذ والعالم العامل، الولي الكامل، ولي عهده، والخليفة من بعده، أبو علي سيدي حسين بن محمد شرحبيل[4]، والعالم العلَم، صاحب السر

---

[1] محمد بن محمد بن عبد الله الورزازي منشأ الدرعي دارا. كان فقيها محققا مشاركا في فنون شتى فقها وحديثا وعربية ومنطقا وبيانا وكلاما، عارفا بالله من أكابر الصالحين، وله كرامات. تصدر للتدريس بزاوية سيدي حسين بن ناصر في درعة. وله شرح على لامية الزقاق؛ وشرح على المقنع لابن سعيد المرغثي،. وتوفي بمكة، عام 1166هـ. ترجمته في: محمد القادري، نشر المثاني، ج 96/4؛ ومحمد القادري، الإكليل والتاج، ص:374؛ وعبد الحي الكتاني، فهرس الفهارس، ج110/2-112.

[2] عبد الكريم أسكي السوسي، الفقيه الحافظ، كان يحضر مجلس الخليفة أحمد بن ناصر، لأن مجالسه كانت مجالس علم وحكمة ومواعظ، وأذكار ورحمة. ينظر: أحمد الناصري، طلعة المشتري في النسب الجعفري، ج100/2.

[3] أحمد بن عبد الله الهشتوكي فقيه صالح يذكر بالعلم والصلاح والخير، كثير الزيارة للصالحين، خصوصا أقطاب درعة. وكانوا يحبونه ويثنون عليه توفى سنة 1136هـ ترجمته في: المختار السوسي، المعسول، ج281/14؛ وأحمد الحضيكي، طبقات الحضيكي، ج 112/1، وأحمد الناصري، طلعة المشتري في النسب الجعفري، ج100/2..

[4] أبو علي سيدي حسين بن محمد شرحبيل الدرعي، شيخ الطائفة الشاذلية، أحد أصحاب الشيخ سيدي أحمد بن ناصر. ولد سنة 1079هـ . قرأ على أبي العباس الهشتوكي واستفاد منه. توفي سنة 1142هـ، ترجمته في: محمد القادري، نشر المثاني، ج 333/3-334؛ وأحمد الحضيكي، طبقات الحضيكي، ج 203/1-205.

النافع والفهم، أخو الشيخ سيدي محمد بن محمد بن ناصر[1]، وولده الفقيه المحدث سيدي موسى بن محمد[2] المذكور، وغيرهم من العلماء الوافدين عليه، بطلب بركته، وما لله من الأسرار والمواهب لديه، لأنه كانت مجالسه، نفعنا الله به، مجالس علم وحكمة، ومواعظ وأذكار ورحمة. أخذ العلوم عن جماعة من أهل الرسوخ والتمكين، من أهل الرواية والدراسة والشهرة والتعيين"[3]. وأخذ عن أبيه، واستفاد مما لديه. وقد كان، مشاركا في العلوم، متصدرا لحل معوصاته من كل منطوق ومفهوم، وأخذ عن الإمام العالم، الحجة البركة أبي سالم، سيدي عبد الله العياشي، وأخذ أيضا عن الشيخ الإمام الحافظ أبي عبد الله سيدي محمد بن فتوح التلمساني[4]، وأخذ أيضا عن الفقيه المحصل أبي العباس الجزولي[5]، وغيرهم من العلماء. ورحل إلى المشرق فأخذ عن المُلاَّ

---

[1] محمد بن الشيخ محمد بن محمد بن ناصر، أكبر أولاد الشيخ، الولي الصالح، وأقرأه والده القرآن، وحج مع والده سنة 1076هـ. وزوجه والده الشيخ ابنة القطب أحمد بن إبراهيم السيدة ميمونة، فولد له منها الأولاد منهم: موسى بن محمد، وعبد الله بن محمد، وتوفي بالطاعون سنة 1091هـ. ترجمته في: أحمد الحضيكي، طبقات الحضيكي، ج 319/2، والمراكشي، الإعلام، ج 18/6-24.

[2] موسى بن محمد بن ناصر الدرعي، كان شيخا فقيرا علامة صالحا ورعا، ولي أمر الزاوية الناصرية بعد وفاة عمه الشيخ سيدي أحمد بن ناصر. توفى سنة 1142هـ . ترجمته في: العباس بن إبراهيم، الإعلام ج 305/7-306.

[3] ورد هذا النص بنفس اللفظ في: أحمد الناصري، طلعة المشترى في النسب الجعفري، ج100/2.

[4] محمد بن يحي بن محمد بن فتوح التلمساني مولدا، الدرعي دارا، نشأ بدرعة، أخذ عن الشيخ أبي العز صاحب محمد بن ناصر عند رجوعه من المشرق، حيث زوجه أخته السيدة الفاضلة أم كلثوم. توفي بالأكتاوة سنة 1112هـ . ترجمته في: محمد المكي الناصري، الدرر المرصعة، ص: 88؛ وأحمد الناصري، طلعة المشتري في النسب الجعفري، ج14/1.

[5] أبو العباس أحمد بن محمد بن داود بن يعزى بن يوسف المنصور الجزولي، متصوف فقيه مالكي، ولد سنة 1057هـ نزل منطقة درعة، فتلقى تعليمه بها على يد كبار المشايخ، أمثال أبي عبد الله محمد بن محمد بن ناصر الدرعي. وتتلمذ أيضا على أبي الحسن علي بن يوسف الدرعي، ومحمد الكبير الدادسي، وغيرهم. وفي سنة 1064هـ . توجه إلى الزاوية الدلائية، ولازم أبا علي الحسن بن مسعود اليوسي، وأخذ كذلك عن أعيان علماء المشارقة ممن لقيهم أو جالسهم في رحلاته إلى بيت الله الحرام، وله فهرسة سماها "قرى العجلان في إجازة بعض الأحبة والإخوان" وغيرها، توفي سنة 1127هـ بدرعة ودفن بزاوية تامكروت، ترجمته في: محمد المكي الناصري، الدرر المرصعة، ص: 38، والعباس بن ابراهيم، الإعلام، ج 352/2-353.

إبراهيم الكوراني[1]. وأخذ بمصر عن الشيخ العناني[2]، عن أبي العزيز بن أحمد العجمي. وأجازه أيضا الشيخ الحافظ المحدث أبو محمد سيدي عبد الله بن سالم البصري[3]. وأشياخه بالإجازة من أهل الشام والحجاز وغيرهم كثيرون، يطول تتبعهم، وأسانيده مذكورة في كتب /76/ الإسلام، ممن تعرض له من كل عالم وإمام، و"فهرسته"، تشفي في ذلك من الظَمَا، وتزيل عن القلوب الران والعمى. مع قوة رسوخه، وثباته واستقامته في أحواله وتصرفاته، يباشر بيده الأمور ويجريها على ما هو في الشريعة مقرَّر ومسطور.

وكان الولي الناصح، العارف المكاشف العالم أبو عبد الله سيدي محمد الملقب بالصالح، الموضوع فيه هذا الكتاب، ليعلم ما له من الجلالة والرفعة وعز الجناب، "يعظم شيخه هذا ويفخمه، ويثني عليه في المحافل ويبجله. وإذا ذكر عنده تضاءل عند ذكره. وإذا استشفع به إليه قبل الشفاعة على ممر أيامه ودهره. ويقول: "الدنيا والآخرة ضَرّتَانِ لا تجتمعان إلا عند كامل مكمل، كشيخنا سيدي أحمد بن ناصر، "[4].

---

[1] أبو إسحاق إبراهيم بن حسن بن شهاب الدين الكوراني المدني أحد الراسخين في العلم، مجتهد، من فقهاء الشافعية عالم بالحديث، أصله من شهرزور من جبل الكرد. ولد سنة 1025 نشأ ببلده، ثم قدم بغداد وأقام بها ثم ارتحل إلى دمشق ثم إلى مصر ثم إلى الحجاز وأقام بالمدينة المنورة طالبا طريق الإرادة على يد الشيخ صفي الدين أبي العباس أحمد القشاشي. توفي سنة 1128هـ . ترجمته في: محمد الإفراني، صفوة من انتشر، ص: 350-351؛ ومحمد القادري، نشر المثاني، ج 3/5-15؛ ومحمد القادري، الإكليل والتاج، ص: 198-200؛ وكحالة، معجم المؤلفين، ج 21/1.

[2] لعله يشير الى محمد بن داود بن سليمان العناني، القاهري، شمس الدين الشافعي. فقيه، أخذ عن علي الحلبي صاحب السيرة وآخرين. ترجمته في: البغدادي، هدية العارفين، ج 300/2؛ وكحالة، معجم المؤلفين، ج 297/9.

[3] أبو عبد الله بن سالم البصري، نزيل مكة شرفها الله، كان عالما كبيرا، جليل القدر، عظيم الشأن، زاهدا ورعا عابدا وليا صالحا، ثقة. اجتمع مع الشيخ محمد بن ناصر الدرعي في رحلته بحرم مكة، وفرح به، وأجازه في سائر مروياته ومقروءاته ومسموعاته، ترجمته في: أحمد الحضيكي، طبقات الحضيكي، ج 528/2؛ وعبد الحي الكتاني، فهرس الفهارس، ج95/1-96.

[4] ورد هذا النص بنفس اللفظ في: أحمد الناصري، طلعة المشتري في النسب الجعفري، ج 72/2.

ولله در من قال:

[الطويل]

عَتبتُ على الدُّنْيَا لتَقْدِيمِ جَاهِلٍ وتأخير عِالِمٍ فقالتْ خُذِ العُذْرا

ذَوُو الجَهْلِ أَبْنَائي وكُلُّ فَضيلةٍ فأَرْبَابُهَا أَبْنَاءُ ضَرَّتِي الأُخْرَى

"عقد الرِّحلة إليه، وفرح به الشيخ وأكرم منزلته لديه، ونوَّه بقدره بين المحبين، والعلماء والعاملين"[1]. "وكان سيدنا الصالح يحض من يحبه على الوصول لحضرته، والانخراط في مملكته، والدخول في زمرته، ويعظم الطريق الناصرية ويجل قدرها، ويفخم شأنها وأمرها، لأنها بُني على أساس السنة المحمدية أصلها، وظهر كظهور شمس الظهيرة شرفها وفضلها. وذاك مستفيض ومشهور عند الخاصة والجمهور"[2].

وقد كان بين الشيخ وبين سيدي الصالح مكاتبات قبل الرحلة إليه، وأذن له في تلقين الأوراد، ونص ما كتب به الشيخ في جوابه لسيدنا الصالح نفعنا الله بهما، ومنحنا من سرهما: "بسم الله الرحمن الرحيم. وصلى الله عل سيدنا محمد وآله، من عبيد الله تعالى أحمد بن محمد بن ناصر كان الله له، إلى أخيه ووليه في ذات الله سيدنا محمد صالح بن محمد الملقب بن محمد بن القطب الكامل سيدنا محمد الشرقي، أمده الله تعالى بلطائف الإمداد، بما لا يزال على توالي الجديدين في ازدياد. سلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد، فإن كتاب سيدنا بلغنا، وأزال عنا بعض ما بنا من ألَم وحشه، وما اشتكى سيدنا من الأمراض، فإنا نشكوا أكثر

[1] ورد هذا النص بنفس اللفظ في: أحمد الناصري، طلعة المشتري في النسب الجعفري، ج74/2.

[2] نفسه، ج 74/2-75.

وأكثر، فالله يداوي عللنا وعللك، وأمورنا وأمورك رفعناها لله تبارك وتعالى، ونسأله تعالى أن يخير لنا ويختار، فيما هو النافع له غير الضار، وينزله أحسن المنازل ويسبل عليه ستره الجميل، ويكفيه شر نفسه، وشر كل ذي شر، ويوفقه للخير ويعينه عليه. يرزقنا وإياه الاتباع، ويجنبنا الابتداع، وينور قلبه، ويفتح بصيرته ويرزقه الصديقية العظمى، ويرزقنا وإياه العلم والعمل به. آمين. والسلام. وكتب انسلاخَ ربيع /77/ الأول أخوك المشغوف بحبك، المتشوق إلى لقائك، عبد الله تعالى أحمد بن محمد بن ناصر، كان الله له. آمين. انتهى من خطه المبارك"[1] بلفظه، من غير زيادة ولا نقصان.

ونص الكتاب الثاني: "بسم الله الرحمان الرحيم. صلى الله وسلم، على سيدنا محمد وآله، من عبيد الله تعالى وأقلِّ عبيده أحمد بن محمد بن ناصر، كان الله له، إلى عسلوج الدوحة الربانية الأخ الحبيب أبي عبد الله سيدي محمد الصالح، أمده الله بلطائف الإمداد، بما لا يزال على توالي الجديدين في ازدياد، سلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد، فقد ورد علينا كتابك فتلقيناه بالقبول والإقبال، وما تشتكيه منه نحن أكثر منك وأكثر ، فنضرع إلى المولى تبارك وتعالى أن يوفقنا وإياك لما يحبه ويرضاه، ويرزقنا وإياك الاستقامة والهداية إلى سواء الطريق، ويغلبنا على أنفسنا ويملكنا أمرها وأن يطهرنا من كل وصف يباعدنا عن مشاهدته ومحبته، وأن يوقظنا من سوء الغفلة، ويفكنا من أسر الهوى، آمين، آمين آمين. وما ذكرت أنك أردت الدخول في الزمرة الناصرية مرحبا بك وأهلا وسهلا، صحح التوبة بشروطها، وقل كل يوم، أستغفر الله مائة مرة، اللهم صل على سيدنا محمد النبي الأمي، وعلى آله وصحبه وسلم تسليما، مائة، لا إله إلا الله ألف مرة عند تمام كل مائة:

---

[1] ورد هذا النص بنفس اللفظ في: أحمد الناصري، طلعة المشتري في النسب الجعفري، ج74/2.

محمد رسول الله، ووقته من صلاة صبح اليوم، إلى صلاة صبح الغد، وما بين ذلك وقت واسع وأفضل أزمانه[1] ما بين صلاة الصبح وطلوع الشمس، وما استطعت أن تصنعه في ذلك الوقت، فاصنعه؛ وما لم تستطع صنعه في ذلك الوقت، فأخِّرهُ حتى تتفرغ له، ولا يضر تفرقه، وقله على أي حالة من جلوس وقيام، ومشي ورقاد، ووضوء وبغير وضوء، إلا أن الكمال الوضوء، وعدم الكلام. والأولى حضور القلب والتفكر حين الاشتغال به والإتيان به على الهيئة المذكورة للسنوسي في آخر شرح الصغرى، هو الكمال. ونحن نحبك في الله تعالى، وأنت بضعة منا، يسرُّنا ما يسرك، ويسوؤنا ما يسوءك، فالله في دينك وفي الاشتغال بما يعنيك، وارفض الدنيا وراء ظهرك، وراقب مولاك في السر والعلانية، والله يتولى هداك، وكتب أخوك أحمد بن محمد بن ناصر، كان الله له. آمين. انتهى من خطه نفعنا الله به"[2].

ونص الكتاب الثالث، وكأنه جواب عن كتاب بعثه له سيدنا الصالح نفعنا الله به، "الحمد لله وعلى سيدنا أفضل السلام، ورحمة الله وبركاته، أما بعد، فقد بلغنا كتابك، فالله يمدك بلطائف الإمداد، بما لا يزال على توالي الجديدين في ازدياد، وينور بصيرتك ويحفظ أمانتك، ويرزقك الصديقية العظمى ويرزقك الاتباع، ويجنبك الابتداع، والله يأجرك في السيد الذي توفي رحمه الله وآمين، وسلم لنا على سيدي عبد السلام[3]، وقل له: "نحن عازمون على النهوض للحرمين الشريفين، إنشاء الله، بحول الله وقوته، وعونه وتوفيقه/78/، وتأييده وتسديده، قابل إنشاء الله، إن يسر الله، أو بعد قابل فالله ييسر علينا كل عسير، آمين آمين، والزوجةُ، اللهُ يجعلها مباركة معينة على الدين، ويخيب

---

[1] في النسختين (ج) و(د): أوقاته.

[2] ورد هذا النص بنفس اللفظ في: أحمد الناصري، طلعة المشترى في النسب الجعفري، ج 2/71-72.

[3] لعله يقصد أبو محمد عبد السلام المعروف بمول المظل.

سعي الحساد، آمين، ومن جاءك طالبا للورد علمه كما علمت، جعلنا الله وإياكم من المقبولين. وكتب أحمد بن محمد بن ناصر، كان الله له تعالى. انتهى من خطه أيضا نفعنا الله به"[1].

ونص الكتاب الرابع: "الحمد لله، وعلى سيدنا أفضل السلام، وأزكاه وأنماه، ورحمة الله تعالى وبركاته، أما بعد: فإنا نشكو[2] من الذنوب والقسوة أكثر مما تشكو[3]، وقد رفعنا أمورنا إلى خالقنا أن يتفضل علينا وعليك، ويفتح لنا ولك الباب، ويجذبنا إليه جذبة تقربنا إليه، وأن يدخلنا من باب الفضل، ولا تنسانا من دعائك الصالح، ونحن إنشاء الله كذلك. وكتب أخوك أحمد، إن قبلت أخوته، انتهى من خطه نفعنا الله به"[4].

"فتأمّل رحمك الله، مخاطبة شيخ الشيوخ، وقدوة أهل التمكين والرسوخ، وشيخ طريقة الإسلام، ومن اشتهرت محافظته على الكتاب والسنة عند الخاص والعام. وخضعت له الأكابر في وقته والأجلة الكرام، سيف الدين الناصر، أبي العباس سيدي أحمد بن ناصر، نفعنا الله به، لسيدنا العالم العامل، الرباني الكامل، الزاهد الناصح، أبي عبد الله سيدي محمد المدعو بالصالح، وتنويهه بقدره العظيم، وجاهه المبجل الفخيم، واعترافه له بالمَجَادة والتقديم؛ وذلك شأن العارفين والأولياء الكاملين لصفاء السرائر منهم والبواطن والظواهر، ومشاهدتهم الأشياء من الله، وإن الفضل بيد الله، فلا تنافس ولا حسد، ولا حقد ولا بغض ولا نكد، ولا يعرف الفضل لأهل الفضل إلا ذووه،

---

[1] ورد هذا النص بنفس اللفظ في: أحمد الناصري، طلعة المشتري في النسب الجعفري، ج 2/77-78.

[2] في الأصل: " نشكوا"، وقد صححناها.

[3] في الأصل: " تشكوا"، وقد صححناها.

[4] ورد هذا النص بنفس اللفظ في: أحمد الناصري، طلعة المشترى في النسب الجعفري، ج 2/72-73.

وإذنه له رضي الله عنهما في تلقين الأوراد، ونفع العباد، كما حصل له في جانبه من المال الخصوصية، وحسن الاعتقاد.

ولما عقد الرحلة سيدنا الصالح لدرعة لزيارة شيخه هذا، كتب كتابا لأخيه الفقيه العلامة الوجيه سيدي محمد بن محمد المعطى من بلاد مغران[1]. ونص الكتاب: الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله. من صالح عفا الله عنه، السلام التام، ورحمة الله وبركاته على الدوام، على الفقيه النبيه الأمجد، أخينا في الله سيدي محمد، حماه الله وحفظه، أما بعد، فإني أحمد إليكم الله، الذي لا إله إلا هو. ومن بلد امغران، كتبناه إليكم وأوردناه عليكم، عن صحة وعافية، وآلاء متوالية، لولا ما نالنا من مشقة الأسفار، وجَوْبِ المهامِهِ والقفار، وصعود جبال يحار في صعودها سرب القطا، وتقصر دونها الخُطى[2].

[الطويل]

صَعَدْنا جِبالا شامخات رؤوسُها جبالٌ على العقبان صعبٌ سلوكُها

وقد قلت ذات يوم والأشواق تتأجج نيرانها، وشطت عن النفوس أوطانها وجيرانها"[3] /79/ شعرا:

---

[1] مغران: يمتد من جبل الأطلس الكبير المطل على إقليم فركلة جهة الجنوب إلى جبل دادس، والبلاد شديدة البرودة حيث إن الثلج يكسو قمم الجبال طوال السنة. ليس للسكان منازل قارة، وإنما يقطنون في أكواخ من لحاء الشجر يبدلونها من حين لآخر، بحثا عن المراعي، لأنهم يكسبون عددا كبيرا من قطعان الماشية الكبيرة والصغيرة.. ينظر: مارمول كربخال، إفريقيا، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، دار النشر المعرفة، الرباط، الطبعة 1408هـ-1988 م و1409هـ-1989م، ج 122/2.

[2] في الأصل: "الخطا". وقد صححناها.

[3] ورد هذا النص بنفس اللفظ في: أحمد الناصري، طلعة المشتري في النسب الجعفري، ج 73/2.

[الطويل]

نأَيْنَا عَنِ الأَوْطَانِ بَعْدَ اقتِرَابِهَا ... وَجِئْنَا جِبَالاً مَا سَمِعْنَا بِهَا قَبْلُ
وَقَدْ كَثُرَتْ أَشْوَاقُنَا والتِفَاتُنَا ... إلى حَيْثُ حَلَّ الأَهْلُ والتَأَمَ الشَّمْلُ
فَلاَ تَعْذِلُونِي طَالَ مَا بِي مِنَ النَّوَى ... فَمَنْ كَانَ مِثْلِي لاَ يَحِقُّ لَهُ عَذْلُ
فَحَيِّ نَسِيمَ الرِّيحِ حَيِّ وَمِلْ بِهَا ... لِتَادِلَةَ الغَرَّاءِ مِنِّي لَهَا مَيْلُ
وَنَبِّئْهُمُ أَنِّي ارْتَحَلتُ لِدَرْعَةِ ... وَقَلْبِي مُقِيمٌ مَا لَهُ عَنْهُمُ نَقْلُ
بتَادِلَةَ الغَرَّاءِ قَلْبِي مُتَيَّمٌ ... وَهَيْهَاتَ بالسَّيْرِ في غَيْرِهَا أَسْلُو
بِلاَدٌ بِهَا طَابَ المعَاشُ لِقَاطِنٍ ... وَأَرْضٌ بِهَا تَرْضَى وَفِيهَا الثَّوَى يَحْلُو
وَفِيهَا دُيُورٌ يَانِعَاتٌ عَلَى المدَى ... مُزَخْرَفَةُ الأرجَاءِ زَايَلَهَا المحْلُ
لَهَا الفَخْرُ فِيهَا الشَّيْخُ يَعْزَى وَغَيْرُهُ ... مِنَ الغُرِّ نِعْمَ النَّاسُ في أَرْضِهَا حَلُّوا
عَلَيْهَا سَلاَمُ اللهِ ما لاح كَوكَبٌ ... وَاسْأَله أَنَّ لاَ يَدُومَ بِهَا هَوْلُ[1]

ولشيخه هذا، نفعنا الله به، الكرامات الكثيرة، والمناقب الباهرة الشهيرة، فمن كراماته المأثورة، ومآثره المشهورة، ما حدث به بعض العلماء الأجلة، والبدور الأهلة، قال: "لما دخل الشيخ أبو العباس سيدي أحمد بن ناصر، المدينة المشرَّفَة، في حجته الأخيرة، جلس تجاه الحجرة الشريفة، الجليلة القدر المنيفة، والناس يزدحمون عليه لأخذ العهد عنه، وتلقين الأوراد، وهو منبسط لذلك، فقلت في نفسي: إن هذا الرجل لمغرور، راض عن نفسه وسعيه غير مشكور، كيف يتصدر في هذا المكان الذي تخضع

[1] وردت ثلاثة أبيات فقط في: محمد العبدوني، يتيمة العقود الوسطى، ص: 48 (ب). باستثناء البيت الأول أما البيتان الثاني والثالث فغير مذكورين في القصيدة التي جاءت في الروض اليانع الفائح، ص: 81. وأضاف قائلا "وفي هذه القصيدة نحو الأربعين بيتا في مدح تادلة وصلحائها وحين طلبتها وقت الكتب لم أجدها...".

فيه الملوك والأملاك وجميع الإنس والجان، وإذا طلعت الشمس اختفى السراج، وانتشر نوره الوهاج. قال: فكاشفني الشيخ بما في نفسي، والتفت إلي، وقال: والله ما جلست لما ترون حتى أمرني به النبي ﷺ، وما أَذعنْتُ له حتى هُدِّدْتُ بالسلب. قال: فسقطت على يده أقبلها، وقلت له: يا سيدي أنا تائب إلى الله، فدعا لي، وانصرفت"[1]. فانظر رحمك الله، إلى هذه المنزلة ما أعظمها، وإلى هذه الشيخوخة ما أفخمها، حيث كانت تتصرف بين يدي رسول الله ﷺ عند حجرته الشريفة، وفي مواجهته المنيفة، مع كمال الأدب بامتثال أمره المطاع، في أشرف الأماكن والبقاع، تعلمْ أن طريقته حسنة المذاهب، جليلة المناقب، محمودة العواقب، ولا شك أن فضلها بحمد الله مشهور، وأنه لا يساق إليها إلا من سبقت له العناية من المولى الحليم الغفور، ولا يستريب فيها مؤمن تقي، ولا يطعن فيها إلا مخذول شقي، ولذلك تسرع إليها العلماء الأعيان، وتهرول إليها الأخيار /80/ في كل وقت وزمان. وتأمل رحمك الله، ملاطفة هذا الولي الكبير، والعارف الشهير، لهذا الفقيه الأجل، والعالم الأمثل، ومعالجته له بدوائه النافع للأسقام، والأمراض العظام، وإزالة ما حاك في نفسه من العوارض، والقواطع من الاعتراض، على أولياء الله تعالى الذي يفضي إلى سخط الله الذي ليس له من واق ولا دافع فقد ورد:**(من آذَى لِي وَلِيًّا فقدْ بَارَزَنِي بالحَرْبِ)**[2]؛ ولأن النفس من الأعداء الداعية إلى أسباب الهلاك، كما قيل.

---

[1] وردت هذه الكرامة بنفس اللفظ في: محمد الإفراني، صفوة من انتشر، ص: 365-366؛ ومحمد المكي الناصري، الدرر المرصعة، ص: 89-90.

[2] صحيح البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الرقاق، باب التواضع، ح :6502، ج 198/4، بلفظ: "من عادى لي وليا".

[المنسرح]

نَـفْـسِـي إلـى ضُـرِّي دَاعِـــي تَـكْـثُـرُ أَسْـقَـامِـي وَأَوْجَـاعِـي

كَيْـفَ احْـتِـرَاسِـي مِنْ عُدُوّي إذَا كَـانَ عَـدُّوي بَـيْـنَ أَضْـلاَعِـي[1]

وينضم إل هذا العدو أعداء أُخَر، يجب الاحتراز منها والمفر، وهي الشيطان والهوى، والدنيا التي ليس لنا فيها مقام ولا مقر، وهي المشار إليها بقول الشاعر:

[الكامل]

إنّي بُلِيتُ بِأَرْبَعٍ يَرْمُونَنِـــــي بـالنَّبْـلِ عَـنْ قَـوْسٍ لَهـَا تَـوْتِيـرُ

إبـلـيـسُ والـدُّنْـيَـا ونَفْسِي وَالهَوَى يـا رَبِّ أَنْـتَ عَـلَـى الخَلاَصِ قَدِيرُ

فكيف للإنسان مع هذه الأعداء المستعدة لحربه، إن لم يكن حفظ وتوفيق وتأييد من ربه. وقال بعضهم: "هجر النفس مواصلة الحق، ومواصلة النفس هجر الحق، وقيل: الهجر نيران، والوصل جنان". وأنشد في ذلك:

[الكامل]

وَالهَجْرُ لَوْ سَكَنَ الجِنَانَ تَحَوَّلَتْ نِعَمُ الجِنَانِ عَلَى العِبَادِ جَحِيمَا

وَالوَصْلُ لَوْ سَكَنَ الجَحِيمَ تَحَوَّلَتْ نَارُ الجَحِيمِ عَلَى العِبَادِ نَعِيمَا[2]

---

[1] وردت هذه الأبيات في: ديوان أبي الفضل العباس بن الأحنف النجدي، ص: 101. وهو شاعر عربي عباسي مشهور، انتقل من نجد إلى بغداد ونشأ بها، وعاش منتقلا ما بين بغداد وخراسان. شهد له البحتري بأنه أغزل الناس. توفى تقريبا عام 192هـ . ترجمته في: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج 3/20-27.

[2] وردت هذه الأبيات بنفس اللفظ في: ديوان أبي بكر الشبلي، تحقيق كامل مصطفى الشيبي، بغداد، 1386هـ-1567م، ص: 81-82، وهو: أبو بكر دلف بن جحدر الشبلي (247هـ-334هـ)، بغدادي المولد والمنشأ، وأصله من أسروشنة. صحب الجنيد ومن في عصره من العلماء. وكان شيخ وقته حالا وظرفا وعلما. مالكي المذهب، وقبره

وقال سيدي علي الخواص،: "دواء القلب في خمسة أشياء: قراءة القرآن بالتدبر، وخلاء البطن، وقيام الليل، والتضرع عند السحر، ومجالسة الصالحين"[1]. انتهى. ولا شك أن مجالستهم تحصل الفوائد العظام، ونظرتهم تصقل مرآة القلوب، وتزيل عنها أدران الشكوك والأوهام، ولله در من قال:

[الطويل]

يَـكُـونُ أُجَـاجـاً دونَكُمْ فإذا انْتَهَى إِلَـيْـكُـمْ تَـلَـقَّى طِـيـبَـكُـمْ فَيَطِيبُ

ومن معنى ما فعل هذا الشيخ الكامل، مع هذا الفقيه، ما حدثني به العالم العامل، الإمام سيدي أبو القاسم بن سعيد العميري[2] التادلي، تغمده الله برحمته، وقابله بفضله ومِنّته، من كلام العارف الهمام، القدوة البركة الإمام، سيدي أحمد بن عبد الله[3]، صاحب "المخفية"، من فاس المحروسة نفعنا الله به، قال: "الذي يصحب العارفين بالله، إذا أحبوه يقربونه لله، وإذا كرهوه اتقوا فيه الله".

ببغداد. ترجمته في: عبد الرحمن السلمي، طبقات الصوفية، ص: 337-348؛ وعبد الكريم القشيري، الرسالة القشيرية، ص: 419-420، وابن خلكان، وفيات الأعيان، ج 273/2.

[1] ورد هذا النص في: زكريا بن محمد الأنصاري، حاشية العلامة مصطفى العروسي المسماة نتائج الأفكار القدسية في بيان معاني شرح الرسالة القشيرية، ضبطه وصححه وخرج آياته وآحاديثه عبد الوارث محمد علي، ج 271/1، بنفس اللفظ.

[2] أبو عثمان سعيد بن أبي القاسم العميري، التادلي الأصل، المكناسي الوفاة. كان آية في النحو والبيان، مجبولا على محبة أهل البيت والولاية والعرفان. وولاه السلطان مولاي إسماعيل قضاء حضرته بمكناس. وقرأ على شيوخ الزاوية البكرية، وعمدته منهم الحسن بن مسعود اليوسي، وأخذ عنه جماعات من فقهاء مكناسة وغيرها، منهم الفقيه الحسن بن رحال المعداني، والفقيه القاضي أحمد الشدادي وغيرهما، توفى بعد 1178هـ. ترجمته في: محمد القادري، نشر المثاني، ج 238/3-239؛ ومحمد القادري، التقاط الدرر، ص: 314؛ ومصطفى عربوش، أعلام منطقة إقليم تادلة وبني ملال، ص: 215.

[3] أبو العباس أحمد بن عبد الله محمد بن عبد الله بن معن الأندلسي الفاسي الآباء، ولد سنة 1042 هـ. أخذ عن أبيه، وعن الشيخ أبي القاسم الخصاصي. كان نصوحا لعباد الله، قوالا للحق. توفى سنة 1120هـ، ودفن بقبة

ومن كراماته: "ما حدث به الرجل الصالح، البركة الفقيه الناصح، سيدي محمد بن إبراهيم المجاطي /81/، قال: "كان السلطان المنيف، مولانا إسماعيل[1] بن الشريف، قدس الله أرواحهما، بعث إلى الشيخ سيدي أحمد بن ناصر، وكان به حنق عظيم عليه، وهم به، إذا وصل إليه يفعل به مكروها لا تدرى حقيقته؛ غير أن الأمر شديد عنده في جانبه، فجاء الشيخ جماعة من العلماء الأعلام، أصحابه الملازمين له على ممر الليالي والأيام. وقد تخوفوا عليه وعلى أنفسهم الغاية، فكلموا الشيخ في ذلك، واستفهموه ليعلموا ما عنده من عادة الله تعالى مع أوليائه وأحظيائه وأصفيائه من النصرة لهم، والدب عنهم ليأمنوا عليه وعلى أنفسهم، فلم يسمعوا منه كلمة واحدة، وراجعوه في ذلك حتى هابوه، وسكتوا عنه. فلما وصلوا إلى قصبة أكراي[2] بقرب مكناسة الزيتون، إذا برجل مجاطي من سكان مكناسة الزيتون، يقال له: الحاج عمرو. تلقاه هنالك، فلما نزل عن فرسه يسلم عليه، قال له الشيخ: ما الخبر يا ولدي؟ قال له الرجل: ما الخبر يا سيدي؟ والله لوددت أن سيدي ما يجئ إلى هنا ولا يخرج من داره، بمعنى أن الأمر عظيم.

والده، وقبره مشهور ويزار ويتبرك به. ترجمته في: محمد القادري، نشر المثاني، ج 3/182-191؛ وأحمد الحضيكي، طبقات الحضيكي، ج 1/93-94؛ ومحمد القادري، التقاط الدرر، ص: 130-131.

[1] السلطان مولاي إسماعيل بن الشريف بن علي الشريف العلوي الحسني، تولى عرش المغرب بعد وفاة أخيه مولاي رشيد عام 1081هـ . ظهرت في عهده عدة ثورات بمختلف أرجاء البلاد. وكانت أخطر هاته الثورات تلك التي قادها ابن أخيه أحمد بن محرز في الجنوب. أسس مولاي إسماعيل جيش العبيد البخاري وحرر بعض الثغور المحتلة، وهي المهدية وطنجة والعرائش وأصيلا. اتخذ مكناس عاصمة لملكه، توفي سنة 1139هـ .. ترجمته في: أحمد الناصري، الاستقصا، ج 7/45-46؛ ومحمد القادري، نشر المثاني، ج 3/285-293.

[2] أكواري: تشكل قصبة أكواري موقعا عسكريا أساسيا ضمن الحزام الثالث من القصبات التي شيدها المولى إسماعيل حول مدينة مكناس بهدف تدعيم سلطة المخزن بأحواز المدينة والمناطق الجبلية المجاورة؛ فإذا كان الحزام الثاني يشكل خطا دفاعيا ثانيا وسكنا لبعض الشرفاء العلويين (قصبة بوفكران، وقصبة حرطان، وقصبة المنزه...)، فإن الحزام الثالث يقع مباشرة عند مشارف الأطلس المتوسط، (منطقة الدير) ويتشكل هذا الحزام الأخير من قصبات أكواري، والحاجب وإيموزار، إضافة إلى القلاع التي شيدها المولى إسماعيل خلال حملته ضد آيت موسى وآيت سغروشن، سنة 1096هـ. ينظر: عبد الرحمان رحو، مادة" أكوراي"، معلمة المغرب، ج 2/637.

فقال له الشيخ، بلسان العناية الربانية: ولا ما يشوش إذا كان في رقبتك شبر، وأومأ بيده: اعمل في رقبتك ذراعا، وأومأ بطول ذراعه، ففرح بذلك العلماء الذين معه، وكل من حضر لتلك المقالة فرحا شديدا، وتَيَقَّنُوا بالسلامة والأمن على الشيخ وعلى أنفسهم لما يعلمون من عادته الكريمة مع الله سبحانه، فكان الأمر كما قال، وتلقاه السلطان بالقبول والتعظيم، والتبجيل والتكريم، وجاء إليه بنفسه وهو في روضة الشيخ الكامل العارف العامل، سيدي سعيد بن أبي بكر، نفعنا الله به، وصافحه بيده، وجلس معه في داخل القبة ساعة. ولما خرج السلطان من عنده، نادى بلسانه في أصحابه، وقال: زوروا سيدي أحمد بن ناصر، يا الناس، زوروا سيدي أحمد بن ناصر، يا الناس. وصار يكررها بلسانه بصميم قلبه، وذهب جميع ما كان من الإحن بفؤاده ولبه. قال سيدي محمد بن إبراهيم: فلما انصرف السلطان من عند الشيخ، جئت إليه، وقلت له: يا سيدي، إنا نخاف أن ينزلنا السلطان بضريح الشيخ العارف بالله سيدي عبد الرحمان المجذوب[1]، ويطول بنا المقام، قال لي: لا ننزل إلا هنا، وبعد غد ننصرف لبلادنا إنشاء الله. فكان الأمر كما قال بعد أن جاء الأمر المولوي من قبل السلطان يأمره بالنزول بضريح الشيخ المجذوب، فقال: لا أنزل إلا هنا. فبقي في موضعه، ثم بعث إليه السلطان يأمره بالتوجه إلى بلاده معظما مكرما"[2].

---

[1] أبو زيد عبد الرحمان بن عياد بن يعقوب الشهير بالمجذوب، أحد مشاهير رجال الولاية والصلاح بمغرب القرن العاشر الهجري/ ق 16م. ولد بتيط قرب أزمور سنة 908هـ رحل مع والده إلى مكناس فسكن بها وأخذ تعليمه الأول. وكان جامعا بين الجذب والسلوك. كانت له زاوية صغيرة تعرف بزاوية بوزيري. وكان له أتباع كثيرون. توفي سنة 976هـ. ترجمته في: أبي حامد الفاسي، مرآة المحاسن، ص: 73-74؛ ومحمد المهدي الفاسي، ممتع الأسماع، ص: 138-145؛ وأحمد الحضيكي، طبقات الحضيكي، ج2/484-440؛ ومحمد القادري، الإكليل والتاج، ص: 407-409.

[2] وردت هذه الكرامة بنفس اللفظ في: أحمد الناصري، طلعة المشتري في النسب الجعفري، ص: 58-59.

ومن كراماته: ما حدث به الشيخ البركة الفقيه الرحالة سيدي الحاج علي السوسي، أحد أحفاد الولي /82/ الصالح الزكي العارف الزاهد التقي سيدي أحمد بن موسى السملالي[1]، قال: "بعثني الشيخ في كَبَار كبير توجه لبلاد السودان بقصد التجارة، فلما وصلنا بعض مياه عرب، يقال لهم: أولاد دليم[2]، نزلنا على الماء، فما شعرنا أن جاؤونا خيلا ورماة وأرادوا نهب أكبار، ونزلوا بخيامهم على بعد منا. وخاف الناس على أنفسهم خوفا شديدا، ودخلهم الرعب، وعولنا على القتال معهم، إذ قد كان عندنا في القافلة ما يزيد على الألف مدفع، وهم أكثر منا بعدد كثير، فأخذ الناس في الحزم والتأهب، فنمت بسِنة خفيفة في وقت القائلة، وإذا أنا بالشيخ، عليَّ ليس عليه إلا قشابة من كتان، وعلى رأسه كُرْسِيَّةُ[3] صُوفٍ فيها حناء، وبيده عكاز في رأسه حديدة، فضربني بها في صدري، فوجدت بردها داخل أحشائي، وقال لي: اذهب إلى خديمنا الشيخ فلان من أشياخ أولائك العرب، وقل له: والله إن ضاع من هذه القافلة شيء حتى نرميه، أو قال: نجليه، حيث كذا. نسيته. فاستيقظت مرعوبا، وكان معنا إذ ذاك الشريف الحسني، البركة النجيب مولاي هاشم، من أهل القصابي، فقلت له: أبشر بالفرج إنشاء الله، الآن قد رأيت الشيخ، وقال لي: كذا وكذا. فبشر الناس وندبهم للصدقة، فما لبثنا

---

[1] أبو العباس أحمد بن موسى الجزولي من أهل سوس الأقصى، كان معاصرا للشيخ أبي عبد الله محمد بن إبراهيم، ومناقبه كثيرة، وكراماته شهيرة. توفي سنة 971هـ . ترجمته في: ابن عسكر الشفشاوني، دوحة الناشر، ص: 102؛ ومحمد المهدي الفاسي، ممتع الأسماع، ص: 104؛ وأحمد الحضيكي، طبقات الحضيكي، ج 1/1-10؛ والعباس بن إبراهيم، الإعلام، ج 2/233-234.

[2] أولاد دليم: مجموعة قبائل تسكن الصحراء المغربية وتنقسم إلى الأفخاذ التالية: أولاد نكدي، أولاد خليكة، أولاد باعمر، السراحنة، لوديقات، وتوجد بعض الفروع من قبائل أولاد دليم بنواحي مراكش، ينظر: مصطفى عربوش مادة "أولاد دليم"، معلمة المغرب، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، نشر مطابع سلا،1411هـ-1991م، ج 3/913.

[3] في النسختين (ج) و(د): "كرزية".

إلا يسيرا وإذا نحن بأربعة فوارس من أولئك العرب، وهم يشيرون إلينا على بعد، ويقولون لنا: أعطُونا من نتكلم معه منكم، فما حضر لنا أمان فيهم، ثم إني أخذت مدفعي وتقدمت إليهم، فجال بيننا وبينهم الكلام، فإذا الرجل الذي ذكر لي الشيخ جاء هو بعينه وأولاده معه، فذكرت لهم ما رأيت، فقال لي: الآن رأيت الشيخ في النوم على الحالة التي رأيته أنت عليها، وحلف أنه إن ضاع شيء من القافلة حتى يفعل بي كذا وكذا، وأنتم لا بأس عليكم ولا تخافوا من شيء إلا إذا مت أنا وإخوتي، وهم أربعمائة فارس، نقاتل دونكم كل من أرادكم، ثم ذهب إلى العرب، وجال الكلام بينهم، مدة حتى هموا بالقتال، وتهيئوا له، ثم غلبهم ذلك الشيخ، وسلموا كلهم، وطلبوا منا أن نسقيهم الماء لأننا كنا سبقناهم إليه، ففعلنا وسلمت القافلة، والحمد لله من بركة الشيخ وحمايته، ففرضوا مائتي دينار ذهبا للشيخ صدقة قبضتها من عندهم معجلة، والتزموا أخرى مؤجلة لم نقبضها للافتراق الذي وقع بيننا، ثم لما رجعت إلى زاوية الشيخ بدرعة، ودخلت بقصد السلام عليه، قال لي بديهة من غير أن يسبق له علم من أحد بذلك ولا جاء أحد: هات الأمانة التي لنا عندك، فقلت: ها هي يا سيدي وأخرجتها من تحتي، ودفعتها له "[1].

وحكى بعض الثقات من أصحابه أن طلبة الجن كانوا يتعاهدونه للقراءة عليه، ويرجعون إليه، فيما أشكل عليهم من مسائل العلم، ويقال: إنه أخذ السري الصالح /83/ الجن المؤمن السيد شمهروش الصحابي الجليل، وهو أخذ عن سيدي رسول الله. وكان الشيخ، هو الذي أخبر بموته. "وكان هذا الشيخ، يحكي عن العالم الشهير، البركة العارف الكبير، القطب الكامل، وحبل الله الواصل، الدال على الله أبي زيد سيدي عبد

[1] وردت هذه الكرامة بنفس اللفظ في: أحمد الناصري، طلعة المشتري في النسب الجعفري، ج2/ 105-106.

الرحمن الثعالبي[1]، أنه قال: "من رآني إلى سبعة ضمنت له الجنة، بشرط أن يقول كل من رآه: أشهد أني رأيتك، فيشهد وهو رآه العارف بالله القطب الكامل الدال على الله أبو عبد الله سيدي محمد بن ناصر، كذلك عن شيخه الولي الصالح سيدي أبي الحسن الدرعي، عن أبي زيد المهدي، عن أبي عبد الله المدني، عن الشيخ عبد الكبير المهدي، عن الشيخ الكبير سيدي عبد الرحمن بن محمد الثعالبي، فكان الناس يستشهدونه على الرؤية فيشهد لهم، وهذا كله من باب تغليب حسن الظن، وجانب الرجاء، وسعة رحمة الله تعالى، وله وجه من السنة"[2].

وبالجملة فكرامات هذا الشيخ كثيرة، سنية خطيرة، لو تتبعناها أفضى بنا ذلك إلى التطويل والخروج عما نحن فيه من أمر هذا الولي الموضوع فيه هذا الكتاب العظيم الجليل. وقد أُفردتْ في مناقبه ومناقب أبيه التآليف، وجُمعت في فضائلهما التصانيف، ولم يحضرني الآن شيء منها.

وله رحلة جليلة، حسنة جميلة، أتى فيها بألفاظ عذبة رائقة، ومعانٍ[3] جميلة رائعة، أبدى فيها وأعاد، وأحسن وأجاد، وأطنب وأفاد، أطلق فيها عنان التعبير، من بحر علمه الغزير، تشهد له بوُفُور العِلم، وجودة الفهم، مع بسط العبارة، ولطيف الإشارة، تدل على كسوة قلبه بالأنوار الإلهية، وعمارته بالأسوار الربانية، والمواهب الرحمانية.

---

[1] أبو زيد عبد الرحمان الثعالبي، المالكي، مفسر، فقيه، صوفي، متكم، ولد سنة 786هـ توفي عام 875هـ. من تصانيفه "الجواهر الحسان"، و"مختصر المدونة" و"الذهب الإبريز في غرائب القرآن العزيز" وغيرها. ترجمته في: أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج، ج 257/2-261؛ وأحمد الحضيكي، طبقات الحضيكي، ج 2/ 536-538؛ وكحالة، معجم المؤلفين، ج 192/5.

[2] ورد هذا النص في: محمد الإفراني، صفوة من انتشر، ص: 366، مع اختلاف في اسم هذا العلم "أبي عبد الله الرقي" عوض "أبي عبد الله المدني".

[3] في الأصل: " ومعاني". وقد صححناها.

وذكر فيها أشياخه الذين أخذ عنهم العلم وأجازوه فيه، وأتى فيها بلطائف علمية، وفوائد حكمية، كانت تتفجر على فيه. وما عاينه في وجهته لأرض الحجاز بحسب ما يليق بكل مقام من الإطناب والإيجاز. واعتمد فيها على رحلة شيخه الإمام أبي سالم العياشي، نفعنا الله به. توفي رحمه الله في الثامن عشر من ربيع النبوي، عام ثمانية وعشرين ومائة وألف، ودفن مع أبيه نفعنا الله بهما.

وكان أبوه العارف الكامل المكمل، والقطب الواصل الموصل، بحر العلوم الزاخر، أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد بن الحسن بن ناصر، اشتهر بابن ناصر، كما هو معلوم نسبه إلى جده، يلاحظه بعين بصيرته، ويمده بهمته وسريرته، لما تفرس فيه من الخير الباهر، والسر الطاهر، ولله در من قال:

[الكامل]

إِنَّ الهِـــلاَلَ إذا رأيــتَ نُـمُـوَّهُ أَيْـقَـنْـتَ أن سَـيَصِـيـرُ بدْراً كَـامِلاً[1]/84/

إلى أن استخلفه على زاويته بعده، وخصَّه بميراث ما كان من الأسرار عنده، وأذن له في تلقين الأوراد، ولسان الحال، يقول: "أَنْتَ الخليفة والمراد"، فاقتفى أثر أبيه على المنهج القويم، والصراط المستقيم، فشاع ذكره، في المشارق والمغارب، وعظمت له المنزلة عند الله، وجلت له المناقب، فرضي الله عنه وأرضاه، وأسكنه من فسيح الجنان أعلاه.

---

[1] ورد هذا البيت بنفس اللفظ في: الخطيب التبريزي، شرح ديوان أبي تمام، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية. 1414 هـ-1994م، ج 2/ 231. وهو أبو تمام حبيب بن أوس بن الحارث الطائي، الشاعر، الأديب، أحد أمراء البيان. ولد سنة 188هـ في قرية من قرى حوران بسورية تدعى جاسم، ورحل إلى مصر، واستقدمه المعتصم إلى بغداد، وقدمه على شعراء عصره، فأقام في العراق، ثم ولي بريد الموصل، حتى توفي بها سنة 231هـ . ترجمته في: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج 2/11-26؛ والزركلي، الأعلام، ج 2/ 165؛ وكحالة، معجم المؤلفين، ج 3/ 183.

وقد ظهرت على والده نفعنا الله به، الكرامات، ورَقّى الرجالَ لسَنِيِّ المقامات، وانتفاع أصحابه بسره معروفٌ، وذلك غير خفي ومألوف.

قال أبو علي في "فهرسته" في الشيخ سيدي محمد بن ناصر: "كان رحمه الله، مشاركا في فنون العلوم كالفقه والعربية والكلام والتفسير والحديث والتصوف، عابدا ناسكا ورعا زاهدا عارفا قائما بالطريقة، شاربا من عين الحقيقة، وكان رحمه الله، مع إكبابه على علوم القوم وانتهاجه منهج الطريقة، لا يُخِلُّ بالعلم الظاهر تدريسا وتأليفا وتقييدا وضبطا، فنفع الله به الفريقين، وصحبه الناس غربا وشرقا، فانتفع به الخلق، قائما بالتعليم وبالتربية للمريدين بقوله وفعله، والترقية بهمته عن همة عالية، وحالة مرضية، وعلم صحيح، وبصيرة نورانية، مع التمكين والرسوخ. فكان إذا تكلم انتقش كلامه في القلب، وإذا وعظ وضع البناء[1] مواضع التقب"[2]. انتهى.

وقال أبو سالم في "تحفة الأخلاء" في حقه ما صورته: "كان شديد الاتباع للسنة في سائر أحواله حتى في لباسه وأكله، وفي أنواع العبادات، سالكا في ذلك مسلك الشيخ المرجاني[3]، وابن أبي جمرة[4]، وابن الحاج وأضرابهم[1].

---

[1] في النسخة (ج): "الهناء".

[2] فهرسة اليوسي، تحقيق حميد حماني اليوسي، الطبعة الأولى، ص: 144-145؛ وأحمد الناصري، الاستقصا، ج7/ 105-106، بنفس اللفظ.

[3] أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الملك المرجاني، صوفي أصله من تونس، ولد بالإسكندرية. له علم التفسير، أملى فيه دروسا جمعها ابن السكري من كلامه وسماها "الفتوحات الربانية في المواعيد المرجانية"، و"بهجة الشموس والأسرار في تاريخ هجرة المختار" وغيرها، وتوفي بتونس سنة 699هـ .. ترجمته في: محمد القادري، الإكليل والتاج، ص: 386-38؛ والزركلي، الأعلام، ج 125/4.

[4] أبو محمد عبد الله بن سعد بن سعيد بن أبي جمرة الأزدي الأندلسي من العلماء بالحديث، مالكي وصوفي مشهور، مؤلف مختصر البخاري. توفي سنة 695هـ. ترجمته في: ابن الملقن، طبقات الأولياء، ص: 439-440؛

ومن كراماته، ما ذكره شيخ الإسلام، وعالم الأعلام، أبو علي سيدي الحسن بن مسعود اليوسي رحمه الله، في "فهرسته"، قال: "قدمت على الشيخ الإمام العارف الهمام، أستاذي في بعض زياراتي إليه، فلما عزمت على الانصراف من عنده، قيل لي: اجلس حتى تحضر وليمة مولود زاد عند الشيخ مع أَمَة، فقلت في نفسي: كيف يتأتى للشيخ حتى يلد مع الأمة؟ مع أن هؤلاء العبيد والإماء حبسهم الشيخ سيدي أحمد بن إبراهيم، رحمه الله ورضي عنه، على خدمة الزاوية والشيخ أَوْرَعُ من أن يلد مع أمة الحبس، وأيضا الشيخ حج، وكيف يتأتى له حتى يحج من مال الزاوية، والشيخ أورع من هذا؟ وأيضا زوج أولاده، وكيف يزوجهم من مال محبس على الوافدين للزاوية؟ وبقيت هذه الأمور الثلاثة في نفسي، فاجتمعت مع الشيخ، فقال لي بعد كلام، وهو يلاطفني: كان من منة الله علينا أن تزوجت امرأة، وأتت بموروث حلال من قبل أهلها، فاستلفناه واشترينا به غنما وعملناها في الضبيعية، فصلحت ونمت وتكاثرت، فكان الكبش منها يباع بدينارين أو ثلاث، فاستفدنا منها مالا كثيرا مباركا/85/. وجاءنا بعض أهل البلاد كانت لهم ساقية فصَعُبَ أمرها عليهم، فقالوا: إن وقعت معنا حتى تخرج تلك الساقية وتسقي في أرضها فلك النصف في الساقية والأرض، فيسر الله فيها، وجاءت على أكمل مراد، فحرثنا تلك الأرض، وحصل لنا منها زرع كثير، بيع بثمن كثير. فاستفدنا منه مالا ثانيا، فمن ذلك المال حججنا، ومنه زوجنا أولادنا، ومنه نواسي إخواننا الوافدين علينا في الله. فزادني هذه الفائدة ثم أدرج في الكلام، فقال: وأما الأمة التي ولدت، فإنها من

والشعراني، الطبقات الكبرى، ص: 286 وأحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج، ص: 216؛ وأحمد بابا التنبكتي، كفاية المحتاج، ج 237/1.

[1] أبو سالم العياشي، إتحاف الأخلاء بإجازات المشايخ الأجلاء، ص 44، بنفس اللفظ؛ وأحمد الناصري، طلعة المشتري، ج 166/1، بنفس اللفظ.

إماء الزاوية، وكان الشيخ الرباني سيدي أحمد بن إبراهيم[1] رحمه الله، حبس أولائك العبيد والإماء على الزاوية، وأوصى أن من لم يشتغل بخدمة الزاوية يباع ويصرف ثمنه في مصالح الزاوية، ثم إن تلك الأمة كانت صعبة واشتكى منها أهل الزاوية، فاقتضى غرض المحبس أن تباع، ثم إني بعثها لبعض المرابطين من أهل درعة[2]،ودفع ثمنها في مصالح الزاوية. وبعد أيام جاؤوا يطلبون مني الإقالة منها، فعزمت على أن أقيلهم منها، فقال لي أخي سيدي حسين[3]، وكان حاضرا: لا سبيل إلى ذلك لأنها بيعت بموجب شرعي اقتضاه غرض المحبس، فلا لك إقالة فيها، فأخذتها من مالي الخالص لي والخاص بي، فقدر الله أن كان أول ملاقاة تلاقيت معها علقت بذلك الولد، ثم قال لي: وقد أصلح الله لي الدين والدنيا، وأنت كذلك سيصلح لك الدين والدنيا ففهمت منه مرادي بعد أن

---

[1] أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن عبد الله الدرعي ولي راسخ، وصدر من صدور المشايخ، ولد سنة 1001 هـ . ولما مات شيخه عبد الله بن حسين الرقي ولاه النظر في الزاوية بعده، وأذن له في تلقين الأوراد، وكان أعجوبة زمانه في المحافظة على السنة والاجتهاد في العبادة. وتوفي عام 1052هـ ترجمته في: محمد القادري، نشر المثاني، ج2/ 21-22؛ ومحمد القادري، الإكليل والتاج، ص: 165؛ ومحمد الإفراني، صفوة من انتشر، ص: 148؛ وأحمد الناصري، طلعة المشتري، ج 1/ 138-143.

[2] يطلق هذا الاسم على نهر درعة الذي يعد من أطول أنهار المغرب وعلى المنطقة التي يجري فيها من سفح الأطلس الكبير إلى الأطلس الصغير. وتضم هذه المنطقة عدة قرى ومراكز منها تمنوكالت، ومزكيطة، ولكتاوة وفزواتة وترناتة وتنزولين والمحاميد الخ. وكانت هذه المنطقة في العصور الوسطى محطة تجارية مزدهرة تشقها طريق القوافل القادمة من السودان في طريقها إلى سجلماسة. كما كانت مركزا تجاريا لجنوب المغرب واستقر بها اليهود التجار منذ القديم، وازدهرت بها صناعات الحديد والفضة والذهب. وفي القرن العاشر تأسست بها الزاوية الناصرية، فاحتلت درعة مكانها بين المراكز الثقافية الكبرى بالمغرب، وتخرج منها عدد كبير من العلماء والأدباء والمؤلفين، ينظر: الصديق بن العربي، كتاب المغرب، ص: 134.

[3] أبو محمد الحسين بن محمد بن ناصر الدرعي، كان عالما مشاركا زاهدا عابدا سيدا فاضلا، أخذ العلم عن أبيه الشيخ محمد بن ناصر، وعن محمد المرغثي، وعن أحمد القصري الطرابلسي وغيرهم، وتلقن الذكر عن القطب أحمد بن إبراهيم الأنصاري. ولد سنة 1029هـ بأغلان بترناتة من وادي درعة، وتوفي بالطاعون يوم سابع عشر ربيع الأول عام 1091 هـ. ترجمته في: محمد القادري، نشر المثاني، ج 279/2-؛ وأحمد الناصري، طلعة المشتري، ج2/26-27؛ والعباس بن إبراهيم، الإعلام ج 3/ 200.

كاشفني، بالأمور الثلاثة، وزادني فائدة رابعة، وشفى[1] غليل قلبي، مما تلجلج فيه، وبين ذلك بألطف كلام وأدرجه أثناء كلام آخر كان يتكلم به ف وأرضاه. ما أكمله وما أحسن أدبه مع مولاه ! وذلك شأن العارفين، والأولياء المكاشفين"[2].

ومن كراماته: ما حدث به الولي الصالح، شقيقه الناصح، سيدي الحسن، قال: "سمعت زوجته يوما، تقول له: إن الظهر قد أذن، فقال لها الشيخ: لا، فقالت له: "سمعتْه أذناي، فقال لها: إنما سمعت آذان الملائكة، والمؤذن في الأرض لم يؤذن، فمكثنا ساعة فأذن المؤذن وهو عمي أحمد بن عبد الرحمن، وكان أعرق أهل زمانه بالأوقات حتى قال فيه شيخنا سيدي محمد بن سعد المرغثي: يعرف عمي أحمد الفجر كما يعرف ولده"[3]، وزوجة الشيخ هذه كانت من الصالحات واسمها حفصة[4]، وهي أم ولده، الإمام الخليفة من بعده، شيخ الطريقة أبي العباس سيدي أحمد".

وقد ذكره الولي الجليل، الماجد المحبوب الأثيل، سيدي أحمد بن عبد القادر المباركي التستاوتي[5]، رحمه الله، ونفعنا به، في كتابه المسمى "بالنزهة". لهذا الشيخ الكريم

---

[1] في الأصل: "وشفا". وقد صححناها.

[2] فهرسة اليوسي، ص: 146-150، مع اختلاف في الرواية؛ وأحمد الناصري، طلعة المشتري، ج 1/170-171، مع اختلاف في الرواية.

[3] وردت هذه الكرامة، في: أحمد الناصري، طلعة المشتري، ج 1/ 156، مع اختلاف في الرواية.

[4] حفصة بنت عبد الله بن محمد بن علي الأنصاري الصالحة العابدة القانتة، زوج الشيخ الإمام أبي عبد الله بن ناصر ووالدة القطب أبي العباس بن ناصر، من ذرية الحاج ابراهيم الأنصاري، وأبوها من تلامذة سيدي عبد الله بن حسين، وعمها سيدي علي بن محمد بن علي من تلامذة سيدي إبراهيم بن عبد الله والد سيدي أحمد بن إبراهيم. توفيت عام 1095هـ . ترجمتها في: أحمد الناصري، طلعة المشتري، ج 2/ 17-18.

[5] أبو العباس أحمد بن عبد القادر بن القطب محمد بن مبارك الزعري التستاوتي، إمام عالم أديب متصوف، له ملكة في نظم الشعر، وله عارضة في الأدب، تتلمذ على الشيخ محمد بن ناصر الدرعي، ومنه تلقى الذكر. فهو من أشياخ محمد الصالح الشرقاوي، وقد ظل في حياته يتردد على الزاوية الشرقاوية أو يراسل شيخها. له "نزهة الناظر، وبهجة الغصن الناضر" و"ديوان شعري" وغيرهما، توفي بمكناس سنة 1127هـ . ترجمته في: أحمد بن عبد

على الله، الدال بأقواله وأفعاله على مولاه، سيدي محمد بن ناصر، كرامات عظيمة، ومناقب فخيمة، تشهد له بالكمال بين أرباب العناية والجمال والجلال، وذلك أنه قال له يوما: "يا سيدي /86/ لعلك تحشر وحدك من غير أتباع، إذ من شرط المحبة الاتباع، فإما أن تمنع أصحابك من المعصية، أو تعاملهم بسر الخصوصية، وعناية الربوبية، حتى يقال لهم ما قيل لأهل بدر: اعملوا ما شئتم يا أصحاب ابن ناصر، فقد غفرت لكم، فأجابني بقوله: المعصية لا تحول بيني وبين أصحابي، فمن صدرت منه هفوة، فليبادر وليتداركها بالتوبة، والحبل متصل بيني وبينه وإنما يضرنا الإصرار، قال رحمه الله: أُنظر هذا الجواب فإنه من أعظم كراماته "[1]. فإن بعض الصوفية رضي الله عنهم، يشترط تجديد العهد عند بروز المعصية من المريد؛ وإلا لم ينتفع بصاحبه أبدا،﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾[2]"[3]. وقال، إثر هذا الجواب: "إن العارف الإمام سيدي الغازي[4]، أو القدوة سيدي عبد الله بن حسين[1]، لا أدري أيهما القائل: المرجو من

القادر التستاوتي، "نزهة الناظر، وبهجة الغصن الناضر"، مخطوط بالخزانة الحسنية، رقم 3070؛ والعياشي بن عبد القادر التستاوتي، مجموعة محاورات ومخاطبات للعياشي، مخطوط بالخزانة الحسنية، رقم 1928؛ ومحمد القادري، نشر المثاني، ج3/227-228؛ وأحمد الناصري، الاستقصا، ج7/111؛ والعباس بن إبراهيم، الإعلام، ج2/353-357؛ ومصطفى عربوش، من أعلام منطقة إقليم تادلة وبني ملال، ص: 253-259؛ وأحمد بوكاري، الزاوية الشرقاوية، ج1/200-202.

[1] ورد هذا النص بنفس اللفظ في: أحمد بن عبد القادر التستاوتي، نزهة الناظر، مخطوط بالخزانة الحسنية، رقم 3070، ص:37؛ وأحمد الناصري، طلعة المشتري، ج 1/ 275-276.

[2] سورة الجمعة، الآية:4.

[3] ورد هذا النص بنفس اللفظ في: أحمد بن عبد القادر التستاوتي، نزهة الناظر وبهجة الغصن الناضر، مخطوط بالخزانة الحسنية، رقم 3070، ص: 37؛ وأحمد الناصري، طلعة المشتري في النسب الجعفري ج 1/275- 276.

[4] أبو القاسم الغازي بن محمد بن عمرو بن أحمد السوسي، الدرعي الأصل، السجلماسي الدار والمدفن، من أشهر رجال التصوف في القرن 10هـ، صحب الشيخ أحمد زروق، وانتفع به كثيراً، أصحابه، أصله من هرغة. توفي سنة 981 هـ بتبوبكرت من سجلماسة. ترجمته في: أبي سالم العياشي، رحلة العياشي الحجية الصغرى، تحقيق عبد الله حمادي الإدريسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ص: 45،- والحسن اليوسي، المحاضرات، ج2/672، و-احمد

الله ألا يسوق إلينا إلا من قبله الله واختاره"[2] ومنها أنه قال: لما أنشدته ملحونة[3] بعد أن أذن لي في إنشادها؛ فلما جئت في قولي: "ويغيثني بن ناصر سلطاني، قلت له: لعلك لا تغيثني، فتبسم، وقال لي: أغيثك، فقلت له: بل لا تغيثني؛ لأني لا أنفكُّ عن المعصية، وأخشى أن أحرم بسببها من الإغاثة، فقال لي : أغيثك على كل حال"[4]. قلت: وهذه حالة أهل الكمال مع أصحابهم، كقول سلطان الأقطاب، ومن خضعت له الأعناق والرقاب، وقال: قدمي على رقبة كل ولي لله الشيخ سيدي عبد القادر، ونفعنا به يدي على مريدي كالسماء على الأرض، إن لم يكن مريدي جيدا، فأنا جيد. ومنها أنه قال: لما أنشدته قصيدة نونية[5] مدحته بها: "كنت أرى وجهه يتهلل كالبدر، وأنا أقرأها عليه بصيغتها، فعلمت أنه من العارفين لأنهم إذا مدحوا انبسطوا لشهودهم ذلك من الملك الحق،

الحضيكي، طبقات الحضيكي، ج1/148-160، و- محمد الخليفتي، الدرة الجليلة في مناقب الخليفة، ج1/164- احمد الناصري، طلعة المشترى، ج1/128-130.

[1] عبد الله بن حسين الرقي الدرعي، المعروف بالقباب (الأسد)، شيخ صوفي شهير، ولد بزاوية سيدي الناس من خميس فزواطة، ثم انتقل إلى تمكروت، فاستوطنها، وبها اشتهر أمره، وعرفت ولايته وخصوصيته، أخذ عن شيخ السنة أبي العباس أحمد بن علي بن الحاجي، وأخذ عنه الشيخ محمد بن ناصر الورد، ومنه تلقن الذكر الشاذلي، توفي عام 1045هـ..ترجمته في: محمد القادري، نشر المثاني، ج 1/ 333-، وأحمد الحضيكي، طبقات الحضيكي، ج2/494-495، وأحمد الناصري، طلعة المشترى، ج1/128-130.

[2] ورد هذا النص بنفس اللفظ في: أحمد التستاوتي، نزهة الناظر وبهجة الغصن الناضر، مخطوط بالخزانة الحسنية، رقم، 3070، ص: 37؛ وأحمد الناصري، طلعة المشتري، ج1/276.

[3] ورد هذا النص في: أحمد التستاوتي، نزهة الناظر وبهجة الغصن الناضر، ص: 37؛ وأحمد الناصري، طلعة المشتري، ج1/275.

[4] ورد هذا النص بنفس العبارة في: أحمد الناصري، طلعة المشتري، ج1/291.

[5] هذه القصيدة مذكورة في: أحمد التستاوتي، نزهة الناظر، ص: 39-40؛ وأحمد الناصري، طلعة المشتري، ج1/290-291؛ ومطلعها:

[الرمل]

قَدْ سَعَتْ أيَّامُنَا في بَيْننا فَتنَاءَيْنَا ولَسْنَا صَابِرِينْ

لَوْ عَلِمْنَا السِرَّ يأتي بغتَةً لَتَوادَعْنَا وَدَاعَ اَلْبَائِنينْ

والعباد والزهاد إذا مدحوا انقبضوا لشهودهم ذلك من الخلق،﴿كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ﴾[1]. ولما فرغ، من دعائه، قلت له: يا سيدي أرغب منك أن أكون في ضمانك وذمتك، فإنك صاحب وقتك، فالعار عليك فمن للفقراء المنتسبين المقلدين على سبيل الغلط غير أولياء الله، فقال لي : أهل الطابع ما فيهم كلام، وغير أهل الطابع ينقسمون على قسمين: قسم يحبنا، وقسم يبغضنا، فالقسم الذي يحبنا المرجو من الله أن يلحقهم بأهل الطابع، والقسم الذي يبغضنا ينتفع منا بالدعاء"[2].

وقد ذكر في كتابه هذا مسائل جليلة، وفوائد جميلة، تدل على كمال شيخوخته، وفيض سر خصوصيته، نفع الله به، الخلق الكثير، وأجرى على يديه المدد الغزير، وتخرج على يده جماعة من الصالحين، والعلماء العاملين، ومنهم هذا الشيخ /87/ المتقدم الذكر، الرفيع القدر، الأديب الناظم الناثر، أبو العباس سيدي أحمد بن عبد القادر، وكان له من الصلاح الحظ الأوفر، تجري على لسانه الأقدار، ومن العلم النافع المدد الأغزر تقتبس منه المواهب القدسية، والأسرار والإشارات الربانية والأنوار، مكاتبته وأخباره، وفوائده وأذكاره في كتاب "النزهة" مذكورة، وفضائله ومواهبه عند العامة والخاصة مشهورة، كانت بينه وبين سيدنا الولي الناصح، الشيخ الصالح، مكاتبات ومواصلات، ومحبة في الله ومواخاة. وكان يشهد له بالفضل ويُجِلّ مكانته، ويثني عليه الثناء الجميل، ويعظم سيادته. وقد أجازه بما أجازه به شيخه العارف بالله سيدي محمد بن ناصر. وأنشد في الإجازة قصيدة حسنة يقول في أولها:

---

[1] سورة الإسراء، الآية: 20.

[2] ورد هذا النص بنفس اللفظ في: أحمد الناصري، طلعة المشتري، ج 1/ 291.

[الطويل]

على صَالِحٍ تاجُ الصَّلاَحِ مُنمَّقٌ وَفِيهِ من الأَفْضَالِ والفَضْلِ رَوْنَقُ

فقد شهد له بأنه تاج الصلاح، وزاد بعد ذلك ثناءً جميلاً، يشهد لهذا الشيخ العظيم القدر، بكمال الشرف والفخر. توفي سيدي أحمد المذكور سنة سبع وعشرين ومائة وألف بمكناسة الزيتون، وبها قبره عند روضة العارف الكبير سيدي عبد الله بن أحمد رضي الله عنه، ونفعنا به. ولنذكر هذه القصيدة المباركة الحفيلة التي أذن فيها مصباح الزمان، ومن شهدت بفضله وتقديمه السرات الأعيان، الناظم الناثر، سيدي أحمد بن عبد القادر التستاوتي، نجل العارف الناسك سيدي محمد بن مبارك، بتلقين الأوراد، التي هي أكمل بغية وأجل مراد، التي تقدمت الإشارة إليها، وهي قوله:

[الطويل]

على صَالِحٍ تاجُ الصَّلاَحِ مُنمَّقٌ وَفِيهِ من الأَفْضَالِ والفَضْلِ رَوْنَقُ

رَضِينَاهُ أَهْلاً[1] أَنْ يُلَقِّنَ وِرْدَناً وَفِي كَفِّهِ لِلوارِدِينَ تَدَفُّقُ

ولِلورْدِ أَخْذٌ عن شيوخٍ مُعَنْعَناً حَدِيثٌ صَحِيحٌ للنَّبِي مُوَثّقُ

وَلاَ تُصْغِ للطُّعَّانِ فالطَّعْنُ وَاقِعٌ بِكُلِّ زَمَانٍ والمُصَحِّحُ أَصْدَقُ

وَكَمْ نَاظِرٍ شَخْصاً بِنَقْصٍ وَعِنْدَنَا يَكُونُ بِعَيْنِ النَّاقِصِ النَّقْصُ يَخْلُقُ

فَسِرْ سَيْرَ عَبْدٍ حَازِمٍ في سُلُوكِهِ إلى اللهِ واتْرُكْ ما بِهِ قد تَخَلَّقُوا

وَلاَ تَخْلُ مِنْ شَوْقٍ لِرَبِّكَ في الدُّجَى وَكُنْ خَائِفاً والجَفْنُ بالدَّمْعِ مُغْرَقُ

وَأَعْرِضْ عَنِ الدُّنْيَا إِذَا هِيَ أَقْبلَتْ وإنْ أَدْبَرَتْ فاصْبِرْ فأنتَ المُوَفَّقُ

---

[1] في النسخة (د): "فضلا".

وَحُبُّكَ لِي والشَّوْقُ مِنْكَ لِجَانِبِي هُوَ الخَيْرُ مِنْ إِشْرَاقِهِ اليُمْنُ يَشْرُقُ

وليعمل أخي بمقتضاها، والله يجود عليه بطلوع شمسه من سماها، ولو اتسع المجال، شرحت المقال، وفيما ذكرته دواء للمطبّب اللبيب، وغنيته لكل قلب منيب.(**مَن يَهْدِه/90/اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِى لَهُ**)[1]، ومرجع كل قول وعمل لله والسلام من أخيكم أحمد بن عبد القادر، وسلم منا على الشيخ جدكم نفع الله به، انتهى من خط صاحبها نفعنا الله به، آمين.

ولنذكر هنا قصيدة جليلة، جميلة حفيلة، مشتملة على أنواع البلاغة والفصاحة، ولطافة المعنى والبراعة، لسيدنا الإمام، العارف الهمام، الورع الناصح، أبي عبد الله المدعو بالصالح، مع زيادة ألفاظ عليها، وتحليات مسندة إليها، في شيخ الإسلام، وحسنة الليالي والأيام، سيدي أحمد بن عبد القادر، المذكور قبل هذا، ونص الكتاب مع ما اشتمل عليه من الآداب. "الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد، نبيه وعبده. مني السلام الكريم، العنبري النَّسيم، ورحمة الله وبركاته التي لا تبرح ولا تريم، على شراب الحقائق والرقائق مولانا أبي العباس سيدي أحمد بن عبد القادر، حاطه الله وأدام حياته للإسلام، بجاه المصطفى عليه الصلاة والسلام.

أما بعد، فقد جادت القريحة الفاترة بأبيات فيكم وهي:

[الكامل]

سَعِدَ الزَّمَانُ ودارَ خمرُ الكَاسِ كأسِ الصَّفَا المُنْجِي مِنَ الأَوْجَاسِ

وَتَقَوَّى رُكْنُ الدِّينِ وازْدَادَ التُّقَى وَبَدَا السَّنَا للسَّار في الأَغْلاَسِ

[1] مسلم، صحيح مسلم، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، ح :867، ج2/ 593.

وَتَوَالَتِ الأَفْرَاحُ وانزاح العَنَا ... عَنْ كُلِّ ذي قَلْبٍ سَقِيمِ آسِ

وَتَأَرَّجَتْ أَرْجَاءُ هَذا الغَرْبِ مِنْ ... طِيبِ الطَّبِيبِ الطَّيِّب الأَنْفَاسِ

مُحْيِي طَرِيقِ القَوْمِ فَيَّاضِ النَّدَا ... عَمَّنْ يُؤَمِّلُهُ أبي العبَّاسِ

كَهْفِ الهُدَى مُجْلِي الرَّدَى وَمَنِ ارْتَدَى ... بِذُرَى المَهَابَةِ دُرَّةِ الأَكْيَاسِ

دَع عنك أَهْلَ العَصْرِ وَاعْمَدْ بَابَهُ ... إن رُمْتَ أَنْ تُكْفَى جَمِيعَ البَاسِ

فَهْوَ السِرِيُّ بْنُ السِّرِيّ المُرْتَضَى ... وَهْوَ المُذَكِّرُ للضَّلِيلِ النَّاسِ

وَهْوَ الَّذِي يَسْقِيكَ إِنَّ رَاجَيْتَهُ ... مِنْ خَمْرِ أَهْلِ الخَشْيَةِ الرُّءَاسِ

للهِ ما أَحْلاَهُ من مَوْلًى لَقَدْ ... لاَحَتْ مَنَاقِبُهُ كَمَا النِّبْرَاسِ

يَا عُمْدَتِي يا مُنْيَتِي يَا بُغْيَتِي ... يَا جُنَّتِي مِنْ نَزْغَةِ الخَنَّاسِ

يَا عُدَّتِي إن هَالَ هَوْلٌ حَلَّ بِي ... يَا مَنْ بِهِ أَسْمُو عَلَى الجُلاَّسِ/89/

فَرِّجْ هُمُومَ الصَّدْرِ وامْدُدْنِي بِمَا ... يُدْنِيِنِي مِنْ مولاي ربِّ النَّاسِ

وَذُدِ الرَّدى عَنِّي وعن أَهْلِي وَمَنْ ... يَأْوِي لَنَا وَلْتُغْنِ مِنْ إِفْلاَسِ

يَا غَيْثَنَا فِي المَحْلِ يَا غِيَاثَنَا ... حَاشَاكَ أَنْ أُعْرَى وَأَنْتَ الكَاسِي

يَا أحمدٌ إن تَرْتَ لِي فَانْهَضْ فَقَدْ ... أَصْبَحْتُ لاَ أَصْحُو مِنَ الأَرْجَاسِ

وَلَقَدْ غَرِقتُ وَهَا أَنَا أَمَّلْتُكُمْ ... فأنْقِذْنِي لاَ تَتْرُكْنِي ذَا إِيَّاسِ

وانْهَجْ بِمَنْ يَرْجُوكَ مِنْهَاجَ التُّقَى ... واجْذُبْ لِرَبِّ النَّاسِ قَلْبِي النَّاسِ

نادَيْتُكُمْ مُسْتَشْفِعاً بِالمُرْتَضَى ... عِنْدَ الإِلَهِ السَّيد الدَّرَّاسِ

وَبِكُلِّ قُطْبٍ والنَّبِيِّ المُصْطَفَى ... والمُنْتَقَى مِنْ سَائِرِ الأَجْنَاسِ

صَلَّى عَليه اللهُ ما لاَحَ السُّهَى ... وَسَطَ السَّمَا أَوْ لاَحَ عَرْفُ الآسِ

انتهى من خط ناظمها نفعنا الله به، وكتب بعدها بيده المباركة يطلب منكم مخترعُها العبد المضطر لرحمة مولاه محمد صالح، أن تعتني به غاية الاعتناء، فأنت بمرأى من سُعَادَى ومَسْمَع. وقد مددت كفي با (..)[1] ظاهرا وباطنا بما يكفي. ولما تعذر عليَّ سير القدم، خاطبتُك بلسان بقلم، ونطلب من سيدنا أن يأذن للسيد محمد الشر (..)[2] في قراءتها عليه مرتبا، ويسمعها إلى آخرها ممن (..)[3]لركاكة ألفاظها، واعذرني فقد كتبت (..)[4] الله عندكم، ولو أنني طائر أطير. وكيف يطير (..)[5]. وسلم مني على السادات الأجلة سيدي محمد الحاج، وسيدي محمد بن يوسف، وسيدي إبراهيم، والسلام. وقد أنزلت حاجتي عندك فانظر لي بعين (..)[6] والإغضاء. ونص جواب سيدي أحمد بن عبد القادر، عن القصيدة، وكتب ذلك بمحولها الحمد لله وصلى الله وسلم على مولانا محمد، وآله.

[الكامل]

أَبْشِرْ فَإِنَّكَ قَدْ حَلَلْتَ بِمَوْطِنٍ ... رَحْبٍ يُؤَمَّلُ فِي اشْتِدَادِ البَاسِ

كُنْ وَاحِداً فِي القَصْدِ غَيرَ مُشَتَّتٍ ... لِلْفِكْرِ واشْرَبْ مِنْ يَدِي فِي الكَاسِ

وإذا شَرِبْتَ فَقَدْ بَلَغْتَ مِنَ المُنَى ... أَعْلَى الذُّرَى وَأَمِنْتَ مِنْ وَسْوَاسِ

للهِ أَسْرَارٌ يَدِقُّ خَفَاؤهَا ... فِي خَلْقِهِ مِنْ سَائِرِ الأَجْنَاسِ

فَإذا أَرَدْتَ عُلُومَهَا مُتَطَلِّعاً ... أَسْرَارَهَا فاسْلُكْ سَبِيلَ النَّاسِ

واتْبَعْ نبيَّكَ والصَّحَابَةَ بَعْدَهُ ... وانْهَجْ طَرِيقَ الأَوَّلِ الأَجْرَاسِ[3]

---

[1] بياض في الأصل وباقي النسخ قدره كلمة.

[2] بياض في الأصل. ولا وجود لهذا البياض في النسخة (د).

[3] بياض في الأصل وباقي النسخ قدره كلمة.

[4] بياض في الأصل وباقي النسخ قدره كلمة.

[5] بياض في الأصل وباقي النسخ قدره (ثلاث كلمات).

[6] بياض في الأصل وباقي النسخ قدره كلمة.

هَذَا وَإِنّي مُؤَمِّلٌ أَنْ تُجْتَبَى وَتَكُونَ في شَرَفٍ وَعِزٍّ رَاسِ
لاَ تَخْشَ مِنْ فَقْرٍ[1] وَلاَ هَمٍّ وَلاَ غَمٍّ وَضَيْمٍ وَلاَ وَسْوَاسِ[4]
وَاهْدِ الأَنَامَ[2] إلى السَّبِيلِ المُرْتَضَى واشْكُرْ لرَبّكَ لَا تَكُنْ بالنَّاسِ
وعليكم مِنّي السَّلاَمُ مُؤَبَّداً مَا خَطَّتِ الأَقْلاَمُ في القِرْطَاسِ

وصلى الله وسلم على سيدنا ومولانا محمد وآله، وكتب محبكم أحمد بن عبد القادر، كان الله له. آمين. ويسلم عليكم عبد الله تعالى محمد بن يوسف، ويأمركم بالقدوم، فإن حاجتك إنشاء الله تقضى /90/. انتهى من خطه، وبعد ما ذُكر أعلاه، وعلى أخي السلام والرحمة والبركة، وهنيئا لك ما لك في هذا القرطاس، ونرجو[5] من الله أن يكون صادف ما كتب لك الحق في الأزل رأس عبيد ربه تعالى محمد بن عبد القادر، كان الله له. آمين، وبعده يسلم عليك العياشي بن عبد القادر[6]، فهنيئا لك بما قاله الأخوان في البطاقة.

ونص كتاب آخر لسيدي العياشي، أيضا كتبه لسيدنا ومولانا أبي عبد الله سيدي محمد صالح: "الحمد لله، وصلى الله على سيدنا محمد، وعليكم السلام، والرحمة

---

[3] في النسختين (ج) و(د) (الأجراس).
[1] في النسخة (د) (فقد).
[2] في النسخة (د): (السلام).
[4] في النسختين (ج) و(د): (ولا وسواس).
[5] في الأصل: "ونرجوا". وقد صححناها.
[6] العياشي بن عبد القادر المباركي، الفقيه الكامل، كان من أهل الجد والاجتهاد، والمواظبة على العبادة والأوراد، وله ملكات ومخاطبات ومحادثات. وأخذ عن أحمد بن عبد القادر وأخيه محمد الحاج، وأبي علي الحسن اليوسي، وأحمد بناصر الدرعي، وأبي عبد الله محمد بن يوسف، ومحمد بن عبد القادر الفاسي، وغيرهم. ترجمته مأخوذة عن: بوعبيد التركي، سيدي محمد بن مبارك الزعري: دفين منطقة زيان، المنشور ضمن أعمال ندوة التراث الديني والثقافي بجهة تادلا أزيلال، الصادرة عن المجلس العلمي المحلي ببني ملال، ص: 243.

والبركة على الدوام، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، وأسأله لنا ولكم نيل المراد، بالإرشاد بحضرة الإرشاد". أما بعد:

[الطويل]

سَلاَمِي سَلاَمُ سَالِمٍ بِسَلاَمِهِ فَأَصْبَحْتُ مَنْصُوباً لَهُ بِسَلاَمِهِ
وَقِنِي بِخَفْضِي رَافِعاً عَيْنَ خَفْضِهِ فَهَا هُوَ مَجْزُومٌ بِلَفْظِ خِتَامِهِ

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[1] فسر يا رجل بما مِنَ الله إليك، ولا تنظر ما منك إلى الله، فاجلس به في عين الجمع، واسقه من عين الفرق، ولا عليك، فاخلع به نعليك، واقطع به مسافة الرجا، ينل منك مقصوده، ويحظ ويحيى منصبه مع قطع العلائق، ويتزوج زوجة بها يرتفع ويهدى، والكافل لك وله وللجميع حاضر ملتزم به بجميع ما يسر ويحيى، وقل: اللهم إني أشهدك أني توكلت عليك، واستعنت واعتزيت بملائكتك واستعنت بأنبيائك، ورسلك، واستغثت بعبادك أهل التصرف في مشارق الأرض ومغاربها، وبقطب الزمان اليوم، إني منحت لفلان جميع ما طلبه مني فضلا منك بعد صلاة ركعتين، أرجو[2] الله رجاء صدق تكميل ما سأله بفضله.

[الطويل]

حَوَاجِبُنَا تَقْضِي الحَوَائِجَ بَيْنَنَا وَنَحْنُ صُمُوتٌ وَالهَوَى يَتَكَلَّمُ

أنا وأنت شيء واحد في الظاهر والباطن. جميع ما تكلفت به ملزوم علينا، إنما أنا خديم مفتقر بجانب أمثالكم. فما بشَّرتَه به فهي بشارتي؛ لكن بتضمين وتلويح، وإن اضطررتَ لا بأس بالتصريح، خذها وأنا ابن كذا الانتما بحضرة الجمال، برياض الأنس،

---

[1] سورة الفاتحة، الآية: 5.

[2] في الأصل: "أرجوا". وقد صححناها.

حسن لأهل الإنس، بحضرة القدس، واعذرني في طول الكلام، وفي طي هذه البطاقة ما يقطع حجة صاحبك، أرجو[1] له التسليم والرضى. غبار المسلمين وأدناهم، الغريب بملكه العياشي عبد القادر، كان الله له، ولام كما وجدته". ولسيدنا العياشي، في الشيخ سيدنا الصالح، نفعنا الله بهما، ومنحنا من بركتهما وسرهما، هذه الملحونة البديعة المعاني، الرائعة المباني.

هَيَا حْبِيبْ قَلْبِي يَا سِيدِي صَالحْ ... هَا يا مُؤَلَّفْنَا بطيبْ شَرَابْ/91/

كُنَّا نْجِيوْ بقْلُوبْنَا وَقْرَايحْ ... وَلّي عْصَى قَلْبُ هْنَا يَرْطَابْ

رَبِّي رَقيبْ عَلى الذْنُوبْ يْسَامَحْ ... يَعْفُو وَيَصْفَحْ رَبْنَا تَوَّابْ

شَمْس الطُّلُوعْ غْرُوبْهَا للرَّايْحْ ... خَوْفِي تْرُوحْ أَعَدْمُوا لَحْبَابْ

كَلْبِي فْبَابْكُمْ بالقْرَايْح نَابَحْ ... مَهْجُورْ بَاقِي في رْسَامْ لاعْرَابْ

هَايَا كَنْزُ خافِي للحْبَابْ النَّاصَحْ ... دَاوي العْلِيلْ مَنْ عَلَّتُ وَحْجَابْ

هَايَا تْجَارَتْ كُلْ مَنْ هُوَ رَابَحْ ... يَا رَاسْ مَالِي حَرْتْنَا وَسْبَابْ[2]

بَحرْ زْمَانَنَّا بِمْوَاجُ طَافَحْ ... هزّْ فيه ريح رَعْدُو زادْ فيه ضْبابْ

كَعَّد السّفينَا فوق ظْهر المالَحْ ... لاَ بُدَّ الطَّارْدِ فَوْقَ كَذَا واشْعَابُ

رَاتَادْلاَ وبْنَاتْهَـــــــــا تَتْنَـــــــاوْحْ ... بَعْدَ الهْنَا سْقَاوْ كَأسْ عَذَابْ

إلى لَيْنْتَ والنَّجعُ بَيْنَ سْلاَلَحْ ... يَا غَوْثْنَا فالسَّابْقَ تَنْصَابْ

طَلْعَ الدُّجَا يا ضَوَّ كُلُّ مَصَابَحْ ... بْطَا شَرَابْنَا وَمَالْنَا غَبَّابْ

طَيْرِي عْدَمْ بالسَّابِقَاتْ جْوَانَحْ ... وَلّي سْبَقْ في اللَّوْحْ رَاهْ كْتَابْ

---

[1] في الأصل: "أرجوا". وقد صححناها.

[2] السّْبابْ: هو نوع من المعاملات التجارية.

مَجْذُوبْ سَالَكْ فِيكْ سِيدي صَالَحْ وَلدْ بُوعْبِيدْ يَا غَوْثَنَا لَاقْطَابْ

لا تدّوزّنَا بفْعَالْنَا وَقْبَايَحْ ها يَا عْلاَجْ القلبْ حُلّ البَابْ

أَمَنْ دْرَا تْكَعَّدْ لِيَ الطَّايَحْ حَمْلِي تْلاَحْ جَمْلُ لْقَاهُ ذْبَابْ

نَفْحَ بْغِيثْ من سيدي سِرَّكْ فَايَحْ شَوِّقْ لُغْرَامْ وَنْهَزُّ بِهِ لَحْبَابْ

عَاري عْلِيكْ ها يَا الشيخ الصَّالَحْ وَلْدْ بُوعْبِيدْ يا فارَسْ لَكْبَابْ

ومنهج الولي الصالح الناثر، أبو عبد الله سيدي محمد الحاج بن عبد القادر[1]، كانت أخلاقه كريمة، وأحواله مستقيمة، وكان نفعنا الله به، لسانه دائما رطبا بذكر الله، تابعا لسنة سيدي رسول الله، حتى توفي على ذلك في شهر الله المحرم، فاتح اثنين وثلاثين ومائة وألف، ولما حضرته الوفاة، قال له بعض من حضر: قل: "لا إله إلا الله، فقال له: إن كنت أرجو[2] أن تلقنني اليوم خبت، وضل عملي، فإني منذ عرفت الشيخ سيدي محمد بن ناصر ، ولي في العمر ثمانون سنة ما علمت أني عصيت الله إلا جهلا أو خطأ، وإني لأشاهد العوالم كلما تذكر معي لا إله إلا الله حتى عالَم نفسك، ما من ذرة فيك إلا وأنّا نرى أنها تذكر معي لا إله إلا الله".

[1] محمد الحاج بن عبد القادر بن عبد الوهاب بن موسى بن محمد بن مبارك التستاوتي، شيخ فاضل متبرك به. أخذ عن الشيخ ابن ناصر الدرعي. وقد خلف أشعارا زجلية توجد في مجموعة أخيه التي تعرف بمجموعة العياشي. توفى سنة 1132هـ .. ترجمته في: ابن زيدان، إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس،. ج 118/4؛ والعباس بن إبراهيم، الإعلام، ج 2/ 357.

[2] في الأصل: "أرجوا". وقد صححناها.

وهذه كرامة عظيمة أتحفه الله بها في هذا الوقت العظيم الزلازل والأهوال، ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾[1]، هكذا وجدته مقيدا، ولله در من قال:

[الكامل]

هَذِي الفَضَائِلُ وَالمَكَارِمُ الَّتِي ... تَصْغَى لَهَا أُذْنُ السَّمِيعِ وَنَاشِدِ/92/

هَذِي المَنَاقِبُ والمَحَامِدُ الَّتِي ... تُتْلَى عَلى مَرِّ الدُّهُورِ لِعَابِدِ

لَوْ أَنَّهَا تُعْطَى لِبَاذِلِ رُوحِهِ ... هَانَتْ عَليه وَلَمْ يَكُنْ بِالزَّاهِدِ[2]

ومن هذا المعنى ما ذكره الشيخ اليافعي، في كتابه "رياض الرياحين في حكايات الصالحين" في الحكاية السابعة والسبعين بعد المائة عن أبي الحسن المزيَّن[3]، أنه قال لرجل في النزع: قل: "لا إله إلا الله، فتبسم الرجل، وقال: إياي تعني. وعزة من لا يذوق الموت ما بيني وبينه إلا حجاب العزة، وانطفى من ساعته، فكان المزين يأخذ بلحيته، ويقول: حجام مثلي يلقن أولياء الله الشهادة، واخجلتاه منه! وكان يبكي إذا ذكر هذه الحكاية". وقيل للأستاذ أبي القاسم الجنيد: "إن أبا سعيد الخراز[4]، كان كثير التواجد

---

[1] سورة إبراهيم، الآية: 29.

[2] وردت هذه الأبيات بنفس اللفظ في: عبد الخالق العروسي، المرقي، ج 2/ 332.

[3] أبو الحسن علي بن محمد المزين، أحد علماء أهل السنة والجماعة، ومن أعلام التصوف السني في القرن الرابع الهجري، صحب سهل بن عبد الله التستري والجنيد، وأقام بمكة مجاورا، ومات بها سنة 326هـ . ترجمته في: عبد الرحمن السلمي، طبقات الصوفية، ص: 382-385؛ وابن الجوزي، صفوة الصفوة، ج 2/ 175-176؛ وعبد الكريم القشيري، الرسالة القشيرية، ص: 432.

[4] أبو سعيد أحمد بن عيسى الخراز، أحد علماء أهل السنة والجماعة، ومن أعلام التصوف السني، وهو من أهل بغداد، صحب ذا النون المصري، وأبا عبد الله النباجي، وأبا عبيد البسري، وصحب أيضا سريا السقطي، وبشر بن الحارث، وغيرهم. قيل إنه أول من تكلم في علم الفناء والبقاء، مات سنة 279هـ . ترجمته في: عبد الرحمن السلمي، طبقات الصوفية، ص: 228-232؛ وعبد الكريم القشيري ،الرسالة القشيرية، ص: 409.

عند الموت، فقال: لم يكن بعجيب أن تطير روحه شوقا إلى الله. فقال أبو محمد رؤيم[1]: حضرت وفاة أبي سعيد الخراز[2]، فسمعته يقول شعرا":

[الطويل]

حَنِينُ قُلُوبِ العَارِفِينَ إلى الذّكْرِ وَتَذْكَارُهُمْ عِنْد المُنَاجَاةِ للسِرّ
أُدِيرَتْ كُؤُوسٌ لِلمَنَايَا عَلَيْهِمُ فَأَغْفَوْا عَنِ الدُّنْيَا كَإِغْفَاءِ ذي السُّكْرِ
هُمُومُهُمُ جَوَّالَةٌ بِمُعَسْكَرٍ بِهِ أَهْلُ وُدِّ الله كالأَنْجُمِ الزُّهْرِ
وَأجْسَامُهُمْ في الأَرْضِ قَتْلَى بِحُبِّهِ وَأَرْوَاحُهُمْ في الحُجْبِ نَحْوَ العُلى تَسْرِ
فَمَا عَرَّسوا إلاَّ بِقُرْبِ حَبِيبِهِمْ وَلاَ عَرَّجُوا عَن مَسِّ بُؤْسٍ وَلاَ ضُرِّ[3]

ومن ذلك ما ذكر عن بعضهم أن رجلا، قال للشبلي: "لمَ تقول: الله؟ ولا تقول: لا إله إلا الله؟ فقال: لا أبغي له ضدا، فقال: يا أبا بكر أريد أعلى من هذا، فقال: أخشى أن أوخَذ في وحشة الجحد، فقال: أريد أعلى[4] من ذلك، قال: قال: اله تعالى،﴿قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾[5].فزعق الرجل، فخرجت روحه، فتعلق أولياء الميت بالشبلي، وادَّعَوا عليه طلب ثأره، فحمل إلى مجلس الخليفة، فخرجت الرسالة إليه،

---

[1] أبو محمد رويم بن أحمد بن يزيد بن رويم، صوفي شهير، وهو من أهل بغداد من جلة مشايخهم، وكان فقيها على مذهب داود الأصبهاني، وكان مقرئا، فقرأ على إدريس بن عبد الكريم الحداد، مات سنة 303هـ . ترجمته في: عبد الرحمن السلمي، طبقات الصوفية، ص: 180-184 وعبد الكريم القشيري، الرسالة القشيرية، ص: 390-391.

[2] وردت هذه الحكاية بنفس اللفظ في: أسعد اليافعي، روض الرياحين في حكايات الصالحين، (الحكاية السابعة والسبعون بعد المائة)، ص: 98-99.

[3] وردت هذه الأبيات بنفس اللفظ في: أسعد اليافعي، روض الرياحين، (الحكاية السابعة والسبعون بعد المائة) ص: 90؛ وابن الملقن، طبقات الأولياء، ص 45.

[4] في الأصل: "أعلا". وقد صححناها.

[5] سورة الأنعام، الآية: 92.

فسألوه عن دعواهم عليه، فقال الشبلي: روح حنَّتْ فرَنتْ، ودُعِيَتْ فأجابت. فما ذنبي؟ فصاح الخليفة، وقال: خلوه فلا ذنب له. انتهى"[1].

ومن القسم الثاني من رسالة "القصد المجرد في معرفة الاسم المفرد"؛ وهو الله، ما نصه: قال الحسن: قلت: "أي الأعمال أفضل يا رسول الله، قال: **(أن تَمُوتَ وَلِسَانُكَ رطبٌ بِذِكْرِ الله)**[2]. فانظر وفقك الله، كيف جعل ذكر هذا الاسم اسم الله أفضل الأعمال، لأن الله تعالى جعل لسائر العبادات مقدارا ووقتا وزمانا، ولم يجعل بذكر هذا الاسم مقدارا ولا زمانا ولا وقتا، وحض على الإكثار من ذكره، فقال: ﴿**أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا**﴾[3].[4] إلى غير ذلك من الآيات". ولله در من قال:

[الكامل]

كَرّرْ عليَّ الذّكْرِ مِنْ أَسْمَائِهِ ... وَاجْلُ القُلُوبَ بِذِكْرِهِ وَسَنَائِهِ

وَدِرِ الكُؤُوسَ على النُّفُوسِ فإِنَّهَا ... تَصْبُو[5] إلى المَشْرُوبِ مِنْ صَهْبَائِهِ/93/

اِسْمٌ به الكَوْنُ اسْتَفَادَ ضِيَاءَهُ ... في أَرْضِهِ وَفَضائِهِ وَسَمَائِهِ

حَارَتْ عُقُولُ القَوم عِنْدَ صِفَاتِهِ ... نَارَتْ قُلُوبُ الخَلْقِ مِنْ ضِيَائِهِ

---

[1] ورد هذا النص بنفس اللفظ في: أسعد اليافعي، روض الرياحين (الحكاية السادسة والسبعون بعد المائة)، ص: 98

[2] نور الدين الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، كتاب الأذكار، باب فضل ذكر الله تعالى والإكثار منه، ح: 16706، ج11/20.

[3] سورة الأحزاب، الآية: 41.

[4] ورد هذا النص في: ابن عطاء الله السكندري، القصد المجرد في معرفة الاسم المفرد، تخريج وتعليق: محمود توفيق الحكيم، مكتبة مذبولي، القاهرة، الطبعة الأولى، 2002م، ص 98.

[5] في الأصل: "تصبوا". وقد صححناها.

وإذا تَجَلَّى للقُلوبِ جَمَالُهُ سَعِرت[1] بِسَيْرِ سَنَائِهِ وَبَهَائِهِ
قَرَّتْ قُلُوبُ المُتَّقِينَ بِقُرْبِهِ وَعَلَتْ على عَلْيَائِهَا بِعلائِهِ
أَعِدِ اسْمَهُ لِلْعَارِفِينَ مكرّراً مَعْرُوفَهُ المَعْرُوفَ من آلائِهِ[2]

وكانت بين سيدي محمد الحاج، وبين الشيخ الجليل سيدنا الصالح، محبة في الله عظيمة، ومواخاة في ذاته الكريمة مستديمة، ينوه به ويعظمه، ويبجل مكانته ويفخمه، أجازه فيما أجازه فيه شيخه إجازة مطلقة. وقد كان سيدي محمد الحاج، كتب للشيخ الإمام سيدي أحمد بن ناصر، ملحونة يطلبه فيها الإجازة، وهي هذه:

يا الشّيْخْ نَبْغِي مِنَّكْ نَدِّ لِجَازَ يَرْتَاحْ قَلْبِي وَيَطِيبْ مْنَامِي
وَبْغِيتْ طَابَعْكُمْ يَثْبُتْ بالاجَازَ مِنْ غِيرْ سَلْبْ نْدِيرُ فَاحْزَامِي
إِلى طْبَعْتُ بِكُمْ مَحْسُوبْ ماذا في الأُخْرَ يَلْقَى ثُمَّ قُدَّامِي

فأجابه بقوله: "وعليك السلام، ورحمة الله وبركاته، أما بعد، فكل ما طلبت فقد وجدته، وأعطيته، وضمانه على الله، والكمال عليه. وكتب أخوك، ومحبك أحمد بن محمد بن ناصر، كان الله له. آمين". قال: "وقدمت لزيارته، بعد هذه السنة، وذلك آخر ملاقاتنا، فلما وصلت لزاوية أغلال[3]،كتبت لخليله ورفيقه سيدي حسين بن محمد

---

[1] في النسختين (ج) و(د): "سعدت".

[2] وردت هذه الأبيات بنفس اللفظ في: ابن عطاء الله السكندري، القصد المجرد في معرفة اسم المفرد، ص 101-102، في اختلاف في بعض الألفاظ مثل: (واجلوا) عوض (واجلُ)

[3] أغلان: يجمع على إغلالن. من أسماء الأعلام الأمازيغية، وهو اسم علم مذكر من فئة الأسماء التي تبتدئ بالهمزة فتحا أو كسرا كأداة للتعريف في الأمازيغية. ويسود هذا الاسم بمعان متقاربة في غير ما جهة من شمال أفريقيا، كما أن نونه تتحول إلى لام بعض الأحيان. وهكذا اسم أغلان بمعنى، القناة الكبيرة أو الساقية بمنطقة الأوراس في الجزائر. ويشير ابن أبي زرع، أن الاسم كان سائدا أيضا بنفس المعنى بمنطقة فاس. ولا تزال الكلمة إلى اليوم

شرحبيل، ملحونة يقرأها على الشيخ، فقرأها عليه، وأجابني بما سترى إنشاء الله، لكني وجدت سيدي حسين، كتبها بخط يده". ونص كتبه. ومما كتب به لنا الهمام المحب أبو عبد الله الحاج سيدي محمد بن عبد القادر، حين ورد لحضرة شيخنا الإمام أبي العباس، وقاه الله وإيانا مصارع الخزي والبأس، سيدي أحمد بن محمد بن ناصر، أصلح الله من الجميع ببركاته الباطن والظاهر، عام سبعة وعشرين ومائة وألف لعشر خلون من جمادى الأولى ونصه:

يـا خُــو مَـنْ نَـهْــوَاهُ قَـبْلْ يَكُـونْ زْمَانْ يَـا مَـنْ نَــرْجَ الكَـرِيـمْ يُـوقَـدْ سِـرَاجُ
هَـاكْ سْــلاَمِـي جَـاكْ من قَلْبِي فَرْحَانْ لاَ تــتْـعَـامَـى عـليَّ تَـرْجَـعْ تَحْتَـاجُو
بَشَّــرْ بـيَ الشــيـخْ بْمْـجِـي عَجْــلانْ كِـيْـفْ الـنُّــزْقْ إلـى يْـلُـوحُ نَسَّـاجُ
نبْـغِـي بَـحْـرُ يَـفِـيـضْ فِـيَّ بـَمْـواجُ /94/

وهذا جواب الشيخ رضي الله عنهما، الحمد لله وعلى أخي أفضل السلام والرحمة والبركة، ما تقابل العدم والملكة، أما بعد، فمرحبا بك وأهلا راضيا مرضيا، فأنت منا ونحن منك كروحين، حللنا جسدا واحدا، فلك مالنا وعليك ما علينا، ولسانك لساننا، ويدك يدنا، وقولك قولنا، ومن أراد الانتماء إلينا، والانخراط في سلكنا، والإيواء لجانبنا، وأتى إليك وقبلته، فهو منا، ومقبول لدينا، ولقنه أورادنا، فقد أذنا لك فيه إذنا عاما، وأطلقنا لك فيه يد التصرف، وتصرفك فيه كتصرفنا، وكذا في الشهادة على الرؤية الثعالبية. وأسأله تعالى أن يثمِر غرسك، ويكون لك حيا وميتا، وأوصيك بتقوى الله،

متداولة على نطاق واسع بين سكان واحات درعة، وتعني مصرف الماء المتفرع عن إحدى السواقي الكبيرة. وقد صار هذا الاسم علما لقصرين: (قصر اغلان نوفلا- قصبة أغلان) بواحة تزناتة من وادي درعة. ينظر: أحمد البوزيدي، مادة "أغلان"، معلمة المغرب، دار الأمان، الرباط، الطبعة الثانية، 1435هـ/2014، الجزء 12، ص:538/537.

والصبر والاحتمال، وإلانَةَ الجانب للكافة والخاصة، في غير مذلة ولا مهانة، وأُوصي أولاده كلهم، ذكورا وإناثا، صغارا وكبارا، ببره وتقوى الله في السر والعلانية، والرجوع إلى الله، في كل قاصية ودانية، والجد كل الجد في طاعة الله، والوقوف عند حدود الله، والمحافظة على الصلوات، والمثابرة على الأوقات، وتطييب الأقوات، واتباع السنة في العادات والعبادات، والرضى عن الله في الإقلال والإكثار. والتفويض إلى الله تعالى في الإخلاء والإمرار، والإعراض عن الخلق في الإقبال والإدبار، وأن لا يضيِّعوا أوقاتهم في القيل والقال، ومجاورة من لا خلاق له من الرجال، وأن يراقبوا الله في جميع الأحوال، وأن يكلموا السُّنَّة على خطراتهم وهجساتهم، وأن لا يمضوا أمرا إلا على الوجه الشرعي، السّني المرضي، وأسأله تعالى أن يأخذ بأيديكم جميعا إليه، أخذ الكرام عليه، آمين، آمين، آمين. وكتب لست عشرة خلت من جمادى الأولى، عام سبعة وعشرين ومائة وألف، عبيد ربه تعالى أحمد بن محمد بن ناصر، كان الله له. آمين.

ونص ما أجاز به سيدنا الصالح: "الحمد لله وحده، وبعد؛ فليعلم الواقف على مسطوري هذا، أني أجزت السيد البركة السيد الصالح، بما أجازني به الشيخ في تلقين الأوراد: أوراد الشيخ سيدي محمد بن ناصر، نفعنا الله ببركاته، آمين، آمين، عبيد ربه تعالى محمد الحاج، كان الله له. آمين.

ومنهم شيخ الإسلام، وإمام الأئمة الأعلام، مربي المريدين أبو علي سيدي الحسن بن مسعود اليوسي، وأرضاه، وجعلنا ممن يحبه واحتمى بحماه، كان رحمه الله، ونفعنا به ملحوظا بعين العناية الربانية، وعلومه ومواهبه صمدانية. قال أبو علي سيدي الحسن: "وكانت قراءتي كلها، أو جلها فتحا ربانيا، ورزقنا والحمد لله قريحة وقادة وفطنة ذكية، فكنت بأدنى سماع، وأدنى أخذ ينفعني الله، فقد أسمع بعض الكتاب، ويفتح الله علي في جميعه فتحا ظاهرا، وأبلغ فيه ما لم يبلغه من سمعته منه، ورب كتاب لم أسمعه

أصلا، غير أن سماع البعض في كل فن /95/ صار فورا للفتح، وتتميما لحكمة الله في سنة الأخذ عن المشايخ، ولا تستوحش مما ذكرناه من قلة سماع الكتب والفنون، ظنا منك أن الربح يكون أبدا على قدر رأس المال، كلا فقد يبلغ الدرهم الواحد ألف مثقال، ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾[1]"[2]. انتهى من "فهرسته"، بواسطة. "وكان معظم قراءته بالزاوية الدلائية[3]. وجال في البلاد فأخذ بسجلماسة، ودرعة، وسوس، ومراكش، ودكالة، عن عدة من المشايخ، اشتملت عليهم "فهرسته"[4]. "ولم يزل أبو علي يُدَرِّس العلم بالدلاء[5]، إلى أن استولى عليها السلطان الرشيد الشريف؛ وذلك في عام تسعة وسبعين وألف، فنقله السلطان المذكور لمدينة فاس، ولما استقر بها، أقبلت عليه طلبة العلم، فتصدّر للتدريس بجامع القرويين، ووقع له من الإقبال ما لم يعهد لغيره، فتخلف عن حضور بمجلسه جماعة من أعيان طلبتها، وغَلبهم ما هو المألوف من الطبع الآدمي مع احتياجهم إليه"[6]، فقال في ذلك أبو علي:

---

[1] سورة ابراهيم، الآية: 22

[2] ورد هذا النص بنفس العبارة في: فهرسة اليوسي، ص: 143؛ ومحمد الإفراني، صفوة من انتشر، ص: 345.

[3] تأسست الزاوية الدلائية في الثلث الأخير من القرن العاشر الهجري، حوالي عام 974هـ-1566م، أسسها أبو بكر بن محمد بن سعيد الدلائي بإشارة من شيخه أبي عمر القسطلي، ينظر: محمد حجي، الزاوية الدلائية، ودورها الديني والعلمي والسياسي، ، ص: 31-32.

[4] ورد هذا النص بنفس العبارة في: محمد الإفراني، صفوة من انتشر، ص: 346؛ وأيضا عبد الله كنون، النبوغ المغربي، ج 286/1.

[5] الدلاء: اسم للمنطقة الجبلية التي أسس فيها المجاطيون الصنهاجيون زاويتهم بالجنوب الغربي للأطلس المتوسط المشرف على سهول تادلا. ولفظ الدلاء عربي، (جمع دلو) استعمله بهذا المعنى مقصورا وممدودا كتاب عاشوا في الزاوية الدلائية، مثل المرابط الدلائي والحسن اليوسي. وهو أمر مستغرب أن يطلق اسم عربي على بقعة تقع في وسط أمازيغي قح، إلا ما يبدو من تقارب لفظي بين الدلاء وتادلا البسيط الأفيح الذي تقطنه قبائل عربية. ويبرر المؤرخ الزياني لفظ الدلا فيكتبه "يدلا" وذلك ما نجده جاريا على ألسنة سكان تلك الناحية حتى اليوم. ويغلب على هذه المنطقة اسم الزاوية الدلائية. ينظر: محمد حجي، مادة" الدلاء"، معلمة المغرب، الجزء 12، ص: 4067.

[6] ورد هذا النص بنفس العبارة في: محمد الإفراني، صفوة من انتشر، ص: 346-.

[الكامل]

ما أَنْصَفَتْ فَاسٌ وَلاَ أَعْلاَمُهَا عِلْمِي وَلاَ عَرَفُوا جَلاَلَةَ مَنْصِبِي

لَوْ أَنْصَفُوا لَصَبَوْا إِلَيَّ كَمَا صَبَا رَاعِي السِّنِينَ إِلَى الغَمَامِ الصَّيِّبِ[1]

ولما بلغهم البيان، أجاب أبو زيد سيدي عبد الرحمن بن شيخ الجماعة أبي محمد عبد القادر الفاسي[2]، فقال:

[الكامل]

بَلْ أَنْصَفَتْ فَاسٌ وَمِنْ إِنْصَافِهَا أَبَدًا سُقُوطُ المدَّعِي والمُعْجِبِ

تَنْفِي الدَّجَاجِلَ عَاجِلاً أَوْ آجِلاً مِنْهَا فَهِي طَرِيدَةٌ مِنْ يَثْرِبِ[3]

"ولما وقع الجواب بيد أبي علي، طالع به شيخ الجماعة سيدي عبد القادر، فقال له: "البادي أظلم، وأنت أزلت عنك حجاب الوقار، وأبخست مقدارك، بتعديك لمعارضة الأحداث، وإصغائك لمقالة من لم يساوك في سن ولا فن"[4]. انتهى. وقصائده كلها حكم يمانية، وإشاراته بهية عرفانية، تصانيفه مفيدة، وتآليفه عديدة.

---

[1] اليوسي، المحاضرات، ج 217/1، بنفس اللفظ؛ بروفنصال، مؤرخو الشرفاء، ص: 190، بنفس اللفظ.

[2] أبو عبد الله محمد بن عبد القادر بن علي بن أبي المحاسن الفاسي. ولد بفاس سنة 1042هـ . أحد أعلام علماء فاس وفقهائها، كان زاهدا ورعا، أخذ عن جماعة من المشايخ، كوالده، وعمه محمد بن أحمد الفاسي، وأحمد بن محمد الزموري وغيرهم. أحرز قصب السبق في علوم كالنحو والبيان والمنطق والحديث والسير والتصوف والأصول والفقه. له كتب كثيرة، منها "شرح شواهد أوضح ابن هشام"، و"شرح كتاب الحصن الحصين لابن الجزري في الحديث" وغيرها. توفي عام 1116هـ .. ترجمته في: محمد الإفراني، صفوة من انتشر، 357-359؛ ومحمد القادري، نشر المثاني. ج 151/3-154؛ ومحمد القادري، الإكليل والتاج، ص: 347-349؛ وأحمد الحضيكي، طبقات الحضيكي، ج312/2-314؛ والزركلي، الأعلام، ج 6/ 212.

[3] محمد الإفراني، صفوة من انتشر، 347، بنفس العبارة.

[4] ورد هذا النص بنفس في: محمد الإفراني، صفوة من انتشر، ص: 347.

كان الشيخ الإمام، ونعمة[1] الله على الإسلام، سيدنا الصالح، "يحبه ويقرأ عليه، ويعظمه، ويقتطف من أزاهره التي بين يديه، ويثني بجميل الثناء عليه، ويذكر منزلته العظيمة لديه. وكانت له معه ألفة بحيث لا يكاد يفارقه، لاسيما في زيارة الصالحين الأموات، وملاقاة الأحباء الكاملين الصفات"[2].

وكان أبو علي سيدي الحسن، ينوه بسيدنا الصالح"، ويشهد له بالفضل والصلاح، ويعترف بأنه من أهل الخصوصية والصلاح"[3]، "ووقعت له معه في ذلك حكايات. ذكر منها واحدة في كتاب "المحاضرات وهي معلومة في محلها، لكن ذكر الفقيه الأجل، الأحب الأفضل محبنا في الله سيدي أحمد بن الفتوح التازي أنه سأل عنها شيخه الهمام سيدنا الصالح، فقال له: "يا سيدي هل ما ذكره الشيخ جمال الدين سيدي الحسن، كذلك وقع؟ أم كيف كان؟ فقال له الشيخ سيدنا الصالح، نفعنا الله به: الذي وقع بيني وبين /96/ سيدي الحسن، خلاف ما في "المحاضرات". والله أعلم بمراده، ثم ذكر له الحكاية على وجهها، قال: "كان الشيخ سيدي الحسن، رحمه الله، قد أهمه أمر عظيم، وأراد أن يعرف عاقبته، فقال لي: أنت تتلاقى مع الصالحين، ولعلك أن تأتينا برجل صالح، يعني من الذين يتكلمون بالحال، وينطقون بالمغيبات، لعل الله يجعل لنا الفرج على يديه من هذا الأمر الذي أهمنا. قال: وكان[4]ممن أتلاقى معه رجل من الصالحين كُوشٌ، يعني: أسود،

---

[1] في الأصل: " ونعمت". وقد صححناها.

[2] ورد هذا النص بنفس العبارة في: محمد الضعيف الرباطي، تاريخ الدولة السعيدة، دار المأثورات، الرباط، الطبعة الأولى، 1406هـ-1986م، ص: 51.

[3] ورد هذا النص بنفس العبارة في: محمد الضعيف الرباطي، تاريخ الدولة السعيدة، ص: 51.

[4] في الأصل: " وكنت". وقد صححناها بحسب ما يقتضيه السياق.

يدعي القطبانية[1]، فأتيت به إلى أبي علي، فلما اجتمعنا معه، واستقر بنا المجلس، نادى على سلطان الأقطاب الشيخ الجيلاني سيدي عبد القادر، وكان ذكر لي أنه أخذ عنه، وأنه الذي يمده، فاشتغل يذكر كلاما على سبيل التهييج للشيخ مولانا عبد القادر، ولكنه كلام فيه قوة لا تليق بجانب الشيخ الكريم على الله، فقلت له: تقول: هكذا للشيخ مولانا عبد القادر، فقال لي: الصالحين كقطوط الغالية، إن لم تحُكَّهُم ما يفوح طيبهم، ثم صاح، وهو يقول في صياحه: الزاوية! الزاوية!، قال: سيدي الصالح: فصحت أنا على أثره، وقلت:

[الطويل]

خَبيـرُ بَنُو لهْبٍ فَلاَتَكُ مُلْغِياً مَقَـالَةَ لِهْبِيٍّ إذا الطَّيْرُ مَرَّتِ[2]

فإذ الأسود مولى لبني لهب كشف الغيب بذلك، فصاح بعد ذلك الشيخ أبو علي سيدي الحسن، وقال في صياحه:

[الطويل]

تَنَوَّرْتُهَا مِنْ أَذْرِعَاتٍ وَأَهْلُهَا بِيَثْـرِبَ أَدْنَى دَارِهَا نَظَرٌ عَالِي[3]

---

[1] القطبانية: نسبة إلى القطب. وقد يسمى غوثا باعتبار التجاء الملهوف إليه. وهو عبارة عن الواحد الذي هو موضوع نظر الله في كل زمان أعطاه الطلسم الأعظم من لدنه، وهو يسري في الكون وأعيانه الباطنة والظاهرة سريان الروح في الجسد، بيده قسطاس الفيض الأعم، وزنه يتبع علمه وعلمه يتبع علم الحق وعلم الحق يتبع الماهيات غير المجعولة فهو يفيض روح الحياة على الكون الأعلى والأسفل. الجرجاني، التعريفات، ص:75.

[2] ورد هذا البيت بنفس اللفظ في: محمد محمد شراب، شرح الشواهد الشعرية في أمات الكتب النحوية، الطبعة الأولى، 1467هـ-2007م، ج207/1.

[3] ورد هذا البيت بنفس اللفظ في: ديوان امرئ القيس، اعتنى بشرحه عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، ص: 136. وهو امرؤ القيس بن حجر بن الحارث بن عمرو بن حجر بن معاوية بن ثور وهو من كندة من شعراء الطبقة الأولى في العصر الجاهلي. نشأ في نجد من أسرة توارثت الملك، ودانت لها قبائل العرب من ربيعة

ثم قال بعد ذلك: تَنَوَّرْتُهَا من الشرقي! تَنَوَّرْتُهَا من الشرقي! وهو يكرر ذلك. وكان الشيخ سيدي الحسن، رحمه الله، مهتما بشأن الرحيل من مراكش، والله أعلم، وكان متحيرا، أين يتوجه؟ فأشار ذلك الكوش بصياحه بالزاوية، يعني زاوية الدلاء، وأشرت أنا بأن لا تلغى إشارته. وأشار الشيخ سيدي الحسن بأنه تنورها من الشرقي، فلا أدري من ناحية الشرق، لأن ذلك الكوش من الشرق، أو تنورها من الشيخ الشرقي،. فهذا الذي كان بيني وبينه". انتهى. وذكر في "المحاضرات" خلاف ذلك. ونظم في ذلك قصيدة طويلة، والله أعلم بالمراد"[1]. قلت: ويحتمل أنه أشار بقوله: تَنَوَّرْتُهَا من الشرقي لسيدنا الصالح، لأنه منسوب لجده الشرقي، وهو الظاهر لأنه السبب في جمعهم، ولم يذكر سيدنا الصالح هذا الاحتمال على عادتهم رضي الله عنهم، في تبعيد الشيء عن أنفسهم ونسبته لغيرهم. نفعنا الله بالجميع".

وقد كان أبو علي، خاتمة المحققين، عملا وعلما، وحفظا وفهما، ورواية، ونقلا ودراية، حتى كان بعض الشيوخ من علماء المغرب، يقول فيه: "هو المجدد لهذه الأمة دينها على رأس هذه المائة"[2]. وقال فيه الشيخ الإمام، العالم الهمام، أبو سالم سيدي عبد الله العياشي، :

ومضر. ترجمته في: أبي الفرج الأصفهاني، الأغاني، تحقيق إحسان عباس، وإبراهيم السعافين، وبكر عباس، الطبعة الثالثة، 1929-2008، دار صادر، بيروت، ج 9/59-78.

[1] وردت هذه الحكاية بنفس العبارة في: محمد الضعيف الرباطي، تاريخ الدولة السعيدة، ص: 51-52.

[2] ورد هذا النص بنفس اللفظ في: الحسن اليوسي، فهرسة اليوسي، ص: 27؛ ومحمد الإفراني، صفوة من انتشر، ص: 348.

[البسيط]

مَنْ فَاتَهُ الحَسَنُ البَصْرِيُّ يَصْحَبُهُ فَلْيَصْحَبِ الحَسَنَ اليُوسِيَّ يَكْفِيهِ[1]

وله "فهرسة" في أشياخه الذين أخذ عنهم /97/ علم الظاهر وعمدته في الطريق إلى الله تعالى الشيخ العارف بالله محي سنة رسول الله، بحر العلوم والأسرار الزاخر، أبو عبد الله سيدي محمد بن ناصر، وقال فيه أبو علي: "وهو الذي أخذت عليه العهد والورد، وإليه ننتسب، وكل من نذكره سواه، إنما هو على سبيل الانتفاع"[2]. وكان شيخه هذا ينوه بقدره، ويشير إلى جلالته وفخره، ويوصي أصحابه على إجلاله، وإكرامه وإفضاله، ويهش له إذا رآه. ويتشوق للقياه، وأذن له في تلقين الأوراد، لما له من الجلالة والعلم والانتقاد، فأخذ عنه الخاصة والعموم، وانتفع به الجم الغفير بالأسرار والعلوم، بحيث لا تجد أحدا في الغالب ممن صحبه، وأخذ عنه إلا وعليه سمة الخير ظاهرة. وقد كان يحب الشيخ سيدنا الصالح محبة عظيمة، ويشهد بأن أحواله مع الله مستقيمة، وله معه مراسلات كثيرة، ومودة معلومة شهيرة. "توفي رحمة الله، بعد قفوله من الحج عام اثنين ومائة وألف، ودفن بتمزوزيت بالقرب من صفرو[3]، ونقل بعد نحو من عشرين سنة من مدفنه إلى موضع آخر، فوجد على حالته التي دفن عليها[4]، حتى ذكر بعض الناس، أنه حصر الدم بأصبعه في جبهته، فلما رفع أصبعه عنه، رجع الدم إلى موضعه، كهيئة الحي

---

[1] ورد هذا البيت بنفس اللفظ في: محمد الإفراني، صفوة من انتشر، ص: 348.

[2] الحسن اليوسي، فهرسة اليوسي، ص: 144 بنفس اللفظ؛ ومحمد الإفراني، صفوة من انتشر، ص: 348، بنفس اللفظ؛ وأحمد الناصري، طلعة المشتري، ج 1/ 194، بنفس اللفظ.

[3] في الأصل: "صفروا". وقد صححناها.

[4] ورد هذا النص بنفس اللفظ في: محمد الإفراني، صفوة من انتشر، ص: 350.

إذا فعل به ذلك. وهذه منقبة عظيمة تدل على مصداق الأثر أن لحوم العلماء لا تأكلها الأرض.

ومن كراماته: "أن قوما ذهبوا إلى زيارته، فبينما هم في الطريق، رأى رجل منهم أن الشمس قد غربت، فقصها على أصحابه، فقالوا له: لعل الشيخ قبض الليلة، فلما وصلوا وجدوه قد توفي في تلك الليلة"[1]. رحمه الله، ونفعنا به". ولقد كان نفعنا الله به، شمسا كما رأى الرائي، وتلك دعوة شيخه، فقد قال له: "جعلك الله عينا يستسقي منها أهل المشرق والمغرب، وشمسا يستضيء بها أهل المشرق والمغرب[2]"، فكان كذلك حقا وحقيقة وعلما، وطريقة، نفعنا الله به وبأشياخه، آمين".

وأصحاب الشيخ سيدي محمد بن ناصر، الذين انتفعوا بسره، الأَبْهَى، وتصدوا للمشيخة وخضعت لهم أرباب العقول والنُّهَى، لا يحصى عددهم، ولا ينقطع مددهم، وإنما ذكرت منهم بعض من كان بينه وبين سيدي الصالح، مواخاة في الليلة، ومواصلة في ذات الله رضي الله عنهم ونفعنا بهم، آمين.

وأما بيان سنده في الطريقة الناصرية، والسلسلة المباركة النورانية فأقول: "أخذ رضي الله عنه وأرضاه، ومنحه من أعلى[3] الفراديس عُلاه وأسناه، عن إمام السنة، وفيض المواهب والمنة، الناظم الناثر، أبي العباس سيدي أحمد بن ناصر، كما أخذ هو رضي الله عنه، عن والده الإمام، العارف الهمام، سيدي محمد بن ناصر، كما أخذ هو عن شيخه القطب الجليل القدر عبد الله، والعارف المنيب الأواه، /98/ صاحب المواهب

---

[1] نفسه، ص: 350.

[2] ورد هذا النص بنفس اللفظ في: محمد الافراني، صفوة من انتشر، ص: 346؛ وأحمد الناصري، طلعة المشتري، ج 186/1.

[3] في الأصل: "أعلا". وقد صححناها.

العرفانية، والأسرار الربانية، الذي كان بأحواله السنية، يعالج ويرقي، أبي عبد الله سيدي عبد الله وحسين الرقي، الذي مكث في القطبانية مدة طويلة لا يمكث فيها إلا أكابر الفحول. وأخذ من الله عهدا وميثاقا أن لا يسوق إلى سلسلته إلا مقبولا[1]. وخَلَّفَ بعده في وراثته وزاويته الشيخَ العارف بالله، الدال بأقواله وأفعاله على مولاه، أبا[2] العباس سيدي أحمد بن إبراهيم، وكان من أكابر الأولياء، وصدور المشايخ الأتقياء، له المناقب الكثيرة، والكرامات الغزيرة. ولما توفي، خلف أخاه في الله العارف الكبير أبا عبد الله سيدي محمد بن ناصر بإذن شيخه المذكور في ذلك، وأوصاه ألا يلقن الأوراد إلا بإذن شيخه، يعني الشيخ سيدي عبد الله بن حسين، فرآه بعد مدة في النوم، وأمره بتلقين الأوراد، وبين له وجه ذلك وكيفيته. كما أخذ الشيخ القطب سيدي عبد الله بن حسين، عن شيخه ولي الله ونعم الولي، العارف بالله التقي، أبي العباس سيدي أحمد بن علي الحاجي[3]، رحمه الله، ورضي عنه، كما أخذ هو عن شيخه القطب الشهير الذكر، العظيم الصيت والقدر، الذي ضَمِنَ السلسلةَ والاتباعَ، وعَظُمَ به الرشد والانتفاع، ذي المزايا الشريفة، والمفاخر، والكرامات العظيمة والمآثر، أبي المكارم سيدنا الغازي بن أبي القاسم، كما أخذ هو عن شيخه العارف بمولاه، العظيم القدر والجاه، أبي الحسن سيدي علي بن عبد الله[4]، السجلماسي رحمه الله ونفعنا به. كما أخذ هو عن شيخه

---

[1] في الأصل: "مقبول". وقد صححناها.

[2] في الأصل: "أبي". وقد صححناها.

[3] أحمد بن علي الحاجي من أشياخ الشيخ الأكبر والكبريت الأحمر عبد الله بن عبد حسين الرقي المعروف بالقباب، ولد بزاوية الناس، وكان زاهداً ورعاً، ترجمته في: أحمد الناصري، طلعة المشتري في النسب الجعفري، ج130/1 و134.

[4] علي بن عبد الله السجلماسي، الولي الصالح، القطب المشهور، شيخ المشايخ، أستاذ القطب الشهير سيدي الغازي، أخذ الطريقة عن القطب الكبير أبي العباس أحمد بن يوسف، الملياني الراشدي، توفي سنة 940هـ .

قطب المعارف والأسرار، وقدوة الشيوخ الكاملين الأبرار، البحر الفياض الرباني، أبي العباس سيدي أحمد بن يوسف الملياني[1]. كما أخذ هو عن شيخ الشيوخ، وقدوة أهل التمكين والرسوخ، غوث المغرب وإمامه. وتاج العلم النافع وواسطة عقد نظامه، قطب المعارف، وبدر الشروق، أبي العباس سيدي أحمد زروق، وأرضاه. وأمدنا بحمايته الربانية وسناه. وأفاض علينا من بحر إحسانه ونداه، كما أخذ هو عن شيخه العارف الكبير، والبدر اللائح المنير، بيت الأسرار والخير النمي، أبي العباس سيدي أحمد بن عقبة الحضرمي، كما أخذ هو عن شيخه الكامل، والعارف بالله الواصل، أبي زكرياء سيدي يحيى بن أحمد القادري، كما أخذ هو عن شيخه المحب المحبوب، والصِّديق العارف المجذوب، بحر المعارف والأسرار، ومشكاة لطائف العلم اللدني والأنوار، عين الصدق والوفا، أبي الحسن سيدي علي بن وفا. كما أخذ هو عن أبيه إمام أهل الحب، وسراج أهل الولاية والقرب، مربي المريدين الواصلين، وقدوة الشيوخ الكاملين، ينبوع الإشارات القدسية /99/، والأمداح النبوية، أبي عبد الله سيدي محمد وفا. كما أخذ هو عن شيخه الفياض المواهب، وجليل الفضائل والمناقب، أبي سليمان سيدي داوود الباخلي[2].

ترجمته في : أحمد الحضيكي، طبقات الحضيكي، ج 2/465-466، وأحمد الناصري، طلعة المشتري في النسب الجعفري، ج1/130.

[1] أبو العباس أحمد بن يوسف الراشدي الملياني، كان عالما عاملا صالحا ورعا، من أبرز رجالات التصوف في مطلع القرن 10هـ/16م، تتلمذ على يد الشيخ أحمد زروق البرنسي الفاسي، الذي أخذ عنه عهد الشاذلية، ثم أسس بعد ذلك الطريقة اليوسفية، وهي طريقة زروقية شاذلية. "يقال إن الشيخ سيدي أبي القاسم الزعري ذهب لزيارته، فأمره أن يسمي ما في بطن زوجته محمد الشرقي، فسماه لذلك محمد الشرقي" معنى هذا أن الزيارة تمت قريبا من فترة الشرقي ما بين 926هـ/928هـ. وقبيل وفاة الشيخ الملياني بقليل (ما بين 927هـ/931هـ). ترجمته في: ابن عسكر الشفشاوني، دوحة الناشر، ص: 112-113؛ وأحمد الحضيكي، طبقات الحضيكي، ج1/25-26؛ وأحمد بوكاري، الزاوية الشرقاوية، ج1/58.

[2] شرف الدين أبو سليمان داود بن ماخلا الإسكندري الشاذلي، كان من العلماء الراسخين المتمكنين، وكان جامعا بين علمي الظاهر والباطن، مع أنه كان أميا، من تصانيفه: "عيون الحقائق" و "اللطيفة المرضية في شرح دعاء

كما أخذ هو عن شيخه منار الاستقامة، التي هي أفضل منقبة، وأجل كرامة، الشيخ أبي العباس سيدي أحمد بن عبد الكريم بن عطاء الله الإسكندري، كما أخذ هو عن شيخه بحر الحقائق والعرفان، وإمام أهل المراقبة والشهود والعيان، مولانا أبي العباس المرسي، كما أخذ هو عن شيخه القطب الجامع الأعظم، ومنة الله تعالى على أمة نبينا محمد، صاحب الإشارات العلية، والعبارات السنية، والهمم العرشية، والأسرار الغيبية، ذي النسبتين الطاهرتين، وقطب الكمال والمعالي، أبي الحسن مولانا علي بن عبد الله الشاذلي رضي الله عنه وأرضاه، وجعلنا في ظله وحماه. كما أخذ هو عن شيخه وإمامه، غفير حي المغرب وراعي ذمامه، وباب الله المفتوح لقاصده وزائر مقامه، كريم العناصر، وجليل القدر والمفاخر، وسني المناقب والمآثر، والقطب العلوي الشريف أبي محمد مولانا عبد السلام بن مشيش رضي الله عنه ونفعنا بأسراره، وجعلنا ممن دخل تحت عنايته وحيطة أدواره، كما أخذ هو عن القطب الشريف المدني العلوي الفاطمي الحسني العلي المنزلات، أبي محمد سيدي عبد الرحمن المعروف بالزيات[1]. كما أخذ هو عن شيخه القطب، سني المكانة والجذب، تقي الدين الفُقَيّر[2] بالتصغير، وبه عرف، كما أخذ هو عن

الشاذلية"؛ وله شرح على "حزب البر"، وآخر على "حزب البحر"؛ توفي بالإسكندرية عام نيف 730هـ ترجمته في: الكوهن الفاسي، طبقات الشاذلية الكبرى، ص: 107-108.

[1] أبو محمد عبد الرحمن المدني العطار، الملقب بالزيات، لسكناه بحارة الزياتين بالمدينة المنورة. أتى مولانا عبد السلام بن مشيش لما وقع له الجدب وهو ابن سبع سنوات. وقال له أنا شيخك وواسطتك في كل حال ومقام، وقد سئل مولاي عبد السلام من طرف تلميذه الشاذلي: "هل كنت تأتيه أم يأتيك؟، فقال: كل ذلك كان. قيل له: طيا أو نشرا؟ فقال: طيا". توفي الزيات بالمدينة المنورة في القرن الخامس الهجري، ترجمته في: الكوهن الفاسي، طبقات الشاذلية الكبرى، ص: 60-61.

[2] تقي الدين الفقير النهروندي الواسطي العراقي، سكن أرض العراق. توفي ببلدته نهروند من أعمال واسط بالعراق سنة 594هـ . كان من العلماء العالمين، صحب أحمد الرفاعي، ولزمه مدة، ولبس منه خرقة التصوف، ترجمته في: الكوهن الفاسي، طبقات الشاذلية الكبرى، ص: 61.

شيخه القطب فخر الدين[1] ، كما أخذ هو عن شيخه القطب نور الدين أبي الحسن، كما أخذ هو عن شيخه القطب تاج الدين، كما أخذ هو عن شيخه القطب شمس الدين، كما أخذ هو عن شيخه القطب زين الدين سيدي محمد القزويني، كما أخذ عن شيخه القطب أبي العباس وأبي إسحاق سيدي إبراهيم البصري[2]، كما أخذ هو عن شيخه القطب سيدي أحمد المرواني، كما أخذ هو عن القطب شيخه سيدي سعيد، كما أخذ هو عن شيخه القطب الإمام سعد، كما أخذ هو عن شيخه القطب أبي محمد سعيد فتح السعود، كما أخذ هو عن شيخه القطب سيدي سعيد الغزواني، كما أخذ هو عن شيخه القطب التابعي الجليل سيدي جابر بن زيد، كما أخذ هو عن شيخه أول الأقطاب، وصفوة اللباب، والفسيح الجاه والجناب، سبط المصطفى الرسول، وابن الزهراء العذراء البتول، وولد شمس العارفين وفحل الفحول، سيد شباب أهل الجنة، وبيت الشرف والكتاب /100/ والسنة سري المناقب أبي محمد مولانا الحسن بن مولانا علي بن أبي طالب، عن جده نور الأنوار، وسر الأسرار، وزين المرسلين الأخيار، بدرة الوجود، وأول نور تلقى من حضرة الجود، من امتدت منه الأنبياء وأرباب العناية والشهود، لسيدنا ومولانا محمد، ومجَّد وعظّم، وشرَّف وكرّم. فهذا تمام طريقة سيدنا

---

[1] أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التيمي البكري الملقب بفخر الدين، المعروف بابن الخطيب، الفقيه الشافعي، ولد سنة 544هـ . فاق أهل زمانه في علم الكلام والمعقولات، له التصانيف المفيدة في فنون عديدة؛ منها تفسير القرآن الكريم، ومنها في علم الكلام "المطالب العالية" و"نهاية العقول" و"البرهان في الرد على أهل الزيغ والطغيان"، وغيرها، توفي بمدينة هراة 606هـ. ترجمته في: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج248/4-252؛ وشمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج500/21-501؛ وابن كثير، البداية والنهاية، ج55/13-56.

[2] أبو إسحاق إبراهيم بن حبيب السقطي البصري من أهل البصرة، من أصحاب ابن جرير الطبري. توفي سنة 391هـ . صنف جامع الفقه، وكتاب التاريخ موصول بكتاب ابن جرير في أخباره وأخبار أصحابه. وكتاب الرسالة. ترجمته في: البغدادي، هدية العارفين، ج 7/1.

الإمام، البركة الهمام، الزاهد الناصح، سيدنا ومولانا الصالح، نفعنا الله به، وأمدنا من سره، ولله در من قال وأحسن في المقال:

[الكامل]

لِلْأَوْلِيَاءِ مَنَاقِبٌ مَشْهُورَةٌ فَاشْهَدْ بِهَا حَقَّ الشَّهَادَةِ وَاقْطَعِ
خَرْقُ العَوَائِدِ مُمْكِنٌ لاَسِيَّمَا فِي حَقِّ أَصْحَابِ المكان الأَرْفَعِ
قَوْمٌ فَرَائِضُهُمْ وَمَنْدُوبَاتُهُمْ [مِنْهُمْ إلى غَيْرِ التَّوَابِ الأَنْفَعِ][1]
قَطَعُوا الظَّلاَمَ تَأَمُّلاً وَتَمَلْمُلاً وَعُيُونُهُمْ تَجْرِي بِفَيْضِ الأَدْمُعِ
وَتَسَارَعُوا نَحْوَ المَدَى وَوَرَاءَهُمْ مِنّي وَمِنْكَ كَوَاكِبٌ لَمْ تُسْرِعِ
وَرَدُوا بِحَارَ مَوَاهِبٍ مَخْتُومَةٍ مِنْ رَبِّهِمْ وَحُرِمْتَ ريَّ المَهْرَعِ[2]
لَوْ كُنْتَ مِثْلَهُمُ لَنلْتَ مَنَالَهُمْ لَكِنْ نَزَعْتَ خِلاَفَ ذَلِكَ المَنْزَعِ
أَتَقِيسُ نَفْسَكَ يَا جَبَانُ بِمِقْدَمِ أَتَقِيسُ نَفْسَكَ يَا عَمِيٌّ[3] بِمَقْطَعِ
وَمِنَ المُحَالِ مَعَ التَّفَاوتِ أَنْ يُرَى مَاضِي[4] الجَنَانِ مَعَ الجَبَانِ بِمَوْضِعِ
لَم تَلْتَحِقْ بأولئك الأَقْوَامِ قَدْ سَبَقُوكَ أَيَّامَ البِطَالَةِ فَارْجِعِ
يَا مَن تَمَادَى في البِطَالَةِ سَاعِيًّا فَارْدُدْ حِجَاكَ إلى الكِرَامِ وَاسْمَعِ[5]

---

[1] ورد هذا الشطر الثاني في: التشوف لابن الزيات، ص 91.

[2] في التشوف لابن الزيات، (المشرع)

[3] في التشوف لابن الزيات، (يا عصيٌّ بِمِطْوَعِ).

[4] في النسخة (د): (قَاضِيَ).

[5] وردت هذه الأبيات في: يوسف التادلي، التشوف إلى رجال التصوف، ص: 90-91؛ وأحمد الحضيكي، طبقات الحضيكي، ج 2/ 593-594؛ والعباس بن إبراهيم، والإعلام، ج 339/10.

ومن أشياخه، بحر المواهب، وسني المفاخر والمناقب، فيض الإشارات الرحمانية، ومنبع العلوم اللدنية، والأسرار الربانية، من كان يقسم بالله على أنه نال مرتبة القطبانية، أبو عبد الله سيدي محمد بن سعيد الهبري نسبة، الطرابلسي دارا وتربية، وطريقته عن أشياخه الكرام معهودة، وبيد أصحابه محفوظة وموجودة، فيها جماعة من الأقطاب العارفين، والكُمَّل الواصلين، يقسمون على مرتبة القطبانية بالقسم التام، ويطلقون بذلك ألسنتهم من غير احتشام، عناية ربانية، ومواهب حمدانية، ويرحم الله الإمام البوصيري في قوله:

[البسيط]

وَلاَ تَقُلْ لِي بِمَاذَا نِلْتَ جَيِّدَهَا فَمَا يُقَالُ لِفَضْلِ اللهِ ذَا بِكَمِ[1]

من قُدِّرَ له شيء ناله، ولو عزَّ أدرك غايته وكماله، "إذا أحب الله عبدا خَلَق ونَسَب إليه"[2]، ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾[3]. كان يجذب الرجال إليه /101/ بهمته العاشقة، ويغترف من مواهب ربانية في إشاراته الرائقة، له علوم ربانية تتفجر على فيه، ويطلق لسان التعبير عما سكن في قلبه واستقر فيه، له كرامات كثيرة، بين أرباب هذا الشان، ومناقب غزيرة، بين أهل المواهب والعرفان.

---

[1] ورد هذا البيت في: تنسيق وتحقيق محمد حجي، موسوعة أعلام المغرب، ج 6/ 1909.

[2] ورد هذا النص بنفس اللفظ في: ابن عطاء الله السكندري، الحكم العطائية، رقم الحكمة: 123، ص: 66.

[3] سورة الجمعة، الآية: 4.

أخذ عنه بالمكاتبة والمراسلة، من غير ملاقاة أجسام ولا مواصلة، إلا إن كانت بالخطوة التي لا تستغرب عند الأولياء، أو بالأرواح التي تهيم في الملك والملكوت من الأصفياء، وذلك عندهم يسير، بفضله سبحانه ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[1].

وكان سيدنا ومولانا ونعمة الله التي أولانا، سيدنا الصالح، يعطي ورد هذا الشيخ ويلقنه لبعض الخصوص، بإذن منه بيده مسطر ومنصوص. وأما سند طريقته المشهورة، وسلسلة أشياخه المعروفة المذكورة، فقد نظم ذلك سيدنا الناصح، والزهر الفائح، سيدنا أبو عبد الله المدعو بالصالح، متوسلا بهم إلى رب الأرباب، في تكفير الذنوب والخطايا وسؤال التوفيق من الله وتيسير الأسباب، فقال:

[الطويل]

إِلَيْكَ إِلاَهِي يَا جَزِيلَ المَوَاهِبِ ... وسيلةُ مَخْزُونِ مِنَ الذَّنْبِ رَاهِبِ

بِسِلْسِلَةٍ حَازَتْ رِجَالاً أَجِلَّةً ... سَرَاةً بُزَاةً شَامِخَاتِ المخَالِبِ

فَبِابْنِ سَعِيدٍ هَبْ لِي مِنْكَ سَعَادَةً ... محمَّدٍ الهِبْرِيّ العَلِيّ المنَاسِبِ

بِأَحْمَدَ شَيْخِ الشَّيْخِ هذا بِشَيْخِهِ ... عَلِيّ بْنِ إبراهيمَ جَمّ المَنَاقِبِ

بِقُدْوَتِهِ المَوْلَى عَلِيّ بِشَيْخِهِ ... مُحَمَّدِ حُطْني مِنْ جَمِيعِ النوَائِبِ

بِشَيْخِ النُّهَى الموْلَى عَلِيّ بن يُونُسٍ ... أَغِثْنِي بِلُطْفٍ مِنْ جَمِيعِ الجَوَانِبِ

بِأَحْمَدَ بالشَّيْخِ الشَّنَاوِيّ مُحَمَّدٍ ... أَعِذْنِي بِكَ اللَّهُمَّ مِنْ سَلْبِ سَالِبِ

بِقُطْبِ التقَى[2] المَوْلَى دمِرْدَاشَ رَدَّني ... رِدَاءَ الرِّضَى والصَّبْرِ عِنْدَ المصَائِبِ

أَمَوْلاي بالمَوْلَى حُسَينٍ بِشَيْخِهِ ... أبي عَمْرُو المِفَضَالِ حُسْنَ عَوَاقِبِي

---

[1] سورة آل عمران، الآية: 189.

[2] في النسخة (د): (النهى).

بِيَحْيَى بِصَدْرِ الدِّينِ بالحَاجِ مَنْ غَدَا يُلَقَّبُ عِزَّ الدِّينِ أَسْعِدْ رَكَائِبِي

أَلاَ بأخي مَرْحى المُفَدَّى وَشَيْخِهِ أبي عَمْرو الحُلوَاني طَيِّبْ مَكَاسِبِي

وبالشَّيْخِ إبراهيمَ ذِي الزُّهْدِ والتقَّى وَمَا (...)[4] دين الله يغْلِبُ غَالِبِ

أَلاَ بِشِهَابِ الدِّينِ بِالشَّيْخِ شَيْخِهِ مُحَمَّدَ السَّجَّاسِي دَاوي مَعَائِبِي

وبالأَبْهَرِيِّ البَاهِرِ[1] الحُسْنِ مُدَّنِي وَصِلْنِي بِحَبْلِ الصَّالِحِينَ الحَبَائِبِ

أَلاَ بأَبِي اليُمْنِ النَّجِيبِ بِجَاهِهِ أَجِرْنِي مِنْ وَقْعِ السُّيُوفِ القَوَاضِبِ/102/

وبالسَّهْرَوَرْدِي عَابِداً (...)[2] الرِّضَى أَبِدْ عَسْكَرَ الإقتَارِ يَا خَيرَ وَاهِبِ

وَمِنْ عمر البَكْرِي تفَضَّلْ بِشُرْبَةٍ إِمَامٌ بِهِ طَابَ الشَّرَّابُ لِشَارِبِ

بِقُدْوتِهِ الأَسْمَا الشَّهِيرِ بِجَارِهِ مُحَمَّدٍ كُنْ لِي مُحْسِناً وَأَقارِبِي

بِمَمْشَادَ بالشَّيْخِ الجُنيْدِ بِخَالِهِ سِرِّي السَّقَطِي أَسْلُكْ فِي قويم اللواحِبِ

بمعروف الكَرْخِيّ كُنْ لِي مُرْشِداً مُعِيناً فقَدْ ضَاقَتْ عَلَيَّ مَذَاهِبِي

إِلَهِيَ بالطَّائِيّ دَاوودَ دُلَّنِي عَلَيكَ وَجَنِّبْنِي طَرِيقَ المعَاطِبِ

إِلَهِيَ بالمَوْلَى الحبيب حَبيبِهِمْ أَجِبْ دَعْوَتِي يَا حَاضِراً غَيرَ غَائِبِ

وَبالحَسَنِ البَصْرِيِّ نوِّرْ بَصِيرَتِي أَيَا مَنْ يُرَجَّى فِي الرَّخَا وَالمسَاغِبِ

بِزَوْجِ البتُولِ الشَّامِخِ القَدْرِ إِنَّهُ عليّ بنُ أبي المَجْدِ المُؤَثَّلِ طَالِبِ

أَتِحْنِي فُهُوماً سَاطِعَاتٍ بِنُورِهَا تُبيِّنُ لِلُبِّي مُشْكِلاَتِ الغَرَائِبِ

بِمَنَ مُدَّ مِنْهُ الكَوْنُ طُرّاً بِأَسْرِهِ سَلِيل لُوَيّ بْنِ المُشَرّفِ غَالِبِ

مُحَمَّدٍ خَيْرِ الخَلْقِ ذِي التَّاجِ وَاللِّوَا وَمَنْ جُودُهُ يزْرِي بِجَوْدِ السَّحَائِبِ

---

[1] في النسخة (د): (باهر).

[2] بياض في الأصل والنسخة (ب) وفي النسخة (د): (وبالسهروردي عائدا والرضى الذي).

[3] بياض في الأصل والنسخة (ب). وفي النسختين (ج) و(د): (قائد).

بجبريل روح الله كن لِي مُثَبِّتاً ... إذا بَلَغَتْ رُوحِي لِنَحْوِ التَرَائِبِ

بِكَ اللهُ يَا مَنْ لاَ يُحَاطُ بِكُنْهِهِ ... وَمَنْ قد تعَالى عَنْ وزيرٍ وَحَاجِبِ

إِلَهِي بِمَا قَدَّمْتَهُ وَنَظَمْتَهُ ... أَجِبْنِي وَلاَ تَرْدُدْ دُعَائِي بِخَائِبِ

أَجِرْنِي مِنَ الحَيَّاتِ يَا خَيْرَ عَائِذٍ ... بِقَبْرِي إذا مَا ضَمَّنِي وَالعَقَارِبِ

وَصَلِّ وَسَلِّمْ مَا تَأَلَّقَ بَارِقٌ ... عَلى المُصْطَفَى المُخْتَارِ سَامِي المَرَاتِبِ

وَآلِهِ والصَّحْبِ الكِرَامِ جَمِيعِهِمْ ... صَلاَةً بِهَا نَحْظَى بِحُسْنِ العَوَاقِبِ/103/

أَيَا بن سَعيد نَوِّلِ العَبْدَ سُؤْلَهُ ... وَقُلْ مَرْحَباً أَهْلاً بِصَالِحِ صَاحِبِ

وَصِلْنِي عَلَى مَا كَانَ مِنِّي مِنَ الجَفَا ... وَإن كُنْتُ خَطَّاءً كَثير المَعَائِبِ

[فَمِنْ مثلكم مِثْلِي يُواجَه بِالرِّضَى][1] ... وَيُرْقِي وَيُرْقَى سَامِيَاتِ المَرَاتِبِ

وَمِنْ مِثْلُكُمْ مِثْلِي يواجَه بالرِّضَى ... (...)[3]الأَقْـــــــرِبَا وَالأَجَـــــــانِبِ

وَمِنْ مِثْلُكُمْ مِثْلِي يُوَاجَه بالرِّضَى ... وَتَأتِ لَهُ الخَيْرَاتُ مِنْ كُلِّ جانِبِ

وَمِنْ مِثلُكمْ مِثْلِي يُغَاثُ بِنَفْحَةٍ ... تُفِيدُ مِنَ التَّقْصِيرِ فِي فِعْلِ وَاجِبِ

أَيَا أَيُّها الفَيَّاضُ مِنْ كُلِّ وَارِدٍ ... مِنَ الشَّرْقِ يُفْشِيهِ لِمَنْ بِالمَغَارِبِ

عَطِشْتُ كَثِيراً فَاسْقِنِي خَمْرَةَ الصَّفَا ... فَمَوْرِدُكُمْ عَذْبٌ لَذِيذُ المَشَارِبِ

بِجَاهِ رَسُولِ اللهِ أَفْضَلِ مَنْ دَعَا ... (.....)[4]

عَلَيْهِ صَلاَةُ اللهِ ثُمَّ سَلاَمُهُ ... وَآلِهِ والأَصْحَابِ أُسْدِ الكَتَائِبِ[5]

---

[1] وفي النسخة (د): (فمن مثلكم يواجه مثلي بالرضا).

[3] بياض في الأصل وباقي النسخ الأخرى بمقدار كلمة.

[4] بياض في الأصل وباقي النسخ الأخرى بمقدار شطر من البيت.

[5] وردت هذه القصيدة بنفس اللفظ والترتيب في: أبي حامد محمد العربي الشرقي، الفتح الوهبي في مناقب الشيخ العربي، ص: 511-512..

وقد وقفت على كتاب كتبه له شيخه هذا سيدي محمد بن سعيد، نفعنا اله به آمين، ونصه: "بسم الله الرحمن الرحيم. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما. من عبد الله سبحانه، الراجي عفو ربه، محمد بن سعيد، إلى محبنا في الله المكرم سيدي صالح بن محمد، الملقب بالمعطى، أصلح الله وجهته المقبلة على الله، وأيده بما أيد به أولياءه، ابن المعطى أعطاه الله، مما أعطى لأحبائه، وغمره بأسراره وإحسانه، وضرب له سهما في صفاته وأسمائه وذاته، وواجهه بما واجه به أهل قربه ووداده، سلام الله عليكم ورحمة الله وبركاته، لأنه أتانا السيد المكرم ولدنا أحمد بن عياش، وذكر لنا عنكم قابلية أمَدَّه الله، وأوهبه الله نفحات المرغوب.

حَبِيبٌ أَتَانَا عَلَى فَاقَةٍ أَنَارَتْ مِنْهُ العَوَالِمُ وَأَنَار الصَّدْرُ
بَشائِرُهُ أَتَتْنَا عَلَى سُرُورٍ وَنَفْحَةٌ أَطْلَقَتْ مَا كَانَ مِنَ القَيْدِ والحَصْرِ
بَعْدَ الجَفَا والهجْرَانِ أَتَانَا مُؤَيَّداً بِمَعَالِمِ الهُدَى وَنَفَحَاتِ النَّصْرِ
حَلَّتْ فِي ذَاتِ المُحِبِّينَ مَعَانِي قُرْبِهِ وَاطلعت الشَّمْسُ الزَّاهِرَةُ واطْلَعَ القمر

أمن الله عليكم ببقاء سره ووده، وأفتق لكم رتق ذلك الأمر والستر، وناداك يا عبدي أُدْنُ مني فإني مالكك، لا ينفعك محبوب غيري ولا ينفعك الغير، سلام عليكم من ابن سعيد الهائم في حاله، الجامع لصفات العجز والذل والفقر، فتزينوا بتلك الحال الباهية تكونوا من أحبائه، صح بذلك الرواية والخبر، أفنوا عن الدارين وعن أنفسكم تكونوا بهذه في (أَعْلَى عِلِّيين)[1] دين السلام عليكم وعلى أولادكم وعلى إخوانكم، وعلى جميع من أحبكم، وحببتموه، ونحن أجزناكم في الإعطاء؛ فإذا أعطيته ففوض أمرك

[1] علي بن بلبان، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، كتاب الحظر والإباحة، باب التواضع والكبر والعجب، ح: 5678، ص: 491.

للمعطى إليه، واجعل دليل الحق فيه، وحسن نيتك في الوصول إلى الله، وقت العلائق، وقطع العوائق، ولا تصاحب إلا من كان فيه قابلية، وكان له ظرف نظيف يحمل الحكمة، ولا تعطها لغير أهلها فتظلمها، لأن لله أقواما لا يصلحون للترقية ولا لقبول الزيادة، لقصورهم على الصوم والصلاة والحدود، وننبهك بعلامة على أصحاب القبول إذا أتاك يأتيك بهشاشة وحركة وشوق، ويطلب المعاني الزائدة، كما يطلب الظمآن الماء البارد العذب، وتجد له تحويلا من مقامه الأول إلى الثاني في زمان قريب، لأنه موقوف على السير، وطلب ما عند الله ولا يقنع بما عنده. وأما علامة الذي لا يقبل الإرادة ولا الانتقال إلى مقام المعرفة والسادة غلظ في نفسه /104/ ووسوسة في عمارة قلبه، وبرانة غليظة بينك وبينه، كلما فتحت له في المعاشق الإلهية، دور وجهه إلى محاسن الدنيا، ولذاذة النفس، فهذا لا ترافقه ولا تخسر ما عندك من الكنز عليه، فإنك إن أعطيته سرك أهنته، ولا يجوز للمؤمن أن يهين أسرار الله لأن أثمانها غالية، وأسرارها عالية، لا تبدل السر لا ليأتي[1] لأن السر عندهم مبذول. السر عندنا في بيت ضاع مفتاحه، والباب مقفول، ولا توتي الحكمة لغير أهلها فتظلمها، ولا تمنعها أهلها فتظلمهم، ولا تفش سر الربوبية لغير أهلها، فإن إفشاءها كفر، فكن غيورا على أسرارنا ولا تفشها لمعتوه وشرار.

يَتَزَيَّنُوا فِي مَحَافِلِ الهَوَى ... وَيَعُدُّهَا كَمَالاً وَهِيَ نُقْصَانْ

قلبُهُ خَالٍ مِنْ عِمَارَةِ سِرِّهَا ... وَمُعمّر بِهَا أَشْدَاق واللِّسَانْ

تُرْجُمَانٌ عَلَى سَفِيهٍ وَعَلى أَهْلِ ... غَيٍّ إمَامٌ لِسُفُهَاءِ وَصِبْيَانْ

حَادَ عَنْ طَرِيقِ الكَمَالِ وَسِرِّهَا ... وَعَنْ سُنَّةٍ وَإِجْمَاعٍ وَقُرَانْ

[1] كلمة غير مقروءة في الأصل وباقي النسخ.

هذا أَثَرُ الحَقِّ أَثَرْتُ لَكَ آثَارَهُ فَاهْجُرْ أَهْلَ البَغيَ والهَوَى والطّغْيَانْ

طَرِيقتُهُمْ السُّمْعـــــــةُ وَالهَوَى وَلُقْمَةٌ يَأْكُلُهَا عِنْدَ الأَغْنِيَّاءِ لَهُمْ غلْمَان

بَدَّلُوا طَرِيقَ الحَقِّ وَهَدَمُوا بُنْيَانَهَا فَإِمَامُهُمْ الهَـــــوَى والشَّيْطَـــــانْ

فَحَظُّهم مِنَ اللهِ الغَضَبُ وَالكَلاَ وَبَدَّلُوا وَغَيَّروا ما أَوْصَاهُمْ بِهِ الرَّحْمَانْ

قَوْمٌ ظَمِئُوا لا شَرَابَ لَهُمْ وَلاَ طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ حَمِيمِ النِّيرَانْ

حفظنا الله وإياك وجميع الأحباب في كل موطن، وأيدنا وإياك بسره ونور القرآن، وتعيها أذن واعية، والسلام عليك، وعلى أولادك وعلى سيدي الحسن، وعلى جميع الإخوان كلهم بعين الجمع، وسلم على إخواننا أهل تادلة، وعل ابن شقرون، من أخيكم في الله أحمد الشريف بن عياش، لطف الله به، آمين، واعط يا أخانا الأوراد الذي تعطيهم الأسماء مثل ما تعلم وبعد المغرب والصبح، الذي كتب لبنك[1]، والنساء لا تعطيهم الأسماء، أعطهم الصلاة على النبي، والاستغفار والسلام عليكم، من عند سيدي عبد الله السوسي[2]، وسيدي الحاج مبارك، وسيدي علي بن سليمان، وسيدي أحمد بن الحاج حسين، وجميع إخواننا من غير تخصيص، والسلام. وكتبنا لكم الورقة يوم الخامس، في شهر الله المحرم، عام تسعة عشر ومائة وألف، انتهى بلفظه من خط من كتب عن إذنه، لكونه، لا يكتب لأنه كان ضريرا، أتحفني به سيدنا نفعنا الله به. /105/.

ومن إخوانه في الله صاحب المكانة العلية الخليفة على الطائفة الناصرية على التحقيق، صاحب العلوم اللدنية والسر الرقيق سيدي حسين شرحبيل، وكان يحب هذا

---

[1] في النسخة (ج): (لابنك).

[2] أبو محمد عبد الله السوسي الفقيه العلامة المدرس، إمام مسجد فاس الجديد وخطيبها، من أهل سوس المستوطنين فاس الجديد. قرأ على سيدي الحسن بن رحال، وأبي عبد الله المسناوي، ومحمد الفاسي، وكان ناسكا متعففا، ترجمته في: محمد القادري، نشر المثاني، ج4/155-156.

الشيخ وينوه بقدره، ويتعرض لنفحاته ودعائه وسره، ويكاتبه ويراسله، ويراجعه ويداخله. ومما كتبه له ما نصه: "بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه، من عبد ربه، وأسير ذنبه، ورهين كسبه، حسين بن محمد بن علي بن شرحبيل، غفر الله ذنبه، وستر عيبه، وأصلح قلبه، آمين، إلى قرة العين سيدي وسندي أبي عبد الله سيدي محمد المدعو الصالح، سلام على سيدي ورحمة الله تعالى وبركاته، ورضوانه وتحياته، فإني أحمد لسيدنا الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد فإني أسأل الله تعالى، أن يأخذ بيد سيدنا إليه أخذ الكرام، وأن يتولاه، ولا يتخلى عنه، وأن يجعل به شغله، وأن يزكي فعله، بمنه ويمنه. آمين. وإعلاما لسيدنا أن كتابه ورد علينا، وما يشكوه سيدنا فإني أشكو أضعاف أضعاف ذلك مما لا يسعه إلا رحمته التي وسعت كل شيء، وغمرت كل شيء، وما منعنا من الكتب لسيدنا إلا قلة من يوصل ذلك إليكم، وأما سؤال سيدنا عن أخبارنا فلا يكافيه إلا الله في ذلك، وغايته أن الفتن أحدقت بنا، واستولت على الظاهر والباطن، وتمييزها لا يمكن إلا شفاها وكفاحا، وقد ابتلينا من الأقرباء والبعداء، بما لا خلاص منه، إلا بالله ثم بأمثالكم.

فالغَارَةُ مِنْكُـــــمْ تَأْتِي لِعَبْدِكُمْ وَسيْفُ نَصْرٍ عَلَى الأَعْدَاءِ مَسْلُولُ
الغَارَةُ الغَارَةُ فالمَظْلُومُ مُنْتَظِرٌ إسْعَافَ إنْصَافِكُمْ يَا مَنْ هُمُ السُّولُ

والله يعلم إني مشتاق لزيارتكم، والمثول بين أيديكم، والله يجمع الشمل عن قريب في سلامة وعافية، ونسلم على كافة الآل، ومن هو في الود غير آل، ولا ينسانا سيدنا من دعائه، والله يعلم لو أمكنني لما أخليتُ ساعة من مكاتبتكم، ولكن لله الأمر من قبل ومن بعد، وكتب عبيدكم حسين بن محمد بن علي بن شرحبيل، كان الله له في المقام

والرحيل، بمنه، ويمنه، آمين، انتهى من خط صاحبها نفعنا الله به، أتحفني به سيدنا ومولانا ونعمة الله التي أولانا سيدنا ووسيلتنا وأستاذنا سيدنا المعطى، نفعنا الله به.

ومن إخوانه في الله وأهل مودته وعشائره الولي العارف والكامل في الحب المكاشف، صاحب الإشارات الفائقة، والأحوال السنية الرائقة، سيدي العياشي بن عبد القادر المباركي التستاوتي، نفعنا الله به، آمين. كان كثير المحبة في هذا الشيخ الكبير، والعلم الشهير، سيدنا الصالح ويكاتبه، وينوه بقدره ويخاطبه، ونص كتاب له وقع بتر في أوله /106/ مخاطبا له، إلى أن قال: "والشافي في حضرة جبروته، والعافي في حضرة رحموته، والمنفي عن قيل وقال في حضرة الأمر الصالح الناصح، مولانا صالح بن المعطى، أصلح الله حاله ومآله: السلام والرحمة والبركة على الدوام، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، وأسأله لنا ولكم البيان مع البيان. أما بعد، فقد بلغني مسطورك في كذا وكذا، شفني وكفاني من كذا وكذا، وعرفت به رسمي، ورجعت لرسمي، هؤلاء للجنة ولا أبالي، وبعمل أهل الجنة يعملون، وهؤلاء للنار ولا أبالي، وبعمل أهل النار يعملون، وكل مُيَسَّرٌ لما خُلِق له، ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ﴾[1]. فأولاد الشيخ جدكم محمولون علينا أساءوا إلينا، أو أحسنوا؛ لأني من شِنْشِنَةٍ زَيِّ أرواحهم، وعرفِ نسيم سَنَا جِدِّكُمْ.

يا بَدْرُ أَهْلُـــكَ جَـــارُوا ... وَعَلُّمـــــوكَ التَحَـــــرِّي

وَقَبَّحُـــــــوا لَـــكَ وَصْلِي ... وَحَسَّنُوا لَـــكَ هَجْـــــرِي

[1] سورة الليل، الآية: 11.

فَلْيَفْعَلُـــــــوا مَـــا أَرَادُوا لأَنَّهُـــــمْ أَهْـــــــــلُ بَدْرِي

ثم بعد هذا وقع تقطيع في الكتاب. وقد كتب للشيخ العارف بالله سيدنا الصالح وأخيه العالم الإمام، سيدي محمد العارف الكامل، والعالم العامل، سيدي أحمد بن إبراهيم العطار الانسي[1]، كتابا وهو من أصحاب العارف الكبير سيدي محمد بن إبراهيم، ونصه: "الحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم، السلام العميم الكريم، والرحمة التي لا تبرح ولا تريم، على السيد بن الفقيهين الوجيهين سيدي الصالح، وسيدي محمد، ابني المرحوم بكرم الله تعالى سيدي محمد المعطى، سقى الله بشآبيب الرحمة ثراه، من عبد ربه المشفق من سوء صنيعه وكسبه أحمد بن إبراهيم العطار، كيف أنتم سادتنا؟ وكيف حالكم؟ أدام الله بمنه عافيتكم، ونعيد السلام على أخيكما سيدي أحمد، وعلى جملة الأهل والعيال خصوصا علم النباهة والمجد سيدي عبد الخالق، هذا وقد تشوقنا إلى أخباركم جدا، ولا ورد علينا من قبلكم كتاب، يتضمن التعريف بها، ولا من نسأل عنها، وذلك لا يليق بكم، لأنكم تعرفون منزلتكم في قلوبنا، ونعيد السلام على سيدي الأمين، وسيدي عبد السلام، وقد كتبنا لكم عن عجل لأن حاملها قد فاجأنا خروجه، ونطلب من سيادتكم، أن تبعثوا لنا القطارات[2]، فإنا مضطرون إليها غاية الاضطرار، وما كنت أظن إلا أنها تلفت، وها نحن قد بعثنا إليكم غلافها لتصان فيها والسلام. انتهى من خطه، أكرمني به سيدنا نفعنا الله به.

---

[1] أبو العباس أحمد بن إبراهيم العطار الأندلسي المراكشي، أحد أعلام مراكش زاهد ورع، مشارك في العلوم أخذ عن قاضي الجماعة أبي مهدي السكتاني، وأبي عبد الله المزوار وغيرهما من أئمة مراكش، ورحل إل فاس فأخذ عن عبد القادر الفاسي وأجازه، وأخذ فن القراءات عن ابن سعيد المرغيثي، وأخذ علم الباطن عن محمد بن عبد الله الأندلسي وأحمد بن إبراهيم التاملي. توفي سنة 1105هـ. ترجمته في: محمد القادري، الإكليل والتاج، ص: 178؛ وأحمد الحضيكي، طبقات الحضيكي، ج118/1؛ والعباس بن إبراهيم، الإعلام، ج 326/2-329.

[2] في النسخة (د): (النظارات).

ومن أشياخه العالم الإمام القدوة البركة الهمام، وله معه مكاتبات يأتي بعضها في الفصل الأول /107/ من الخاتمة وهو سيدي أحمد العطار. ونص كتاب له: "الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم، حفظ الله سيادة أخينا وابن أخينا وحبيبنا في ذات الله تعالى السيد الصالح بن المعطى، السلام عليكم والرحمات والبركات، كيف أنتم؟ وكيف حالكم؟ أدام الله بمنه عافيتكم، ونعيد السلام على سيدي عبد الخالق، وبنيه، وعلى أخويك السيد محمد، والسيد أحمد، أصلح الله الجميع. هذا وقد بلغنا كتابك، وفهمنا مضمنه. وقد أكثرت العتاب في مكاتبتك إلي، على عدم جوابي عنها، وموجب ذلك أنك نظرت إلي ما أكرمت به من الفراغ، وإراحة الشواغل وظننت أن ذلك قدر مشترك بين الجميع، وهو قياس بغير جامع. فوالله ما صرفني على ذلك إلا شدة شغل الظاهر والباطن بأمور يضيق عنها نطاق التعبير. هذا وفي القلب من الاهتمام بشأنكم قضاء لواجب حق الأخوة، ما يعلمه اللطيف الخبير، أما ما وراء ذلك مما تظنه فينا بصدق نيتك، وصفاء طويتك، فما لأمثالي فيه ناقة ولا جمل. وأما ما ذكرت من أمر الأخذ عن سيدي عبد القادر حفظه الله، ونفعنا بنيتنا فيه، ومحبتنا له، فما عندي ما أقول في ذلك ولا في غيره من طريق الباطن، إن كان هذا هو المقصود، وأما من حيث الظاهر، فكل باب رجوت فيه استنزال سَيْب ربك، واستمطار ورمته، فقف به وقوف الذل والمسكنة والحاجة والجد. والسلام عائد على جملتكم. ويسلم عليكم مولاي أحمد بن المهدي، انتهى الكتاب.

وقد نظم الشيخ سيدنا الصالح، نفعنا لله به، قصيدة في العارف الولي المكاشف العالم الإمام، ومنه صرفه مولاه على الدوام، الناظم الناثر سيدي أحمد بن عبد القادر، وقد علمت أنه من جملة أشياخه كما ذكرنا. ونص القصيدة بعد الحمد لله حق حمده، وصلى الله على سيدنا محمد نبيه وعبده.

يَا فَخْرَ أَهْلِ المَغْرِبِ وَمَنْ إِلَيْهِ هَرَبِي

وَمَنْ إذا رأيتُهُ تَذْهَبُ عَنِّي كُرَبِي

بِحَقِّ أحمد النَّبِيِّ الهاشميّ العَرَبِي

وَشَيْخِكَ ابنِ نَاصِرِ الرَّاقِي لأعلى الرُّتَبِ

اصْرِفْ لِي الهِمَّةَ كَيْ تُنْقِذَنِي مِنْ عَطَبِ

فَقَدْ تَعَاطَيْتُ أُمُو راً مُوجِبَاتِ الغَضَبِ

آثَرْتُ دُنْيَايَ على الأُخْرَى وَهذا مَذْهَبِي

مَا زُرْتُ يَوْماً صَالِحاً إلاَّ وَكَانَتْ مَطْلَبِي

فالقَلْبُ مِنْ حُبِّي لَهَا في ظُلْمَةٍ وَحُجُبِ

لَمْ آلُ جُهْداً في ابتغا ءِ اللَّهْوِ ثُمَّ اللَّعِبِ

أَمِيلُ للرَّاحَةِ في الأعمالِ لا لِلتَّعَبِ

أَهَذِهِ الحـــــــــالةُ تُرْضِي يا رَفِيعَ النَّسَبِ

فيَا أَبَا العَبَّاسِ يَا ذَا المَوْرِدِ المُسْتَعْذَبِ

أَفَصَحْتُ عَنْ حَالِي لِمَجْدِكُمْ بِقَوْلٍ مُعْرِبِ/108/

عَسَاكَ أَنْ تُشْفِقَ مِنْ أَحْوَالِ هَذَا المُذْنِبِ

فَاجْذُبه لله ويـ ـسِّرْهُ لِفِعْلِ القُرَبِ

وامْدُدْهُ مَا دَامَ بِحَا لٍ مُسْتَقِيمٍ طَيِّبِ

وَسْئَل لِي مِنْ مَوْلاَكَ أَلْـ ـفًا كَامِلاً مِنْ ذَهَبِ

أُبْذُلْهَا لِي في دَفْعَةٍ عَزْماً بِغَيْرِ نَصَبِ

وَذَا يَسيرٌ أَمْرُهُ يا فَخْرَ أَهْلِ المَغْرِبِ[1]

وكتب محمد صالح عفا الله عنه، انتهى من خطه نفعنا الله به، وقد كتب سيدي أحمد بن عبد القادر، على ظهرها بما نصف. الحمد لله:

[الرجز]

أَدْرَكْـــــتَ كُلَّ مَـــــأْرَبِ وَحُزْتَ كُـــلَّ مَطْلَـــــبِ
وَنِلْـــــتَ في الدَّارَيْـــــنِ أَمْناً رَافِعـــاً للشَّغَـــــبِ
وَكُنْـــــتَ في عِزٍّ وَفـــي مَجْدٍ رَفِيـــعِ الرُّتَـــــبِ
لاَ تَخْشَ مِنْ شَيْءٍ وَسِـــرْ للهِ سَيْـــــــرَ أَدَبِ
وَاعْرِفْ لَـــهُ المِنَّـــــةَ فِي كُلِّ الأُمُـــــورِ تُنْجَـــــبِ
وَادْعُ إلى الله عَلـــــى بَصِيـــــرَةٍ في الطَّلَـــــبِ
وَاشْكُرْ ففَي الشَّكْرِ المُـــنَى وَفِيـــهِ طِيـــبُ المَشْـــــرَبِ

والسلام.

ونص كتاب كتبه له العالم الإمام، العلامة الهمام، سيدي عبد الوهاب بن الشيخ المكناسي[2]: الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم سيدنا قطبَ دائرة

---

[1] وردت بعض أبيات هذه القصيدة في: أحمد الناصري، طلعة المشتري في النسب الجعفري، ج 76/2، بنفس اللفظ.

[2] عبد الوهاب بن محمد بن الشيخ المكناسي الأصل والنشأة والدار، خطيب بليغ، مدرس مدقق محقق، مفت فاضل، كان متوليا خطة قضاء الجماعة بمكناس الزيتون، أخذ عن أبي علي اليوسي، وأبي علي بن رحال المعداني، وأخذ عنه الولي الصالح أبو محمد عبد السلام البقالي، والسيد المجذوب بن عزوز المكناسي وغيرهما. توفي سنة 1150هـ .. ترجمته في: ابن زيدان، إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس، ج 5/ 467-468.

الأخيار، وغوثَ من تقشعت عنه العمارة فحل خالي الديار، ملاذ من استعبده هواه، ومنقذ من غلب عليه قرينه فاستهواه بما له من اليد الطولى التي لا تسام بتقصير لدى حضرة نعم المولى ونعم النصير. فيا سعادة من وفق للتعلق بأذياله، فنجا حامدا لله في أقواله وأفعاله، جابر كسر الكسير مثلي، الماهض الصالح أبي عبد الله سيدي محمد الصالح، أصلح الله به قلوبنا، وشغل بالقيام بحقه عن المضاجع جنوبنا، وسلام على مقام سيدنا ورحمة الله وبركاته، مادام الفلك وحركاته. هذا ومما يجب أن نعلم به سيدنا أبقى الله وجوده، وأخضر أغواره ونجوده، إن ما كنا شكوناه لسيدنا من مرض القلب الذي كنا نخشى منه والعياذ بالله لولا وجود سيدنا غضب الرب قد أذهبه عنا، والحمد لله ببركاتكم المولى الكريم، ذو الفضل الشامل العميم، ولم يبق منه غير بقايا تعرض في بعض أوقات، فنطلب من كمال إحسان سيدنا أن يعاملنا بالسعي في زوال الجميع مع مرض بدني لا يعلم حقيقته إلا الله، وأن تنور منا القلوب، فإنكم لها مرقاة ومعظم سبب ذلك بوجود سيدنا ما أفادنيه سيدنا من كتب سورة يس، جمعه الله وإيانا في أعلى الفردوس مع طه ويس، عليه الصلاة والسلام، وأن لا ينسانا سيدنا من دعائه الصالح. فأنا كراكب بحر موجه على الدوام طافح، والله تعالى يزيد في معنى سيدنا كما قد فعل، ويرفع قدره على كل من حفي وانتعل. والسلام. محبكم وعبدكم مقبل الأرض بين /109/ أيديكم عبدكم عبد الوهاب بن الشيخ، لطف الله به، آمين، ولهذا العالم الإمام، هذه القصيدة البديعة النظام.

[الطويل]

أَمَخْضُوبةَ الكَفَّيْنِ فِضِيَّةَ الطَّوْقِ ... إِلَيْهَا انتهى طَيُّ المَفَاوِزِ في رَمْقِ

لَهَا قَادِمَاتٌ أَقْلُمٌ قد تَحرَّفَتْ ... إذا نَشَرَتْهَا خِلْتَهَا لَمْحَةَ البَرْقِ

إذا ما دَنَوْتِ مِنْ أبي الجعْدِ سَلِّمي ... على جَمْعِ سَادَاتٍ كِرَامٍ ذَوِي رِفْقِ

لَهُمْ هِمَمٌ تَقَاصَرَ الدَّهْرُ دُونَهَا وَعِرْضٌ كَمَاءِ المُزْنِ والمُزْنُ في الأُفْقِ

لَقَدْ نَسَخُوا بالجودِ شُهْرَةَ حَاتِمٍ وَصَارُوا مِنَ الحِلْمِ الصَّمِيمِ ذَوِي طَوْقِ

وَلِمَ لاَ وللفَارُوقِ صَحَّ انتسَابُهُمْ وبعدُ إلى غَوْثِ الوَرَى سيدي الشَّرْقِي

إِمَامٌ لَهُ في القدسِ أرفع رُتْبَةٍ تَقَاصَرَ عَنْ إِدرَاكِهَا كُلُّ مُسْتَرْقِ

وَيَكْفِيكَ مِنْهُ أَنَّهُ قَال قَوْلَةً تُنْبِئُ أنْ قدْ صَارَ فَوْقَ ذَوِي الفَوْقِ

وَذَلِكَ إِنَّ اللهَ نَادَاهُ جَهْرَةً أخذتُ عليْكَ في بَنيكَ مِنَ الحَقّ

ممَاثِلِ أَخْذِي من خَلِيلِي بِنَسْلِهِ فَدُونَكَ مِنْ سِرٍّ عَظِيمٍ وَمِنْ ذَوْقِ

وَمَسْأَلةُ المَنْجُور فيها عَجَائِبٌ لَقَدْ جَاءَ نَجْلُ الشَّيْخِ في شِدَّةِ الضَّيْقِ

فقالَ لَهُ إنْ كَانَ أَصْلُكَ ذَائِدٌ مع الله فليَرْدُدْ مَتَاعِي عَلَى وَفْقِ

وَقَدْ كانَ أَعْطاهُ بِفَاسٍ بِضاعَةً فَضَاعَ بها والشَّيْخُ في أَبْعَدِ الشُّقّ

فَفَرَّ إلى الشَّيْخِ الجَلِيلِ وَلِيدُهِ وأَخْبَرَهُ بالأَمْرِ كتْباً بِلاَ نُطْقِ

فَفاضَ مِنَ البَحْرِ الخِضَمّ عُبَابُهُ وَمَدَّ يداً بالصِّدْقِ يا لَهُ مِنْ صِدْقِ

فَجَاءَ بما قد ضَاعَ حَقًّا بِعَيْنِهِ فَيا عَجَباً مِنْ فَتْقِ ما كان مِنْ رَتْقِ

وَكَمْ قد سقى في الحين جَمْعاً بِنَظْرَةٍ فصاروُا وكُلٌّ مِنْهُمْ غَيْرَهُ يَسْقِي

وَماذا عَسَى يُحْصِي القَريضُ مِنَ الثَّنَا على مَنْ سَمَا قَدْراً لدى جُمْلَةِ الخَلْقِ

ومن يَدَّعي حَصْرَ النُّجُومِ فَبَاَطِلٌ وَلَوْ كانَ مِنْ أَهْلِ النَّبَاهَةِ وَالسَّبْقِ

وَلَسْتُ بِأَهْلٍ للمَدِيحِ وَإِنَّمَا تَرَجَّيْتُ أنْ أُمْسِي بِبَحْرِهِ ذا غَرْقِ

وَأَنْ يَصْلُحَ القَلْبُ الجَمُوحُ بِتَوْبَةٍ وَيَمْحَقَ مِنْهُ غَفْلَةً أيما مَحْقِ

عَلَيْهِمْ مِنَ الرَّحْمنِ أَزْكَى تَحِيَّةٍ مُعَطَّرَةِ الأَذْيَالِ طَيِّبَةِ النَّشْقِ

تَعُمُّ عَطِيرَ تُرْبَةٍ قَدْ تَضَمَّنَتْ شَرِيفَ عِظَامٍ عرقُها خَيْرُ مَا عَرْقِ

وَيَعْقَبُهَا أَزْكَى سَلاَمِي ما غَدَا إِلَيْهِ بِرَكْبٍ زَائِرٌ طَارَ مِنْ شَوْقِ

فَآبَ بِمَا يَرْجُو[1] وَفَوْقَ رَجَائِهِ وَأَصْبَحَ مِنْ غَيِّ الرُّعُونَةِ فِي عِتْقِ/110/

ونص كتاب كتبه له خليفة الشيخ سيدي أحمد بن ناصر، وهو الفقيه الأجل، الناسك العارف الأمثل الدَّيِّنُ الأصيل، سيدي حسين شُرَحْبِيل: "بسم الله الرحمن الرحيم. صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم. من عبيد ربه، وأسير ذنبه، ورهين كسبه، حسين بن محمد، لطف الله به، آمين، إلى السيد المصافي، الزلال الطافي، أبي عبد الله سيدي محمد صالح، حفيد الإمام سيدي أبي عبد الله الشرقي، نفعنا الله به، سلام عليك والرحمة والبركة، أما بعد فالله الله سيدي في الدعاء لنا، فإنا على عهدكم ومحبتكم، وسلم على كافة السادات عموما وخصوصا، وعلى الشيخ ادعو لنا عنده، وكتب عن عجل حسين، أصلح الله قلبه، وغفر ذنبه، وستر عيبه، آمين".

ونص كتاب آخر لبعض الأجلة: "الحمد لله وحده، صلى الله على سيدنا محمد وآله. أدام الله عز عوض الوالد، وأقام به منا العضد والساعد، ذي المجد الشامخ، والحسب الباذخ، محبنا وقرة عيننا سيدي صالح بن المعطى، سلام على رفيع مقامكم ورحمة الله وبركاته، ما دامت سكنات الجسم وحركاته، سلاما يباري ريحه ندا ممندلا، ويفوق شذاه مسكا وقرنفلا، وبعد فإن القلب مشتاق للقائكم اشتياق العليل للصباح، ومتشوق إلى رؤيتكم تشوق المطي للبطاح.

[الوافر]

أَحَادِي العِيسِ سَيْراً فِي البرَارِي وَحُث اليَعْمَلاَتِ مع الزُّوَارِ

وَعَرِّجْ بالمحصب إِيتِ تَقْضِي لُبَانَاتِ الفُؤَادِ مِنَ الدِّيَارِ

[1] في الأصل: " يَرْجُوا". وقد صححناها.

وَحَيَّ المُرْتَضَى البَدْرِ ابن مُعْطَى ربيعَ قلوبنَا السَّامِي النِّجَارِ
وَبُسْ يدَهُ المبَارَكَةَ احْتِرَاماً بِآدابِ السَّكِينَةِ والوَقَارِ
وَقُصَّ عليه ما بالقَلْبِ مِنِّي مِنَ الوَجْدِ المُبِرّحِ والأُوَارِ
وَبُعْدِ العَهْدِ مِنِّي عَنْ أليفٍ غريبِ الدَّارِ ممنوع القَرَارِ
فَيَشْكَى مِنْكَ مُغتَرِباً تَرَامَتْ بِهِ أَيْدِي المَفَاوِزِ والقِفَارِ
لَقَدْ حَنَّ الفُؤادُ إلى لِقاكُمْ كما حَنَّ الغَرِيبُ إلى الدِّيَارِ
سَلاَمٌ طَيِّبٌ أَرَجٌ عَبِيقٌ يَعُمُّ حِمَاكُمُ مَا سَارَ سَارِ

وليعلم سيدنا بأنا على حبكم وحب جانبكم وأنا ناو أن نأخذ معكم مدة تشفي القلوب، وتكون سببا إل مرضاتكم، وسمعنا أن أمنا تغير قلبها عني لعدم الوصول /111/ وأنتم عندنا بمنزلة الوالدين، وها نحن قادمون إلى نحو مكناسة لنسأل عن أخبارهم، فإن واصلناهم فإنا تمنينا أن نرجع إليكم، إن شاء الله، وإن لم نقدم إليهم، قدمنا إليكم على أنا في غاية قلة ذات اليد، فادع لنا الله تعالى بجاهكم أن يغنينا من فضله، إنه قريب مجيب. محبكم الطيب بن محمد، وفقه الله بمنه".

ومن أشياخه، في العلوم، وتحرير كل منطوق ومفهوم، العالم الإمام، القدوة البركة الهمام، شيخ الجماعة في وقته على الإطلاق والشمول والاستغراق، سيدي محمد بن الولي العارف، العالم الرباني المكاشف، شيخ المشايخ، وصاحب القدم الثابت الراسخ، سيدي عبد القادر بن علي ابن العارف الكبير، والعلم الشهير، سيدي يوسف الفاسي[1]،

[1] أبو المحاسن يوسف بن محمد بن يوسف الفاسي، أحد كبار شيوخ التصوف بالمغرب في القرن العاشر الهجري، ولد بالقصر الكبير سنة 938هـ، ثم انتقل إلى فاس، وأسس الزاوية الفاسية بحومة المخفية من عدوة الأندلس. كان فقيها وصوفيا من الصالحين، توفي سنة 1013هـ . ترجمته في: أبي حامد الفاسي، مرآة المحاسن؛ ومحمد

نفعنا الله بسرهم آمين. وقد أجازه إجازة مطلقة عامة، ونصها: "الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وعلى آله وصحبه، يقول الفقير إلى رحمة ربه عبد الله تعالى محمد بن عبد القادر الفاسي، كان الله له بمنه: "قد أجزت الأخ في الله الفقيه النبيه الناسك الأريب سيدي محمد المدعو بالصالح، ابن الفقيه الأجل العلامة الصالح الناصح سيدي محمد المدعو المعطى بن سيدي عبد الخالق بن سيدي عبد القادر بن الشيخ، ولي الله الشهير البركات أبي عبد الله سيدي محمد الشرقي، رحم الله السلف، وبارك في الخلف في جميع ما يصح لي وعني روايته من كتب الحديث وغيرها إجازة عامة، مطلقة، بشرطها والله سبحانه يسلك بنا وبه سبل المتقين، ويجعلنا وإياه من الفائزين، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيئين، وإمام المرسلين، وبتاريخ ربيع الثاني من عام تسعة بعد مائة وألف، انتهى من خطه نفعنا الله به.

ومن إخوانه في الله، وأهل عثرته، ومودته ومحبته، العالم البركة أبو عبد الله سيدي محمد بن يوسف[1]، كان من العلماء العاملين، وأهل العفاف والدين. قال الفقيه الأجل محبُّنا في الله عز وجل سيدي أحمد بن الفتوح: "كنت يوما جالسا مع شيخنا

المهدي الفاسي، ممتع الأسماع، ص: 161-171؛ ومحمد الإفراني، صفوة من انتشر، ص: 78-80؛ وعبد الله بن محمد الفاسي، الإعلام بمن غبر، ص: 60-62؛ ومحمد القادري، نشر المثاني ج 1/ 119-120؛ ومحمد القادري، الإكليل والتاج، ص: 536-537؛ وأحمد الحضيكي، طبقات الحضيكي، ج 2/600-608.

[1] فهو الفقيه محمد بن يوسف الدلائي الذي كان من العلماء العاملين، وأهل العفاف والدين. كان سيدي الصالح يقرأ عليه، ويحضر مجلسه في الكبرى والفقه والحديث وغير ذلك من العلوم، وكانت بينهما ألفة عظيمة، ومودة في الله مستديمة، كل واحد منهما يثني على الاخر ويعظمه، وينشر محاسنه ويفخمه، وكان محمد بن يوسف يشهد لسيدي الصالح بالفضل والخصوصية الكاملة. وكان يحتل مكانة خاصة لدى شيخ الزاوية محمد الصالح، ومن المطلعين على أسراره، ووصفته المصادر ب "الفقيه العالم". وخلفه في هذه المكانة ابنه إبراهيم بن محمد بن يوسف، إذ كان بدوره من أطر الزاوية ومن كبار فقهاء وعلماء القطر التادلي. ينظر: الحسن بن محمد المعداني، الروض اليانع الفائح، النسخة رقم: 86 ج، ص: 405- 406، وأحمد بوكاري، الزاوية الشرقاوية، زاوية أبي الجعد إشعاعها الديني والعلمي، ج 1/198-199.

ومولانا سيدنا الصالح وأنا أتكلم معه في طبقات فحول الصالحين الأقدمين، وذكرت منهم جماعة كالجنيد وأمثاله، رضي الله عنهم، فقال لي: أدركت رجلا من هؤلاء القوم الذين ذكرت، يقال له: سيدي محمد بن يوسف كان يجلس معي في هذا الموضع، وكانت أرواح الأموات تعرض عليه في كل يوم، وتسأل منه صالح الدعاء. قال : ولما قرب أجله خرج من بين أولاده لزيارة الولي الكبير سيدي أبي القاسم والد القطب الرباني والشيخ الصمداني، سيدي محمد /112/ الشرقي نفعنا الله به، فجلس عنده هنالك حتى مرض ومات رحمه الله، قصدا منه لموت الغربة التي هي شهادة. فحقق الله ذلك، ولم يحضره أحد من أولاده، كان حسن الظن بالله وبعباده يسأل الدعاء من الكبير والصغير، والجليل والحقير، كان سيدنا الصالح، يقرأ عليه، ويحضر مجلسه في الكبرى والفقه والحديث، وغير ذلك من العلوم، وكانت بينهما ألفة عظيمة، ومودة في الله مستديمة، كل واحد منهما يثني على الآخر يعظمه، وينشر محاسنه ويفخمه. وكان سيدي محمد بن يوسف، يشهد لسيدنا الصالح بالفضل والخصوصية الكاملة. ويقول للناس وللأصحاب: "احمدوا الله تعالى حيث يتكلم معكم الشيخ ويجلس بينكم، لأنه من أهل الغيبة في الله والحب، وتغلب عليه الأحوال والجذب، في حضرة الله، وكان يقول له: كلما تسأله لله، يعطيه لك أي شيء تخسر علينا، يعني أنه من أهل التصرف، وأقسم بالله ثلاثا، إن الشيخ الصالح، من الصديقين، وذلك حيث سمع من بعض أولاد الشيخ الشرقي، كلاما يغض فيه بعض مرتبته. توفي هذا الشيخ سيدي محمد بن يوسف، سنة تسع وعشرين ومائة وألف، ودفن بإزاء ضريح سيدي أبي القاسم، المذكور.

قلت: وهذا الشيخ سيدنا الصالح، نفعنا الله به، وإن عظمت منزلته، وجلت مرتبته، فقد كان كثير الخوف من الله، كثير التضرع لمولاه، إذ ذلك المناسب لمقام العبودية التي هي أشرف مقام، كما نوه بذلك مولانا سبحانه بحبيبه عليه الصلاة

والسلام، بقوله: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ﴾[1]؛ فهم يرون أنفسهم مقصرين على كل حال، لما يشاهدون في مقام الربوبية منه الكمال، وإن جميع الأفعال الصادرة من العباد هي منه سبحانه، ولهذا لما رفع الحجاب عن العارفين، والأولياء الموفقين، لم يجدوا لذة في عبادتهم لقلتها في أعينهم ومشاهدتهم، إن الفعل من الله تعالى ليس لهم فيه شيء، كما قال سيدي عبد الوهاب الشعراني في "جواهره"، وسمعته يعني شيخه سيدي عليا الخواص، يقول: "عبادة العارف لا لذة فيها تظهر لقلتها وعروة عن دعوى العمل له، فإن لذة العبد بالعمل على قدر ما فيه من دعوى العمل له كثرة وقلة، ومن هنا كان العباد أكثر لذة في أعمالهم من العارفين لشهودهم العمل لهم، كما أشار له حديث (**أَدْخُلُ الجَنَّةَ بِرَحْمَتِه**)[2]، قال العابد: يا رب بل بعملي، ولو شهدوا العمل لله، ما تلذذوا لأن أحدا لا يتلذذ بعمل غيره ذوقا، ومن هنا سميت العبادات تكاليف، فافهم. انتهى. "ومن هذا المعنى قوله، وسمعته يقول، يعني شيخه /113/ المذكور: "لو كشف لمن ينوي التقرب إلى الله تعالى بالنوافل عن حقيقة من يقترب إليه، لذهب عنه طلب القربة، لأن الله تعالى، هو الذي يقيمه ويقعده بحوله وقوته، فافهم" انتهى.

قلت: وأيضا فإن العارف ولو كان كاملا يطلب منه ألا يأمن من مكر الله تعالى، بل الخوف غالب عليه في جميع أحواله، ولو بلغ من المقامات الغاية، وقيل له في سره: رضيت عنك الرضى الأكبر، فلا يأمن مكر الله في شيء وليوف الألوهية حقها. وقد أشار لهذا المعنى أيضا سيدي عبد الوهاب، في "جواهره"، قال نفعنا الله به: "ياقوت: سألت شيخنا، يعني سيدي عليا الخواص، هل للكامل أن يركن إلى عدم مكر الله تعالى تغليبا

---

[1] سورة الإسراء، الآية: 1.

[2] عبد الحق الإشبيلي، الأحكام الشرعية الكبرى، تحقيق أبي عبد الله حسين بن عكاشة، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، 1422هـ/2001م، باب من كلام الرب جل جلاله، ج 1/ 243-244.

لحسن الظن بالله عز وجل؟ فقال : من شأن الكامل أن لا يحكم على الله تعالى بشيء، ولو أبلغه أعلى المقامات، وقال له في سره: قد رضيت عنك الرضى الأكبر، فليس له أن يأمن مكر ربه في شيء وليوف الألوهية حقها في الإطلاق، فإن الله تعالى يفعل ما يشاء، وليتأمل العبد فيما ورد في حق جبريل وإسرافيل عليهما السلام، لما خلقهما الحق تعالى طفقا يبكيان، فأوحى الله إليهما ما يبكيكما؟"[1] وهو أعلم، فقالا: خوفا من مكرك، فقال لهما الحق تعالى: هكذا كونا لا تأمنا مكري.

وقد كان الشيخ عبد القادر الجيلاني، يقول: "أعطاني الحق سبحانه، أربعين عهدا وميثاقا إنه لا يمكر بي، فقيل له: كيف حالك بعد ذلك؟، قال غير آمين"[2]. انتهى. ومن أراد السلامة من ذلك فليلازم ميزان الشريعة، كما أشار لذلك سيدي عبد الوهاب، أيضا، قال: "سمعت شيخنا، يقول: من أراد السلامة من مكر الله، فلا يرمي ميزان الشريعة من يده". ولذلك قال أبو القاسم الجنيد: "علمنا هذا مشيَّد بالكتاب والسنة، فقلت له: فهل يحتاج علم الكشف الصحيح إلى الميزان الشرعي؟ فقال: نعم، لا ثقة إلا بما جاء عن رسول الله بالوسائط، ومن هنا قالوا: لا يدخل الأوامر الشرعية استدراج، فإن الله تعالى ما بعث إلينا ليمكروا بنا، وإنما بعثهم لسعادتنا، بخلاف الهواتف التي تأتي على لسان الحق، فإنها غير معصومة، والله أعلم[3]. فإن قيل: قد وجدنا للقوم شطحات، وتصدر عنهم مقالات، وادعاء كرامات، وتظهر منهم عنايات، وينسبون إلى أنفسهم

---

[1] ورد هذا النص في: محمد فتح السوسي النظيفي، الدرة الخريدة شرح الياقوتة الفريدة، ص: 281 مع اختلاف طفيف في الرواية.

[2] ورد هذا النص بنفس اللفظ في: عبد القادر الرافعي الطرابلسي، إحياء القلوب على حكم شيخه محمدو الكردي الخلوتي، دار الكتب العلمية، بيروت، ص: 137.

[3] ورد هذا النص بنفس اللفظ في: عبد الوهاب الشعراني، الجواهر والدرر الكبرى، تحقيق أحمد فريد المزيدي، ص: 138-139.

مقامات؛ وذلك بحسب ظاهره مخالف لما سبق". وذلك لقول سيدي عبد القادر الجيلاني:

[الطويل]

وَأَمْـرِي بِـأَمْـرِ اللهِ إن قُـلْـتُ كُـنْ يَـكُـنْ وَكُـلٌّ بِـأَمْـرِ اللهِ فـاحْـكُـمْ بِـقُـدْرَتِي[1]

وكقوله، في قصيدته المشهورة له: /114/

[الطويل]

أنـا قُـطْبُ أَقْـطَـابِ الـوُجُـودِ حـقيقَةً على سَـائِـرِ الأَقْطَـابِ قَـوْلِي وَحُـرْمَتِي[2]

وكقول إمام الطريقة، الجامع بين الشريعة والحقيقة، أبي العباس سيدي أحمد زروق، نفعنا الله به في قصيدة له، من جملتها قوله:

[الطويل]

فَارْفَعُ قَدْراً ثُمَّ أُخْفِضُ رُتْبَةً (...)[3] مَقَدْارِي بِأَرْفَعِ حِكْمَتِي

وَأَعْزِلُ أَقْوَاماً وَأُوْلِي سِوَاهُمْ وأُعْلِي مَنَاراً لبَعْضِ فَوْقَ المِنَصَّةِ

وأبْسُطُ أَرْوَاحاً وأَقْبِضُ أَنْفُساً وَأُحْيِي قُلُوباً بَعْد مَوْتِ القطيعةِ

وأَجْبُرُ مَكْسُوراً وأُشْهِرُ خَامِلاً وَأَرْفَعُ مَوضُوعاً لِرَفْعِي لِهِمَّتِي

---

[1] ديوان عبد القادر الجيلاني، تحقيق يوسف زيدان، دار الجيل، بيروت، ص: 107، بنفس اللفظ.

[2] ديوان عبد القادر الجيلاني، ص: 115. بنفس اللفظ.

[3] بياض في الأصل وباقي النسخ الأخرى قدره كلمة، وبعد رجوعنا إلى كتاب الجواهر الحسان في تفسير القرآن، لأبي زيد الثعالبي المالكي، وجدنا الشطر الثاني بهذا الشكل: [لأرفع مقدارا بأرفع حكمتي]، ج 35/1.

وأَقْهَرُ جَبَّاراً وَأَدْحَضُ ظَالِماً وَأَنْصُرُ مَظْلُوماً بِسُلْطَانِ سَطْوَتِي[1]

وأقوالهم في ذلك رضي الله عنهم، كثيرة، فالجواب: إنه ليس في ذلك منهم رضي الله عنهم، إعجاب ولا دعوى، التي هي أصل كل محنة وبلوى، لأنهم منزهون عن ذلك كله، بل هو من باب التحدث بالنعم، لأنهم يشاهدونها من الله حقيقة، وقد قال تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[2]. والجميع من الله تعالى. ويرحم الله القائل، حيث يقول:

[الطويل]

لَكَ الحَمْدُ مَوْلاَنَا على كُلِّ نِعْمَةٍ وَمِنْ جُمْلَةِ النَّعماءِ قَوْلِي لَكَ الحَمْدُ

فَمَا الحَمْدُ إِلاَّ أَنْ تَمُنَّ بِنِعْمَةٍ تَعَالَيْتَ لا يَقْوَى عَلَى حَمْدِكَ العَبْدُ[3]

وقال الآخر:

[الطويل]

إِذَا كانَ شُكْرِي نِعْمَةَ اللهِ نِعْمَةً عَلَيَّ لَهُ بِمِثْلِهَا يَجِبُ الشُّكْرُ

فَكَيْفَ بلوغُ الشُّكْرِ إلاَّ بِفَضْلِهِ وإنْ طَالَتِ الأَيَّامُ واتَّصَلَ العُمْرُ

إذا مَسَّ بالسَّراء عَمَّ سُرُورُهَا وإنْ مَسَّ بالضَّرَّاء أَعْقَبَهُ الأَجْرُ

وَمَا مِنْهُمَا إلاَّ لَهُ فِيهِ نِعْمَةٌ تَضِيقُ بِهَا الأَوْهَامُ والبَرُّ والبَحْرُ[4]

---

[1] وردت هذه الأبيات بنفس اللفظ في: أبي زيد الثعالبي، الجواهر الحسان، ج 85/1، باستثناء البيت الثالث غير مذكور في القصيدة.

[2] سورة الضحى، الآية: 11.

[3] وردت هذه الأبيات في: أحمد ابن عجيبة، إيقاظ الهمم في شرح الحكم، ص: 343، مع اختلاف طفيف في بعض الألفاظ، مثل: "فسبحانك" عوض "تعاليت".

[4] وردت هذه الأبيات بنفس اللفظ في: ديوان محمود الوراق، تحقيق وليد قصاب، اخراج مؤسسة الفنون، عجمان، الطبعة الأولى ،1416هـ-1991م، ص: 49، وهو محمود الوراق ويكنى أبا الحسن، شاعر عراقي مشهور من

قال الله تعالى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[1]، فهم الملوك والسلاطين، فحق لهم إطلاق اللسان بذلك، لما لهم من كمال مشاهدة الفعل، من الله والتعيين، ولله در من قال، وأجاد في المقال:

[الطويل]

فَقُلْ لِمُلُوكِ الأَرْضِ تَجْهَدُ جَهْدَهَا فَذَا المُلْكُ مُلْكٌ لا يُبَاعُ وَلا يُهْدى[2]

ومن معنى ما سبق ما حكي عن الشيخ برهان الدين الأنباسي[3]، في كتابه "تلخيص الكوكب المنير، في مناقب أبي العباس البصير"[4]، قال: "ومن كراماته أنه لما قدم مكة، اجتمع بالشيخ أبي الحجاج الأنصاري[5]، فجلسا في الحرم الشريف، يتذاكرون أحوال

شعراء العصر العباسي الأول. وهو من الموالي، فقد ذكر أنه كان مولى بني زهرة. وكان مثقفا مطلعا. توفي في زمن خلافة المعتصم العباسي. ترجمته في : مقدمة ديوانه.

[1] سورة إبراهيم، الآية:9.

[2] ورد هذا البيت بنفس اللفظ في: أحمد بن عجيبة، إيقاظ الهمم في شرح الحكم، ص: 207؛ تحقيق محمد حجي، موسوعة أعلام المغرب، ص: 1071.

[3] أبو اسحاق إبراهيم بن موسى بن أيوب الشهير بالأنباسي ثم القاهري الشافعي الفقيه. ولد سنة 725هـ بأبناس وهي قرية صغيرة بالوجه البحري من مصر، وقدم القاهرة وهو شاب فحفظ القرآن وتفقه في الفقه والعربية والأصول، وأخذ عن الإسنوي وغيره، وكان مشهورا بالصلاح له "الشذى الفياح في مختصر ابن الصلاح"، وتلخيص الكوكب المنير في مناقب أبي العباس البصير" وغيرهما. توفي سنة 802هـ . ترجمته في: عبد الرحمن السخاوي، الضوء اللامع، ج 1 /172-175؛ وجلال الدين السيوطي، حسن المحاضرة، ج/437-438؛ والزركلي، الأعلام، ج75/1؛ وكحالة، معجم المؤلفين، ج 1/ 117.

[4] أبو العباس البصير كان من أصحاب الكشف التام والقبول العام وكان من معاصري الشيخ أبي السعود بن أبي العشائر. دفن بالقرافة الصغرى، وقبره بها ظاهر يقصده الزوار في كل يوم جمعة. ترجمته في: الشعراني، الطبقات الكبرى، ج 2/ 7-8.

[5] أبو الحجاج يوسف بن عبد الرحيم بن عربي القرشي الأقصري، تتلمذ على الشيخ عبد الرزاق الجزولي وصحب عبد الرزاق دفين الإسكندرية، ومن أجل أصحاب سيدي أبي مدين المغربي، وله كلام عال في طريق القوم، ومناقبه وكراماته مشهودة، توفي سنة 642هـ . ترجمته في: ابن الملقن، طبقات الأولياء، ص: 480-482؛ والكوهن

القوم، فقال أبو الحجاج: هل لك في طواف السبع؟ فقال أبو العباس: إن لله رجالا يطوف بيته بهم، فنظر أبو الحجاج، وإذا بالكعبة طائفة بهم. قال الأنباسي: ولا ينكر مثل ذلك، فقد تظافرت /115/ أخبار الصالحين على نظير هذه الحكاية"[1]. ونص على ذلك الشيخ خليل[2] صاحب "المختصر" الذي ألفه في مناقب شيخه سيدي عبد الله المنوفي[3]، قال: وقد حكى جماعة أن الكعبة رئيت تطوف ببعض أوليائه"[4]. انتهى. ولمشاهدتهم رضوان الله عليهم، الأفعال من الله تعالى وعظمة الربوبية. "قال بعض العارفين: "مساكين الغفلة يشتغلون بكثرة الأعمال ويعظمونها ويفتخرون بها، وأما أهل المعرفة فلو عملوا أعمال السماوات والأرض من الأزل إل الأبد كان ذلك أصغر في عيونهم في جنب عظمة الله من خردلة بين السماء والأرض"[5].

وقال بعض العارفين بعد أن شوق للجنة، وخوف من النار: "هذا إنما هو للعموم من الناس الذين يشتاقون إلى الجنان والحور الحسان، ويخافون من النيران والهوان،

الفاسي، طبقات الشاذلية الكبرى، ص: 83-85؛ والزركلي، الأعلام، ج 238/8؛ وكحالة، معجم المؤلفين، ج13/ 309.

[1] ورد هذا النص بنفس اللفظ في: يوسف النبهاني، جامع كرامات الأولياء، ج 25/2.

[2] ضياء الدين خليل بن إسحاق بن موس الجندي فقيه مالكي من أهل مصر. له مختصر في الفقه ومناقب المنوفي. توفي سنة 776هـ . ترجمته في: أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج. ص: 168-173؛ وأحمد بابا التنبكتي، كفاية المحتاج، ج 198/1-202؛ وابن مخلوف، شجرة النور الزكية، ج321/1؛ والزركلي، الأعلام، ج 315//2؛ وكحالة، معجم المؤلفين، ج 4 /113-114.

[3] أبو محمد عبد الله بن محمد بن سليمان المنوفي ولد سنة 686هـ . وتفقه لمالك. واعتزل وانقطع بالصالحية مقتصرا على خصوصية نفسه، لا يكاد يخرج لغير الصلاة، له كرامات ظاهرة. ومن شيوخه الركن ابن القوبع والشرف الزواوي وابن الحاج العبدري. توفي سنة 749هـ. ترجمته في: الشعراني، الطبقات الكبرى، ج 5/2؛ وأحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج، ج 234/1-235؛ وأحمد بابا التنبكتي، كفاية المحتاج، ج 1/ 240-241.

[4] ورد هذا النص بنفس اللفظ في: يوسف النبهاني، جامع كرامات الأولياء، ج 25/2.

[5] ورد هذا النص بنفس اللفظ في: أحمد الرفاعي، حالة أهل الحقيقة مع الله تعالى، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى -1425هـ-2004م. ص: 75.

وأما الخواص العارفون بالله تعالى، فاشتياقهم إلى وجه الله الكريم، لا إلى نعيم الجنة ولا يخافون من عذاب الجحيم.

قال بعض العارفين: "وإنما كان الأمر على ما سبق لأن كل واحد، إنما يشتاق إلى محبوبه، فمن غلبت عليه محبة الله في الدنيا لم يشتق إلا إلى لقائه والنظر إلى وجهه الكريم، ومن غلب عليه حب الحظوظ من المطعم والمشرب، والمنكح والملبس والمسكن كأمثالنا، اشتاق إلى الجنة ونعيمها الذي هو محبوبه".

قال بعض العارفين: "ومما يقدح في التوحيد الخاص دون العام محبة غير الله لغير الله كمحبوبات النفس، وشهواتها المباحة إذا لم يقصد بها الاستعانة على طاعة لله تعالى، وأما محبة غير الله له، فلا يقدح في التوحيدَيْن، يعني: العام والخاص. وللنفس أغراض وحظوظ دقيقة خفية في بعض الأعمال، لا يتفطن لها ويحترز منها إلا الرجال أهل المقامات والأحوال، هي عندهم من الشرك الخفي؛ فمن ذلك ما قال بعضهم: من عبد الله طمعا في جنته أو خوفا من ناره، فقد أشرك به، ولكن يعبده لكونه أهلا أن يعبد، ولو لم يخلق جنة ولا نارا، تبارك وتعالى، وكذلك حب المنزلة عند الخلق، وخوف الخلق، واعتقاد نفعهم وضرهم في الشدائد إليهم، وغير ذلك مما يطول ذكره"[1]. انتهى

وقال الفضيل بن عياض،: "مَن عرف الله عز وجل، من طريق المحبة بغير خوف هلك بالبسط والإذلال، ومن عرفه من طريق الخوف من غير محبة، انقطع بالبعد والاستيحاش، ومن عرفه من طريق المحبة والخوف معا، أحبه الله وأكرمه، وقربه وفهمه ومكنه وعلمه.

---

[1] ورد هذا النص بنفس اللفظ في: أسعد اليافعي، روض الرياحين في حكاية الصالحين، (الحكاية الخامسة بعد الثلاثمائة)، ص: 143.

قال بعضهم: "يشهد لصحة كلام الفضيل، ما اشتهر من أحوال الكرام المحبين العارفين، إنهم لم يزالوا وجلين خائفين رضي الله عنهم وأرضاهم، وجعلنا في ظلهم وحماهم، /116/ بفضله وكرمه، آمين"[1]. ولله در من قال:

[البسيط]

أَهْلُ الصَلاَّحِ وَأَهْلُ البِرِّ قَدْ سَعِدُوا ... لِمَا لِمَوْلاَهُمْ دُونَ الوَرَى قَصَدُوا

مَا صَدَّهُمْ عن بُلُوغِ القَصْدِ إذْ رَغِبُوا ... فيه منَ الفَوْزِ لاَ أَهْلٌ وَلا وَلَدُ

وَأَصْبَحَ القَوْمُ في كَدٍّ وفي تَعَبٍ ... أَحْلَى مِنَ الشَّهْدِ بَلْ مَا مِثْلُهُ الشَّهَدُ

وكان ما كابدُوا في حُبِّ سَيِّدِهِمْ ... وَمَا انثنوا عن وُرُود القُرْبِ إذْ وَرَدُوا

فَلَيْسَ يَرْتَحِلُونَ الدَّهْرَ مِنْ بَلَدٍ ... إلاَّ وَيَبْكِي عليهم ذَلِكَ البَلَدُ[2]

مما يناسب ذكره هنا في عدم الالتفات إلى الجنة والحور، وغير ذلك أنواع النعيم والبساتين والقصور، ما حكى أبو نعيم في "الحلية" عن ميسرة الخادم[3]، قال: "غزونا في

---

[1] ورد هذا النص في: أسعد اليافعي، روض الرياحين، (الحكاية التاسعة عشرة بعد الثلاثمائة): ص: 148، بنفس العبارة.

[2] وردت هذه الأبيات بنفس اللفظ في: شعيب الحريفيش، الروض الفائق في المواعظ والرقائق، الطبعة الأولى بالمطبعة العامرة الشرفية، 1308هـ، ص: 56.

[3] ميسرة بن مسروق العبسي قائد، من شجعان الصحابة. كان أحد التسعة الذين وفدوا على النبي، من بني عبس. وشهد حجة الوداع. ولما كانت الردة، ثبت مع قومه، وتولى سنة 20 هـ قيادة جيش عدده نحو أربعة آلاف، زحف به من الشام إلى أرض الروم، فظفر وغنم. وهو أول جيش دخل بلاد الروم. ترجمته في: ابن كثير، البداية والنهاية، ج 143/7؛ والأعلام، للزركلي، ج 339/7.

بعض الغزوات، فإذا شاب[1] إلى جانبي، وهو مقنّع في الحديد، فحمل على الميمنة، حتى ثناها، وعلى الميسرة حتى ثناها، وحمل على القلب حتى ثناها"[2]. ثم أنشأ يقول:

[الرجز]

أحْسِن بِمَوْلاَكَ سَعِيدٍ ظَنَّا هَذا الَّذي كُنْتَ لَهُ تَمـــــنَّى
تَنَحَّ يا حُورَ الجِنَانِ عَنَّا مالـــكَ قَاتَلْنَـــــا وَلاَ قُتِلْنَـــا
لَكِنَّ إلى سَيِّدِكُـــــــنَّ اشْتَقْنَـــا قَدْ عَلِمَ السِـــرَّ وَمَا أَعْلَنَّـــا[3]

قال: فحمل فقاتل، فقتل منهم عددا، ثم رجع إلى مصافه، فتكالب عليه العدو، فإذا هو قد حمل على الناس، وأنشأ يقول:

[الرجز]

قَدْ كُنْتُ أَرْجُو وَرَجَائي لَمْ يَخِبْ أَنْ لاَ يَضيعَ اليَوْمَ سَعْيِي والطَّلَبْ
يَا مَنْ مَلاَ تِلْكَ القُصُورَ بِاللُّعَبْ لَوْلاَك ما طابَتْ وَلاَ طَابَ الطَّرَبْ[4]

فقاتل، فقتل منهم عددا، ثم رجع إل مصافه، فتكالب عليه العدو، فحمل عليه الثالثة، ثم أنشأ يقول:

---

[1] يقصد بـ"الشاب" هنا سعيد الشهيد، ينظر: أبو نعيم الأصفهاني، حلية الأولياء، ج 165/10.

[2] ورد هذا النص بنفس اللفظ في: أبي نعيم الأصفهاني، حلية الأولياء، ج165/10؛ وابن الجوزي، صفة الصفوة، ج 340/4.

[3] وردت هذه الأبيات بنفس اللفظ في: أبي نعيم الأصفهاني، حلية الأولياء، ج165/10؛ وابن الجوزي، صفة الصفوة، ج 340/4.

[4] وردت هذه الأبيات بنفس اللفظ في: أبي نعيم الأصفهاني، حلية الأولياء، ج165/10؛ وابن الجوزي، صفة الصفوة، ج 340/4.

[الرجز]

يا لُعْبَةَ الخُلْدِ قِفِي ثُمَّ اسْمَعِي مَالَكِ قَاتَلْنَا فَكُفِّي وَارْجَعِي

ثُمَّ ارْجِعِي إلى الجِنَانِ وأسْرِعِي لا تَطْمَعِي لاَ تَطْمَعِي لاَ تَطْمَعِي[1]

فقاتل حتى قتل وانتهى. ومن ذلك قول السيدة الجليلة العفيفة الأصيلة سيدتي ربيعة العدوية[2]: "وعزتك وجلالك ما عبدتك خوفا من نارك، ولا رغبة في جنتك، بل كرامة لوجهك الكريم، ومحبة فيك". ومن ذلك ما حكي عن أبي حفص عمر بن الفارض[3]لما حضرته الوفاة، ورأى الجنة قد تمثلت له، قال: "آه. وصرخ صرخة عظيمة، مادا بها صوته، وبكى بكاء شديدا، وتغير لونه"[4]. وقال:

[البسيط]

إنْ كَانَ مَنْزِلَتِي في الحُبِّ عِنْدَكُمُ مَا قدْ رَأَيْتُ فقد ضَيَّعْتُ أَيَّامِي

أَمْنِيَّةٌ ظَفِرَتْ رُوحِي بِهَا زَمَناً وَاليَوْمَ أَحْسِبُهَا أَضْغَاثَ أَحْلاَمِي[5] /117/

---

[1] وردت هذه الأبيات بنفس اللفظ في: أبي نعيم الأصفهاني، حلية الأولياء، ج10/165-166؛ وابن الجوزي، صفة الصفوة، ج 341/4.

[2] ربيعة بنت إسماعيل العدوية، أم الخير، مولاة آل عتيك، البصرية. صالحة مشهورة، من أهل البصرة ومولدها بها. لها أخبار في العبادة والنسك، ولها شعر، قال ابن خلكان: "وقبرها يزار، وهو بظاهر القدس من شرقيه، على رأس جبل يسمى الطور". توفيت سنة 135هـ . ترجمتها في: ابن الجوزي، صفة الصفوة، ج 4/23-26؛ وابن خلكان، وفيات الأعيان، ج 2/285-286؛ وابن الملقن، طبقات الأولياء، ص: 408؛ والزركلي، الأعلام، ج 10/3.

[3] أبو حفص عمر بن الفارض أبو الحسن علي بن المرشد بن علي شرف الدين الحموي الأصل، المصري المولد الدار والوفاة، العارف المحب، حتى لقب بـ "سلطان العارفين". نظم معظم أشعاره في الحب الإلهي. ترجمته في: أبي نعيم الأصفهاني، طبقات الأولياء، ص: 364-365؛ والكوهن، طبقات الشاذلية الكبرى، ص: 69-75؛ والزركلي، الأعلام، ج 5/55-56.

[4] ورد هذا النص بنفس العبارة في: الكوهن، طبقات الشاذلية الكبرى، ص: 74.

[5] ديوان ابن الفارض، لمحمد مصطفى حلمي، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية، ص: 77 بنفس العبارة، وأيضا الكوهن، طبقات الشاذلية الكبرى، ص: 74 بنفس العبارة.

فهؤلاء رضي الله عنهم، هم المحبون لله حقا، والمخلصون له صدقا، وهم قليلون.

[الوافر]

مُحِبُّ اللهِ فِي الدُّنْيَا عَلِيلُ تَطَاوَلَ سُقْمُهُ فَدَوَاهُ دَاهُ

كَذَا مَنْ كَانَ لِلْبَارِي مُحِبًّا يَهِيمُ بِذِكْرِهِ حَتَّى يَرَاهُ

خاتمة في الكلام على الزيارات للأولياء من الأحياء والأموات، وأهل العمران والفلوات، لأن النفع بهم مشاهد بالعيان، ومواهبهم مستمرة مدى الأيام والأزمان. وقول بعضهم: "إن الولي إذا مات انقطع تصرفه من الكون، وما يحصل لزائره إنما هو على يد صاحب الوقت بحسب درجة ذلك الولي، ذلك في الأغلب"[1].

قال أبو علي سيدي الحسن بن مسعود اليوسي،: "وقد نصوا على أن ثلاثة من صلحاء المغرب، وقع النفع بهم بعد الممات، كما وقع في الحياة، وهم الشيخ أبو يعزى[2]، والشيخ أبو العباس السبتي، والشيخ أبو مدين، نص على ذلك الشيخ زروق وغيره[3].

وقال أبو علي أيضا حاكيا عن سيدي محمد الحاج الدلائي[4]، عن والده، سيدي محمد بن أبي بكر: "إن الشيخ الكبير، والقطب الشهير، مولاي عبد السلام بن مشيش،

---

[1] ورد هذا النص بنفس العبارة في: الحسن اليوسي، المحاضرات، ج 1/ 185.

[2] أبو يعزى يلنور بن ميمون بن عبد الله الهزميري الهسكوري، ولي وعارف شهير. كان منقطعا عن الخلق، وأخذ عنه كبار الفقهاء والعلماء منهم: الإمام عبد الجليل القصري السبتي، وكبير مشايخ وقته أبو الصبر، وشيخ المشائخ أبو مدين الغوت، وغيرهم من رجالات أنحاء المغرب. وتوفي ببلاده سنة 572. ودفن بجبل يروجان، ويعرف الآن بتاغيا من قبيلة زيان،. ترجمته في: ابن الزيات، التشوف، ص: 213-222،. وأحمد التادلي الصومعي، المعزى، في مناقب أبي يعزى، وعبد القادر التليدي، المطرب بمشاهير أولياء المغرب، ص: 54-63.

[3] ورد هذا النص بنفس العبارة في: الحسن اليوسي، المحاضرات، ج 183/1.

[4] محمد الحاج أكبر أبناء الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائي، ولد في الدلاء عام 997هـ ونشأ مكبا على الدرس والتحصيل في الزاوية البكرية، ونال إجازات في مختلف الفنون الدينية من شيوخه أحمد بن القاضي، وأحمد بن

والشيخ أبا يعزى يلنّور، والشيخ أبا سلهام[1]جرب عندهم قضاء الحوائج، غير أنهم اختلفوا. الأول في أمور الآخرة، والثالث في أمور الدنيا، وأبو يعزى في الكل، نفعنا الله بهم، آمين"[2].قال أبو علي: "وهذا بحسب ما اشتهر وانتشر، وإلا فالانتفاع واقع بأولياء الله كلهم"[3].قال أبو علي: "وقد شاهدت المولى إدريس بن إدريس زمن إقامتي بفاس ترياقا مجربا في كل ما نزل"[4]. ولله در من قال:

[الطويل]

إلى مِثْلِهِمْ يَرْتَاحُ قَلْبِي وَتَنْجَلِي ... هُمُومِي وَمَا يَغْشَى الفُؤَادَ منَ الحَدْسِ

فَكَمْ كُرْبَةٍ أَجْلَى الالَهُ بِجَاهِهِمْ ... وَكَمْ رُتْبَةٍ أَعْلَى وَأَوْلَى من الأَوْسِ

فَلاَ تَسْتمِعْ مِنْ قَاصِرِ النَّفْعِ فِيهِمُ ... علَى مَنْ يَكُنْ حَيًّا فَذَاكَ مِنَ الغَلْسِ

فَإِنَّ شُهُودَ النَّفْعِ يَنْفِي مَقَالَهُ ... وَلاَ سِيَّمَا وَالقَوْمُ نَصُّوا عَلى العَكْسِ

عمران السلاسي، والعربي بن يوسف الفاسي. وتوجه إلى البقاع لمقدسة عام 1041هـ ولقي في رحلته الحجازية كثيرا من مظاهر العناية والتقدير، فخطب الناس في عرفات، ودرس بالمدينة المنورة، وقدم فيها خطيبا وإماما، ولدى مروره بالقاهرة، خرج للقائه الإمام أحمد المقري، فأقام عنده وعند شيخ المالكية علي الأجهوري.. توفي سنة 1082هـ. ترجمته في: الحسن اليوسي، المحاضرات، ج172/1؛ ومحمد القادري، نشر المثاني، ج 2/ 196؛ وأحمد الناصري، الاستقصا، ج 97/6-98؛ ومحمد حجي، الزاوية الدلائية، ص: 161-178؛ وإبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، ج 294/2-295.

[1] أبو سلهام من مشاهير أولياء المغرب. توفي سنة 340هـ وضريحه على مصب البحيرة في البحر المحيط بينه وبين سوق أربعاء الغرب نحو من 40 كلم. وهو مقصود للزيارة من كل أنحاء المغرب، وقد كان الأكابر يعتادون زيارته رضي الله تعالى عنه. ترجمته في: عبد القادر التليدي، المطرب بمشاهير أولياء المغرب، ص 55.

[2] ورد هذا النص بنفس العبارة في: الحسن اليوسي، المحاضرات، ج 183/1، وأيضا عبد القادر التليدي، المطرب بمشاهير أولياء لمغرب، ص: 54-55.

[3] ورد هذا النص بنفس العبارة في: الحسن اليوسي، المحاضرات، ج 183/1.

[4] نفسه، ج 183/1.

وقَدْ أَصْبَحُوا في العِلمِ أَعْلامَ صَحْبِهِ وَلاَ مَوْتَ قَالُوا لِلْمُحِبّين في الرَّمْسِ[1]

فهم رحمة للبلاد، والأنام والعباد، جُرِّب النفع بهم، غير ما مرة، وكشفت بهم الشدائد والمضرة. وقد رئ في الزيارة من الخيرات، ما تكل عن إحصائه الألسن، وتقر به المسامع والأعين، ولسيدي إبراهيم التازي[2]، في ذلك قصيدة يحض عليها ويذكر بعض فضلها. وهي هذه:

[الطويل]

زِيارَةُ أَرْبَابِ التُّقَى مَرْهَمٌ يُبْرِي وَمِفْتَاحُ أَبْوَابِ الهِدَايَةِ والخَيْرِ/118/

وَتُحْدِثُ في القَلْبِ الخَلِيِّ إرَادَةً وَتَشْرَحُ صَدْراً ضَاقَ مِنْ شِدَّةِ الوِزْرِ

وَتَنْصُرُ مَظْلُوماً وَتَرْفَعُ خَامِلاً وَتكْسِبُ مَعْدُوماً وَتجْبُرُ ذا كَسْرِ

عليكَ بِهَا فالقَوْمُ بَاحُوا بِسِرِّهَا وَأَوْصَوْا بِهَا يَا صَاحِ في السِرِّ والجَهْرِ[3]

فَكَمْ خَلَّصَتْ مَنْ كَانَ للإثْمِ فَاتِكاً فَأَلْقَتْهُ في بَحْرِ الإِنَابَةِ والبِرِّ

وَكَمْ مِنْ بَعِيدٍ قَرَّبَتْهُ بِجَذْبَةٍ فَفَاجَأَهُ الحَقُّ المُبِينُ مِنَ اليُسْرِ

---

[1] وردت هذه الأبيات بنفس اللفظ في: أحمد التادلي الصومعي، المعزى، ص: 220، وعبد الخالق العروسي، المرقي، ج 1/ 65-66؛ وأبي حامد محمد العربي الشرقي، الفتح الوهبي، ص: 174.

[2] أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن علي اللنتي التازي نزيل وهران،. ولد بتازة ونشأ بها فقرأ القرآن والعلم على شيوخها، ثم رحل إلى المشرق فأخذ على مشاهير العلماء آنذاك مثل التقي الفاسي، وابن مرزوق الحفيد وغيرهما. واستقر بوهران في كنف الولي الصالح أبي عبد الله محمد بن عمر الهواري (ت 843). وأخذ عنه طلبة العصر. من أشهرهم الإمام محمد السنوسي، والشيخ أحمد زروق، والحافظ محمد بن عبد الله التنسي، وغيرهم. توفي سنة 866هـ ترجمته في: أبي جعفر البلوي، ثبت، ص: 320؛ وأحمد بابا التنبكتي، كفاية المحتاج، ج 1/167-171؛ وعبد الله المرابط الترغي، فهارس علماء المغرب، منذ النشأة إلى نهاية القرن الثاني عشر للهجرة، منهجيتها –تطورها- قيمتها العلمية، الطبعة الأولى 1420هـ-1999م. ص: 623.

[3] وردت هذه الأبيات بنفس العبارة في: أبي جعفر البلوي، ثبت، ص: 329-331؛ وأبي حامد الفاسي، مرآة المحاسن، ص: 165؛ وأيضا محمد الكتاني، سلوة الأنفاس، ج 1/25.

وَكَمْ مِنْ مُرِيدٍ أَظْفَرَتْهُ بِمُرْشِدٍ حَكِيمٍ خَبيرٍ بالبَلاَءِ وَمَا يُبْرِي
فألقى عليه حُلَّةً يَمَنِيَّةً مُطَرَّزَةً بِاليُمْنِ والفَتْحِ والنَّصْرِ
فَزُرْ وَتَأَدَّبْ بَعْدَ تَصْحِيحِ نِيَّةٍ تَأَدُّبَ مَمْلُوكٍ مَعَ المَلِكِ الحُرِّ
وَلاَ فَرْقَ في أَحْكَامِهَا بين سَالِكٍ مُرَبٍّ وَمَجْذُوبٍ وَحيٍّ وَذِي قَبْرِ
وَذِي الزُّهْدِ والعُبَّادِ فالكُلُّ مُنْعَمٌ عَلَيهِمْ وَلَكِنْ لَيْسَتِ الشَّمْسُ كَالبَدْرِ
وَزورةُ خَيْرِ الخَلْقِ أَفْضَلُ زَوْرَةٍ وَهُمْ دَرَجَاتٌ في المَكَانَةِ والقَدْرِ
فأَحْمَدُ خَيْرُ العالمينَ وخَيْرُ من تَيَمَّمَهُ العَافُونَ في العُسْرِ واليُسْرِ
فأمَّتُهُ أَصْحَابُهُ الغُرُّ خَيْرُهُمْ وأَفْضَلُ أَصْحَابِ النَّبِيِّ أَبُو بَكْرِ
ويتلُــوهُ فَــاروقُ أبــو حَـفْـصٍ الـرِّضَى عَلَــى رأْيِ أَهْــلِ السُّــنَّــةِ الشُّــهُـبِ الـزُّهْرِ
وبالوَقْفِ قالوا في الهِزَبْر أخي العُلى عَلِّيٍّ وعُثْمَانَ الشَّهِيدِ أبي عَمْرو
وَقَالوا كَتَرْتِيبِ الخِلاَفَةِ فَضْلُهُمْ وَقَدْ تَمَّ نَظْمِي في المَزُورِ وفي الزَّوْرِ
على أنبياء اللهِ مِنِّي ورُسْلِهِ وَخَاتِمِهِمْ أَزْكَى السَّلاَمِ مَدَى الدَّهْرِ
وَقُرْبَاهُ والصَّحْبِ الكِرَامِ وَتَابِعٍ لَهمْ في التُّقَى والبِرِّ والصَّبْرِ والشُّكْرِ[1]

وقد حض الشيوخ على الزيارة، وقالوا: "إنها من الأحياء. قال بعضهم: وأما زيارة موتى الصالحين والعلماء والشهداء فمن غنائم أهل الدين، لأنه يحصل له محبتهم، ومعرفتهم، ومواصلتهم، وذلك من الغنائم العظام".

[1] عبد الخالق العروسي، المرقي، ج 75/1، بنفس العبارة.

وقال الشيخ زروق في "جامع الوغليسية"[1]: "وزيارة القبور من السنّة، وهي أن تأتي القبور، فتقول: السلام عليكم دار قوم مومنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، ثم يدعو، وينصرف. وزيارة الصالحين مرغب فيها، وآدابها، أن يأتي من عند رجله، حتى يصل إلى مقابلة وجهه، ولسيدي أحمد بن صالح الكتاوي[2]، في آداب الزيارة في ضريح والده سيدي صالح الدرعي[3]، ونفعنا به، هذه الأبيات:

[الكامل]

يا زَائِراً هَذا البِسَاطَ المُتَّقَى كُنْ عِنْدَ رَأْسِ الشَّيْخِ وارْغَبْ واسْأَلِ/119/

واسْتَقْبِلِ الوَجْهَ الَّذي تَعْتَادُهُ وَصِلِ الدُّعَاءَ لَهُ كَذَلِكَ وَاجْمِلِ

وَدَعِ التَمَسُّحَ بالغطَاءِ وَشِبْهِهِ وكَذَلِكَ التَّقْبِيلَ دَعْهُ وَأَبْدِلِ

وَاعْلَمْ بأَنَّ مَحَلَّ روح الميَّتِ قَدْ جَاءَ عند الرَّأْسِ يا ذا المَنْزِلِ

---

[1] المقدمة الوغليسية، لأبي زيد عبد الرحمن بن أحمد الوغليسي (ت : 786ه) الفقيه الأصولي المحدث المفسر عمدة أهل زمانه وفريد عصره وأوانه شيخ الجماعة ببجاية. أخذ عن أبي العباس أحمد بن إدريس البجائي، وعن أبي القاسم المشذالي وغيرهما. له تآليف كثيرة، منها: الأحكام الفقهية تسمى الوغليسية ومقدمة في الفقه، وفتاوى مشهورة، توفي سنة 786ه ترجمته في: ابن القاضي، درة الحجال، ج82/3؛ وأحمد بابا التنبكتي، كفاية المحتاج، ج267/1؛ وابن مخلوف،. شجرة النور الزكية، ج 342/1.

[2] أحمد بن صالح الكتاوي الدرعي، فقيه أديب، وطبيب شهير من بيت علم وصلاح بناحية وادي درعة من المغرب الأقصى، وأصل سلفه من شاوية أوراس بالمغرب الأوسط، ومنها ارتحلوا إلى بسكرة إلى ناحية وادي درعة حيث طاب لهم المقام مولد بالزاوية الصالحية القريبة من قرية تاثكنيت بإقليم ورزازات، ونشأ بها، وأخذ علوم اللغة والدين عن والده صالح بن إبراهيم وهو عمدته. كما أخذ عن الشيخ أحمد بن محمد بن ناصر، وإبراهيم بن علي السباعي، وأحمد الحبيب السجلماسي، وكان أديبا يترسل وينظم الشعر نظم الفقهاء. وكان ناصري الطريقة. توفي بزاوية كتاوة عام 1147ه ترجمته في: عبد الوهاب بن منصور، أعلام المغرب العربي، المطبعة الملكية، الرباط، 1419ه-1998م، ج 263/6-267. محمد المكي الناصري، الدرر المرصعة، ص: 159.

[3] صالح بن إبراهيم بن عبد المومن بن عبد الله الدرعي، نزيل الاكتاوة. قال ولده أبو العباس أحمد بن صالح في كتابه "تجديد المراسم الباليه في السيرة الحسنة العالية": واسمه صالح بن إبراهيم بن عبد المومن بن عبد الله بن إبراهيم بن يحيى الشاوي أصلا. ترجمته في: محمد المكي الناصري، الدرر المرصعة، ص: 234-235.

وَيَمُدُّ روحَ الحَيّ عِنْدَ مَزَارِهِ إنْ كانَ مِنْ أَهْلِ المَقَامِ الأَكْمَلِ

فَبِذَاكَ تُقَضَى حَوَائِجٌ وَنَتَائِجٌ عِنْدَ الكَرِيمِ لِكُلّ وَفْدٍ مُقْبِلِ[1]

واستحب بعض العلماء القراءة في زيارة القبور، لما صح فيها من المرائي المبشرة بوصولها، ويجتنب آيات العذاب والأمر والنهي". وينبغي للزائر أن يدعو ويتوسل بهذا الدعاء، فقد قيل: إن من دعا به عند زيارة ولي، يستجاب دعاؤه، وهو: اللهم إني أسألك بجاه نبيك محمد ﷺ، وأنبيائك وأصفيائك وصهيب، وعمار بن ياسر، وعمران بن حصين، وطيفور بن عيسى، وعبد الله بن المبارك، وبحق صاحب هذا الضريح. ويدعو بما شاء من الدعاء وراء ذلك. فإن الإجابة تقع إن شاء الله. ذكره في القوت"[2].

ومما يتوسل به أيضا عند قبور الصالحين: اللهم إني أسألك العفو والعافية، وحُسْن اليقين في الدنيا والدين والآخرة. ومما يدعى به عندهم أيضا أن يقول: "اللهم إنا نتوسل إليك بنبيك محمد، نبي الرحمة وسيد الأمة، وبكرامة عمه العباس بن عبد المطلب، وبحرمة أصحابه وبحرمة الشيخين أبي بكر وعمر، وأن تؤمِّننا يا مولانا مما نخاف منه ونحذر، ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[3]. ومن الدعاء المرجو الإجابة، أن يقول الزائر: "اللهم إنا نسألك بحرمة الدين، إذا نظرت إليهم، سكن غضبك، وبحرمة الحافّين حول عرشك، وبحرمة أوليائك الصالحين، حيث كانوا شرقا وغربا، وجوفا وقبلة،

---

[1] وردت هذه الأبيات بنفس اللفظ في: أبي حامد محمد العربي الشرقي، الفتح الوهبي، ص 223.

[2] ورد هذا النص بنفس العبارة في: عبد الخالق العروسي، المرقي، ج 1/ 77.

[3] سورة آل عمران، الآية: 26 - سورة التحريم، الآية: 8.

وبحرمة سيدنا ومولانا محمد، وبحرمة وليك سيدي فلان أن تجعل لنا من أمرنا فرجا ومخرجا، يا ذا الجلال والإكرام، يا أرحم الراحمين، يا رب العالمين"[1]. انتهى.

ومما يُدعى به أيضا عند قبورهم ما وجدته بخط بعض الأجلة، ونصه: "الحمد لله. نُقل من خط الولي الصالح سيدي يوسف التليدي[2]، نفعنا الله به، أن من قرأ هذا الدعاء عند قبر ولي، غفر الله للزائر والمزور ذنوب ثمانين سنة، وهو: "الحمد لله الذي لا يفنى وجهه ولا يدوم إلا ملكه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سينا محمدا عبده ورسوله، اللهم اكسنا حلة أوليائك، واجعل قدومنا عليهم خالصا لوجهك، اللهم بجاه سيدنا محمد، وأصحابه وبحق /120/ هذا الولي وأمثاله، يا عالم كل خفية، ويا خالق البرية، أن تعطيني أشرف العطية، وتقضي لي خير القضية. اللهم فالق الإصباح وجاعل الليل سكنا "والشمس والقمر حسبانا، ذلك تقدير العزيز العليم". اللهم اقض عني الدين وأعذني من الفقر، ومتعني بسمعي وبصري وقوتي في سبيلك، يا أرحم الراحمين، واعطني من فضلك وارزقني إنك أنت الملك لا إله غيرك".

ومما يدعى به أيضا عند قبورهم أن يقول: "اللهم يا من لا يعلم كيف هو إلا هو، ولا يعلم أحد قدرته إلا هو، يا عالم السر والخفاء، يا ذا الجود والوفاء، أسألك بحرمة سيدنا محمد المصطفى، وبحق أصحابه أهل الوفا، وبحق ساداتنا الشرفا، وبحق وليك سيدي فلان بن فلان أن تقضي حاجتي وهي كذا. وتقول: يا ولي الله ثلاثا، ثم تقرأ آية

---

[1] الحسن المعداني، الروض اليانع الفائح...، ص 119.

[2] أبو الحجاج يوسف بن الحسن التليدي، الشيخ الكامل، الجامع الرباني. كانت له شهرة عظيمة، وزاويته حيث ضريحه بقبيلة بني تليد، من قبائل غمارة. ترد عليه الوفود والآلاف من الزوار والمريدين. وكان متوغلا في طريق التصوف وله كرامات. توفي سنة 950هـ. ترجمته في: محمد المهدي الفاسي، ممتع الأسماع، ص: 78-79، وأحمد الحضيكي، طبقات الحضيكي، ج 2/622-623، وعبد القادر التليدي، المطرب بمشاهير أولياء المغرب، ص: 155.

الكرسي ثلاثا"[1]. انتهى. ما وجد مقيدا عن أبي علي سيدي الحسن بن مسعود اليوسي، ثم قال: "وفيه كفاية، إن شاء الله تعالى"، وينبغي أيضا أن يزيد هذه الأبيات وهي:

[الكامل]

أَيُضَامُ عَبْدٌ في حِمَاكُمْ قد نَزَلْ ... يَا سَادَةً لَهُمُ السِّيَادَةُ في الأَزَلِ

إِنّي أَتَيْتُ إِلَيْكُمُ مُسْتَصْرِخاً ... يَا مَنْ بِهِمْ كُلُّ الأَمَاني وَالأَمَلْ

أَنْتُمْ حُمَاةُ الحَيِّ يَا غَوْثَ الوَرَى ... نَصْراً لَنَا عَوْناً غِيَاثاً عَنْ عَجَلْ[2]

وإن أراد أن يزيد، فليقرأ هذه الأبيات أيضا، وهي قوله:

[الخفيف]

يا رِجَالِ الإلَهِ إِنّي مَرِيضٌ ... والدَّوَاءُ لَدَيْكُمُ والشِّفَاءُ

أنتمُ البَابُ والإِلَهُ كَرِيمٌ ... مَنْ أَتَاكُمْ لَهُ المُنَى والهَنَاءُ

كَمْ أَتَى بِحِمَاكُمُ مِنْ سَقِيمٍ ... زَالَ عَنْهُ سَقَامُهُ والعَنَاءُ

كَمْ أَغثتُمْ على الدَّوَامِ مَرِيضاً ... في فِرَاشٍ وَقَدْ كَفَاهُ النِّدَاءُ

فانْظُروا لِي بِفَضْلِكُمْ في عِلاَجِي ... وامْنَحُونِي بِجُودِكُم ما أَشَاءُ[3]

ومما يناسب أيضا هنا قول القائل:

---

[1] وردت هذا النص في: الحسن المعداني الروض اليانع الفائح، ص20.

[2] وردت هذه الأبيات في: محمد الكتاني، سلوة الأنفاس، ج 1/67-68 مع اختلاف في بعض الألفاظ، مثل: "أولياء الإله" عوض "يا رجال الإله".

[3] وردت هذه الأبيات بنفس اللفظ في: محمد الكتاني، سلوة الأنفاس، ج1/68.

[الخفيف]

يَا رِجَالَ الإِلَهِ إنَّ عُبَيْداً لاَذَ من أَجْلِكُمْ بِرُكْنٍ قَوِيّ

فاقْبَلُوهُ بِفَضْلِكُم وارْحَمُوهُ واشْفَعُوا فيه للإِلَهِ العَلِيّ[1]

وما تقدم من استحباب القراءة هو الذي عند سيدي زروق، نقله عن بعض العلماء، وقد اختلف العلماء رضوان الله عليهم، في القراءة التي يهدى ثوابها إلى الميت، هل يشفع بذلك أم لا؟ وتكلم عليه الحطاب في شرح المختصر"، وصاحب "العلوم الفاخرة" /121/وغيرهما. وقد رجح الانتفاع كما نص عليه الشيخ زروق وابن رشد[2]، في "الأجوبة"، وابن العربي، في "أحكام القرآن"، والقرطبي[3]، في "التذكرة"؛ وسواء عند القبر أو في البيت أو في بلدة أخرى، وبعث بالثواب إلى الميت نقله في المعيار وفي "المواهب اللدنية"[4]. وقد اختلف العلماء في ثواب القراءة، هل يصل للميت؟ فذهب الأكثرون إلى المنع، وهو المشهور من مذهب الشافعي ومالك، ونقل عن جماعة من الحنفية[5]. وقال كثير من الشافعية والحنفية: "يصل، وبه قال أحمد بن حنبل، رحمه الله، بعد أن قال:

---

[1] وردت هذه الأبيات بنفس اللفظ في: محمد الكتاني، سلوة الأنفاس، ج1/67-68.

[2] أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد المالكي، قاضي الجماعة بقرطبة. وكان فقيها عالما حافظا للفقه مقدما فيه على جميع أهل عصره، عارفا بالفتوى على مذهب مالك وأصحابه، وتوفي سنة 520هـ. ترجمته في: العباس بن إبراهيم المراكشي، الإعلام، ج 4/52-58؛ وابن مخلوف، شجرة النور الزكية، ج 1/190؛ والزركلي، الأعلام، ج 1/317-316؛ وكحالة، معجم المؤلفين، ج 8/228.

[3] أبو عبد الله محمد بن أحمد بن بكر بن فرح الخزرجي الأندلسي، ولد في قرطبة أوائل القرن السابع الهجري، وعاش بها، ثم انتقل إلى مصر حيث استقر بمنية بني خصيب في شمال أسيوط. كان من عباد الله الصالحين، والعلماء العارفين، الزاهدين في الدنيا. توفي سنة 671هـ. له "الجامع لأحكام القرآن" و"التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة" وغيرهما. ترجمته في: محمد القادري، الإكليل والتاج، ص: 251؛ والزركلي، الأعلام، ج 5/322؛ وكحالة، معجم المؤلفين، ج 8/239-240.

[4] أحمد القسطلاني، المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، تحقيق صالح أحمد الشامي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، 1425هـ-2004م.

[5] نفسه، ج 2/335 بنفس اللفظ.

القراءة على القبر بدعة. بل نقل عن الإمام أحمد: يصل إلى الميت كل شيء من صدقة، وحج، واعتكاف، وقراءة، وذكر، وغير ذلك"[1].

وذكر الشيخ شمس الدين بن القطان العسقلاني: إن وصول ثواب القراءة إلى الميت من قريب أو أجنبي هو الصحيح، كما تنفعه الصدقة والدعاء والاستغفار بالإجماع، انتهى[2].

وقد ذكر في "المواهب"، قبل هذا أن من خصائص هذه الأمة، "أن لهم ما سعوا، وما يسعى لهم، وليس لمن قبلهم إلا ما سعى، قاله عكرمة"[3]. وأما قوله تعالى: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾[4]، ففيها أجوبة: أحدها: إنها منسوخة، روي ذلك عن ابن عباس، نسخها قوله: ﴿وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾[5]. "فجعل الولد الطفل في ميزان أبيه، ويشفع الثاني أنها مخصوصة بالكافر، وأما المؤمن فله ما سعى غيره"[6].

قال القرطبي: "وكثير من الأحاديث يدل على هذا القول، وأن المؤمن يصل إليه ثواب العمل الصالح من غيره"[7]. ثم نقل أحاديث في ذلك". ومن المفسرين من قال: "إن الإنسان في الآية أبو جهل، ومنهم من قال: عقبة بن معيط، ومنهم من قال: الوليد بن المغيرة، ومنهم من قال: إخبار عن شرع من قلبنا، وقد دل شرعنا أن الإنسان له سعيه،

---

[1] أحمد القسطلاني، المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، ج 335/2 بنفس اللفظ.

[2] نفسه، ج 335/2 بنفس اللفظ.

[3] نفسه، ج 334/2 بنفس اللفظ.

[4] سورة النجم، الآية: 38.

[5] سورة الطور، الآية: 19

[6] أحمد القسطلاني، المواهب اللدنية بالمنح المحمدية ج334/2 بنفس للفظ.

[7] نفسه، بنفس اللفظ.

وما سعي له، ومنهم من قال: الإنسان بسعيه في الخير وحسن صحبته وعشرته، ألَّف الأصحاب، وأسدى لهم الخير وتودد لهم، فصار ثوابهم له بعد موته من سعيه، ومنهم من قال: الإنسان في الآية الحي دون الميت، ومنهم من قال: لم ينف في الآية انتفاع الرجل بسعي غيره، وإنما نفى ملكه لسعي غيره وبين الأمرين فرق، وأجاب الزمخشري عن الآية بجوابين فقط على ذلك. انتهى"[1].

قلت: وفي "الرياض" في الحكاية السابعة والخمسين بعد المائة، ذكر بعض أهل العلم أن رجلا رأى في المنام أن أهل القبور خرجوا من قبورهم إلى ظاهر المقبرة، وإذا هم يلتقطون شيئا لا ندري ما هو؟ قال: فتعجبت من ذلك ورأيت واحدا منهم جالسا لم يلتقط معهم شيئا، فدنوت منه وسألته ما الذي يلتقط هؤلاء؟ فقال: يلتقطون ما يهدي إليهم المسلمون من قراءة /122/ القرآن والصدقة والدعاء، قلت له: ولم لا تلتقط أنت معهم؟ قال: أنا غني عن ذلك، قلت: بأي شيء أنت غني؟، قال: بختمة يقرأها ويهديها إلي كل يوم ولدي. وهو يبيع الزلابية[2] في السوق الفلاني، قال: فلما استيقظت ذهبت إلى السوق كما ذكر لي، فإذا بشاب يبيع الزلابية، ويحرك شفتيه، فقلت له: بأي شيء تحرك شفتيك؟ قال: أقرأ القرآن وأهديه إلى والدي في قبره، قال: فلبثت مدة من الزمان، ثم رأيت الموتى قد خرجوا من القبور يلتقطون كما تقدم، وإذا بالرجل الذي كان لا يلتقط معهم، صار يلتقط، فاستيقظت فتعجبت من ذلك، ثم ذهبت إلى السوق لأعرف خبر ولده، فوجدته قد مات رحمه الله"[3].

---

[1] أحمد القسطلاني، المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، ج 334/2، ج 334/2، بنفس اللفظ.

[2] يقصد بها الجلابية، أو المشبك، نوع من أنواع الحلويات الشعبية (الشباكية) عند أهل المغرب.

[3] أسعد اليافعي، روض الرياحين في حكايات الصالحين، (الحكاية السابعة والخمسون بعد المائة)، ص: 92-93، بنفس اللفظ.

وفي الحكاية الثامنة والخمسين بعد المائة، من الكتاب المذكور، روي أن بعض النساء توفيت، فرأتها في المنام امرأة تعرفها، وإذا عندها تحت السرير آنية من نور مغطاة، فسألتها ما في هذه الآنية، فقالت: "فيها هدية أهداها إلي أبو أولادي البارحة، فلما استيقظت المرأة ذكرت ذلك لزوج المرأة الميتة، قال: قرأت البارحة شيئا من القرآن، وأهديته إليها"[1]. قلت: وبلغني أن بعض الموتى في بلاد اليمن رآه بعض أصحابه في النوم، وكنت قد أهديت له شيئا من القرآن، فقال له: سلم لي على فلان، وقل له: جزاك الله عني خيرا كما أهديت إلي القرآن[2].

وروى بعض العلماء في مصنفاته، ما معناه: إن الشيخ الإمام عز الدين بن عبد السلام، رِيءَ في المنام بعد موته، فقال له الرائي: "ما تقول فيما كنت تنكر من وصول ما يهدى من قراءة القرآن للموتى؟ فقال: هيهات، هيهات وجدت الأمر بخلاف ما كنت أظن. رحمه الله تعالى"[3]، ونحو هذا عند القوم كثير.

ولنقتصر على هذا النزر اليسير، فإن الإشارة كافية، لمن له همة عالية، من مولانا اللطيف الخبير، والمعروف عن مالك عدم الانتفاع بذلك، ومذهب الشافعي الانتفاع، ومذهب أبي حنيفة، الفرق بين أن يقرأ على قبره أوْ لا، ولكل واحد حجة. تركت ذلك خشية التطويل، والله سبحانه ينيلنا فضله الجزيل.

وبالجملة، عليك بزيارة الصالحين، والوقوف بأبواب الأولياء والعارفين، تظهر عليك أسرار الواصلين، وتهب عليك نفحات الكاملين، اللهم يا رب إني أسألك بالعارفين من

---

[1] أسعد اليافعي، روض الرياحين في حكايات الصالحين، (الحكاية السابعة والخمسون بعد المائة)، ص: 93 بنفس، اللفظ.

[2] نفسه، ص: 93 بنفس اللفظ.

[3] نفسه، ص: 92-93، بنفس اللفظ.

عبادك، ورسلك وأنبيائك، وبالواسطة العظمى سيدنا ومولانا محمد، وشرف وكرم، ومجد وعظم أن تصلي على سيدنا محمد وعلى آله الكرام، وصحابته الأعلام، وأن تمن علينا بسوابغ إنعامك، ومشاهدة آلائك، وأن تختم لنا بالحسنى، وأن تبوئنا المقام /123/ الأسمى، وتحشرنا مع الذين أنعمت عليهم من النبيئين والصديقين، والشهداء والصالحين، وحسن أولائك رفيقا. يا أرحم الراحمين، يا رب العالمين.